

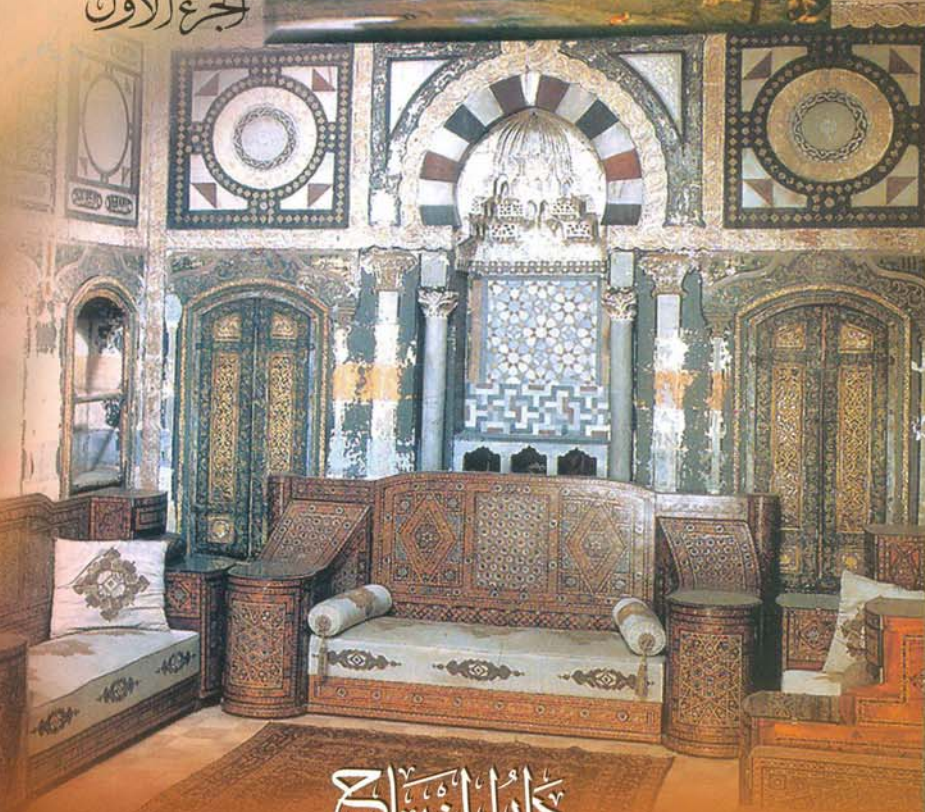
العروة الوثقى

عَنْ
عَنْ أَمَالِي فِي دِيْوَانِ الْكِنْدِيِّ

بِحَاثِ الشَّرِيْفِي فِي دِيْوَانِ الْمُتَنَبِّي

تَأْلِيفُ عِلْمَاءَ حَضْرَمَوْتٍ وَمُفْتِيهَا
السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّقَّافِ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

الجزء الأول



دار المسحاق



العقود الهنكية

عن أمالي في ديوان الكندي

مجالس الأديب في ديوان المتنبي

تأليف

علامة حضرموت ومفتيها

السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف

رحمة الله تعالى

عني به

محمد مصطفى الخطيب

بمساهمة

اللجنة العلمية بمركز دار المنهج للدراسات والنشر

المجلد الأول

دار المنهج للنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العجمي الهندي
عن أمالي في ديوان الكندي

المستعمل
عبدالله بن محمد



دار المنهاج

لبنان - بيروت - فاكس : ٧٨٦٢٣٠

الطبعة الثانية

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

دار المنهاج للنشر والتوزيع

لصاحبها عنه يسأل بما يخيف
واقفه الله تعالى

المملكة العربية السعودية - جدة

حي الكندرة - شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون

هاتف رئيسي 6326666 - الإدارة 6300655

المكتبة 6322471 - فاكس 6320392

ص . ب 22943 - جدة 21416

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه، وبأي شكل من الأشكال، أو نسخه، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه، وكذلك لا يسمح بالاعتباس منه أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبقاً من الناشر

ISBN: 978 - 9953 - 498 - 48 - 5



9 789953 498485

www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

الموزعون المعتمدون داخل المملكة العربية السعودية

مكتبة الشقيطي - جدة هاتف 6893638	مكتبة دار كنوز المعرفة - جدة هاتف 6510421 - 6570628	دار المنهاج للنشر والتوزيع - جدة هاتف 6322471 - فاكس 6320392
مكتبة نزار الباز - مكة المكرمة هاتف 5473838 - فاكس 5473939	مكتبة الأسدى - مكة المكرمة هاتف 5570506	مكتبة المأمون - جدة هاتف 6446614
مكتبة المزني - الطائف هاتف 7365852	مكتبة الزمان - المدينة المنورة هاتف 8366666 - فاكس 8383226	دار البدوي - المدينة المنورة هاتف 0503000240
مكتبة الرشد - الرياض هاتف 4593451 - 4583712 فاكس 4573381	مكتبة المبيكان - الرياض وجميع فروعها داخل المملكة هاتف 2741578 - فاكس 2741750	مكتبة جرير - الرياض وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها هاتف 2741578 - فاكس 2741750
مكتبة المتنبى - الدمام هاتف 8413000 - فاكس 8432794	دار أطلس - الرياض هاتف 4266104	دار التدمرية - الرياض هاتف 4924706 - فاكس 4937130



الموزعون المعتمدون خارج المملكة العربية السعودية

الجمهورية اليمنية مكتبة تريم الحديثة - حضرموت هاتف 417130 - فاكس 418130 دار القدس - صنعاء هاتف 0096777711881	دولة الكويت مكتبة دار البيان - حولي هاتف 2616495 - فاكس 2616490 دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي هاتف 2658180 - فاكس 2658180	الإمارات العربية المتحدة مكتبة دبي للتوزيع - دبي هاتف 2211949 - فاكس 2225137 دار الفقيه - أبو ظبي هاتف 6678920 - فاكس 6678921
الجمهورية اللبنانية الدار العربية للعلوم - بيروت هاتف 785107 - فاكس 786230 مكتبة التمام - بيروت هاتف 707039 - جوال 03662783	الجمهورية العربية السورية دار السنابل - دمشق هاتف 2242753 - فاكس 2237960 مكتبة المنهاج القويم - دمشق هاتف 2235402 - فاكس 2235402	جمهورية مصر العربية دار السلام - القاهرة هاتف 2741578 - 2704280 مكتبة نزار مصطفى الباز - القاهرة هاتف 25060822 - جوال 0122107253
المملكة الأردنية الهاشمية دار محمد دنديس - عمان هاتف 4653390 فاكس 4653380	مملكة البحرين مكتبة الفاروق - المنامة هاتف 17272204 - 17273464 فاكس 17256936	دولة قطر مكتبة الأقصى - الدوحة هاتف 4437409 - 4316895 فاكس 2291135
جمهورية أندونيسيا دار العلوم الإسلامية - سورويابا هاتف 60304660 - فاكس 006231	الجمهورية التونسية الدار المتوسطة للنشر - تونس هاتف 70698880 - فاكس 70698633	المملكة المغربية دار الأمان - الرباط هاتف 037723267 - فاكس 037200055

جمهورية داغستان
مكتبة دار الرسالة - محج قلعة
هاتف 0079285708188
هاتف 0079882904764

الجمهورية التركية
مكتبة الإرشاد - إستانبول
هاتف 02126381633
فاكس 02126381700

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أضواء على الكتاب

بقلم / الدكتور محمد عبد الرحمن شميله الأهدل

أحمدُكَ اللَّهُمَّ ، وأسْتَمْنِحُكَ السَّدَادَ ، وأصْلِي وأسْلَمُ على المبعوثِ
بجوامعِ الكَلِمِ ، مَنْ مَدَّتْ عليه الفصاحةُ رواقها ، وَشَدَّتْ به ألبلاغةُ نطاقها ،
ابنِ الذَّبِيحِينَ ، وخيرِ الثَّقَلَيْنِ ، وعلى آلِ الغُرِّ الميامينِ ، وصحابتِهِ الدُّعَاةِ
المجاهدينِ ، والتَّابِعِينَ لَهُمْ في كُلِّ عَصْرِ وحين .

وبعدُ :

فإني لا أقصدُ بهذهِ الكلماتِ كَشْفَ الثُّقَابِ عَنِ المزايا المتألِّفةِ في سماءِ
البيانِ التي تتلألُ بها صفحاتُ هذا السَّجَلِ الأدبيِّ الحافلِ بالدقائقِ الأدبيَّةِ ،
ولم أعنْ بتوصيفِ مواهبِ المؤلِّفِ وبلاغتِهِ الهاشميةِ ، ولم أصمُدْ إلى بقرِ
محتوياتِ كتابه على النُّحُوِّ الاستقرائيِّ الَّذِي يمنحُ المتأهَّلَ الحكمَ الصَّائبَ على
هذا السُّفَرِ ، ووضعِهِ في مرتبتهِ الأدبيَّةِ اللَّائِقَةِ ؛ فقد أضلعتُ بذلكِ المقدِّمةُ
الرَّائِعَةُ التي نسجَ خيوطها المحققون .

وَعِنْدَ جُهينةِ الخبيرِ اليقينِ

نعم ، لقد نِعِمْتُ بمطالعةِ أجزاءٍ منه ، ومَتَّعْتُ الفكرَ في رياضها ،
وأستنشقتُ شذى أديباتها ، وأفدتُ من جواهرها المكنونةِ ، وقطفتُ من
أزاهيرها البَسَامَةِ كُلِّ معنى بديع .

فاجتمع لي بتصفح هذه الأجزاء الاستفادَةُ العلميَّةُ ، والابتهاجُ الرُّوحيُّ ،
الممزوجانِ بالإمتاعِ الأدبيِّ ، فكانَ لزاماً أنْ تتمخَّصَ تلكَ المطالعةُ عن سَيِّلانِ
أحاسيسي بنعوتِ الإعجابِ بهذا السَّفَرِ البديعِ .

لذلكَ أعنقتُ يراعتي في ميدانِ الإشادةِ بالقيمةِ الأدبيَّةِ لهذا السَّفَرِ الممتعِ
المفيدِ .

سَقُونِي وَقَالُوا لَا تَغْنِي وَلَوْ سَقَوْا جِبَالَ حُنَيْنٍ مَا سَقُونِي لَغَنَّتِ
وَإِذَا كَانَتْ الْكِتَابَةُ تَنْمُ عَنْ وُجْهِهِ الْكَاتِبِ ، وَالْمَوْلُفُ يُفْصِحُ عَنْ قُدْرَةِ
جَامِعِهِ ، وَيُنْبِئُ عَنْ مَعَارِفِهِ ، وَيَحَدِّدُ مَكَانَتَهُ الْعَلِمِيَّةَ . . فَإِنَّا بِنظرةٍ فاحصةٍ في
هذا الكتابِ نَجِزُ مطمئنينَ بأنَّ الفِلسفةَ الأدبيَّةَ الَّتِي نَحَاها هذا الإمامُ العَلَمُ ،
والتَّنوُّعُ الَّذِي أصطفاه . . لَيَسْهَدَانِ بَعْلُو كَعْبِهِ فِي مَخْتَلِفِ الْمَعَارِفِ ، وَرُسُوخِ
قَدَمِهِ فِي الْإِحَاطَةِ بِنِتِ عَدْنَانِ ، وَالنَّشِيعِ بِلَطَائِفِهَا ، وَالْهَيْمَنَةِ عَلَى دَقَائِقِهَا ؛
فقد أهدت إلى هذا السَّيِّدِ الْعَبْقَرِيِّ كَنُوزَهَا ، وَأَسْتَسَلَمْتَ لَهُ شِوَارِدَهَا
وَأَوَابِدَهَا ، هَذَا إِضَافَةً إِلَى مَا تَمَيَّزَ بِهِ مِنْ حَسَنِ اخْتِيَارِ لِمَا يَبْهَجُ الْأَنْفُسَ مِنْ
أَدْبِيَّاتٍ ، وَمَا تَنْتَشِطُ بِهِ الْأَفْكَارُ مِنَ الْفِكَاهَاتِ .

أَمَّا تِلْكَ الْمَبَاحِثُ الْعُويصَةُ ، ذَاتُ الْمَسَالِكِ الضَّيِّقَةِ ، الَّتِي يَطْرَحُهَا عَلَى
الْبَسَاطِ الشَّرْعِيِّ ، ثُمَّ يَرْسِلُ عَلَيْهَا أَشْعَةَ تَحْقِيقَاتِهِ ، وَيَضَعُ الْهِنَاءَ عَلَى الْنَقَبِ . .
فإنَّهَا مَشْتُورَةٌ فِي ثَنَايَا هَذَا الْكِتَابِ ، وَإِلَى أَدْنَى مِنْهَا أَهْمِيَّةٌ يَرْحَلُ الْمُتَفَقِّهُونَ ،
وَلَا غُرُ . . فَهوَ إِمَامٌ وَقْتِهِ ، وَمُفْتِي قُطْرِهِ ، مَا رَأَى فِي عَصْرِهِ مِثْلَ نَفْسِهِ ، إِلَّا أَنَّ
كُلَّ أَحَدٍ يُؤْخِذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُرَدُّ . . إِلَّا مَنْ عَصِمَ .

وَمَعَ أَنَّ الْمَوْلُفَ قَدْ جَمَعَ فِي كِتَابِهِ بَيْنَ الْجِدِّ وَالْهَزْلِ ، وَمَزَجَ الْمَعْرِفَةَ
بِالْإِمْتَاعِ . . إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُلْحَقْ شَأُوهُ فِي نَمَطِهِ ، وَلَمْ يَسْبِقْ أَحَدٌ إِلَى طَرِيقَتِهِ ، أَلَمْ
يُلْفَعْ كِتَابَهُ بِمِرطِ الْجُودَةِ ، وَيَحْلِيهِ بِزِينَةِ الْإِتْقَانِ ؟!

ولذا سالت منه حلاوة الجدة على قرب العهد .

وأما ما رُوح به المؤلف على النفوس لهزم جيوش السامة . . فليست إلا مفاكهايت يتسامر بأمثالها الفضلاء ، ويستملح لطائفها الكبراء ، مما لا يأنف المحتشمون من المسامرة بأضرابها ، وهي طريقة الألباء ، ومُتنفس الأدباء في كل عصرٍ ومصرٍ .

وهو بذلك لم يُقارَف ما يُخلُّ بالمروءة ، ولم يوضع في فحش المُجون ، ولم يصطدم بما يهزُّ الآداب الشرعية ، بل اتسمت مفاكهايته بالملاحة ، وانتظمت في سلك الإمتاع واللطافة ، ومثل هذا القدر يستعذبه العلماء ، ويتندرُّ بخفته الفقهاء ، ويلهجُّ به عشاق الطرف والمُح ، وقلَّ أن يخلو كتاب أدبي من هذه المتعة وتلك المؤانسة .

وإني على يقين تام بأن هذا السفر البكر سترجع بعد نشره على منصّة القبول ، وسيكون منهلاً عذبا من مناهل الأدب .

وَالْمَنْهَلُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ

بل سيكون مرجعاً وثيقاً لمن يُعنى بقواعد النقد ، أو يهتُمُّ بالوقوف على نكت البلاغة ، وطُرق الفصاحة .

وما ذلك إلا لما حواه من أدب جم ، وتبيان لدقائق الفصحاء ، وإبراز لمحاسن الموهوبين من الشعراء ، والإتيان بالأشباه والنظائر من المعاني التي تواطأ أبلغاء على نظمها في سبط الدرر ، والمقارنة العادلة بين تلك النظائر ، وما أبرزته تحويراتهم من حُسن أو إساءة ، ولئن أطلقت في نعته عنان الكلام . . فما مرامي إلا أن أبلغ به ما يستحق من المكانة ، ولاسيما وهو لم يقرع من قبل أذان المتأدبين ، ولم يصافح أذهان المعنيين بالنقد الأدبي ، فليس

صنيعي هذا خروجاً عن حدِّ الاعتدالِ ، ولا وقوعاً في ثبج الغلوِّ .

بل لا أجدني مبالغاً إن اعترفتُ بأنَّ قلَّمي لم يقوَ على الإفصاحِ عن كلِّ خِصِيصَةٍ فيه ، ولم يثب بياني إلى تبيانِ جديدهِ ، ولم يخضُ فكري فيما أفتَرَعُهُ المؤلِّفُ من أبقارِ ألفوائِدِ ، التي هي من نسجِ طبعه ، وسبكِ فهمه ، وصوغِ ذهنه .

ولعلَّ في مقدِّمةِ النَّاشِرِ ما يرفعُ الأستارَ عن تلكَ الخصائصِ جميعها ، بيدَ أنَّ الَّذي يستدعيني المقامُ أن أستهدفه في هذه الأحرَفِ ، وأميطُ عنه لثامَ الحقيقةِ . . هو الإعلامُ بما يقاسيه الأدبُ العربيُّ في العصرِ الحاضرِ من جفاءِ ، وما يعانیه من قطعيةٍ من بني جلدتِه ، سواءً في ذلكَ شعره ونثره ، وجِدُّه وهزلُه ، وقديمُه وجديدهُ ، بل ربَّما وقفَ ذو طبعِ غليظٍ وحسٍّ متبلِّدٍ يهدمُ عمداً ماثرَ الشعرِ عامَّةً ، فتراه يتابعُ الاستغفارَ والاستنكارَ معاً إن صكَّ سمعه بيتُ شعرٍ ترنَّم به أديبٌ ، أو تمثَّل به أريبٌ ، أو استدعتُه حادثةٌ ، وهذا خلافُ ما عليه القومُ .

وكثيراً ما نسمعُ في مسامراتنا من يتأفَّفُ من إنشادِ الأشعارِ ، ويعتصمُ بنصِّ التَّنزيلِ الحكيمِ ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ [الزَّحْرُفُ : ١٧٣] ، ثُمَّ يَنْقَطِعُ نَفْسُهُ فَلَا يَتَابِعُ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿ [الشُّعْرَاءُ : ٢٢٤-٢٢٦] ، ثُمَّ يَنْقَطِعُ نَفْسُهُ فَلَا يَتَابِعُ أَلَا اسْتِثْنَاءً الَّذِي يَرْفَعُ الْمَلَامَ عَنِ مُؤْمِنِي الشُّعْرَاءِ ، فَيَكُونُ صَنِيعُ هَذَا الْمُسْتَشْهِدِ بِنَصِّ مَبْتَوْرٍ شَبِيهَاً بِمَنْ يَقْرَأُ : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ [المَاعُونَ : ٤] وَيَقِفُ ، وَكَلَا أَلَوْقِفِينَ مَذْمُومٌ شَرْعاً .

وقد نتجَ عن هذا العِدَاءِ وتلكَ العِجْفَةِ هذا الألكماشُ الملحوظُ في الحركةِ الأدبيةِ ، وإيجادُ سدِّ متينٍ بينَ النَّاشِئَةِ وتراثهمِ الأدبيِّ .

وأعانَ على تقويةِ هذا السدِّ ذلكَ الهزالُ اليبينُ الَّذي يَنخَرُ في معارفِ

الْخَرِيَجِينَ مِنَ النَّاحِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ ، وَحُقَّ لَنَا أَنْ نَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَوَّلِ (ضِغْتُ عَلَى إِبَالَةٍ)^(١) فَاسْتَحْكَمَ الدَّاءُ ، وَعَزَّ الدَّوَاءُ .

ولستُ ملزماً هنا بسردِ مزايا الأدبِ بسائرِ فنونه ؛ ففي المقدمةِ ما يكفي ويشفي ، وفي صحيحِ الأخبارِ ما يدحضُ هذا الاستنكارَ .

بيدَ أنّي أذكرُ موقفاً خالداً من مواقفِ الفاروقِ رضيَ اللهُ عنه ؛ فقد خرجَ على المسلمينَ في مسجدِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلّمَ ، وقامَ فيهم مُستفهماً ، فقالَ : أيُّكم يعرفُ هذا الحرفَ ؟ ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُرُ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ [النحل : ٤٧] ما التَّخَوُّفُ ها هنا ؟

فأرَمَ القومُ ، فقامَ شيخٌ من أخرياتِ المسجدِ فقالَ : أنا أعرفُ ذلكَ ، التَّخَوُّفُ ها هنا : التَّنْقِصُ ، فقالَ له عمرُ : أَوْ يَعْرِفُ الْعَرَبُ ذَلِكَ ؟ فقالَ له : نعم ، يقولُ شاعرُنَا :

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفْنِ^(٢)

- (تَخَوَّفَ) : تَنَقَّصَ . (التَّامِكُ) : السَّنَامُ . (الْقَرْدُ) : كَثِيرُ الشَّعْرِ .
و(النَّبْعَةُ) : شَجَرَةٌ تَتَّخِذُ مِنْهَا السَّهَامُ . و(السَّفْنُ) : الْمِبْرَأَةُ - فقالَ أميرُ المؤمنينَ :
(عليكم بأشعارِ العربِ ؛ فإنَّ فيها معرفةَ كلامِ ربِّكم) . أو قالَ نحو
هذا .

وهناك صِنْفٌ مِنَ الْفَضْلَاءِ تَظْهَرُ عَلَيْهِمْ سِمَاتُ الْإِحْتِشَامِ إِذَا تَرَامَتْ إِلَى مَسَامِعِهِمْ نَوَادِرُ يَتَرَوَّحُ بِنَسِيمِهَا الْمَتَادِّبُونَ مِنْ هَجِيرِ الْحَيَاةِ ؛ إِذْ تَجَهَّهُمْ وَجُوهُهُمْ

(١) الضِّغْتُ : الْقَبْضَةُ مِنَ الْحَشِيشِ . الْإِبَالَةُ : الْحِزْمَةُ مِنَ الْحَطَبِ . وَهُوَ مِثْلُ عَرَبِي ، مَعْنَاهُ : مَصِيْبَةٌ عَلَى أُخْرَى .

(٢) يَصِفُهُ بِأَنَّهُ مِنْ كَثْرَةِ أَسْفَارِهِ عَلَى نَاقَتِهِ . تَنَقَّصَ رَحْلُهَا مِنْ سَنَامِهَا كَمَا تَنَقَّصُ السَّهْمَ الْمِبْرَأَةَ .

إِنْ بَاسَطَهُمْ أَحَدٌ بِمَزْحٍ مُؤَنِّسٍ ، أَوْ طَرَفَةٍ لَطِيفَةٍ ، وَيَعُدُّونَ هَذَا الْهَزْلَ سَخْفًا
يَصْفَعُ قَفَا الْأَلْبَاءِ ، وَهَذَا يَسْتَتِرُ مِنْهُ أُولُو الْحَشْمَةِ بِسَجَافِ الْمَرِوَةِ ، حَتَّى وَإِنْ
كَانَ مَزْحًا لَمْ يَرْتَعْ فِي حِمَاةِ الْفُحْشِ ، وَلَمْ يَكْلَمْ جِسْمَ الْحَيَاءِ ، وَلَمْ يَسْبَحْ فِي
يَمِّ الْمَجُونِ الْمَمْجُوجِ .

وقد غابَ عن هؤلاءِ أَنَّ التَّرْوِيحَ عَنِ الْأَنْفُسِ بِمَا هُوَ مَبَاحٌ . . فِيهِ اسْتِجْمَامٌ
لِلْفِكْرِ مِنْ عِنَاءِ الْجَدِّ ، وَاسْتِمْلَاحٌ يَهْفُو إِلَيْهِ الطَّبِيعُ ، وَتَفَكُّهُ بِالْمَمْتَعِ مِنَ
النَّوَادِرِ ، وَمَجْلِبَةٌ لَطِيبِ الْخَاطِرِ ، وَمُوَانَسَةٌ تَبْعُثُ عَلَى الصَّفَاءِ .

وَتِلْكَ شِكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ عَاژَهَا

ولا يزالُ الأكابرُ في كلِّ عَصْرِ وَمَصْرِ يتعشَّقونَ هذا الفنَّ اللَّطِيفَ ، وطالَمَا
جنحوا إلى مَلاحِتهِ ، وألارتشافِ مِنْ دَنِّهِ .

وها هو ألوزيرُ أبو عبدِ اللهِ ألحسينُ بنُ أحمدَ بنِ سعدانَ ، ألمتوفى مقتولاً
سنة (٣٧٥هـ) قال للإمامِ العلامةِ أبي حيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ (١) :

(تعالَ حَتَّى نَجْعَلَ ليلتنا هذه مجونيةً ، ونأخذَ مِنَ الْهَزْلِ بنصيبٍ وافِرٍ ؛
فإنَّ الجَدَّ قد كَدَّنَا ، ونالَ مِنْ قُوانا ، ومَلَأنا قَبْضاً وكرباً) ، فأندفعَ هذا الإمامُ
يُسامِرُهُ بأخبارِ الْمُجَّانِ ، وأحوالِهِمْ في ذلكَ الزَّمانِ .

ولا زالَ العلماءُ - على تنوعِ أختصاصاتهم - يستملحونَ الأخذَ بطرفِ من
هذا البابِ ، ولم يرموا الْمُؤَلِّفِينَ في هذا البابِ بالعِظائمِ .

وها هو أحدُ أئمةِ الشَّافعيةِ يملِي في حلقةِ درسهِ على أتباعِهِ حينَ سُئِلَ :
(هل يُقتلُ الحرُّ بالعبدِ ؟) وهي مسألةٌ خلافيَّةٌ أعرقُ الخِلافُ فيها مِنَ الْقِدَمِ ،
فأجابَ مترنماً :

(١) « الإمتاع والمؤانسة » (٢ / ٥٠) .

خُذُوا بِدَمِي هَذَا الْغَزَالَ فَإِنَّهُ رَمَانِي بِسَهْمِي مُقْلَتِيهِ عَلَى عَمْدٍ
وَلَا تَقْتُلُوهُ إِنَّمَ أَنَا عَبْدُهُ وَفِي مَذْهَبِي لَا يُقْتَلُ الْحُرُّ بِالْعَبْدِ

فجمعَ رحمه الله تعالى بين اللطف ، وجميل السبك ، وإصابة الغرض ،
والجزم بالحكم يزهو في حلل الملاحه وينضح بوابل من الرقة . بل ما تخرج
الإمام الشافعي حين رفع إليه شاب سؤاله قائلاً :

سَلِ الْعَالِمَ الْمَكِّيَّ هَلْ فِي تَرَاوِرٍ وَضَمَّةٍ مُشْتَاقِ الْفُؤَادِ جُنَاحُ
لَمْ يَتَحَرَّجِ الْإِمَامُ مِنْ إِيَابَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ مَجِيباً :

فَقُلْتُ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يُذْهَبَ التُّمَى تَلَاصُقُ أَكْبَادٍ بِهِنَّ جِرَاحُ
ولولا خشية أن تطول ذبوت هذه الأحرف ، ويؤوب التقديم بطيناً .
لأعنت في هذا الميدان ملياً .

بل إن بعض الأدباء المتقدمين لم يتحرج من رواية أشعار المجون في
مؤلفاته ، وجلها موعظ في الإفحاش ؛ إبرازاً لاقتدار شعراء المجون على إيراد
المعاني اللطيفة ، والتشبيات البديعة ؛ إذ عادت منتظمة في سلك الملاحه
والبلاغة ، فرجحوا أن قيمتها الأدبية تستر بثوبها السابغ فحشها ، وحسن
نسيجها يغطي قبحها :

وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبْنُ الصَّرِيحُ

بيد أن صنيعهم هذا محل نظر ، ومثلاً على ذلك العلامة المحقق محمد
محيي الدين عبد الحميد لما أجمع العزم على تحقيق « يتيمة الدهر في محاسن
أهل العصر » للأديب المؤرخ أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل
الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة (٤٢٩ هـ) ، وهي مشحونة بأشعار الخلاعة

والمجون. . . قال : (وَلَكِنَّا لَمْ نَشَأْ أَنْ نَحْذَفَ شَيْئاً مِمَّا فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ
 المجون كما يفعلُ بعضُ النَّاسِ مِنَ النَّاشِرِينَ ؛ تحرُّجاً منهم وتأنُّماً زعموا ،
 وحرصاً على مكارم الأخلاقِ ظنُّوا ؛ لأنَّنا لا نُؤَلِّفُ كتاباً نختارُ فيه ما نشاءُ ،
 وندعُ ما نشاءُ ، وإنَّما نحققُ نصّاً قيَّدهُ صاحبهُ في زمنٍ كان النَّاسُ فيه أشدَّ
 تحرُّجاً من هذا الزَّمنِ الَّذي نعيشُ فيه . . . إلى أن قال :

(واللهُ يعلمُ أنَّنا لا نقلُّ عن هؤلاء - المتأدِّبين الَّذين يفسدون كُتُبَ النَّاسِ -
 تحرُّجاً من المجون ، ولا حرصاً على مكارم الأخلاقِ ^(١)) ، وإنَّما الغرضُ من
 نشرِ الكتابِ في رأينا إنَّما هو أن نذلَّ قراءَ الأدبِ العربيِّ على الحياةِ الأدبيَّةِ ،
 والحياةِ الاجتماعيَّةِ والسِّيَاسيَّةِ في هذه الحقبَةِ الَّتِي كان الشُّعراءُ يعيشون فيها ،
 وأن نضعَ بين أيديهمُ النُّصوصَ الَّتِي تدلُّهم على ما يتوجَّهون إليه من مناحي
 البحتِ) ^(٢) .

فإذا كانت هذه الحالُ في المجونِ الممنجوجِ شرعاً . . . فإنَّنا نبرأُ إلى اللهِ
 تعالى من أن نصمَّ أديباً كبيراً وعالماً نحريراً باللُّومِ ، أو نغمزه بالخروجِ عن
 دائرةِ الآدابِ الشرعيَّةِ ، وهو لم يزرُ في سفره هجرأ ، ولم يرتع في حمأةِ
 المجونِ ، وما غرضُ هذا الشَّيخِ العلامَةِ إلاَّ شحذُ ذهنِ القارئِ ، ودفعُ سامةِ
 الجدِّ ، ومحوُ عنَتِ كدِّ الأفكارِ في المعانيِ الدَّقِيقَةِ ؛ ليعودَ إلى جدِّهِ مرتاحِ
 الفكرِ خفيفِ الرُّوحِ ، مُتجدِّدِ النِّشاطِ .

ودائرُ المنهاجِ قد أضطلعتْ مشكورةً باستخراجِ جواهرِ الثَّراثِ من أعماقِ
 المكتباتِ المخطوطَةِ ، ودأبتْ على إبرازِ كنوزنا الثَّمينيَّةِ تتهادى في حُللِ

(١) كذا في الأصل .

(٢) المقدمة لـ « يتيمة الدهر » (٥ / ١) .

التَّحْقِيقِ ، وَهَا هِيَ الْيَوْمَ تُهْدِي إِلَى عُشَّاقِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ هَذَا السَّفَرَ النَّافِعَ ،
وَسَوْفَ تَرْحَبُ بِهِ الْمَكْتَبَةُ الْعَرَبِيَّةُ ، وَتَبْتَسِمُ لَهُ لُغَةُ الضَّادِ .

وَبَعْدُ :

فَإِنَّ هَذَا الْكِتَابَ غَزِيرُ الْمَعَانِي ، رَفِيعُ الْأَسْلُوبِ ، عَزِيزُ الْمَبَاحِثِ ، رَفِيقُ
الْحَوَاشِي ، بَطِينُ الْمَحْتَوَى ، عَظِيمُ الْفَائِدَةِ ، جَمَعَ بَيْنَ الْمَتَانَةِ وَالْحِلَاوَةِ ،
وَالشُّهُولَةِ وَالْجِزَالَةِ ، وَالْغَوْصِ لِانْتِقَاءِ الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ ، كَيْفَ لَا وَمُؤَلَّفُهُ فَرْدٌ
دَهْرِهِ ، وَشَمْسُ عَصْرِهِ ، وَمَفْتِي قَطْرِهِ .

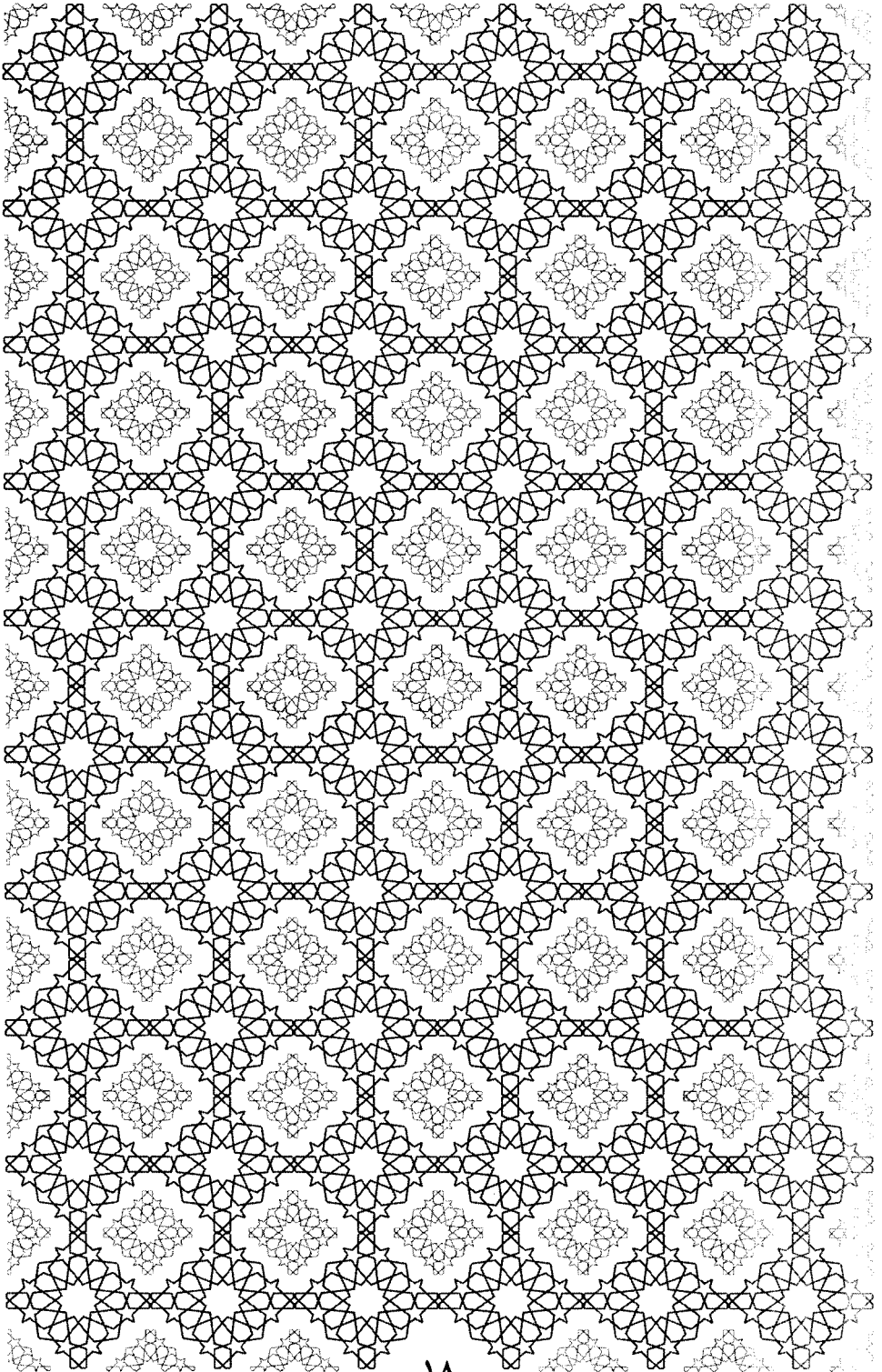
كتبه أبو عبد الباري عجلاً خجلاً

الدكتور محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل

في ١٥ / ٨ / ١٤٢٢ هـ

* * *

مقدمه لتحقیت



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

بقلم/ محمد مصطفى الخطيب

الحمدُ للهِ الْعَلِيمِ الْعَلَامِ ، الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ ، أَنْزَلَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ
الْإِنْسَانَ ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ .

وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى نَبِيِّهِ الْهَادِ ، أَفْصَحِ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ ذَوِي الرَّأْيِ وَالسَّدَادِ .

أَمَّا بَعْدُ :

فقد قيل : راحوا ألقلوب ساعة فساعة ؛ فإنها إذا كَلَّت . . عَمِيَتْ .
فكما أَنَّ الْجَسَدَ يَتَعَبُ وَيَطْلُبُ الرَّاحَةَ ، فَكَذَلِكَ الرُّوحُ وَالنَّفْسُ ،
وخصوصاً في هذه الأَيَّامِ الَّتِي كَثُرَتْ فِيهَا الْمَشَاغِلُ وَالْمَنْغَصَاتُ ، وَصَارَتْ
الْحَاجَةُ مُلِحَّةً إِلَى مَا يُسْتَأْنَسُ بِهِ وَيُسْتَرَوَحُ إِلَيْهِ بِمَا لَا يَخْرُجُ عَنِ الْإِطَارِ الشَّرْعِيِّ .
ولولا أَنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ حِينٍ لآخرَ يَسْمَعُ كَلاماً حَسَناً يَمِيزُهُ بَعينِ عَقْلِهِ ، أَوْ أَنَّهُ
يَرى مَنظَراً جَميلاً يَراهُ بَعينِ رَأْسِهِ ، ثُمَّ يَنعَكِسُ ذَلِكَ إِيجاباً عَلَى مِراةِ فِكرِهِ . .
لَتَكَالَبَتْ عَلَيْهِ الهمومُ وَالغَمومُ ، وَلَعَلَّتْهُ الْكَابَةُ وَالْحَزَنُ .

وقد أوضح هذا المعنى الشاعرُ في قولِهِ :

أَفدْ طَبَعَكَ الْمَكْدُودَ بِأَلْهَمِ رَاحَةٍ بِحِزْمٍ وَعَلَّهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَرْحِ

وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَتهُ الْمَرْحَ فَلْيَكُنْ بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْمِلْحِ
هذا هو المقياس .

وكتابتنا هذا كالأواحة لطلاب العلم ؛ فمؤلفه من العلماء البارزين وهو من
هو في العالم الإسلامي . . ولعله من حسن الحظ والطلاع أن يؤلف عالم مثله
كتاباً في هذا الفن .

ومن مقاصد طباعة هذا الكتاب أن يكون حافظاً ومساعداً لحفظ الشواهد
الشعرية ، والقصاص الأدبية والأمثال الحكيمية . . التي يستأنس بها ، ويعذب
إيرادها عند المناسبة ، بل وبها تقوى الحجة . . كما أن في بعض القصص
العظة والعبرة ، كيف والخالق سبحانه يقول ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا
نُثِّبُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود : ١٢٠] !

وإذا علمنا ذلك . . فنقول : إن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم
قد أوجدا لنا الطريق والخلاص من معاناة الروح ، وتعب النفس ، وبينوا لنا
كيفية صفاء القلب ، فجعلوا الطريق إلى تسلية الروح مباحاً ، ولكنهم وضعوا
لها ضوابط .

فهذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يمزح ولكنّه ما كان ليقول غير
الحق .

فراه عندما تأتي إليه العجوز وتقول له : ادع الله أن يجعلني من أهل الجنة
يقول لها : « يَا أُمَّ فُلَانٍ . . إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ » فَوَلَّتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ
تبكي ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَهِيَ
عَجُوزٌ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴾ ﴿ جَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ ﴿ عَرَبًا آتِرَابًا ﴾

[الواقعة : ٣٥-٣٧] « .

وجاءته امرأة أخرى ، فقالت : يا رسول الله . . احملني على بعير ،

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « اِخْمِلُوهَا عَلَيَّ ابْنُ الْبَعِيرِ » ، فَقَالَتْ مَا أَصْنَعُ بِهِ مَا يَحْمِلُنِي؟! فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ « هَلْ مِنْ بَعِيرٍ إِلَّا ابْنُ بَعِيرٍ » فَكَانَ يَمْزُحُ مَعَهَا .

وَكذَلِكَ الْأَثْمَةُ الْأَعْلَامُ مَا كَانُوا لِيَخْرُجُوا عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي رَسَمَهَا لَهُمْ سَيِّدُ الْأَنَامِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَهَذَا الْإِمَامُ أَبُو عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كَانَ يَقُولُ - إِذَا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ فِي مَسَائِلِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ - : خُذُوا فِي الشَّعْرِ وَأَخْبَارِ الْعَرَبِ .

وَنَرَى الْإِمَامَ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَحْتُ عَلَيَّ تَعَلَّمَ الْأَدَبَ قَائِلًا :

إِنَّ فِي الْمَحَادَثَةِ تَلْفِيحًا لِلْعُقُولِ ، وَتَرْوِيحًا لِلْقُلُوبِ ، وَتَسْرِيحًا لِللِّهَمِّ ، وَتَنْفِيحًا لِلأَدَبِ .

وَأَنشَدَ أَبُو نُوَّاسٍ :

أَرَوْحُ الْقَلْبَ بِبَعْضِ الْهَزْلِ تَجَاهُلًا مِنِّي بِغَيْرِ جَهْلِ
أَمْزَحُ فِيهِ مَزْحَ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْمَزْحُ أَحْيَانًا جَلَاءُ الْعَقْلِ
وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَمْزُحُونَ بِحَضْرَتِهِ
وَلَا يُنْكِرُهُ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ .

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي « الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ » : كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَتَبَادَحُونَ - يَتَرَامُونَ - بِالْبَطِيخِ ، فَإِذَا كَانَتِ الْحَقَائِقُ . . كَانُوا هُمُ الرِّجَالِ .

وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى بِرَجُلٍ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا زَعَمَ أَنَّهُ أَحْتَلَمَ عَلَيَّ أُمِّي فَقَالَ : أَقِمَهُ فِي الشَّمْسِ وَأَضْرِبْ ظِلَّهُ الْحَدَّ .

هَذَا وَقَدْ يَنْفَعُ الْمِزَاحُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَيُنْجِي مِنَ الشَّدَائِدِ فَقَدْ حُكِيَ : أَنَّ

بعضهم أهدى للحجاج تيناً قبل أوانه ؛ ليأخذ منه الجائزة ، فلما قُرب من دار الحجاج .. إذا بالشرطي قد أقبل ومعه طائفة من اللصوص وقد هرب منهم واحد فأخذ الشرطي صاحب التين عوضاً عنه ، وقرنه معهم ، فلما عرضه على الحجاج .. أمر بضرب أعناقهم ، فلما قُدم صاحب التين .. صاح : أيها الأمير .. لست منهم فقال : ما شأنك؟ فقص عليه القصة فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كاد الملعون يهلك ظلماً ، ثم قال : ما تريد من الجائزة؟ فقال : أيها الأمير .. أريد فأساً . قال : وما تصنع بها؟ قال : أقطع بها جذع الشجرة التي عرفت بيني وبينك . فضحك الحجاج وأجازه جائزة سنية .

والكتاب الذي بين أيدينا . . هو كتاب من الأدب الرفيع ؛ فقد استطاع مؤلفه بما أمتاز به من الذكاء الوقاد . . أن يقسمه إلى أبواب وفصول ، حتى يصل إلى فكرة واضحة ومعنى محدد ، فلا تسمع بمعنى من معاني الشجاعة ، والشهامة ، والإيثار ، والفاء ، والمحبة ، والوفاء ، والتضحية عند العرب . . إلا وتجد له فصلاً يتحدث عنه في هذا الباب يبرزه مؤلفه في أحسن صورة ، مع ما يتعلق به من الجانِب الشرعي . . ولذلك رُبما تجد موضوعاً ما وقد انتقل به المؤلف من الجانِب الشعري إلى الجانِب الشرعي ، فتجده يغوص في التفسير والحديث والتاريخ بطريقة فريدة ، تستطيع من خلالها أن ترى الموضوع الواحد من زوايا متعدّدة ، ولهذا فنحنُ محظوظون بهذا المؤلف . . . وفي هذا العصر بالذات .

وفي تركيزنا على المزاح في واقع حياته صلى الله عليه وآله وسلم إضاءةً لجانِب من جوانِب الأدب الكثيرة ؛ حيث إنَّ الأدب فنٌّ من الفنون ، يشمل أنواعاً كثيرة .

منها : المزاح .

ومنها : الكلامُ النَّثْرِيُّ البليغُ .

ومنها : الشُّعْرُ .

أَمَّا إِذَا أَرَدْنَا الْحُكْمَ الشَّرْعِيَّ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ هَذَا الْفَنِّ . . فَعَلَيْنَا أَنْ نَلْجَأَ إِلَى الْمَشْرِعِ الْحَكِيمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فَأَمَّا النَّوْعُ الْأَوَّلُ : فَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَنْهُ بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ لِلْمَوْضُوعِ .

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي : فَقَدْ سَأَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَمْرُو بْنَ الْأَهْتَمِّ عَنِ الزُّبْرَقَانِ بْنِ بَدْرِ ، فَقَالَ عَمْرُو : مُطَاعٌ فِي أَدْنِيهِ ، شَدِيدٌ الْعَارِضَةِ ، مَانِعٌ لِمَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ .

فَقَالَ الزُّبْرَقَانُ : وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ . . إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنِّي أَكْثَرَ مِمَّا قَالَ ، وَلَكِنَّهُ حَسَدَنِي شَرَفِي .

فَقَالَ عَمْرُو : أَمَّا لَئِنْ قَالَ مَا قَالَ . . فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُهُ إِلَّا ضَيِّقَ الصَّدْرِ ، زَمَرَ الْمَرْوَةَ ، أَحْمَقَ الْوَالِدِ ، لَثِيمَ الْخَالِ ، حَدِيثَ الْغَنِيِّ .

فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ خَالَفَ قَوْلَهُ الْآخِرُ قَوْلَهُ الْأَوَّلَ ، وَرَأَى الْإِنْكَارَ فِي عَيْنِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . . قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ . . رَضِيْتُ . . فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُهُ ، وَغَضِبْتُ . . فَقُلْتُ أَقْبَحَ مَا عَلِمْتُ ، وَمَا كَذَبْتُ فِي الْأَوْلَى ، وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْآخِرَى .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ : « إِنْ مِنْ الْبَيَانِ لِسِحْرًا » .

وَأَمَّا النَّوْعُ الْآخِرُ : فَنَرَاهُ أحياناً يَشَدُّ فِي الْمَنْعِ فيقولُ : « لِأَنْ يَمْتَلِيءَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا . . خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيءَ شِعْرًا » ، ويقولُ : « لِأَنْ يَكُونَ جَوْفُ ابْنِ آدَمَ مَمْلُوءًا قَيْحًا . . خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَمْلُوءًا شِعْرًا » .

بينما نراه في الحين الآخر يقولُ : « إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ حِكْمَةٌ » .

وكذلك فإنَّ الإسلامَ لم يُهْمِلِ الشُّعْرَ بل أعادَ له مكانتهُ ، وأذكى جذوتهَ على لسانِ سيِّدنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حينما قالَ لحَسَّانَ : « اهْجُ الْمُشْرِكِينَ ؛ فَإِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَكَ » . بل إِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد نصبَ لحَسَّانَ منبراً في المسجدِ .

ثمَّ ما كانَ فتحُ (مَكَّة) إلاَّ استجابةً لأبياتِ حَرَكَتِ الْحَبِيبِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حينَ أنشدَهُ عمرو بنُ سَالمِ الخَزاعِيّ [مِنَ الرَّجْزِ] :

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا حِلْفَ أَبِيهِ وَأَيْنَا الْأَثَلَدَا
إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
وَقَتَّلُونَا رُكْعًا وَسُجَّدًا^(١)

فَاهْتَزَّ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ قَائِلًا : « نَصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ . . نَصِرْتَ يَا عَمْرُو » .

ولا يغيبُ عن أحدٍ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أجازَ ببرَدتهِ الشَّرِيفَةَ مَنْ أَباحَ دَمَهُ ولو كانَ متعلقاً بأستارِ الكعبةِ . . حينما أنشدَهُ مفتتحاً بصريحِ الغزلِ [مِنَ الْبَسِيطِ] :

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ مُتَيِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُولُ^(٢)
وَمَا سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَعْرُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ^(٣)
هَيْفَاءَ مُقْبِلَةً عَجْزَاءَ مُدْبِرَةَ لَا يُشْتَكِي قَصْرَ مِنْهَا وَلَا طُولُ^(٤)

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٣٩٤) .

(٢) متبول : أسقمه الحبُّ وأضناه . ولم يُفدَ : لم يخلص من الأسرِ . مكبولُ : مقيدٌ .

(٣) الأعرُ : الظبي الصغير الذي في صوته غنةٌ . غضيضُ الطرفِ : فاترُهُ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٥٠٤) .

وهكذا احتضن الإسلام هذه المادة الشاعرية العلمية ؛ ليجعل منها تاجاً على غرّة ذلك العصر . . بعد أن توجّها بتاج كتاب الله عزّ وجلّ ، ثمّ بتاج ينابيع الحكيم النبوية الشريفة ، وأينعت هذه الثمرة في صدر الإسلام على لسان الصّحب الكرام ، أمثال حسّان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، وعبد الله بن رواحة ، والخنساء ، وغيرهم . . وإن كان من أمثال لبيد بن ربيعة أن استثقل نفسه أن يتكلّم بالشعر بعد أن فاضت في روحه محبة كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

والقول الحق في الشعر هو قول الله تعالى : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ [٢٢٩] ألم تر أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون ﴿٢٢٥﴾ وأنّهم يقولون ما لا يفعلون ﴿٢٢٦﴾ إلا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات وذكروا الله كثيراً وأنصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون ﴿ [الشعراء : ٢٤٤-٢٢٢] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الشعر فقال : « هو كلام فحسنة حسن ، وقبيحة قبيح » .
 وإذا علمنا هذا . . فلا أروع ولا أحلى من الأدب ؛ لفك عقد النفس وتسلّيها بما يفيدها ، وهو الحلّ الأمثل في هذه الأيام ، فلنعقد فصلاً خاصاً حول مفهوم الأدب العربيّ وأدواره التي مرّ بها .

* * *

الأدب - مفهومه وتاريخه

كلمة (أدب)^(١) من الكلمات التي تطوّر معناها بتطوّر حياة الأمة العربيّة ، من دور البداوة إلى أدوار المدنيّة والحضارة ، وقد اختلفت عليها معاني متقاربة ، حتّى أخذت معناها الذي يتبادر إلى أذهاننا اليوم وهو :

الكلام الإنشائيّ البليغ ، الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين ، سواء أكان شعراً أم نثراً .

وإذا ما عدنا إلى المعجم العربيّ للبحث عن معنى كلمة (أدب) .. فإننا نجد لفظ (أدب) بمعنى الداعي إلى الطّعام ، ومن ذلك (المأدبة) بمعنى الطّعام الذي يدعى إليه الناس .

وأستقوا من ذلك (أدب يأدب) بمعنى صنع مأدبة ، أو دعا إليها .

وهكذا فأصل الأدب الدعاء ، وبهذا المعنى وردت في الشعر الجاهليّ ؛ فقد جاء على لسان طرفة بن العبد [من الرّمّل] :

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى لَأَتَرَى الْآدِبَ فِينَا يَتَقَرُّ^(٢)

ومع مرور الزمن انتقلت دلالة الكلمة من معناها الحسيّ إلى معناها

(١) اقتبسنا هذه المقدمة من كتاب « تاريخ الأدب العربي » للدكتور : شوقي ضيف ، و« تاريخ الأدب العربي » للأستاذ : أحمد حسن الزيات .

(٢) الجفلى : الدعوة العامة . يتقرر : أي يدعو دعوة خاصة ويتقي .

المُجَرَّد ، شأنها في ذلك شأن بقية الكلمات المعنوية ، التي تُستخدَم أولاً في معنى حسي حقيقي . . . ثم تخرج منه إلى معنى ذهني مجازي .

جاء في « تاج العروس » (الأدب) محرّكة : الَّذِي يَتَأَدَّبُ بِهِ الْأَدِيبُ مِنَ النَّاسِ ، سُمِّيَ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدَّبُ النَّاسَ إِلَى الْمَحَامِدِ ، وَيُنْهَى عَنِ الْقَبَائِحِ .

وبهذا المعنى التّهذيبي وردت في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول : « أَذْبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي » .

وقد حافظت الكلمة على معناها التّهذيبي في عصر بني أمية ، وأضيف إليها معنى ثانٍ جديد ، وهو معنى تأديبي ؛ فقد وجد طائفة من المعلمين سُميَ بـ (المؤدّبين) ، كانوا يُعلّمون أولاد الخلفاء الشعراء والخطباء ، وأخبار العرب وأنسابهم ، وأيامهم في الجاهلية والإسلام .

وأتاح هذا الاستخدام لكلمة (أدب) أن تُصبح مقابلة لكلمة (العلم) الَّذِي كَانَ يُطْلَقُ حِينَئِذٍ عَلَى الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ دِرَاسَةِ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

وفي العصر العباسي تقارب المعنيان - التّهذيبي والتّعليمي - في استخدام الكلمة ؛ فقد سمى ابن المقفع رسالتين له تتضمّنان ضرورياً من الحكمة والنصائح الخلقية والسياسية بأسم « الأدب الصّغير » و « الأدب الكبير » .

ولم يمض وقت طويل حتى صارت الكلمة تُطلق على معرفة أشعار العرب وأخبارهم ، وقد ألفت كتب بهذا المعنى ، سمّوها كُتُبَ أدب ، مثل « ألبان والتبين » للجاحظ المتوفى سنة (٢٥٥هـ) .

ومثله كتاب « الكامل في اللغة والأدب » للمبرد المتوفى سنة (٢٨٥هـ) ، جاء في مقدّمة هذا الكتاب : (هذا كتاب ألفناه ، يجمع ضرورياً من الآداب ،

ما بين كلامٍ منشورٍ ، وشِعْرٍ مرصوفٍ ، ومثَلٍ سائرٍ ، وموعظةٍ بالغةٍ ، واختيارٍ من خُطبةٍ شريفةٍ ورسالةٍ بليغةٍ (١) .

ومثل كتاب « الكامل » كتاب « عُيون الأخبار » لابن قُتيبة المتوفى سنة (٢٧٦هـ) ، و« العقد الفريد » لابن عبد ربّه المتوفى سنة (٣٢٨هـ) ، و« زهر الآداب » للقيرواني المتوفى سنة (٤٥٣هـ) . وغيرها .

هذا ولم تقفِ الكلمة عند هذا المعنى التّعليمي الخاصّ بصناعتيّ النّظم والنثر وما يتّصلُ بهما من المُلح والنّوادر ؛ فقد اتّسعت أحياناً لتشمل كلّ المعارفِ غيرِ الدّينية التي ترقى بالإنسان من جانبهِ الاجتماعي والثقافي .

وبهذا المعنى نجدُها عند (إخوان الصّفا) في القرنِ الرّابع للهجرة ؛ فقد دُلّوا بها في رسائلهم إلى جانبِ علومِ اللّغة والبيان والتّاريخ والأخبار . . على علومِ السّحر والكيمياء والحساب والمعاملات والتّجارات .

ولا نصلُ إلى ابن خلدون المتوفى سنة (٨٠٨هـ) حتّى نجدُها تُطلقُ على جميعِ المعارفِ دنيّةٍ وغيرِ دنيّةٍ ، يقول ابنُ خلدون :

الأدبُ هو حفظُ أشعارِ العربِ ، والأخذُ من كلّ علمٍ بطرفٍ .

وعلى العمومِ أخذتِ الكلمةُ تدلُّ منذُ أواسطِ القرنِ الماضي على معنيين اثنين :

أولاً : معنى عامٌّ : يتناولُ كلّ ما يُكتبُ في اللّغة ، سواءً كانَ علماً أم فلسفةً أم أدباً خالصاً ؛ فكلُّ ما ينتجُه العقلُ والشّعورُ يُسمّى أدباً .

ثانياً : معنى خاصٌّ : يشملُ الأدبَ الخالصَ الذي لا يُرادُ بهِ مُجرّدُ التّعبيرِ

(١) الكامل (٢/١) .

عَنْ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي ، بَلْ يُرَادُ بِهِ أَيْضاً أَنْ يَكُونَ جَمِلاً بِحَيْثُ يُؤَثِّرُ فِي عَوَاطِفِ الْقَارِئِ وَالسَّمِيعِ ، عَلَى نَحْوِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي صِنَاعَتِي الشَّعْرِ وَفَنُونِ النَّثْرِ .

* * *

تَارِيخُ الْأَدَبِ :

إِنَّ الْأَخْتِلَافَ فِي تَعْرِيفِ (الْأَدَبِ) يَقُودُ إِلَى الْأَخْتِلَافِ فِي الْمَقْصُودِ مِنْ (تَارِيخِ الْأَدَبِ) ، وَفِي الْمَجَالِ الَّذِي تَدُورُ فِيهِ مَبَاحِثُ التَّارِيخِ الْأَدَبِيِّ .
فَإِذَا أَخَذْنَا بِمَا قَالَهُ أَبُو خَلْدُونَ مِنْ أَنَّ الْأَدَبَ هُوَ : (حَفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ ، وَالْأَخْذُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِطَرَفٍ) . . . كَانَ عَلَى الْمُؤَرِّخِ الْأَدَبِيِّ أَنْ يُؤَرِّخَ لِلْحَيَاةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالشُّعُورِيَّةِ لِلأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ لِأَنَّ الْأَخْذَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِطَرَفٍ يَعْنِي : إِغْنَاءَ الْأَدَبِ بِعِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ (نَحْو - صَرَف - بِلَاغَة . . . إلخ) ، وَبِالْعِلْمِ الشَّرْعِيَّةِ (حَدِيث - تَفْسِير . . . إلخ) ، وَبِالْعِلْمِ الْإِنْسَانِيَّةِ (فِلْسَفَة - اجْتِمَاع . . . إلخ) .

فَهَذِهِ الْعِلْمُ كُلُّهَا تَرَفُّدُ الْأَدَبِ ، وَتَعِينُ عَلَى فَهْمِهِ . وَلَعَلَّ أَهَمَّ مَنْ أَرَّخَ لِأَدَبِنَا بِهَذَا الْمَعْنَى (بَرُوكْلِمَان) فِي كِتَابِهِ « تَارِيخُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ » .
وَإِذَا أَخَذْنَا بِالْقَوْلِ الَّذِي يَقُولُ : (الْأَدَبُ كَلَامٌ جَمِيلٌ يُؤَثِّرُ فِي النَّفْسِ) . . . كَانَ عَلَى مُؤَرِّخِ الْأَدَبِ أَنْ يَقْصُرَ مَبَاحِثَهُ عَلَى دِرَاسَةِ الْأَدَبِ ، شَعْرِهِ وَنَثْرِهِ ، فَيَعْرِفَ مَوْضُوعَاتِهِ ، وَيَلَاحِظَ تَطَوُّرَهُ ، وَيَبْرُزَ مَلَاحِظَهُ وَسِمَاتِهِ فِي كُلِّ عَصْرِ مِنْ الْعُصُورِ ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُلَمَّ بِشَخْصِيَّاتِهِ دِرَاسَةً وَتَحْلِيلًا ؛ لِيَكْشِفَ عَمَّا تَأَثَّرُوا بِهِ مِنْ أُمُورِ الثَّقَافَةِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْعَقِيدَةِ .

* * *

تقسيماتُ تاريخِ الأدبِ وعصوره :

اتَّجَهَ معظمُ مؤرِّخي الأدبِ العربيِّ في تقسيمه إلى أَعْصُرٍ تعادِلُ الأَعْصُرَ التَّارِيخِيَّةَ والسِّيَاسِيَّةَ ، فجعلوا الأَدْوَارَ الَّتِي مرَّ بها تاريخُ الأدبِ خَمْسَةَ أَدْوَارٍ ، وهي :

- ١- العَصْرُ الجَاهِلِيُّ : نهايتهُ ظهورُ الإسلامِ وعمرُه قرنٌ ونصفٌ .
- ٢- عَصْرُ صَدْرِ الإسلامِ : بدايتهُ ظهورُ الإسلامِ ، ونهايتهُ سقوطُ الدَّوْلَةِ الأُمَوِيَّةِ سنةً (١٣٢هـ) .

وَمِنَ المؤرِّخينَ من يقسمُ هذا العَصْرَ إلى قَسمينِ .

- أ- عَصْرُ صَدْرِ الإسلامِ : وهو إلى نهايةِ عَصْرِ الخلفاءِ الرَّاشِدينَ .
- ب- عَصْرُ الدَّوْلَةِ الأُمَوِيَّةِ .

- ٣- العَصْرُ العَبَّاسِيُّ : أوَّلُهُ سقوطُ بني أُمَيَّةَ ، وآخِرُهُ سقوطُ (بغدادَ) بأيدي التُّتارِ (٦٥٦هـ) .

- ٤- عَصْرُ الدَّوْلِ المُتَباعَةِ : أوَّلُهُ سقوطُ (بغدادَ) ، ونهايتهُ نزولُ الحَمَلَةِ الأَفرَنسيَّةِ بـ (مصرَ) سنةً (١٢١٣هـ) .

- ٥- عَصْرُ النّهْضَةِ الحَدِيثَةِ : الَّذِي يمتدُّ إلى أَيَّامِنَا هذهِ .

والَّذِي يَخْصُّنا في كتابنا هذا هوَ : العَصْرُ العَبَّاسِيُّ الَّذِي نشأ فيه المَتنَبِيُّ ، فلنَعقِدْ لَهُ فصلاً خاصاً مستعينين باللهِ .

* * *

العصرُ العبَّاسيُّ :

عصرُ الدَّولةِ العبَّاسيَّةِ هوَ عصرُ الإسلامِ الذَّهبيُّ ، الَّذي بلغَ فيه المسلمونَ مِن العِمرانِ والسُّلطانِ ما لم يبلغوهُ مِن قبلُ ولا مِن بعدُ .

أثمرتَ فيه الفنونُ الإسلاميَّةُ ، وزهتِ الآدابُ العربيَّةُ ، ونُقِلتِ العلومُ الأجنبيَّةُ ، ونضجَ العقلُ العربيُّ ، فوجدَ سبيلاً إلى البَحْثِ ، ومجالاً للتَّفكيرِ .

وملوكُ هذهِ الدَّولةِ ينتمونَ إلى العبَّاسِ عمِّ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم ، أنزَعوا الخِلافةَ قسراً مِن يدِ الأمويِّينَ بمَعونةِ الفرسِ ، وأقاموا عرشَها بـ (العِراقِ) ، وتبوَّأهَ منهم سبعةٌ وثلاثونَ خليفةً في خمسةِ قرونٍ وبعضِ القرنِ ، حتَّى نلَّ ذلكَ العرشَ (هولاكو) سنةَ (٦٥٦هـ) ، وما زالتِ حضارةُ الدَّولةِ وآدابُها تهبطُ بهبوطِها ، حتَّى سقطتْ بسقوطِها .

وتختلفُ هذهِ الدَّولةُ عَنِ الدَّولةِ الأمويَّةِ بأحوالٍ سياسيَّةٍ وعمرانيَّةٍ ، كانَ لها الأثرُ الظَّاهرُ في أدبِ اللُّغةِ .

فالدَّولةُ الأمويَّةُ : كانتَ عربيَّةً خالصةً ، تعصَّبَتِ للعربِ ولغَتِهم وآدابِهم ، وجعلتْ قاعدتها (دمشقَ) على حدودِ باديتِهم .

وكانَ جنودُها وقوادُّها وكُتَّابُها وسائرُ عمَّالِها مِن العربِ ، فلم يحدثَ في أدبِ اللُّغةِ تأثيرٌ إلاَّ ما اقتضاهُ التَّحضُّرُ واتَّساعُ العِمرانِ .

أما الدَّولةُ العبَّاسيَّةُ : فقدِ أصطبغتْ بصِغةِ فارسيَّةٍ ؛ لأنَّ الفرسَ هُمُ الَّذينَ أوجدوها وأيدوها ، فاتَّخذتْ قصبَتها (بغدادَ) - أقربَ الأمصارِ إلى بلادِهِم - وأطلقَ الخلفاءُ أيديَ الموالِي في سياسةِ الدَّولةِ فاستقلُّوا بشؤونِها ، وأستبدُّوا بأموْرِها ، وكالوا للعربِ مِن الحِقارةِ والمهانةِ صاعاً بصاعِ .

فضعفتِ العِصبِيَّةُ العربيَّةُ ، وعلا صوتُ الشُّعوبيَّةِ ، ونتجَ مِن ذلكَ دخولُ

العناصرِ الفارسيّةِ والثّركيّةِ والشّريريّةِ والرّوميّةِ والبربريّةِ في تكوينِ الدّولةِ ،
وتمازُجهم بالتّزاوجِ والتّناسلِ ، واختلاطِ المدينيّةِ الآريّةِ بالمدينيّةِ السّاميّةِ ،
ولكلِّ منها لُغةٌ وأخلاقٌ وعاداتٌ وأعتقاداتٌ أثّرت في الأخرى .

ناهيك بما أمتازت به هذه الدّولةُ من إطلاقِ الحرّيّةِ في الدّينِ وتعُدُّدِ
الفرقِ^(١) ، وشيوعِ المقالاتِ المختلفةِ في الإلحادِ والسّياسةِ ، وتكاثرِ
الجواريِ والغلمانِ ، والاسترسالِ في الخلاعةِ والمجونِ ، والتّأثُّبِ في الطّعامِ
واللبّاسِ ، والتّنافسِ في البناءِ والرّياشِ .

وكُلُّ ذلكَ له أثرٌ بيّنٌ في اللّغةِ وآدابها ، وسنعتُ الفصلِ التّاليِ للدّلالةِ على
ذلكَ .

* * *

أثرُ الفتحِ والسّياسةِ والحضارةِ في اللّغةِ :

فتحَ المسلمونَ في أواخرِ الدّولةِ الأمويّةِ أكثرَ المعروفِ حينئذٍ من الدّنيا
القديمَةِ .

فامتدَّت ملكُهم من (الهندِ) و(الصّينِ) شرقاً إلى (جبالِ بيرانس) غرباً ،
وأنبسطَ سلطانُهم على تلكَ الشّعوبِ ، وأستولوا دينُهم على الأفئدةِ ، ولغتُهم

(١) نجمت في الأمّةِ الإسلاميّةِ من غيرِ أهلِ الشّنةِ فرقٌ كثيرةٌ ، يكفّرُ بعضها بعضاً ، وأنشعبتْ كُلُّ
فرقةٍ إلى فرقي متعدّدةٍ ، ترى كُلُّ واحدةٍ منها الحقَّ معها دونَ الأخرى .

ومن أشهرِ هذه الفرقي : المعتزلةُ وهم عشرونَ فرقةً ، والشّيعةُ وهم اثنتانِ وعشرونَ ،
والخوارجُ وهم سبعُ فرقي .

وكُلُّ أولئكِ : منهم جبريّةٌ ، ومنهم مشبّهةٌ . . . ولكلُّ شعبةٍ لقبٌ تُعرفُ بهِ .

على الألسنة ، فأسلمت هذه الأمم المختلفة ، وأمتزجت تلك العناصر المتباينة .

وسارعوا إلى تعلم اللغة العربية والتكلم بها ؛ تقريباً من الفاتح ، وأستدراراً للرزق ، وتفقهها في الدين ، فكثر اللحن ، وسرت عدواؤه إلى البادية ، وقد كان قاصراً على الحاضرة .

وبقي داء العجمة يستفحل بين العامة والصناع ، بالرغم من محاربة الأئمة وأولي الأمر لهذا الوباء بتدوين علوم اللسان ، وتقيح العامية ، ومقت المتكلمين بها ، حتى نشأ في كل إقليم لغة عامية مؤلفة من العربية ، ومن لغة الإقليم الوطنية .

وقد اتسعت دائرة اللغة بما اقتضاه تمدن الدولة ، ونقل العلوم عن الفارسية والهندية واليونانية من المصطلحات العلمية ، والألفاظ الإدارية والسياسية والاقتصادية والمنزلية .

وكان لـ (دار الحكمة) التي أنشأها المأمون الفضل الأكبر في تهذيب الكتب المترجمة ، وتوحيد الأسماء المعربة .

ثم رقت الألفاظ ؛ لانغماس القوم في الحضارة ، وإخلاصهم إلى الترف ، وإيثار الموالي للكلم السهل والأسلوب اللين ؛ لأنهم حذقوا اللغة بالدراسة والصناعة ، لا بالتلقين والطبع .

وأقتبست العربية من الفارسية غير الألفاظ كثيراً من الأساليب .

١- كالتبجيل في الخطاب .

٢- والاحتشام مع المخاطب .

٣- وإسناد الشيء إلى الحضرة والجناب والمجلس .

٤- وإحداث الألقاب والتعوت للخلفاء والوزراء والكتّاب والقواد ، ك :
(السّفاح والرّشيد وذي الرّئاستين وركن الدّولة . . . إلخ) .

٥- والإسهاب في العهود والرّسائل .

٦- وتأديّة المعنى الواحد بألفاظ كثيرة ، وجمّل مترادفة .

وغير ذلك ممّا زان اللّغة من جهة وشانها من جهة أخرى .

وما زالت اللّغة تتسع وتنمو باتّساع الملّك ، وتقدّم العلم ونمو الحضارة ،
وتنتشر وتسمو في حمى الدّين وظلّ الخلافة وسلطان العرب ، حتّى خلافة
المتوكّل على الله سنة (٢٣٢هـ) ؛ إذ استفحل أمر الأتراك الّذين جلبهم
المعتصم من (التّركستان) ، فأخذوا يغالبون العرب ، ويواثبون الفرس ،
ويغتصبون السّلطان .

وكان الأمر للموالي بعد غلبة المأمون - وهم شيعة - فجاء المتوكّل فعصد
الأتراك ، ونصر السّنة .

فتقاتل العنصران ، وتناضل المذهبان ، وابتغى كلّ منهما الفلج والنور
بقهر العرب ، وكبت الخلفاء ، حتّى ذهب جلال الخلافة من النفوس ، وزالت
هيبتها من القلوب ، فاستشرف ولاة الأطراف إلى الاستقلال .

وبدأ بنو بويه فوضّعوا أيديهم سنة (٣٣٤هـ) على شؤون الدّولة في
(بغداد) ، وأمتد نفوذهم إلى جلّ الممالك الشّرقية الإسلاميّة ، فأخذ سلطان
العرب والعربيّة يتراجع في الشّرق ، وهبّ أحفاد الأكاسرة ، وأبناء الدّهاقين
يسترّدون مجدّ أجدادهم ، ويطاردون اللّغة ونفوذها في بلادهم .

وطلبوا إلى شعرائهم من أمثال (الدّققيّ والفردوسي)^(١) أن يجددوا مفاخر

(١) ألف الفردوسي كتاباً سمّاه : « شاه نامه » ، وهو ستون ألف بيت من الشعر ، يشتمل على =

الأسلاف بتأليف المنظومات القصصية ، والأناشيد القومية .

وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنْ تَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ سَرِيعاً ؛ فَإِنَّ الْمُتَنَبِّيَّ - وَهُوَ مِنْ رِجَالِ الْقَرْنِ
الرَّابِعِ - يَقُولُ وَقَدْ زَارَ (شِعْبَ بَوَّانَ) مِنْ بِلَادِ الْفَرَسِ :

مَغَانِي الشُّعْبِ طَيْباً فِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّيْنِعِ مِنَ الزَّمَانِ
وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ
مَلَاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سُلَيْمَانُ لَسَارَ بِتَرْجُمَانِ
ثُمَّ أَقْتَدَى بِالْفَرَسِ فِي ذَلِكَ الْأَتْرَاكِ وَالْأَكْرَادُ .

ولكنَّ العربيَّة بقيت في حمى القرآن تدافع سيلَ الفارسيَّة والتركيَّة
الجارِفَ .

وقد عزَّ النَّصِيرُ مِنْ أَهْلِهَا ، حَتَّى غَلَبَ الْكُتَّارُ عَلَى (بَغْدَادَ) فَغُلِبَتْ عَلَى
أَمْرِهَا ، وَخَضَعَتْ لِقَانُونِ الطَّبِيعَةِ الْقَاهِرَةِ بَعْدَمَا خَلَفَتْ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ شَرَائِعَ
وَعُلُوماً وَأَدَاباً لَمْ تَقْوِ عَلَى مَحْوِهَا الْأَيَّامُ .

* * *

= تاريخِ الْفَرَسِ ، وَهُوَ قَرَأَنُ الْقَوْمِ ، وَقَدْ أَجْمَعَ فَصْحَاؤُهُمْ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي لُغَتِهِمْ أَفْصَحَ مِنْهُ .

ترجمة أبي الطيب المتنبي

٣٠٣-٣٥٤هـ

بقلم / محمد مصطفى الخطيب

نشأته وحياته :

أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي ، وُلد بـ (الكوفة) من أبوين فقيرين .
كان أبوه سقاءً بالكوفة ، ثم سافر به وهو صغير إلى (الشام) متنقلاً من
البادية إلى الحاضرة ، يُسلمه إلى المكاتب ، ويُردُّه في القبائل ، ومخايله
نواطق بفضله ، ضوا من لنججه . . حتى تُوفِّي أبوه ، وقد ترعرع الشاعِرُ ، ونال
حظَّهُ من علوم اللُّغة والأدب ، فأخذ يضربُ في الأرض ؛ ابتغاءً للرِّزقِ
وأكستاباً للمجد .

وكان المتنبي منذ نشأته كبير النفس ، عالي الهمة ، طموحاً إلى المجد ،
بلغ من كبر نفسه أن دعا إلى بيعته بالخلافة وهو لذن العود ، حديث السن .

وحين كاد يتم الأمر . . نادى خبره إلى والي البلدة . . فأمر بحبسه ، فكتب
إليه من السجن قصيدة [من المتقارب] :

أَمَالِكَ رَقِي وَمَنْ شَأْنُهُ هَبَاتُ اللَّجِينِ وَعِثْقُ الْعَيْنِذِ
دَعْوَتِكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا ءِ وَالْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ
دَعْوَتِكَ لَمَّا بَرَانِي أَلْبَلَى وَأَوْهَنَ رِجْلِي ثِقْلُ الْحَدِيدِ
فَأَطْلَقَهُ .

ولكنَّ حُبَّ الرِّيَاسَةِ لَمْ يَزَلْ مُتَمَكِّنًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَى أَنْ أَخْلَقَ بُرْدَ شَبَابِهِ ،
وَتَضَاعَفَ عَقُودُ عُمُرِهِ .

وفي سنة (٣٣٣هـ) ادَّعَى التُّبُّوَّةَ فِي (الشَّامِ) ، وَفَتَنَ شِرْذِمَةً مِنَ النَّاسِ
بِقُوَّةِ آدَبِهِ ، وَسِحْرِ بَيَانِهِ .

وَلَمَّا سُئِلَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . . قَالَ إِنَّهُ بَشَّرَ بِمَجِيئِي ،
وَأَخْبَرَ بِنَبُوتِي ؛ فَقَالَ : « لَا ، نَبِيٌّ بَعْدِي » ، وَأَنَا أَسْمِي فِي السَّمَاءِ (لَا) .

وَصَنَّفَ كَلَامًا عَارِضَ بِهِ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا اشْتَهَرَ أَمْرُهُ . . قَبِضَ عَلَيْهِ لَوْلُوْ أَمِيرُ
حِمَصَ ، نَائِبُ الْإِخْشِيدِيَّةِ ، فَأَوْثَقَهُ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ بَعْدَ أَنْ اسْتَتَابَهُ وَتَفَرَّقَ عَنْهُ
أَصْحَابُهُ .

فَطَفِقَ يَتَجَسَّمُ أَسْفَارًا أَبْعَدَ مِنْ آمَالِهِ ، وَلَا زَادَ إِلَّا صَبْرُهُ ، وَلَا عُدَّةَ إِلَّا
بَأْسُهُ ، كَمَا يَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

وَحِيدٌ مِنَ الْخُلَّانِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَظَمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ
وقوله [مِنَ الْخَفِيفِ] :

ضَاقَ صَدْرِي وَطَالَ فِي طَلَبِ الرِّزِّ قِيَامِي وَقَلَّ عَنْهُ قُعُودِي
أَبْدًا أَقْطَعُ الْبِلَادَ وَنَجْمِي فِي نُحُوسٍ وَهَمَّتِي فِي سُعُودِ

وَلَمْ يَزَلْ هَكَذَا حَتَّى اتَّصَلَ بِأَبِي الْعِشَائِرِ - الْوَالِي (أَنْطَاكِيَّةَ) مِنْ قَبْلِ سَيْفِ
الدَّوْلَةِ - وَأَمْتَدَحَهُ فَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ ، وَقَدَّمَهُ إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَعَرَفَهُ بِمَنْزِلَتِهِ مِنْ
الشُّعْرِ وَالْأَدَبِ .

فَضَّمَهُ الْأَمِيرُ إِلَيْهِ ، وَحَسَّنَ مَوْقِعَهُ عِنْدَهُ ، فَسَلَّمَهُ إِلَى الرُّوَّاصِ فَعَلَّمُوهُ
الْفَرْوَسِيَّةَ ، وَالطَّرَادَ ؛ حَتَّى لَا يَفَارِقَهُ فِي الْحَرْبِ وَلَا فِي السَّلْمِ .

ودرّت له أخلاف الدنيا على يديه ، حتّى كان من قوله فيه [من الطويل] :
 تَرَكْتُ الشَّرِيَّ خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنِعْمَاكَ عَسَجَدًا
 وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي هَوَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيِّدًا . . تَقَيِّدًا
 وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ فِي حَالٍ حَسَنَةٍ حَتَّى حَدَّثَتْ بَيْنَهُمَا جَفْوَةٌ ، ففَارَقَهُ إِلَى (مِصْرَ)
 فِي سَنَةِ (٣٤٦ هـ) .

ومدح كافوراً الإخشيديّ وأبا شجاع .
 وَأَقَامَ فِي (مِصْرَ) خَمْسَ سِنِينَ يَرْقُبُ الْفُرْصَةَ مِنْ كَافُورٍ فَيُصَعِّدُ الْمَجْدَ عَلَى
 كَاهِلِهِ .

فما هو إلا أن قال [من الطويل] :
 أَبَا الْمِسْكِ هَلْ فِي الْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَا لَهُ فَإِنِّي أَعْنَى مُنْذُ حِينٍ وَتَشْرَبُ
 وَقَالَ [من الطويل] :

وَهَلْ نَافِعِي أَنْ تُرْفَعَ الْحُجُبُ بَيْنَنَا وَدُونَ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْكَ حِجَابُ
 وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ سَكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ
 حَتَّى أَوْجَسَ كَافُورٌ مِنْهُ خِيفَةً ؛ لِتَعَالِيهِ فِي شِعْرِهِ ، وَطُمُوحِهِ إِلَى الْمُلْكِ ،
 فزوى عنه وجهه ، فهجاه ، وقصد (بغداد) .

ولم يمدح الوزير المهلبيّ ؛ لأنه كان يترفع عن مدح غير الملوك ، فشقّ
 ذلك على الوزير ، فأشلى عليه شعراء (بغداد) فنالوا من عرضه ومن شعره .
 ولكنه لم يُجِبْهم ، وذهب قاصداً (أَرْجَانَ) ؛ لزيارة الفضل بن العميد ،
 فكتب إليه الوزير الصّاحب بن عبّاد يستزيّره بـ (أصبهان) ؛ طامعاً أن
 يمدحه . . فلم يُقِمْ له وزناً ، وأمّ عضد الدولة بـ (شيراز) .

فَأَوْغَرَ عَلَيْهِ قَلْبُ الصَّاحِبِ ، وَأَخَذَ يَتَّبِعُ هَفْوَاتِهِ - وَهُوَ أَعْلَمُ النَّاسَ بِحَسَنَاتِهِ -
وَشَنَّ عَلَيْهِ هُوَ وَأَشْيَاعُهُ حَرْبًا قَلَمِيَّةً ، وَأَلْفَ الْكُتُبِ فِي نَقْدِهِ ، وَرَمَوْهُ بِالسَّرْقَةِ
وَالخُرُوجِ عَنِ الْأَسَالِبِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَهُوَ لَا يَأْبُهُ لَهُمْ ؛ ذَهَابًا بِنَفْسِهِ وَإِعْجَابًا
بشعره .

وَلَمَّا حَصَلَ عِنْدَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ . . . أَسْبَغَ عَلَيْهِ نِعْمَتَهُ ، وَوَصَلَهُ بِثَلَاثَةِ آلَافِ
دِينَارٍ وَخِيُولٍ وَثِيَابٍ .

ثُمَّ دَسَّ مَنْ يَسْأَلُهُ : أَيْنَ هَذَا الْعَطَاءُ مِنْ عَطَاءِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ؟ فَقَالَ لَهُ : هَذَا
أَجْزَلُ . . . لِكَنْهَةِ مُتْكَلِّفٍ ، وَسَيْفِ الدَّوْلَةِ يُعْطَى طَبْعًا .

فغَضِبَ عَلَيْهِ عَضُدُ الدَّوْلَةِ مِنْ ذَلِكَ ، فَجَهَّزَ عَلَيْهِ فَاتِكًا الْأَسَدِيَّ ، وَلَمَّا
بَلَغَهُ مَغَادِرَةُ الْمُتَنَبِّيِّ لِبِلَادِ فَارَسَ ، وَعَلِمَ أَجْتِيَازَهُ بِجَبَلِ دِيرِ الْعَاقُولِ . . . تَتَبَعَ
أَثْرَهُ .

وَكَانَ أَبُو الطَّيِّبِ قَدْ مَرَّ بِأَبِي نَصْرِ مُحَمَّدِ الْحَلْبِيِّ ، فَأَطْلَعَهُ عَلَى حَقِيقَةِ
الْأَمْرِ ، وَمَا يَنْوِيهِ فَاتِكٌ مِنَ الشَّرِّ لَهُ ، وَنَصَحَهُ بِأَنْ يَصْحَبَ مَعَهُ مَنْ يَسْتَأْنِسُ بِهِ فِي
الطَّرِيقِ .

فَلَمْ يَزِدْ إِلَّا أَنْفَةً وَعِنَادًا ، وَأَبَى أَنْ يَصْحَبَ مَعَهُ أَحَدًا قَائِلًا : أَنَا وَالْجُرَّازُ (١)
فِي عُنُقِي فَمَا بِي حَاجَةٌ إِلَى مُؤْنِسٍ . ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَرْضَى أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ
بِأَنْتِي سِرْتُ فِي خِفَارَةٍ غَيْرِ سَيْفِي .

فَحَدَّرَهُ أَبُو النَّصْرِ كَثِيرًا ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ أَجَابَ :

(١) الجُرَّازُ : السَّيْفُ .

أَبْنَجِرِ الطَّيْرَ تُخَوِّفُنِي؟ وَمِنْ عِبِيدِ الْعَصَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ !!؟ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ
مِخْصَرْتِي هَذِهِ مَلَقَاةٌ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ ، وَبَنُو أَسَدٍ مَعْطَشُونَ لِحَمْسٍ ، وَقَدْ
نَظَرُوا أَلْمَاءَ كِبْطُونَ الْحَيَاتِ . . مَا جَسَرَ لَهُمْ خُفٌّ وَلَا ظِلْفٌ أَنْ يَرِدَهُ ، مَعَاذَ اللَّهِ
أَنْ أَشْغَلَ فِكْرِي بِهِمْ لِحِظَّةٍ عَيْنٍ .

فَقَالَ لَهُ أَبُو نَصْرِ : قُلْ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَقَالَ : هِيَ كَلِمَةٌ مَقُولَةٌ ، لَا تَدْفَعُ مَقْضِيًّا ، وَلَا تَسْتَجِلبُ آتِيًّا .

ثُمَّ رَكِبَ وَسَارَ ، فَلَقِيَهُ فَاتِكٌ فِي الطَّرِيقِ فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ مَعَهُ وَلَدَهُ مُحْسِداً وَغَلَامَةً
مُفْلِحاً .

وَكَانَ مَقْتَلُهُ فِي (٢٨) رَمَضَانَ سَنَةِ (٣٥٤ هـ) .

* * *

شعره :

الْمُتَنَبِّيُّ شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْمَعَانِي ، وَفَقَّ بَيْنَ الشُّعْرِ وَالْفَلَسَفَةِ ، وَجَعَلَ أَكْثَرَ
عَنَائِتِهِ بِالْمَعْنَى ، وَأَطْلَقَ الشُّعْرَ مِنَ الْقِيُودِ الَّتِي قَيْدُهُ بِهَا غَيْرُهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ ،
وَوَجَّحَ بِهِ عَنِ أَسَالِيبِ الْعَرَبِ التَّقْلِيدِيَّةِ ، فَهُوَ إِمَامُ الطَّرِيقَةِ الْإِبْتِدَاعِيَّةِ فِي الشُّعْرِ
الْعَرَبِيِّ .

وَلَقَدْ حَظِيَ فِي شِعْرِهِ بِالْحِكْمِ وَالْأَمْثَالِ ، وَأَخْتَصَرَ بِالْإِبْدَاعِ فِي وَصْفِ
الْقِتَالِ ، وَالنَّشِيبِ بِالْأَعْرَابِيَّاتِ ، وَإِجَادَةَ النُّشَيْبِ ، وَإِرْسَالَ الْمَثَلِينَ فِي الْبَيْتِ
الْوَاحِدِ ، وَحُسْنَ التَّخْلِصِ ، وَصِحَّةَ التَّقْسِيمِ ، وَإِبْدَاعِ الْمَدِيحِ ، وَإِيجَاعِ
الْهَجَاءِ .

وَأَخْصُ مَا يَمِيزُ الْمُتَنَبِّيَّ بَرُوزُ شَخْصِيَّتِهِ فِي شِعْرِهِ ، وَصِدْقُ إِيمَانِهِ بِرَأْيِهِ ،
وَقُوَّةُ أَعْتَادِهِ بِنَفْسِهِ ، وَصِحَّةُ تَعْبِيرِهِ عَنِ طَبَائِعِ النَّفْسِ ، وَمَشَاغِلِ النَّاسِ ،

وأهواء القلوب ، وحقائق الوجود ، وأغراض الحياة .
 لذلك كان شعره في كل عصرٍ مدداً لكل كاتب ، ومثلاً لكل خاطب .

* * *

نموذجٌ من بديع شعره :

قال يشكو الزمان [من البسيط] :

لَمْ يتركِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَيْدِي
 يَا سَاقِيَّيْ أَخْمَرُ فِي كُؤُوسِكَمَا
 أَصْحَرَةُ أَنَا؟ مَا لِي لَا تُغَيِّرُنِي
 إِذَا أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً
 مَاذَا لَقَيْتُ مِنَ الدُّنْيَا؟ وَأَعْجِبُهَا
 شَيْئاً تَتِيَّمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِنْدُ
 أَمْ فِي كُؤُوسِكَمَا هَمٌّ وَتَسْنِينُ؟
 هَلْذِي الْمُدَامُ وَلَا تِلْكَ الْأَنَاشِيدُ؟
 وَجَدْتُهَا وَحَيْبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ
 أَنِّي بِمَا أَنَا بِأَكْ مِنْهُ مَحْسُودُ

وقال [من الوافر] :

نصيبك في حياتك من حبيب
 رمانني الدهر بالأرزاء حتى
 فصرت إذا أصابتنني سهام
 وهان فما أبالي بالرزايا
 نصيبك في منامك من خيال
 فوادي في غشاء من نبال
 تكسرت النصال على النصال
 لأنني ما انتفعت بأن أبالي

وقال [من الخفيف] :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
 ومُرادُ النفوسِ أضغرُ من أن
 غيرَ أنَّ الفتى يُلاقِي المَنَايا
 ولو أنَّ الحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيِّ
 وعناهم من أمره ما عنانا
 نتعادى فيه وأن نتفانى
 كالحاتٍ ولا يُلاقِي الهوانا
 وعدنا أضلنا الشجعانا
 فمن العار أن تموت جباناً
 وإذا لم يكن من الموت بُدُّ

وقال [مِنَ الطَّوِيلِ] :

وَأَتَعَبُ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ
فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ
وَقَالَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً
وَمِنْ أَمْثَالِهِ السَّائِرَةِ [مِنَ البَسيطِ] :

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ
وَمِنْهَا أَيْضاً [مِنَ الوَافِرِ] :

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْباً
وَمِنْهَا أَيْضاً [مِنَ الطَّوِيلِ] :

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرْجُ سَابِجٍ
وَمِنْهَا [مِنَ الطَّوِيلِ] :

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ
وَمِنْهَا [مِنَ الكَاملِ] :

وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْمِ الثُّقُوسِ فَإِنْ تَجَدَّ
ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى بِالنَّعِيمِ بِعَقْلِهِ
وَالهَمُّ يَغْتَرِضُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً
وَأَخْرَجَ الْجَهَالََةَ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ
وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّغِيرِ وَيُنْهَرِمُ

* * *

ترجمة مؤلف الكتاب^(١) السيد عبد الرحمن بن عبد الله السقاف رحمة الله تعالى

بقلم/ محمد بن أبي بكر باذيب

المسرد النسبي :

هو : عبد الرحمن بن عبيد الله بن محسن بن علوي بن سقاف بن محمد بن عمر بن طه بن عمر بن طه بن عمر الصافي ابن عبد الرحمن بن محمد بن علي ابن الشيخ الكبير عبد الرحمن السقاف بن محمد (مولى الدويلة) ابن علي بن علوي ابن الإمام الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد (صاحب مرباط) ابن علي (خالغ قسم) ابن علوي (صاحب بيت جبير) ابن محمد (مولى الصومعة) ابن علوي (صاحب سمل) ابن عبيد الله ابن المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى بن محمد (النقيب) ابن علي (العريضي) ابن جعفر (الصادق) ابن محمد (الباقر) ابن علي (زين العابدين) ابن الإمام الشهيد السبط الحسين ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب وابن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء البتول ابنة سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ .

نسبٌ تحسب العلاء بحلاه قلدتها نجومها الجوزاء^(٢)

المولد والمنشأ :

كان مولد نابغة حضرموت في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٠٠هـ في

-
- (١) هذه الترجمة اقتطفت من ترجمة حافلة موسعة للسيد السقاف . . هي قيد الإعداد والجمع والمراجعة وستصدر في كتاب مستقل إن شاء الله تعالى . . .
- (٢) البيت من الخفيف .

المحل المسمى (عَلَمٌ بَدْر)^(١) بمدينة سيون إحدى أشهر المدن الحضرمية .
ونشأ مترجماً نشأة صالحة في كنف أسرته . . وهي إحدى الأسر المرموقة المشهورة
بالعلم والكرم . . وظهر منها علماء كبار وأعلام أفذاذ كانوا ولا زالوا بهجة العصر وزينة
الوقت . . فاجتمع للمترجم طيبُ النَّجار وشرَّفُ الدار . . فوالده العابد الصالح العالم
الآتي ذكره لاحقاً وجده السيد الجليل الزعيم المصلح الحبيب محسن بن علوي السقاف
المتوفى سنة ١٢٩١هـ . . الرجل الذي ملأت شهرته ربوع الوادي في عصره وكانت له
مواقف سياسية واجتماعية مشهورة . . إلى جانب زعامته الدينية والروحية . .

شيوخه :

أولهم والده السيد عبيد الله الرجل الصالح العابد الزاهد الورع كانت ولادته في
١٢٦١هـ ووفاته في ١٣٢٤هـ وكان والده يصطحبه إلى رحاب شيخه الإمام الرباني
العلامة عيدروس بن عمر الحبشي صاحب الغرفة المتوفى بها سنة ١٣١٤هـ فأخذ عنه
أخذاً تاماً وهو دون سن البلوغ وكان تأثره وتعلقه به قوياً للغاية . .

وكان ابتداء تعلمه القرآن الكريم وقراءته على يد المعلم الصالح الشيخ
عبد القادر بن عبد الله باحميد ، وقرأ النحو وما تعلق به على العلامة المتفتن الشيخ
محمد بن محمد باكثير (ت ١٣٥٥هـ) ، وقرأ الفقه وحقق مسائله على شيخه العلامة
الفقيه مفتي سيون السيد علوي بن عبد الرحمن بن علوي السقاف (ت ١٣٢٨هـ) .

وله جمع كبير من الشيوخ لا تسع هذه العجالة لذكرهم . .

ولقد كانت الاستعدادات الفطرية والمواهب الذاتية لدى المترجم له كبيرة جداً . .

فقد رزقه الله عقلاً صافياً وفكراً نيراً وقريحة وقادة . .

وكان قوي الذاكرة سريع الاستحضار والبديهة . . يغوص في العلم ومسائله حتى
يستخرج اللآلي والدرر . . وما مصنفاًه إلا شاهدة على صحة هذا القول وهذه

(١) أصل هذه الكلمة أو المسمى هو (علي بن بدر) وإنما حرّفت عن أصلها لكثرة تداولها . .
ويبدو أنه كان مسمى لأحد أمراء آل كثير في الماضي .

الدعوى.. فنظرة على « صوب الركام » أو « العود الهندي » ترد طَرْف الناظر حسيراً
مملوءاً بالإعجاب والإكبار..

حتى إنه - رحمه الله تعالى - يقول : كنت أيام شبابي أضع يدي على
الصفحة اليسرى خوفاً من أن تقع عيني عليها ويسبق حفظي لها.. !
وقد قال عنه الشيخ حمد الجاسر :

فضلاً عما لأسرته في (حضرموت) من المكانة وعلو المنزلة في نفوس أهل
تلك البلاد.. بلغ مرتبةً من العلم أهلته بينهم لأنَّ يحل أرفع المقامات ، فعُرف بعالم
(حضرموت) ومفتي الديار الحضرمية وكان ذا نفوذ قوي في الشؤون العامة في تلك
البلاد ، وصلة قوية بحكام أقاليمها ، وإسهام بارز في السعي لتوحيد أجزائها
واستقلالها ، ورفع كابوس الاحتلال البريطاني الذي كان جائماً عليها . كما كان
قوي الصلة بإمام (اليمن) يحيى حميد الدين ، بحيث كان يرجع إليه في معالجة
بعض القضايا العامة المتعلقة بالخلافات التي تقع بين حكام تلك البلاد ، كما يتضح
من إشارات وردت في بعض كتبه . انتهى^(١) .

بهذه العبارات التي أوردها الشيخ الجاسر رحمه الله تعالى فقد لخص لنا صفحات
وصفحات من سيرة هذا الرجل.. فلقد كان له المواقف المذكورة والجهود
المشكورة.. وصولات وجولات تركنا التوسع فيها للترجمة الموسعة التي ستصدر
عنه إن شاء الله تعالى..

ولابأس أن نذكر في هذه اللمعة موقفاً له مع الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله
تعالى..

فلقد كانت له مواقف رجولية وبطولية كان فيها المتحدث الناصح والخبير
بالشؤون السياسية وأمور الإصلاح فمما دار بينهما في مجلس عقد في موسم حج عام
١٣٥٢هـ.. ما حكاه ابن عبيد الله بنفسه حيث يقول :

(١) مجلة العرب العددان ٦/٥ ، السنة ٢٦ تاريخ ذي القعدة وذو الحجة ١٤١١هـ .

(. .) ولما اجتمعت أنا بابن السَّعود في ذلك العام ، بدأتي بالحديث عن قضية الصلح بينه وبين إمام اليمن ، فكان موافقاً لما تحدث به إليّ ابن الوزير سواءً بسواء ، وقال لي الملك عبد العزيز : إنني لما أبرقت إليّ ولدي فيصل بالجللاء عن الحديدية أجابني : بأن الانتحار أهون عليه من ذلك ، فأجبتة : بأن انتحارك لا يقلل من عدد أبنائي وقد نيقوا على الأربعين ، ثم هو هين عليّ في سبيل حقن دماء المسلمين . . هذا نص كلامه لي بمرأى من ولده فيصل ومسمع^(١) .

وهكذا كانت تحركاته الواسعة داخل هذه الدائرة ، علت به إليها همته ، وحملته عزمته ونيته . . وهنا يبرز لنا سؤال يفرض نفسه في هذا المقام : وهو بأي صفة كان يتكلم هذا الإمام مع الملوك والزعماء في السياسة والحروب وكأنه واحد منهم ؟ وكيف يتبادلون معه الأحاديث السياسية وكأنه خبير أو مستشار وهو لا يمثل دولة ؟ وليس له صفة سياسية ؟ إنه ولا شك يمثل دولة العلم ، إنها قوة الشخصية الممثلة بالعلم والإيمان ، وبالحيوية والروح النورانية المكتسبة منذ الصغر من نظرات شيوخه العارفين^(٢) .

مؤلفاته :

صنف ابن عبيد الله مصنفات تشهد له بالبراعة وعلو الكعب . . وستحدث عن هذه المصنفات كدلائل وشواهد للجوانب العلمية التي حظي بها مترجمنا . . وكذلك لننفض الغبار عن الكنوز العظيمة التي خلفها الرجل . . عسى ولعل أن تتاح الفرصة لنشرها وإظهارها . . ليعم النفع والانتفاع بها . .

أولاً- مصنفاته الفقهية :

- ١- كتاب (صوب الركام في شؤون القضاء والأحكام) مجلدان وهو مطبوع .
- ٢- حاشية على كتاب (فتح الجواد بشرح الإرشاد) .

(١) السيد عبد القادر الخرد من مقدمته على كتابه (صوب الركام) .

(٢) المصدر السابق .

- ٣- حاشية على كتاب (منهاج الطالبين) للإمام محيي الدين النووي رحمه الله .
٤- حاشية على التحفة . . أي تحفة المحتاج بشرح المنهاج .

ثانياً- مصنفاته في الحديث :

- ١- (بلابل التفرید فيما أفدناه أيام التجريد) - يقع في ثلاث مجلدات .
قال عنه الأستاذ الزركلي : هو أشبه بكتب الأمالي في ثلاثة أجزاء .
وقد صنفه أيام تدرسه للتجريد الصريح للجامع الصحيح (مختصر صحيح البخاري) للإمام العلامة الزبيدي الشرجي .
٢- حاشية على الشمائل النبوية للإمام الترمذي .

ثالثاً- مصنفاته التاريخية :

- ١- كتاب (بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت) يقع في ثلاث مجلدات ضخام قال عنه الزركلي مثنياً على كتاب (البضائع) المذكور : وأتى فيه بعلم غزير في تاريخ حضرموت وبيوتها وحكامها وأعلامها إلى استطرادات في فنون مختلفة من أدب وحديث وفقه ، إلى وثائق سياسية ومعاهدات وملحوظات^(١) .
٢- « إدام القوت » أو « معجم بلدان حضرموت » :

وهو الكتاب الذي قام الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - بنشره في مجلة « العرب » طوال خمس سنوات . . وهو كتاب يعنى بتاريخ بلدان حضرموت مع ذكر لبعض أعيانها وقد اختصره من كتاب (بضائع التابوت) .

رابعاً- مؤلفاته الأدبية والنقدية :

الحديث عن الجانب الأدبي النقدي عند ابن عبيد الله حديث يطول ويطول . . فمن ذا يطاول قريع البلغاء وكبير الأدباء . . وحسبنا قبل أن ندلج إلى وصف وذكر

(١) الأعلام : ٣/ ٣١٥ .

مصنفاته الأدبية التي أحدها كتابنا هذا (العود الهندي) الذي نتشرف بنشره . . أن نبين إن استطعنا أننا أمام رجل غير عادي . . رجل صاحب فكر حر وذهن صافي وفهم صحيح وذكاء وقاد إلى غير ذلك من الصفات التي قلما تجتمع في رجل . . انظر معي إلى حسن استنباطاته ودقة فهمه ما جاء في مقدمة ديوانه حيث أنه فهم من قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ أنها تدل على فضيلة الشعر وعلو مقامه بعكس مفهوم المفسرين فيها . .

قال رضي الله عنه : ومن أنصح الأدلة على تفضيله - أي : الشعر - صرف سيد البشر ﷺ عن سبيله ، لأنه وإن كان الذكر علياً والفكر جلياً ، ويستحيل أن يشبه بلاغة القرآن غيره ، فإنه لا يمكن التشكيك إلا به . . عند من قل خيره ، فلو كان عليه السلام شاعراً لكان للشبهة مجاز ، فكونه أمياً لا يقرضه أبلغ في الإعجاز ، وأما ما ينسب إلى الشعر من المذام ، فراجع إلى العلة التي انتشرت بأهله كالجدام ، وهي التكسب القبيح بالغلو في المديح ، وقد صاننا الله عن ذلك فالساحة براء . . وبيننا وبين الذل - إلا الله وحده - سبل وعرة وأرض عراء . . إلخ .

كذلك تأمل معي المجلس الأول من كتابنا هذا والذي يدور حول بيتي المتنبي [من الخفيف] :

بأبي من ودده فافترقنا وقضى الله بعد ذلك اجتماعاً
فافترقنا حولاً ولما التقينا كان تسليمه عليّ وداعاً

فيا ترى . . ما السبب الداعي للبدء بالكلام على هذين البيتين ؟! ولم شعرُ الفراق هو المقدم عند ابن عبيد الله . . إن لذلك سبباً يرجع إلى حسن استنباطه أيضاً . . إنه الاستنباط الذي انطلق من قاعدة قوية هي هذه الشخصية الفذة لتخلق في أفق عالية لم يصل إليها أحد . . وتوضيح ذلك لننظر إلى هذا الحوار الذي دار بين ابن عبيد الله وشيخه العلامة النابغة السيد أبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين رحمه الله . .

لقد دار ذلك الحوار بين الشيخ وتلميذه ، وكان مداره حول اختيار أحسن مواضع الشعر وأيها أبلغ تأثيراً في النفوس .

(قال الشيخ « ابن شهاب » : أحسنها الغزل والنسيب ، ولهذا كان شعراء العرب يقدمون النسيب والغزل في قصائدهم . .

فاستوقفه تلميذه « ابن عبيد الله السقاف » قائلاً :

أما أنا . . فالذي أراه أن أحسن مواضيعه المؤثرة : شكوى الفراق . . ولي دليل على ذلك من كتاب الله تعالى .

فسأله شيخه : ما هو دليلك ؟

فأجابه : دليلي عليه من سورة يوسف ، قوله تعالى لنبية ﷺ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ . . ﴾ وسورة يوسف كلها محتوية على شكوى الفراق .

فاستحسن الشيخ « ابن شهاب » هذا الجواب من تلميذه النجيب النابغة وقبل بين عينيه) .

أعتقد أن الحوار لا يحتاج إلى أي تعليق . . فلقد قطعت جهيزة قول كل خطيب . . وإنما أردنا بإيرادنا لهذين الاستنباطين التمهيد للقارئ الكريم . . للإنتلاق والتحليق في أجواء كتابنا هذا . . نعود إلى متابعة ذكر مؤلفاته الأدبية والنقدية :

١- « العود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي » .

وهو كتابنا الذي تقدمه للقارئ الكريم . . قال عنه الشيخ حمد الجاسر :

(يعد كتاب « العود الهندي » من أحفل كتب الأدب بالفوائد والفرائد من الأشعار والأخبار ، مما يدل على ما يتصف به مؤلفه من سعة الاطلاع ، مع رحابة الصدر في إيراد ما قد يتحاشى البعض من إيراده من النكت والنوادر ، وقد يسوق بعد ما يورد من الشواهد طرائف من الشعر أو القصص الحديثة) . .

وقال الشيخ الجاسر أيضاً في موضع آخر :

(ومع أن السيد السقاف لم يتلق العلم - فيما علمت عنه - خارج الجزيرة ، إلا أن المرء حين يطالع أحد مؤلفاته ككتابه عن المتنبي . . يعجب من سعة اطلاعه ، وقوة استحضاره للشواهد والنصوص عند الحاجة ، وسرعة بديهته) .

لقد اختار المؤلف تسمية كتابه هذا بـ « العود الهندي » ذلك المنديل الزكي الرائحة ليتناسب مع كلمة (الطيب) في كنيته المتنبي ، وكأنه يستنشق أريج أشعاره .

كما جعل لهذا الكتاب « مجالس » بدل « أبواب » أو « فصول » لأن الأشعار تتناسب معها مجالس الأدب والشعر ، وكأنه تخيل نفسه في مجالس مع المتنبي يستوحي ويستلهم من أشعاره الخالدة التي لا زالت الأقلام تأتي بالجديد والمفيد في فهمها وتحليلها ، لأنها أشعار في غاية البلاغة والجزالة وقوة السبك في صياغة شعرية لم يأت أحد بمثلها إلى المعاني التي تفرد بالكثير منها .

فتناول في مجالسه - هذه - جل مواضيع شعر المتنبي من : غزل ، ومديح ، وفخر ، ورتاء وفراق ووفاق وغيرها .

وما دما نتكلم على اسم الكتاب فلا بأس أن نرجع إلى نسبة المتنبي إلى كندة : أطلق ابن عبيد الله على كتابه الذي تذوق فيه ونقد بعض أبيات شاعر العربية الكبير المتنبي اسم « العود الهندي » ليوافق سجة اللقب الذي أطلقه على المتنبي وهو « الكندي » . إن الذين ترجموا للمتنبي أجمعوا أنه ولد بمحلة بالكوفة تسمى « محلة كندة » وهذه المحلة كانت خطة من خطط الكوفة نزلها في الصدر الأول جماعة من بطون كندة فسميت بهم .

فقد كان أهل اليمن وحضرموت يشكلون تعداداً قدره ستة آلاف دار في سنة ٣١٤هـ نصيب كندة منها ثلاثة آلاف بيت^(١) .

وقد تحدث الشيخ محمود شاكر عن هذه المحلة وتطرق إلى الحديث عن نسب أبي الطيب المتنبي في كتابه (المتنبي) فليرجع إليه من أراد التوسع في الأمر .

٢- ديوان ابن عبيد الله :

ديوان حافل بأصناف وألوان القصائد وأرقها وأعذبها وأجزلها .

(١) المتنبي : محمود شاكر ص ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ .

طبع الديوان في رمضان ١٣٧٨هـ تحت نظر وتصحيح الشيخ حسنين مخلوف ومراجعة السيد حسن بن عبد الرحمن ابن المؤلف - رحمهما الله - وجاء مع فهارسه في ٥٥٢ صفحة . وتوجد مجموعة أخرى من شعره لم تأخذ طريقها للنشر بعد . . . وتقع في حوالي ٥٠٠ صفحة وهو يعد الجزء الثاني لا يزال مخطوطاً . . . وهو فعلاً كما قال عنه الشيخ حسنين مخلوف : ديوان شعر وعلم وأدب وتاريخ وسير ودين وأخلاق .

٣- « معارضة البردة » : طبعت بعدن سنة ١٣٦٧هـ .

٤- « الرحلة الدعوية » : وهي عبارة عن رحلة منظومة . . . وقد قام ابن عبيد الله بهذه الرحلة سنة ١٣٦٠هـ . . . وهي تعد من روائع أدب الرحلات .

٥- « النجم المضي في نقد عبقرية الشريف الرضي » ، ويسمى « مفتاح الثقافة » : اطلع عليه الزركلي فوصفه قائلاً : « انتقد به بعض ما جاء في « عبقرية الرضي » للدكتور زكي مبارك في جزء لطيف » . وهو مخطوط ويقع في مجلد متوسط .

٦- « النقد العلمي الذوقي في الجواب عن أبيات شوقي » :

وهو جزء لطيف يقع مخطوطاً في ٣٢ صفحة ومطبوعاً في ٢٢ صفحة .

خامساً- محاضراته وخطبه :

كان ابن عبيد الله السقاف - رحمه الله تعالى - خطيباً بارعاً مفوهاً مصقفاً . . . ومع ما ترى له من المؤلفات إلا أنه يُذكر أنه في الخطابة أعظم منه في الكتابة . . . فسبحان المعطي الوهاب . . . وله مجموعة لا بأس بها من الخطب الجُمعية أو في مناسبات أخرى قيل إنها جمعت في مجلد . ولنذكر في هذه العجالة بعض محاضراته :

١- محاضرة « تحقيق الفرق بين العامل بعلمه وغيره وما يتصل بذلك من حد الولاية وحكم الإلهام » . طبعه بمصر سنة ١٣٥٥هـ في ٣٢ صفحة بتقريظ العلامة أحمد المطاع الصنعاني .

٢- كلمة عن العدالة والمساواة :

ألقاها في درسه بسيون في ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٧٢هـ . . بعد أن سئل عن حكم الإسلام في ذلك ، وكانت على البديهة ارتجالاً بدون تحضير سابق!!

٣- كلمة حول « تحديد الملكية » :

وهي رد على مقال للشيخ محمد عرفة نشر بمجلة الأزهر . . وتاريخها ١٦ ربيع الثاني ١٣٧٢هـ .

سادساً- الردود :

نذكر منها :

١- « النجم الدرّي في الرد على السيد سالم الجفري » .

٢- « نسيم حاجر في تأكيد قولي عن مذهب المهاجر » .

٣- « السيف الحاد لقطع الإلحاد » : طبع بعدن في شعبان ١٣٦٩هـ في ١٣٨ صفحة . وهو رد على كتاب « توحيد الأديان » للأستاذ حسين الصافي من أهالي جيزان ، وقد رجع الصافي عن كتابه بعد ذلك^(١) .

تلاميذه :

سنذكر منهم ما تسمح بهم هذه العجالة فمنهم :

١- ابنه السيد الأديب الشاعر الأستاذ حسن بن عبد الرحمن . . المولود سنة : (١٣٣٥هـ) والمتوفى سنة : (١٤٠٦هـ) . كان والده شديد العناية به وكتب معظم مصنفاته ومنها هذا الكتاب « العود الهندي » من أجله كما في مقدمته . وللسيد حسن ديوان شعر حكمي طبع مؤخراً .

٢- ابنه الآخر السيد عبد القادر (قيدان) بن عبد الرحمن . . ولد بسيون وتوفي

(١) أخبرني بهذا تلميذ المترجم السيد جعفر بن محمد السقاف .

مهاجراً في سورابايا سنة: (١٣٩٩هـ) وهو أكبر أبنائه ، كان فاضلاً أديباً ، درس في مدرسة النهضة بسيون وكان له نشاط أدبي في مهجره . . رحمهما الله .

٣- السيد علوي بن عبد الله بن حسين بن محسن بن علوي السقاف [١٣١٥هـ-١٣٩١هـ] عالم نحير فقيه محقق . . أجمع عليه أهل عصره واعتبروه زعيماً مخلصاً كما أجمعوا على أنه الثاني في الفقه بعد شيخه العلامة ابن عبيد الله . .

٤- السيد محمد بن شيخ المساوي المتوفى سنة ١٤٠٥هـ بسيون .

كان من تلامذة ابن عبيد الله النجباء النوايح ، نشأ مجدداً في الطلب حتى بزّ الأقران ، وشغل وظيفة كبرى بمدرسة النهضة العلمية بسيون وكان يقوم ببعض الدروس العلمية بمسجد طه .

٥- السيد سالم بن علوي بن عبد الرحمن خرد المتوفى بجدة سنة ١٣٩٨هـ . وهو العالم الشاعر الحافظ لكتاب الله الخطيب المصقع الكثير السعي لخير الناس الصريح في آرائه الجريء في إبداء معلوماته مع رحابة صدر ولطف معشر وقد أفرده بالترجمة ابنه السيد عبد القادر خرد في كتاب سماه (هذا أبي) .

٦- السيد العلامة محمد بن سالم بن حفيظ

المولود في ١٣٣١هـ والذي اختطفه الشيوعيون الملاحدة في ذي الحجة ١٣٩١هـ .

كان عالماً نزيهاً صادقاً بالحق . . كان يتردد على ابن عبيد الله واستفاد منه . .

٧- السيد عبد القادر بن سالم « الروش » السقاف المتوفى بسيون في ١٤١٥هـ .

درّس في مدرسة النهضة العلمية بسيون وتخرج منها ثم درّس فيها ، وكان مواظباً على حضور مجالس شيوخه عظيم الرغبة في الطلب والتحصيل والبحث والمطالعة رحل في شبابه إلى مكة المكرمة وأقام بها مدة لازم فيها شيخه السيد العالم الرباني عيدروس بن سالم البار وأخاه أبا بكر بن سالم .

٨- ومنهم خاتمة العقد ومسك الختام الإمام الجليل والحبر النبيل السيد الخليفة السند إمام العصر الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف . . وكان من المترددين على

مجالس ابن عبيد الله وأفاد من علمه وأدبه شيئاً جماً . . وكان يقول دائماً : إن النساء عجزن أن يلدن مثل ابن عبيد الله .

وهناك كثيرون وكثيرون جداً . . ونذكر منهم :

٨- العلامة القاضي مبارك باحريش التريمي .

٩- السيد جعفر بن محمد السقاف .

- السيد الداعية الإمام أحمد مشهور الحداد [١٣٢٥هـ-١٤١٦هـ] .

- السيد علي بن عبد الله بن حسين « القاضي » السقاف .

- السيد محسن بن علوي السقاف .

- السيد الشاعر صالح بن علي الحامد .

وليعذرنا من لم تتسع هذه النبذة المختصرة لذكرهم . . وإن شاء الله تعالى في

ترجمة ابن عبيد الله الموسعة سنذكر الكثير والكثير الطيب عن ذلك وعن غيره .

وفاته :

لم يزل على حالة مرضية ، وطريقة سوية ، شعلة بل شمساً تضيء وتنير في ظلمات الجهل . . فلقد كان رحمه الله جبلاً من جبال العلم . . حتى توفي صباح الأربعاء ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٥هـ فأصيب الناس بالذهول الشديد والحيرة والارتباك لوفاة هذا العلم . .

وما كان قيس هلْكُهُ هَلْكَ واحدٍ ولكنه بنيان قومٍ تهدم^(١)

وقد أقيمت بعد وفاته مجالس العزاء في حضرموت وأندونيسيا وكينيا وغيرها من بلدان العالم الإسلامي وقد رُئيَ بقصائد شعرية نكتفي منها بأبيات من مرثاة تلميذه الشاعر صالح بن علي الحامد [مِنَ الْكاملِ] :

بكت الطروس عليك والأقلام والشرق ناح عليك والإسلام
نعت المكارم حطَّها وتنكست من أجل رزتك للعلا أعلام

(١) البيت من الطويل .

وغدا نهارك للفجیعة قاتماً
والشمس عبری فی السماء كأنما
ویکئ علیك العلم والعلیاء والـ
ورثاك رواد المعارف والهدئی
قدر المصیبة عند قدر مصابها
كم موقف لك فی الخطابة خالد
لهفی علی الروح الخفیفة كم ورت
تغذو المجالس بهجةً وفكاهة
لا یعجب الأقران کیف سبقتهم
أسرعت فی كسب الجمیل وأبطؤوا
فجمعت أوصاف الكمال وإنما
فعلی الخطابة والبلاغة بعده
فاذهب فإنك خالد بالذکر ما

فكأنما أغشى علیه ظلامٌ
غطى محیاء الحزین لثامٌ
شیم العلی والنقض والإبرام
فالیوم بعدك كلهم أیتام
ولذاك أرزاء العظام عظام
حمدت براعته لك الأقوام
فینا المسرة والزمان غلام
فكان بهجتها علیك لزام
فی كل ما قعدوا إليه وراموا
وسهرت فی طلب الكمال وناموا
یغشى الخسوف البذر وهو تمام
وعلی النبوغ تحیة وسلام
مضت القرون وكرت الأعوام

والی هنا یقف القلم فی ترجمة هذا العلم . . والمقصود أن نذكر تعریفاً ميسراً ،
والمعروف كما قیل لا یعرف . . وحسب الإنسان أن ینظر فی كتاب الأعلام للزرکلی
هذا الكتاب المشهور فی التراجم . . فإننا نجد أن ترجمة أي علم فی لا تتجاوز
سطوراً وعندما أراد أن یذکره الزرکلی فی كتابه وكان الزرکلی رحمه الله قد اجتمع
بابن عبید الله وعرفه واتصل به . . فإنه قد ذكره فی عمودین^(١) . . وما ذاك إلا لأهمية
الرجل . . والخواطر تتدافع . . ونسأل الله أن یتقبل منا . . وأن یغفر لنا ما شط به
القلم . . والله أعلم .

* * *

(١) « الأعلام » : ٣ / ٣١٥-٣١٦ ، وتقع الترجمة فی (٤٣) سطرأ ، فی عمود ونصف ، وهي
طويلة جداً بالنسبة لغيرها من تراجم كبار الأعلام .

وصف النسخة الخطية

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على نسخة خطية نفيسة ، بخط المؤلف رحمه الله تعالى .

وهي مسودة الكتاب الأصلية ، كان رحمه الله قد بيض الكتاب وأرسله إلى (مصر) لطبع هناك . فلم يطبع ولم تُرجع له المبيضة ، فاضطرَّ رحمه الله تعالى لإعادة النظر في المسودة - التي بين أيدينا - وإضافة ما قد فاته ، وتصحيح ما أخطأ فيه .

وقد ظهر ذلك جلياً بحيث كتبت الإضافات بلونٍ مغاير ، ونجدّه في بعض الأماكن قد حكّ وشطب .

تقع هذه النسخة في (٥١٦) صفحة ، وسطورها بين (٢٨) و (٣٠) سطراً ، وكلمات السطر بين (١٠) و (١٣) كلمة .

خطها نسخي مستعجل ، وضعت أبيات المتنبي التي تخصُّ موضوعاً معيناً يُبنى عليه البحث بلونٍ أحمر .

وقد فرغ من كتابتها في (١٧) جمادى الأولى (١٣٥٢ هـ) .

وهذه النسخة من مقتنيات زوج ابنة المؤلف السيّد محسن بن علويّ السّقاف حفظه الله تعالى .

* * *

منهج تحقيق الكتاب

- نسخُ المخطوطِ .
- مقابلةُ المنسوخِ على المخطوطِ .
- ترقيمُ الكتابِ ، وترصيعُ أحرفِهِ بالحركاتِ الإعرابِيَّةِ ، وضبطُ القافيةِ المشدَّدةِ بشدَّةٍ وسكونٍ (٤) ؛ لتدلَّ على أنَّ الحرفَ مشدَّدٌ ، مثل : (نبي) .
- عدمُ فكِّ إدغامِ الحرفِ المشدَّدِ إذا كانَ مِنَ البحرِ المدوَّرِ ؛ الَّذي يكونُ مشتركاً بينِ آخِرِ الصِّدْرِ وأوَّلِ العَجْزِ ، وجعلُ الحرفِ المشدَّدِ تارةً بآخرِ الصِّدْرِ وتارةً بأوَّلِ العَجْزِ .
- تقسيمُ الكتابِ إلى فقراتٍ لتسهلَ مطالعتهُ .
- عنونةُ الكتابِ بعنواناتٍ مناسبةٍ ، وجعلُها على هامشِ الكتابِ .
- تخريجُ الآياتِ القرآنيَّةِ .
- تخريجُ أكثرِ الأحاديثِ النَّبويَّةِ القوليَّةِ والفعليَّةِ .
- ردُّ معظمِ الآثارِ والأخبارِ والقصصِ إلى مظانِّها مِنْ كتبِ الأدبِ والعربيَّةِ والتَّاريخِ .
- تخريجُ الأشعارِ وإحالتها إلى دواوينِ قائلِها إنْ كانَ الدِّيوانُ متوفِّراً لدينا ، وإنْ لَمْ يَكُنْ متوفِّراً . أحلنا إلى أمَّاتِ كتبِ الأدبِ والعربيَّةِ .
- جعلنا التَّخريجَ ضمنَ متنِ الكتابِ بينَ معكوفتينِ [] ؛ وذلكَ تخفيفاً للكتابِ مِنْ ثِقَلِ الحواشي .

- بخرنا الأبيات الشعرية عقب تخريجها ضمن المعكوفتين .
- خرّجنا أبيات المتنبي من شرح العكبري بذكر رقم الجزء والصفحة .
- جعلنا الأبيات التي جعلها المصنّف مطلعاً لبحثٍ معيّن في رأسِ صفحةٍ بخطٍ مغايرٍ .
- ميّرنا كلمتي (قَالَ النَّاطِمُ) و(قوله) حيثُ أرادَ بها المتنبي بحرفٍ مغايرٍ ، تمييزاً لأشعار المتنبي عن أشعار غيره .
- شرحنا الكلمات الغامضة والمبهمّة شرح مفرداتٍ ، وفي بعض الأحيان ذكرنا المعنى العامّ للبيت إذا كان مبهماً .
- أخذنا من كتب الأدب فنقلنا عنها بعض القصص والأخبار التي أشار إليها المؤلف ولم يذكرها ، أو ذكرها باختصارٍ فكمّلناها .
- قمنا بإتمام بعض القصائد العذبية .
- أضفنا في بعض المواضع ما أرتأينا أنّ النصّ لا يقوم إلا به ، وجعلناه بين معكوفتين [] .

* * *

خاتمة

ومع الانتهاء من العمل الدؤوب في هذا الكتاب.. لا بُدَّ للإنسان من أن يقفَ وقفين بسيطتين :

أما الأولى :

فَمَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : فأقولُ :

يا ربِّ .. عقلي عاجزٌ عن التَّفكيرِ .. ولساني عاجزٌ عن التَّعبيرِ .. وقلمي عاجزٌ عن التَّسطيرِ .

فيا إلهي وسيدي ومولاي .. لك الحمدُ علي ما أنعمتَ به عليّ .

أينَ كانتُ قدرتي عندما كنتُ في الحشا ، تطعمني أنتَ وتسقيني؟!!

أم أينَ كنتُ عندما تفضَّلَ عليّ وهديتني إلى الطَّريقِ الَّذي أسلكُهُ للوصولِ إليك؟!!

أم أينَ كنتُ عندما تفضَّلَ وتكرَّمتَ عليّ وجعلتني مُسلماً؟!!

أم أينَ كنتُ عندما نورَّتَ قلبي وهديتني عقلاً أُميِّزُ به بينَ الخيرِ والشرِّ؟!!

ما أفضَّلَ الَّذي لي عليّ غيري حتَّى وهبتني كلَّ هذه النِّعمِ؟!!

لا فضلَ لي ، لا حولَ لي !!

ولكنَّه كرمك وجودك ومثلك ، فياربِّ تَمِّمْ وأدِّمْ كرمك وجودك وفضلك .

ويا ربِّ .. عرَّفنا نعمك بدوامها ، ولا تعرِّفنا النِّعمَ بزوالها .

لك الحمدُ والشُّكْرُ علي ذلك يا ربَّ العالمين .

وأما الوقفةُ الثانيةُ :

فَمَعَ حَدِيثِ سَيِّدِي رَسُولِ اللهِ ﷺ حيثُ يقولُ : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ .. لَمْ

يَشْكُرِ اللهُ » .

وعليه : أتقدم بالشكر لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل الضخم ، سواء كان من قريب أو من بعيد .

فأتقدم بالشكر لوالديّ اللذين يسّرا لي سبيل طلب العلم ، وسهرا عليّ الليالي حتّى وصلت إلى ما وصلت إليه .

وأقدم بالشكر لشيخو الذين ربّوني وأدّبوني بأدب الإسلام ، جزاهم الله عني كلّ خير .

وكذلك أتقدم بالشكر للإخوة الذين بذلوا قصارى جهدهم لإنجاح هذا العمل . . ليخرج الكتاب بأبهى حلّة ، وأبهج مظهر .

وكذلك أتقدم بالشكر للجنود المجهولين الذين تعبوا في هذا العمل ، ولا أخصّ منهم أحداً وأجرهم على الله .

وفي الختام :

إن يكن من خير . . فمن الله ، وإن يكن من سوء . . فمن نفسي .

ورحم الله من أهدى إليّ عيوبي ؛ فالإنسان ضعيف ، والمرء قويّ بأخيه .

وصلوات ربّي وسلامه على من قال : « كلُّ ابنِ آدمَ خطّاءٌ ، وخَيْرُ الخطّائينَ . . التّوابونَ » .

ورحم الله من قال [مِن الطّويل] :

فَلَا بُدَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنْ تَجِدْنَهُ فَسَامِحْ وَكُنْ بِالسَّيِّئِ أَعْظَمَ مُفْضِلٍ
فَمَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطُّ وَمَنْ لَهُ أَلَمْ مَحَاسِنُ قَدْ تَمَّتْ . . سِوَى خَيْرِ مُرْسَلٍ

* * *

كلمة شكر

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان . . والصلاة والسلام الأتمان
الأكملان على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان . .

وبعد :

ومع الانتهاء من خدمة هذا الكتاب . . فهناك مواقف يشعر فيها المرء بأن
السكوت كلام وعدم الكتابة كتابة . . فما عسى أن يكتب مثلي بين يدي هذا الكتاب .
وما دفعني للكتابة الآن . . إلا تسطير الشكر إلى من شارك في إخراج هذا
الكتاب وخصوصاً من تفضلوا بقراءة الكتاب قبل الطبع وأفادوا الكتاب بقراءتهم
كثيراً تصحيحاً وتعليقاً أخصُّ منهم :

الدكتور محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل الذي قرأ الكتاب كاملاً جزاه الله
خيراً وأخيراً أتحنفنا بكلمة قيمة وضعناها أول الكتاب . .

وكذلك الدكتور بكري شيخ أمين الذي تفضل بقراءة بعض أجزاء متفرقة من
الكتاب جزاه الله خير الجزاء . .

وأخيراً . . فإننا نرحب بأراء القراء الكرام وانطباعاتهم . . وحتى
انتقاداتهم . . فنحن نريد الخير لأمتنا . . من خلال ما يوقفنا الله لنشره
وإظهاره . . ورحم الله من أهدى إلينا عيوبنا . . ونسأل الله أن يتقبلنا وأن يتقبل
أعمالنا وأن يجعلها شهادة لنا لا شهادة علينا .

وإلى صفحات الكتاب . .

الناشر

صورة المخطوطة المستعان بها

العود الهندي عن لغاي بني ديوان اللندي السعدي
تأليف وحظ العلامة مفتي الديار المصرية الشيخ محمد رشيد رضا
والله الرحمن الرحيم

هذا المستحق والعلامة والسلام على نبيه وآله من بعد
فهذه مجالس في ديوانه النبي كتابا من مؤلفاته
وليس له القلم بل اعانت روية ولا ارفاق فكري
ولا كره فكري ولا اعقاب خالطه ولا جنابة على العيب
اردنا بها له حاضرا وحام النكر من معاناة الغف
لم نعد بها التليف ولناك بها تبديل التصنيح
وانما نعد لابن ارباب من شرح العكبري فليكن به
ولا يحضر ساعة القراءة كتابا سواء غمغوم جملنا
بخراطة العظما علمت بها من سائق النظر في
فخصم اليه بله تنسيق ولا ترميها ولا ترميها
وله تصنيح وحيث نأشئ اوتدكرناه ونحو
اسباب مضمنا منها القناه بها من استودع
وكل من العزم قريبا على مواصلة العمل غدا به انما
كانت في الاكل واستوف الجمل وما ذكرناه بتجدد العدم
للنقص والزيادة والمتمين في الروايات ولا بد اننا
كثيرا نلطف لانا لم نعدنا لاجب لقطع الادم التبييض
في بعض نقطه ولا بما سبه ان كانت اناسبه
ولا ايراد ذكره ليعيب الله سطره اذ التصنيح
المخصوص بالتصنيف لانا ان على صفة الطريقة وانما هو الاثر

هذا خط العبد
محمد رشيد رضا
في شهر ربيع الثاني
سنة 1300
بمدينة القاهرة

اشارة ذلك
الاول في البسملة
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين

راموز الورقة الأولى من النسخة الخطية



فيها يكون من شمل عندنا انزور من خدمه وانشاء وديت كما سماها
 لا التبت انشاء نسياد اللطيع ١٧ من جاي له اولي عهدهم
 كما هو العادة يكنه التزاة والكلدم على ما يحضر شيخ
 ثم خلوه ينسب ساء من النساء احدا منها ما يكون
 وحينئذ وقد خربت وردى واخذت من عبي ووجه نظري
 على السماء وزيدها بالتزوم الزاهر وانشاء من له ايات
 اياهم استقرت فكري واستجيم ذكرى وانطلقت لسانى
 بفتح مره كره في اليكس لطفى الدين ابن يميم ومصر
 والنقري وصف ايت ابروم ابنا كمالنا لكونه من ذى
 واحسنت موالدهت بطيب ومولاه لجام بخطيب فاسكت
 الثاب وانشر العسر وقن الشعر واصترادت وابط
 الهم وقرت العود وعظمت الرسيم وانتمت الزمر باناجاة
 والنساء وبانت في الظلم ايات عينتها ذلك البيت قد مر
 موصفا من الليرات من رانها حاله جاءت نرت واخوت
 ساء ثم امرت وانه الحمد اوله وخر ا ونبه الصلى عليه وقرآنه
 وعلوه وسلم عليه ساء ما ملأ

راموز الورقة الأخيرة من النسخة الخطية



الْعَوْنُ الْإِهْتِدَادِيُّ

عَنْ أَمَّا لِي فِي دِيَوَانِ الْكِنْدِيِّ

مَجَالِسُ أَبِي دِيَوَانَ الْمَتْنِيِّ

تَأليفُ

عَلَّامَةِ حَضْرَمَوْتِ وَمُفْتِيهَا

السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّقَّافِ

رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة المؤلف]

أما بعد :

حمداً لله مستحق الحمد ، والصلاة والسلام على نبيه وآله من

بعد .

فهذه مجالس في « ديوان المتنبي » ، كتبناها من عفو خاطر ،
ولسان القلم ، بلا إعناتٍ رويّة ، ولا إرهاقٍ فكريّ ، ولا كدّ قريحية ،
ولا إتعابٍ خاطريّ ، ولا جنائية على العين ، أردنا بها الإحماض^(١)
وإجمام الفكر^(٢) من معاناة الفقه ، لم نقصد بها التأليف ، ولم نسلُكْ
بها سبيلَ التصنيف ، وإنما نعيدُ لِمَا بين أيدينا من « شرح
العُكْبَرِيِّ »^(٣) ، فنلّمُّ به ، ولا يحضرنا ساعة القراءة كتابٌ سواه ، ثمّ

(١) الإحماضُ : الإفاضة فيما يُؤنسُ من الكلام والأخبار لما فيها من مُلح
وحكايات .

(٢) إجمام الفكر : إراحته وصلاحة ونشاطه .

(٣) العُكْبَرِيُّ : هو أبو البقاء عبد الله بن الحسين ، العُكْبَرِيُّ الأصيل ، البغداديّ المولد
والدار النحوي الضريير . و(عُكْبَرًا) التي ينسب إليها بليدة على (دجلة) . . ولد
سنة (٥٣٨ هـ) ، وتوفي سنة (٦١٦ هـ) بـ (بغداد) .

قرأ علوم الدين والعربية على كبار مشيخة عصره بـ (بغداد) . . حتى حاز
السبق في العربية والفقه الحنبلي والحساب والفرائض وصار فيها من الرؤساء
المتقدمين ، كان ثقة صدوقاً ، غزير الفضل ، كثير المحفوظ ، حسن الخلق ،
متواضعاً ، رقيق القلب ، ومؤلفاته زادت على الأربعين منها : «إملاء ما من به
الرحمن في إعراب وجوه القراءات في القرآن» و«إعراب الحديث» و«شرح =

نَعُوجٌ لِمَا بَقِيَ بِخِزَانَةِ الْحِفْظِ ، مِمَّا عُلِقَ بِهَا مِنْ سَالِفِ النَّظْرِ فِي
الْأَدَبِ ، فَضَيْفُهُ إِلَيْهِ بِلَا تَنْسِيقٍ وَلَا تَرْصِيفٍ ، وَلَا تَرْتِيبٍ وَلَا تَصْفِيفٍ ،
وَمَتَى مَرَّ بِنَا شَيْءٌ أَوْ تَذَكَّرْنَاهُ - وَهُوَ يُنَاسِبُ مَوْضِعاً مِنْهَا - أَلْحَقْنَاهُ بِهَا مَشْرِ
الْمَسْوَدَةِ^(١) .

مِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ : مَا ذَكَرْنَاهُ فِي أَثْنَاءِ الْمَجْلِسِ السَّادِسِ ، مِمَّا أَتَّفَقَ
لَنَا بِهِ (مِنْى) ، سَنَةَ (١٣٥٤ هـ) ، وَكَانَ الْعِزْمُ قَوِيّاً عَلَيَّ مُوَاصِلَةَ
الْعَمَلِ ، غَيْرَ أَنَّ الْقَارِيءَ مَلَّ ، فَأَنْعَكَسَ الْأَمَلُ ، وَأَسْتَنَوَقَ
الْجَمْلُ^(٢) ، وَمِمَّا ذَكَرْنَاهُ يَتِمَّهُدُ الْعِذْرُ لِلنَّقْصِ وَالزِّيَادَةِ ، وَالتَّحْرِيفِ
فِي الرَّوَايَةِ^(٣) ، وَلَا بَدَعَ إِنْ كَثُرَ الْغَلْطُ ؛ لِأَنَّا لَمْ نَعْتَمِدِ الْمَرَاجِعَةَ لَهُ
قَطُّ ، إِلَّا مَعَ التَّبْيِيزِ فِي بَعْضِ نَقْطِ ، وَلَا مُحَاسَبَةَ إِنْ قَلَّتِ
الْمُنَاسِبَةُ ، وَلَا إِيرَادَ إِنْ لَمْ يَعْذِبِ الْأَسْطِرَادُ ؛ إِذِ اتَّصَنِيفُ هُوَ

= ديوان المتنبي المسمى : «التيبان في شرح الديوان» ، وهي المعتمدة من
المؤلف ومن فريق التحقيق في ضبط شعر المتنبي . . وبالله التوفيق .

(١) الْمَسْوَدَةُ : الصَّحِيفَةُ تَكْتُبُ أَوَّلَ كِتَابَةٍ ، ثُمَّ تُنْفَعُ وَتُحَرَّرُ وَتُبَيِّنُ ، وَسُمِّيَتْ :
مَسْوَدَةً ؛ لِأَنَّ الْكَاتِبَ يُسَوِّدُهَا بِالشَّطْبِ هُنَا مَرَّةً وَهُنَاكَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى أَنْ يَسْتَقَرَّ بِهِ
الْأَمْرُ فَيَنْقُلُهَا عَلَى صَحِيفَةٍ أُخْرَى تَسْمَى : (الْمُبَيِّنَةُ) .

(٢) أَسْتَنَوَقَ الْجَمْلُ : أَي صَارَ كَالنَّاقَةِ ، مِثْلُ يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يَكُونُ فِي حَدِيثٍ أَوْ صِفَةٍ
شَيْءٌ ثُمَّ يَخْلِطُهُ بِغَيْرِهِ وَيَنْتَقِلُ إِلَيْهِ .

وَأَصْلُهُ : أَنَّ طَرْفَةَ بِنِ الْعَبْدِ كَانَتْ عِنْدَ بَعْضِ الْمُلُوكِ ، وَالْمُسَيَّبُ بِنُ عَلَسِ
يَنْشُدُهُ شِعْراً فِي وَصْفِ جَمَلٍ ، ثُمَّ حَوَّلَهُ إِلَى وَصْفِ نَاقَةٍ ، فَقَالَ طَرْفَةُ : (قَدْ
أَسْتَنَوَقَ الْجَمْلُ) .

(٣) وَبِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ عَدْنَا إِلَى غَالِبِ الْمَصَادِرِ ، وَضَبَطْنَا التُّصُوصَ مَا أَمَكْنَ ،
وَإِذَا أَقْتَضَى الْحَالُ أَوْرَدْنَا مِنَ الْمَصْدَرِ مَا يُحَقِّقُ بِهِ قَصْدَ الْقِصَّةِ ، أَوْ الْأَبْيَاتِ ، أَوْ
الْمُنَاسِبَةِ . . وَسِيرَى الْقَارِيءِ الْكَرِيمِ ذَلِكَ فِي ثَنَايَا الْكِتَابِ . اهـ النَاشِرُ .

المخصوصُ بالثِّيقَةِ^(١) ، لا ما كان على هذه الطريقة ، وإنَّها مع الارتجال ، وعدم الاتِّساع في المجال . لوعاءُ طُرْفٍ وأدبٍ ، ونُكْتٍ ونُحْبٍ ، وجِدٌّ وهَزَلٍ ، ووقشٌ وجَزَلٍ^(٢) ، وما ذاك بقليلٍ من مثلي على كثرةِ إضاعتهِ ، وقلَّةِ بضاعتهِ^(٣) .

وقد بيَّضْتُها لولدي حَسَنِ - باركَ اللهُ فيه ، وفي إخوانه وأبيه - رجاءً أن تكونَ لَهُ فاتحةٌ تهذيبٍ ، ولائحةٌ تأديبٍ ، وسميراً وجليساً ، وخليطاً وأنيساً ، ولثناً أتخذها نجياً . فلن يكونَ بها شقياً ؛ إذ هي أيسرُ مؤونةٍ ، وأكثرُ معونةٍ ، وأخفُ روحاً ، وأكثرُ فتوحاً ، وأجملُ قشرةٍ ، وأحسنُ عشرةٍ من أولئك الخُططاءِ ، الذين ما منهم إلا مَنْ عُدِيَّ مِنَ اللَّؤْمِ بِلَبَّانٍ ، وحضَرَ شرُّهُ في كلِّ إِبَّانٍ^(٤) ، واللهُ الموفِّقُ والمستعانُ^(٥) .

* * *

- (١) الثِّيقَةُ ، يقالُ : تنوَّقَ فلانٌ في مَطْعِمِهِ وملبِسِهِ وأُمُورِهِ : إذا تجوَّدَ وبالغَ ، والثِّيقُ : أرفعُ موضعٍ في الجبلِ .
- (٢) الوَقْشُ : صغارُ الحطبِ الذي تُشَبِّعُ به النارُ ، والجَزَلُ : ما عَظُمَ مِنَ الحطبِ وَيَسَّرَ . والمرادُ : أنَّها حوت من أنواعِ الكلامِ سَهْلُهُ وصَعْبُهُ .
- (٣) هذا من تواضعه رحمه الله تعالى ، وإلا فإنه قلَّ في المتأخِّرين مثله جمعاً وحفظاً .
- (٤) إِبَّانٌ : إِبَّانُ الشيءِ - بالكسرِ والتشديدِ - : وَقْتُهُ .
- (٥) وردَ في ذيلِ صفحةِ المخطوطِ : (تنبيهٌ : كنتُ بيضتُ هذه « الأماي » ، حَسَبَما ذكرتُ في الخُطْبَةِ ، ثم بعثتُ بها إلى (مصر) ؛ لتطبعَ بمعرفةِ الفاضلينِ الشيخينِ : أحمدَ باغفارٍ ، وعليٍّ باكثيرٍ ، فلم يتيسَّرَ الطبعُ ، ولم يرجعَ الكتابُ ، فأحتجتُ إلى أَسْتِثْنافِ العنايةِ ، مع إعادةِ النظرِ في المراجعِ ؛ إذ كانت حاضرةً بخلافها عندَ الأوَّلِ ، فجاءَ وفيه نقصٌ وفضلٌ ، وصحَّةٌ روائيةٌ ونضلٌ - أي : ضعفٌ - فليعلمَ ذلكَ ، وباللهِ التوفيقُ) .

المجلس الأوّل

[قال أبو الطيّب المتنبّي في «العُكْبَرِيّ» ٢/ ٢٧٩ مِنْ الْخَفِيفِ:]

بِأَبِي مَنْ وَدِدْتُهُ فَأَفْتَرَقْنَا وَقَضَى اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَجْتِمَاعًا
فَأَفْتَرَقْنَا حَوْلًا وَلَمَّا التَقَيْنَا كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعًا

يقول: أفدي بوالدي الحبيب الذي ودّدته فأفترقنا ، وقضى الله حلالة اللقاء كمر الاجتماع بعد ذلك الافتراق ، غير أنها لم تطل مدّة الاجتماع الثاني ، بل كانت متّصلة بالوداع .

ولا معابة عليه في الاختصار على أبيه لتضدية محبوبه ؛ لأنّ العذر مهتدّ بضيق الوزن ، وإلّا فقد جمع رسول الله ﷺ لسعيد ما بين أبويه الشريفين في يوم أحد ، فقال له : « إزم فذاك أبي وأمّي » (١) .

ومنه أخذ النواوي في «أذكاره» [ص/ ٥٨٧] أن لا بأس أن يقول الإنسان لآخر : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أو فِدَاكَ أبي وأمّي ، ولولا كثرة الأدلّة فيه . . لكان قياساً مع الفارق ، غير أنّ الأصل عدم الخصوصية ، كما في «الفتح» [١٠/ ٥٦٩] ، وقد استوعب ما فيه من

(١) أخرجه البخاريّ (٢٩٠٥) ، ومسلم (٢٤١١) .

الأدلة ابنُ أبي عاصم^(١) في أول كتابه : « آدابُ الحكماء »^(٢) وجزمَ بجواز ذلك .

رد دليل منع التضدية
ولا حجة على المنع ، فيما رواه مبارك بن فضالة^(٣) : أن الزبير دخل على رسول الله ﷺ وهو شاك ، فقال : كيف تجدك جعلني الله فداك؟ فقال : « ما تركت أعرابيكَ بعدُ »^(٤) ؛ لأنه لا يقاوم الأحاديث الصحيحة^(٥) ، ولأنه ليس فيه تصريح بالمنع . وغاية ما فيه الإشارة إلى ترك الأولى فيما يليق بمخاطبة المريض .
وقد ترجم البخاري باباً للتفدية^(٦) .

وقوع العتاب على
المتنبي
وإنما المعية على الناظم من حيث اللفظ :
أولاً : في تكريره (أفترقنا) في البيتين بصيغة واحدة من غير كراهة التكرار ، فإنه لا يسلم من الاستتقال والكراهة .

ثانياً : في عطفه لفظاً (أفترقنا) من البيت الثاني على ما قبلها ، مع أنها مسوقة للتفسير ، والواجب الفصل حينئذ ، كما متى يكون العطف قبيحاً

- (١) هو أحمد بن عمرو بن الضحاك الحافظ الكبير المتوفى سنة : (٢٨٧ هـ) .
- (٢) أحد مصنفاته التي تزيد على الثلاث مئة .
- (٣) أي : عن الحسن كما في «الفتح» .
- (٤) « فتح الباري » (١٠ / ٥٦٩) .
- (٥) كقول سيدنا أبي طلحة عندما عثر بالنبى ﷺ ناقته : (يا نبي الله ، جعلني الله فداك ، هل أصابك من شيء) عند البخاري (٦١٨٥) ، وكقول سيدنا أبي بكر للنبي ﷺ : (يا أبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً) عند البخاري (٣٦٦٧) وغيره مما يصعب حصره .
- (٦) انظر «صحيح البخاري» ، كتاب الأدب ، ١- باب قول الرجل : فداك أبي وأمي (١٠٣) . ٢- باب قول الرجل : جعلني الله فداك (١٠٤) .

في قوله تعالى: ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا قَدْ جَاءَكَ هَذَا مِنْ عَدُوِّكَ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَىٰ عِندِ رَبِّكَ لَدِينٌ ﴾ [طه: ١٢٠].

أو قوله - تقدّست أسماؤه - : ﴿ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا ﴾ [يس: ٢٠-٢١].

وإنما وجب الفصل ؛ لأنّ العطف يقتضي التغيّر الكليّ بين المتعاطفين ، وليس بالموجود .

وقد وقع في نظيره من التكرار أمرؤ القيس ، لكن مع السلامة روعة التكرار في مكانه من مذمة الوصل في غير محله ، وذلك حيث يقول لني « ديوانه » ٨٧ من الطويل :

تَقَطَّعُ أَسْبَابَ اللَّبَانَةِ وَالْهَوَىٰ عَشِيَّةَ جَاوِزَنَا حِمَاةَ وَشَيْزَرَا (١)
عَشِيَّةَ جَاوِزَنَا حِمَاةَ وَشَيْزَرَا أَخُو الْجَهْدِ لَا يَلْبُوِي عَلَيَّ مَنْ تَعَدَّرَا

وقد أكثر الناظم في « ديوانه » من التفتدية ؛ فمنها قوله لني كثر التفتدية عند المتنبي « العُكْبَرِيّ » ٣٨٠ / ٢ من البسيط :

لَبِي نَدَاكَ لَقَدْ نَادَى فَاَسْمَعْنِي [يَفْدِيكَ مِنْ رَجُلٍ صَحْبِي وَأَفْدِيكَ
وقوله لني « العُكْبَرِيّ » ٣٨٥ / ٢ من الواو] :

فَدَى لَكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَا مَلِكُ إِذْنٌ إِلَّا فَدَاكَ
وقوله لني « العُكْبَرِيّ » ١٠٨ / ٣ من الطويل] :

فَدَتِكَ مُلُوكٌ لَمْ تُسَمَّ مَوَاضِيَا فَإِنَّكَ مَاضِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلُ (٢)

(١) اللَّبَانَةُ : الحاجة من غير فاقة ، ولكن من نعمة . حماة وشيزر : بلدان معروفان في بلاد الشام .

(٢) المعنى : فدتك ملوك ، تروم مشابهتك ، ولم تسمّ سؤفاً مواضي ، فتماثلت =

وقوله [في «المكبري» ٣١٨/١ من الخفيف] :

فَأَسْقِنِيهَا فِدَى لِعَيْنَيْكَ نَفْسِي مِنْ غَزَالٍ وَطَارِفِي وَتَلِيدِي^(١)

وقوله [في «المكبري» ٣٨/٤ من البسيط] :

رُوَيْدَ حُكْمِكَ فِينَا غَيْرَ مُنْصِفَةٍ بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ أَفْدِيكَ مِنْ حَكَمٍ

وقوله [في «المكبري» ١٥٥/٢ من الطويل] :

مُقْدَى بَابَاءِ الرَّجَالِ سَمِيدَعَا هُوَ الْكَرْمُ الْمَدُّ الَّذِي مَا لَهُ جَزْرُ^(٢)

وقوله [في «المكبري» ٢٨٦/٢ من الطويل] :

يُقْدُونَهُ حَتَّى كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ لِحَارِي هَوَاهُ فِي عُرُوقِهِمْ تَقْفُو^(٣)

وقوله [في «المكبري» ١٨٦/١ من الطويل] :

وَأَيُّ قَبِيلٍ يَسْتَخِفُّكَ قَدْرُهُ مَعْدُنُ عَدْنَانٍ فِدَاكَ وَيَعْرُبُ

وقوله [في «المكبري» ٥٥/٤ من الطويل] :

فِدَى مَنْ عَلَى الْغُبْرَاءِ أَوْلَهُمْ أَنَا لِهَذَا الْأَيْبِيِّ الْمَاجِدِ الْجَائِدِ الْقَرْمِ^(٤)

= في أسمك ، وتعادلك في قدرتك ؛ فإنك السيفُ أسماً وحقيقةً وتلقباً ، وخذك

ماضي الشفرتين ، صقيل الصفحتين .

(١) الطريفُ : ما استحدثت عندك من مالٍ . والتليدُ : ما كان عن إرث من الآباء .
وبينهما طباق .

(٢) السَمِيدَعُ : السيدُ الكريمُ ، والجمعُ : سَمَادَعُ . المدُّ : زيادةُ الماءِ . الجزرُ :
نقصانُهُ .

(٣) والمعنى : أنهم من محبتهم له يُقْدُونَهُ ، فكأنَّ هواهُ جرى أولاً في عروقهم قبل
الدم ، ثم تبعهُ الدَّمُ .

(٤) الجائدُ : الفاعلُ ، من جادَ يَجُودُ . القرمُ : السَيْدُ .

وقوله [في «المكبري» ٩١/٤٠ من الطويل] :

فَعِشْ لَوْ فَدَى الْمَمْلُوكِ رَبًّا بِنَفْسِهِ مِنْ الْمَوْتِ لَمْ تُفْقَدْ وَفِي الْأَرْضِ مُسْلِمٌ

وقوله [في «المكبري» ١٣٧/٤٠ من الطويل] :

فَدَى لِأَبِي الْمَسْنِكِ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا سَوَابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَذْهِمِ

وقوله [في «المكبري» ٥٦/١ من الطويل] :

فَدَيْنَاكَ مِنْ رُبْعٍ وَإِنْ زِدْنَا كَرْنَا [فَأَنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْغَرْبَا]

وقوله [في «المكبري» ٤٧/١ من الطويل] :

فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِي وَأَقْتَلَهُمْ لِلدَّارِعَيْنِ بِلَا حَرْبٍ^(١)

وقوله [في «المكبري» ٧٠/١ من الطويل] :

أَلَا مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ غَاضِبَا فِدَاؤُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبَا

وقوله [في «المكبري» ٩١/١ من البسيط] :

وَلَيْتَ عَيْنَ الْتِيَّ أَبَ النَّهَارُ بِهَا فِدَاءُ عَيْنِ الْتِيَّ آبَتِ وَلَمْ تَغِبِ^(٢)

(١) المعنى: فديتك يا أقصد العالمين سهماً إلى قلبي، يا من عينه تصيب بلحظها

ولا تخطيء، ويا أقتل الناس لأهل الدروع من غير حرب.

(٢) هكذا في «المخطوط»، ويكون المعنى على هذه الرواية: ليت عين الشمس

فداء عين هذه المرأة التي رجعت ولم تغيب.

ولكن في «الديوان» :

وَلَيْتَ عَيْنَ الْتِيَّ آبَ النَّهَارُ بِهَا فِدَاءُ عَيْنِ الْتِيَّ زَالَتْ وَلَمْ تَوْبِ

فيكون المعنى على هذه الرواية: ليت عين الشمس فداء عين هذه المرأة التي

فارت ولم تعد.

ولعلهُ هو الصواب؛ لأنَّ القصيدة قالها المتنبّي في رثاء أخت سيف الدولة

عندما توفيت. والله أعلم.

وقوله [في «العكبري» ١٢٢/١ من الكامل] :

بَابِي الشُّمُوسُ الْجَانِحَاتُ غَوَارِيَا اللَّابِسَاتُ مِنَ الْحَرِيرِ جَلَابِيَا

وقوله [في «العكبري» ١٦٩/١ من الطويل] :

أَفِدِي ظَبَاءَ فَلَاةٍ مَا عَرَفْنَا بِهَا مَضَعُ الْكَلَامِ وَلَا صَنَعَ الْحَوَاجِبِ^(١)

وقوله [في «العكبري» ١٨٨/٢ من البسيط] :

يَفِدِي بَيْنَكَ - عُيَيْدَ اللَّهِ - حَاسِدُهُمْ بِجَبْهَةِ الْعَيْرِ يُفْدِي حَافِرِ الْفَرَسِ^(٢)

وقوله [في «العكبري» ٢٠٢/٢ من الكامل] :

لَوْ جَادَتِ الدُّنْيَا فَدَتَكَ بِأَهْلِهَا [أَوْ جَاهَدَتْ كَتَبَتْ عَلَيْكَ حَيْسًا]^(٣)

وغير ذلك .

ويعجبني قولُ البحريّ [في «ديوانه» ٣٤/١ من مجزوء الكامل] :

التفدية عند البحري

نَفْسِي فِدَاؤُكَ إِنَّ حَظِّي كَوْنُ نَفْسِي فِي فِدَائِكَ

وقوله [في «ديوانه» ٧٥٦/٢ من الطويل] :

بِأَنْفُسِنَا ، لَا بِالطَّوَارِفِ وَالثَّلْدِ نَفِيكَ الَّذِي تُخْفِي مِنَ الشُّكْرِ أَوْ تُبْدِي
بِنَا - مَعَشَرَ الْعَافِينَ - مَا بِكَ مِنْ أَدَى فَإِنْ أَشْفَقُوا مِمَّا أَقُولُ فَبِي وَخَدِي

(١) يريدُ: تفضيلَ العريّاتِ ، وأنَّهُنَّ فصيحَاتُ لا يمضغنَ الكلامَ ، ولا يصغينَ

حواجبهنَّ كمادةِ نساءِ الحَصْرِ .

(٢) العَيْرُ: الحمار .

(٣) المعنى: لو كانتِ الدُّنيا ذاتَ جودٍ وكرمٍ . . لفدتكَ بأهلِها ، وأبقتكَ خالدًا . ولو

كانتَ غازيةً مجاهدةً . . لكانتَ وَقفاً عَلَيْكَ .

ودخل كُثيرٌ عزةَ يعوذَ عبدَ العزيزِ بنِ مروانَ ، فقالَ [في «ديوانه» فداء كثير لعبد
العزيز بن مروان : ٣١١ من الكامل] :

وَنَعُوذُ سَيِّدَنَا وَسَيِّدَ غَيْرِنَا لَيْتَ أَتَشْكُنِي كَانَ بِالْعَوَادِ
لَوْ كَانَ يُقْبَلُ فِدْيَةٌ لَفَدَيْتُهُ بِالْمُصْطَفَى مِنْ طَارِفِي وَتِلَادِي (١)
وقبلَ ذلكَ يقولُ قسُّ بنُ ساعدةَ في رثاءِ أخويه - اللذينِ بُنيَ لَهُ
مسجدٌ بجوارِ قبريهما يترهَّبُ فيه - مِنْ جملةِ أبياتِ [كما في «الأغاني»
٢٣٨/١٥ مِنْ الطويلِ] :

فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ لِنَفْسٍ وَقَايَةً لَجُدْتُ بِنَفْسِي أَنْ تَكُونَ فِدَاكُمَا (٢)
وقالَ متممٌ [مِنْ الطويلِ] :

فَلَوْ أَخَذْتَ مِنِّي الْمَمِيَّةَ أَنْفُسِي فَدَيْتَكَ مِنْهَا بِالسَّوَامِ وَبِالْأَهْلِ (٣)
فداء متمم لأخيه

- (١) المصطفى: المختار والمصطفى .
(٢) قال رجلٌ : يا رسولَ الله ، لقد رأيتُ مِنْ قسٍّ عجيباً ، قالَ : « وَمَا رَأَيْتَ ؟ » قالَ : بينا أنا بجبلٍ يقالُ لَهُ : سِمَعَانُ في يومٍ شديدِ الحرِّ . . إذا أنا بقسٍّ بنِ ساعدةَ تحتَ ظلِّ شجرةٍ عندَ عينِ ماءٍ ، وعندهُ سِباعٌ ، كلُّما زارَ سَبِعٌ مِنْها على صاحبه . . ضربَهُ بيدهِ ، وقالَ : كُفَّ حَتَّى يَشْرِبَ الَّذِي وَرَدَ قَبْلَكَ ، قالَ : ففزعْتُ ، فقالَ : لا تَنخَفُ .
وإذا أنا بقبرينِ بينهما مسجدٌ ، فقلتُ لَهُ : ما هذانِ القبرانِ ؟ قالَ : هذانِ قبرِ أخوينِ كانا لي فماتا ، فاتخذتُ بينهما مسجداً أعبدُ اللهَ جلَّ وعزَّ فيه حتَّى ألحقَ بهما ، ثمَّ ذكرَ أَيَّامهما ، فبكى عليهما ، ثمَّ أنشأ يقولُ :
خَلِيلِي هُبَا طَالَمَا قَدَّرْتُمَا أَجِدْكُمْ لَأَقْضِيَانِ كَرَاكُمَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي بِسَمْعَانَ مُقَرَّرٌ وَمَا لِي فِيهِ مِنْ حَبِيبٍ سِوَاكُمَا
القصيدة . فقالَ النبيُّ ﷺ : « يَرْحَمُ اللهُ قَسًّا ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُبْعَثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ » . أخرجه ضمن حديث طويل ابن شاهين عن ابن عباس رضي الله عنهما ، كما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في ترجمة قسٍّ من «الإصابة» (٢٨٦/٥) .

(٣) السَّوَامُ والسَّائِمُ بمعنى : وهو المالُ الراعي اهـ .

التفدية عند الصوفية وكم في التفدية الواقعية من حكايات جاءت عن السادة الصوفية بسلاسل الذهب من الأسانيد ، لا أطيل بذكرها ، مع إيماني بها والله الحمد .

ويزيدني طمأنينة ما أخرجهُ الحاكمُ [في «المستدرک» ٢/٣٢٥] على فداء آدم لداوود شرطٍ مُسلم ، وصحَّحهُ ، وأقرَّهُ الذهبيُّ : (أَنَّهُ لَمَّا عُرِضَتْ عَلَى آدَمَ ذُرِّيَّتُهُ .. أَعْجَبَهُ وَبَيَّضُ^(١) مَا بَيْنَ عَيْنَيْ دَاوُودَ ، فَسَأَلَ عَنْ عُمُرِهِ ، فَقِيلَ : سِتُّونَ سَنَةً ، فَقَالَ : يَا رَبِّ ، زِدْهُ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعِينَ ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِذَا يُكْتَبُ وَيُخْتَمُ ، فَلَا يُبَدَّلُ ، فَلَمَّا أَنْقَضَى عُمُرُ آدَمَ .. جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ يَقْبِضُ رُوحَهُ ، فَقَالَ : أَوْلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعُونَ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَوْلَمْ تَجْعَلْهَا لَابْنِكَ دَاوُودَ ؟! قَالَ : فَجَحَدَ .. فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ ، وَنَسِيَ .. فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ ، وَخَطِيءٌ .. فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ) .

فداء زيد بن الدثنة للنبي ﷺ وممَّا يَتَّصِلُ بِهِ : أَنَّ قَرِيشًا لَمَّا قَدِمَتْ بِزَيْدِ بْنِ الدُّثَيْنَةِ لِلْقَتْلِ .. قَالَ لَهُ أَبُو سَفْيَانَ : أَسْأَلُكَ اللَّهُ يَا زَيْدُ ، أَتَحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الْآنَ تُضْرَبُ عُنُقُهُ مَكَانَكَ ، وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، مَا أَحْبُّ أَنْ مُحَمَّدًا فِي مَكَانِهِ تَصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ ، وَإِنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي ، ثُمَّ قَتَلُوهُ^(٢) .

(١) وَبَيَّضُ : بَرِيقٌ .

(٢) قِصَّةُ سَيِّدِنَا زَيْدِ بْنِ الدُّثَيْنَةِ مَعَ قَرِيشٍ يَوْمَ الرَّجِيعِ أَخْرَجَهَا الْبَخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٣٠٤٥) ، أَمَّا سَوَالُ أَبِي سَفْيَانَ لَزَيْدٍ وَجَوَابُهُ لَهُ .. فَأَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «الْمَغَازِي» ، كَمَا فِي «سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ» (٣/١٧١) .

وقد وقاه ﷺ سبعة من الأنصار يوم أُحُد ، حتَّى رزقوا الشهادة الصالحة له
أجمعين (١) .

وقاه أيضاً عليه [الصلاة] والسلام طلحة بن عبيد الله يومئذ ،
حتَّى شلت يده (٢) .

وما زالت الصحابة - رضوان الله عليهم - تقول له عليه السلام :
نحورنا دون نحرك ، وصدورنا دون صدرك (٣) .

وفداه عليُّ ابنُ أبي طالب - كرم الله وجهه - بنفسه ليلة الهجرة ،
وبات مع ذلك رخيِّ البال ، متلقفاً بيرده على فراشه ، حتَّى يُروى
أنَّ الله جلَّ شأنه باهى به الملائكة .

وقد أخذ من هذا الفضل بالنصيب الأوفى الصديق ، ليالي
الهجرة والغار .

وكان أبو طالب يفديه بينه ، كلما نام بادلُه بأحدِ أبنائه في
مرقدِه ، طيلة ليالي الشعب .

ثمَّ إنَّ معنى الشطرِ الأخيرِ مِنَ البيتينِ متكرِّراً في « ديوانِ
الناظم » ، فمنه قوله [في « المُكبري » ٢٣٨/٢ مِنَ الطويل] :
الأيام الحلوة تمر
مسرعة عند المتنبّي

فَمَا جَلَسْتُ حَتَّى أُنْتِنْتُ تُوْسَعُ الْخُطَا كَفَاطِمَةَ عَنْ دَرِّهَا قَبْلَ تَرْضِعِهِ (٤)

(١) ذكرَ ابنُ سعدٍ في « الطبقات » (٤٢/٢) بإسناده أنَّ العصابة التي ثبتت مع النبي
أربعة عشر رجلاً ؛ سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ،
وسبعة من الأنصار .

(٢) أخرَج الخبرَ البخاريُّ (٣٨١١) .

(٣) ذكرَ ذلك البخاريُّ (٣٨١٢) .

(٤) أي : هي في سرعة توديعها كمن فطمت ولدها قبل أن ترضعه .

ولا يبعدُ عنه قوله [في «العكبري» ٦٩/٢ من الطويل] :

تَفَضَّلْتَ الْأَيَّامَ بِالْجَمْعِ بَيْنَنَا فَلَمَّا حَمِدْنَا لَمْ تُدِمْنَا عَلَى الْخَمْدِ

وهو مشتركٌ بين الشعراء .

وكذلك عند الشعراء
كل شيء يهون من أجل
الحبيب

قال العكوك [في «ديوانه» ٧٦ من الرَّمَل] :

كَابِدَ الْأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِ ثُمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَعَا^(١)

وقال كشاجم [في «ديوانه» ٢٦٧ من الكامل] :

لَمْ أَسْتِمَّ عِنَاقَهُ لِقُدُومِهِ حَتَّى ابْتَدَأْتُ عِنَاقَهُ لِوَدَاعِهِ

وقال ابن الأحنف [في «ديوانه» ٢٣١ من الخفيف] :

سَأَلُونَا عَنْ حَالِنَا كَيْفَ أَنْتُمْ ؟ فَفَرَرْنَا وَدَاعَنَا بِالسُّؤَالِ
مَا حَلَلْنَا حَتَّى افْتَرَقْنَا فَمَا نَف سِرْقُ بَيْنِ الْكُتُورِ وَالْأَزْتِحَالِ

وقال أبو الشَّيْصِ [في «ديوانه» ٥٣ من السريع] :

يَا حَبَّذَا الْزُّورُ الَّذِي زَارَا كَأَنَّهُ مُقْتَبِسٌ نَارَا
نَفْسِي فِدَاءً لَكَ مِنْ زَائِرِ مَا حَلَّ حَتَّى قِيلَ قَدْ سَارَا

ولا يخرجُ عنه قولُ أبي عبادة البُحْتَرِيِّ [في «ديوانه» ٥٢٩/١ من

الطويل] :

كَفَى حَزَنًا أَنَا عَلَى الْوَضْلِ نَلْتَقِي فَوَاقًا فَتَشِينَا الْعُيُونُ إِلَيَّ الصَّدَّ^(٢)
فَلَوْ تُمْكِنُ الشُّكُوبَى لَخَبَرَكِ الْبُكَأ حَقِيقَةً مَا عِنْدِي وَإِنْ جَلَّ مَا عِنْدِي

(١) المكابدة: المعاناة والمقاساة.

(٢) الفواق: الفترة بين وقتي الحلاب، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥].

وكلُّهُ مِنْ صُنْعِ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّهُ يَطْوِي الْبَيْدَ
 - كما في « الصحيح » [البخاري (٣٣٦٤)] - مِنْ (فَلَسْطِينِ) إِلَى
 (الْحِجَازِ) ؛ لِيُطَالَعَ تَرِكَتُهُ^(١) ، ثُمَّ لَا يَلْبِثُ أَنْ يَعُودَ مِنْ فُورِهِ .

وفي « طبقات ابن السبكي » [٣٢١/٤] : أَنَّ نِظَامَ الْمُلْكِ اسْتَقْبَلَ
 وَلَدَهُ ، وَفَلَذَةَ كَبِدِهِ غَدَاةَ يَوْمٍ مَرَجَعِهِ مِنْ سَفَرِ دِرَاسَتِهِ ، وَوَدَّعَهُ مِنْ
 الْعِشِيِّ إِلَى مَوْضِعِ عَمَلِهِ ، ثُمَّ بَكَى ، وَرَأَى أَنَّ الْبِسْتَانِيَّ أَسْعَدُ حَالًا
 مِنْهُ ، يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَيَتَمَتَّعُ بِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ .

وَمِمَّا يَنْخَرِطُ مِنَ النُّوَادِرِ فِي هَذَا السَّلْكِ : أَنَّ بَعْضَ الْأُمَرَاءِ قَلَّدَ
 ابْنَ حِجَاجٍ عَمَلًا ، خَرَجَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، فَتَبِعَهُ كِتَابُ الْعَزْلِ فِي
 يَوْمِ الْأَحَدِ ، فَقَالَ [في « تبيمة الدرر » ٩٤/٣ مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ] :

يَا مَنْ إِذَا نَظَرَ أَهْلًا لِي إِلَى مَحَاسِنِهِ سَجَدَ
 وَإِذَا رَأَتْهُ الشَّمْسُ كَا دَتْ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الْحَسَدِ
 يَوْمَ الْخَمِيسِ بَعَثَنِي وَصَرَفْتَنِي يَوْمَ الْأَحَدِ
 مَا قَامَ عَمَرُو فِي الْأَوْلَى يَهْ قَائِمًا حَتَّى قَعَدَ

وَقَبْلَ ذَلِكَ ، الرَّشِيدُ عَقَدَ لَجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى عَلِيَّ (خُرَاسَانَ) ،
 فَهَنَأَتْهُ الشُّعْرَاءُ ، وَمِنْهُمْ أَشْجَعُ بِقَوْلِهِ [في « ديوانه » ٨٠ و ٢٢٩ مِنْ الْمُتَقَارِبِ] : يَحْيَى وَعَزَلَهُ

تُرِيدُ الْمُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ
 وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغِنَى وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ

(١) تَرِكَتُهُ : ابنته إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر . كما جاء في القرآن : ﴿رَبَّنَا إِنِّي
 أَتَّكْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادِعٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

فَقُلْ لِحُرَّاسَانَ تَخِيَا فَقَدْ أَنَاهَا ابْنُ يَحْيَى الْفَتَى الْأَزْوَعُ
ثُمَّ بَدَا لِلرَّشِيدِ ، فَعَزَلَهُ عَنْهَا ، فَوَجَمَ جَعْفَرٌ ، فَقَالَ أَشْجَعُ [في
« ديوانه » ١٩٦ من السَّريع] :

أَضَحَّتْ حُرَّاسَانُ تُعَزِّي بِمَا أَخْطَأَهَا مِنْ جَعْفَرِ الْمُزْتَجَى
كَانَ الرَّشِيدُ الْمُعْتَلِي أَمْرُهُ وَلَى عَلَى مَشْرِقِهَا الْأَبْلَجَا
ثُمَّ أَرَاهُ رَأَيْتُهُ أَنَّهُ أَمْسَى إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَحْوَجًا (١)

توليته ﷺ لسعد وعزله
يوم الفتح
ولا ننسى مع هذا ما كان من سرعة عزله ﷺ لسعد بن عبادَةَ عن
الراية يومَ الفتح ، وجعل اللواءَ إلى ابنه قيسِ بنِ سعدِ بنِ عبادَةَ (٢) .

وبعدُ : فما يذكرُهُ الشعراءُ مِنْ تَقْلِيلِ وَقْتِ الْوَصَالِ ، وَتَقَارُبِ
حِينَ النُّزُولِ مِنْ حِينَ الْإِرْتِحَالِ :
ما القول الفصل في
هذه المسألة

- إِمَّا أَنْ يَكُونَ حَقِيقَةً ، كَمَا ذَكَرْنَا عَنِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

- وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ ؛ لِأَنَّ مَدَّةَ الْوَصْلِ قَصِيرَةٌ عِنْدَ

الْمُحِبِّ ، عَلَى حَدِّ قَوْلِ النَّازِمِ [في « الْمُكْتَبِيِّ » ٥٩/٢ مِنْ الطَّوِيلِ] :

نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى عِتَابًا عَلَى الصَّدِّ وَلَا خَفْرًا زَادَتْ بِهِ حُمْرَةُ الْخَدِّ (٣)
وَلَا لَيْلَةً قَصَّرْتَهَا بِقُصُورَةٍ أَطَالَتْ يَدِي فِي جِيدِهَا صُخْبَةَ الْعِقْدِ

وَالْبَيْتُ الثَّانِي هُوَ الَّذِي أُرِيدَ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْمَجْنُونِ [في « ديوانه »

٢٩٢ مِنْ الطَّوِيلِ] :

(١) القصة في « الأغاني » (٢٣٤/١٨) .

(٢) الخبر عند ابن سعد في « الطبقات » (١٣٥/٢) ، وكذا عند ابن سيد الناس في

« عيون الأثر » (١٧١/٢) .

(٣) الخَفْرُ : الحياءُ .

وَيَوْمَ كَظَلَّ الرَّوْمِحُ قَصْرَتُ ظِلِّهِ بِلَيْلِي فَلَهَا نِي وَمَا كُنْتُ لَاهِيَا

والقصيرة والقصورة تحتل عددة معانٍ ؛ لأنه :

معاني القصيرة

والمقصورة

١- قصر الخطو

- إما أن يكون المراد منها : قصر الخطو ، ومنه قول القحيف

العقيلي [من الطويل] :

سَقَى وَرَعَى اللهُ الْأَوَانِسَ كَالدَّمَى إِذَا قُمْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ

إِذَا مَسْنَ قُدَامَ الْبَيْتِ عَشِيَّةً قِصَارَ الْخَطَى يَزْفُلْنَ فِي الْجِبَرَاتِ (١)

دَعَوْنَ بِحَبَاتِ الْقُلُوبِ فَاسْرَعَتْ إِلَيْهِنَّ بِالْأَهْوَاءِ مُبْتَدِرَاتِ

وقول أبي العتاهية [في «ديوانه» ٦١٢ من المتقارب] :

بَدَتْ بَيْنَ حُورٍ قِصَارِ الْخَطَى تَجَاهِدُ بِالْمَشْيِ أَكْفَالَهَا

ويدخل فيه كل ما يأتي في ثقل الروادف ، وعظم المآكم ، عندما

تنتهي إليه النوبة إن شاء الله تعالى .

قصر الخطو مذموم في

الرجال

وعلى استحسانه في النساء ، فهو مذموم في الرجال ، إذا جاوز

الحد الذي رسمه لقمان في قوله لولده : ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ [لقمان :

١٩] ، ولا سيما إذا أنتهى إلى السماوت الممقوت فاعله .

- وإما أن يكون المراد منها : قصر النظر ، على حدّ قوله

٢- قصر النظر

تعالى : ﴿ قَصْرَتْ الطَّرْفُ أَنْزَابُ ﴾ [ص : ٥٢] .

ومنه قول قيس بن ذريح [في «ديوانه» ٨٨ من الطويل] :

أَذُودُ سَوَامِ الطَّرْفِ عَنكَ وَمَا لَهُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ طَرِيقُ (٢)

(١) مِسْنٌ : تبختزن ، وكذلك : يَزْفُلْنَ . الْجِبَرَاتُ - جمعُ جِبْرَةٍ - : وهو ثوب من

قطن أو كتان أو حرير مخطط ، يُصْنَعُ بِ(اليمين) ، ترتديه النساءُ .

(٢) أذودُ : أمتع وأدفع . أسام إليه يبصره : رماه به .

- وإِذَا أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : لِزَامِ الْخُدُورِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ :

﴿ حُرِّدَ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٢] .

وَقَالَ كُنَيْزٌ [في «ديوانه» ٣٦٩ مِنْ الطويل] :

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّيْتُ كُلَّ قَصِيرَةٍ إِلَيَّ وَلَمْ تَشْعُرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرُ
عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أُرِدْ قِصَارَ الْخَطَى ، شَرُّ النَّسَاءِ الْبَحَائِرُ (١)

وهذا لا يُخَالِفُ مَا سَبَقَ عَنِ الْقَحِيْفِ ؛ لِفَرْقِ مَا بَيْنَ الْبَابَيْنِ ؛ إِذِ
الْمِرَادُ قِصْرُهَا ثُمَّ مِنَ الْرَوَادِفِ ، وَهَذَا الْمَذْمُومُ قِصْرُهَا مِنْ
الْقِمَاءَةِ (٢) .

وَقَالَ أَبُو قَيْسِ بْنِ الْأَسْلَتِ [كما في «الأغاني» ١٧/١٣٣ مِنْ الطويل] :

وَيُكْرِمُنَهَا جَارَاتُهَا فَيَزُرُنَهَا وَتَعْتَلُّ عَنِ إِتْيَانِهِنَّ فَتَعْدُرُ
وَلَيْسَ بِهَا أَنْ تَسْتَهِينَنَّ بِجَارَةٍ وَلَكِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ تَخِيًا وَتُخْفَرُ
وَإِنْ هِيَ لَمْ تَبْرُزْ لَهُنَّ أَتَيْنَهَا نَوَاعِمَ بِنِضًا مَشِيهِنَّ التَّاطُرُ (٣)

وَعَنِ الْهَيْشَمِ بْنِ عَدِيٍّ ، قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ صَالِحِ بْنِ حَسَّانَ ،
أَشْدُونَا بَيْتًا خَفِرًا

(١) القصاصير - جمعُ قَصِيرَةٍ - : وَهِيَ الْمَرْأَةُ الْمَحْبُوسَةُ الْمَحْجُوبَةُ الْمَصُونَةُ فِي الْبَيْتِ
لَا تُتْرَكُ أَنْ تَخْرُجَ . قَصِيرَاتُ الْحِجَالِ : الْحَجَلَةُ ، مِثْلُ الْقَبِيَّةِ تُزَيَّنُ بِالثِيَابِ
وَالْأَسْرَةِ وَالسُّتُورِ . الْبَحَائِرُ - جَمْعُ بُحْتَرَةٍ - : وَهِيَ الْمَرْأَةُ الْقَصِيرَةُ الْمَجْتَمِعَةُ
الْخَلْقِي . وَالْمِرَادُ : أَنَّهَا حَبَّيْتُ إِلَيْهِ كُلَّ أَمْرَةٍ مَقْصُورَةٍ فِي خِدْرِهَا لَا الْقَصِيرَةَ فِي
خَلْفِهَا .

(٢) الْقِمَاءَةُ ، يُقَالُ : قَمَّاتِ الْمَاشِيَةُ : سَمِنَتْ . قَالَ الشَّاعِرُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْقِمَاءَةَ ذِلَّةٌ وَأَنَّ أَعْزَاءَ الرِّجَالِ طِبَالُهَا
(٣) تُخْفَرُ - مِنْ الْخَفَرِ بِالتَّحْرِيكِ وَسَلَفَ - : شِدَّةُ الْحَيَاءِ . التَّاطُرُ : التَّشْتِي فِي
الْمَشْيِ .

فَقَالَ : أَنشِدُونَا بَيْتاً خَفِيراً فِي أَمْرَةِ خَفِيرَةَ ، فقلنا قولَ الأعشى (في ديوانه « ٣٠٠ من البسيط » :

كَأَنَّ مَشِيئَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلٌ
فَقَالَ : هَذِهِ خَرَّاجَةٌ وَلَاجَةٌ ، لَكِنَّ الْمَقْبُولَ قَوْلَ ابْنِ الْأَسْلَمِ ،
وَأَنشَدَ الْأَبْيَاتَ (١) .

وَقَالَ الْعَتَبِيُّ : خَرَجْتُ إِلَى (الْمَرْبِدِ) (٢) ، فَإِذَا بِأَعْرَابِيٍّ غَزِيلٍ ، الْعَتَبِيُّ وَالنِّسَاءُ
فَمِلْتُ إِلَيْهِ ، وَذَكَرْتُ النَّسَاءَ ، فَتَنَفَّسَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبْنَ أَخِي ، إِنَّ
مِنْ كَلَامِهِنَّ لَمَّا يَقُومُ مَقَامَ الْعَذْبِ عَلَى الظَّمَا ، فَقُلْتُ : كَيْفَ
نَسَاؤُكُمْ ؟ فَقَالَ [مِنَ الْكَامِلِ] :

رُجِحٌ وَلَسَنٌ مِنَ اللَّوَاتِي بِالضُّحَى لِيَذْيُولِهِنَّ عَلَى الطَّرِيقِ غُبَارُ
يَأْتِسْنَ عِنْدَ بُعُولِهِنَّ إِذَا خَلَوْا وَإِذَا هُمُومًا خَرَجُوا فَهِنَّ خِفَارُ
وَقَوْلُهُ : (لَسَنٌ . . . لِيَذْيُولِهِنَّ عَلَى الطَّرِيقِ غُبَارُ) كِنَايَةٌ عَنْ
مِلَازِمَةِ الْبَيْوتِ ؛ لِأَنَّهُمْ كَثِيرًا مَا يَقْصِدُونَ نَفْسِي الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ بِإِنْتِفَاءِ
صِفَتِهِ ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْبَيْتِ .

نفس المحكوم عليه
بانتهاء صفة

وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ الْحَكَافًا ﴾ [البقرة :
٢٧٣] ، فَإِنَّهُ لَيْسَ الْمَعْنَى إِثْبَاتُ السُّؤَالِ ، وَنَفْيُ الْإِلْحَافِ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا
الْغَرَضُ نَفْيُ السُّؤَالِ مِنْ أَصْلِهِ .

(١) كما في « الأغاني » (١٧/١٣٠) وهي :

وَيَكْرَهُهَا جَارَاتُهَا فَيُزْرَنُهَا وَتَعْتَلُّ عَنْ إِتْيَانِهِنَّ فَتُعَذَّرُ
وَلَيْسَ لَهَا أَنْ تَسْتَهِينُ بِجَارَةٍ وَلَكِنهَا مِنْهُنَّ تَحِيًّا وَتَخْفَرُ
(٢) المرید : قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كُلُّ شَيْءٍ جَلَسْتَ بِهِ الْإِبْلُ وَالْغَنَمُ ؛ وَلِهَذَا قِيلَ : مَرِيدُ
النَّعَمِ الَّذِي بِ(الْمَدِينَةِ) ، وَبِهِ سُمِّيَ مَرِيدُ (الْبَصْرَةِ) ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ هُنَا .

مثاله من السنة وكما في قولهم عن مجلسه عليه السلام : (لا تُتَشَى فَلَائِهُ) (١) ،
فلا يُفْهَمُ منه أَنَّ هناكَ فَلَائِ تَطَوُّى ولا تروى ، وَلَكِنَّ المرادَ أَنَّ
لا فَلَائِ أَصْلاً .

مثاله من الشعر ومنهُ قولُ كعبِ بنِ سعدِ الغنويّ [في «خزانة الأدب» ١٠/٣٥] مِنْ
الطويلِ] :

أَخِي مَا أَحْيَى لَأَفَاحِشٍ عِنْدَ بَيْتِهِ وَلَا وَرَعٌ عِنْدَ الْلِقَاءِ هَيْبُوتُ
فقد قصدَ فيه إلى نفي الفُحْشِ بَتّاً ، لا بقيدٍ ما كانَ منه عندَ بيته .

قول ابن الأثير في هذه ولقد أسرفَ على نفسه أبو الفتح ابن الأثير [الجزري] ؛ إذ قال
المسألة في مثلِ هذا المبحثِ (٢) : مكثتُ زمناً أطوفُ على أقوالِ الشعراءِ ؛
لأظفرَ بما يجري هذا المجرى ، فلمَ أجدُ إلا قولَ امرئِ القيسِ [مِنْ
الطويلِ] :

عَلَى لَأَحِبِّ لَأَ يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ [إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ الْبُاطِي جَرْجَرًا] (٣)

ولي فيه بيتٌ مِنَ الشُّعْرِ ، وهو [في «المثل السائر» ٢/٦٢ مِنْ الكاملِ] :
أَدْنَيْنِ جِلْبَابِ الْحَيَاءِ فَلَا يُرَى لِذُبُولِهِنَّ عَلَى الطَّرِيقِ غُبَارُ
إِذْ لَمْ يَزِدْ بِهِذَا الْإِنْتِحَالَ عَلَى أَنْ فَضَحَ نَفْسَهُ بِمَا يَضِيقُ عَنْهُ رد المؤلف عليه
دَرَعاً ، بِشَهَادَةِ التَّنَافُرِ بَيْنَ الْقَسَمِينَ فِي بَيْتِهِ ، وَتَنَاسُيْهِمَا فِي بَيْتِ
الْأَعْرَابِيِّ .

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٥٤/٢٢) . وقوله : (لا تُتَشَى فَلَائِهُ) .
الفَلَائِثُ - جمعُ فَلَائَةٍ - : الزَّلَأتُ ؛ أي : لم يكن في مجلسه زلَأتٌ فَتُحْفَظُ
وتُحْكَى .

(٢) في «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» ٢/٦٢ .

(٣) لَأَحِبُّ : طريقٌ واضح .

أَمَّا الشواهدُ الشعريةُ عليه : فستأتي أوَّلَ المجلسِ الثالثِ ،
بمناسبةِ قوله [في « المكبري » ٣٠٤/١٠ من المشرح] :

يُعْطِي فَلَا مَطْلُهُ يُكْذِرُهَا بِهَا وَلَا مَنُّهُ يُنْكَدُّهَا

تشبيه ليلة القرب وليل
الصد وكثرته عند
الشعراء

ثُمَّ مَا زَالَ الشُعْرَاءُ يُشَبِّهُونَ لَيْلَةَ الْقُرْبِ بِفِتْرِ الضَّبِّ ، وَإِبْهَامِ
الْقَطَاةِ^(١) ، كَمَا يَسْتَعْبِرُونَ لِلَّيْلِ الصَّدُّ ظِلُّ الرُّمَحِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

قال جريرٌ [في « ديوانه » ٩٦٤/٢ من الطويل] :

وَيَوْمٍ كَأَيْبِهِامِ الْقَطَاةِ مُزَيْنٍ لَدَيْ صِبَاهُ غَالِبٍ لِي بَاطِلُهُ

وقال الوليدُ بنُ يزيدَ [في « ديوانه » من البسيط] :

لَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَغْيِيرًا لِمَا صَنَعْتَ نَامَتْ وَقَدْ أَنَسَهَرْتَ عَيْنِي عَيْنَاهَا
فَاللَّيْلُ أَطْوَلُ شَيْءٍ حِينَ أَفْقَدُهَا وَاللَّيْلُ أَقْصَرُ شَيْءٍ حِينَ أَلْقَاهَا

وقال آخرُ [من الخفيف] :

لَيْلَةٌ كَادَ يَلْتَمِي طَرْفَاهَا قِصْرًا وَهِيَ لَيْلَةُ الْإِجْتِمَاعِ

وقال غيرهُ [من الوافر] :

ظَلَلْنَا عِنْدَ دَارِ أَبِي نُعَيْمٍ بِيَوْمٍ مِثْلَ سَالِفَةِ الدُّبَابِ^(٢)

وقال ابنُ الأَحنفِ [في « ديوانه » ١٢٠٠ من السريع] :

الْيَوْمُ مِثْلُ الْحَوْلِ حَتَّى أَرَى وَجْهَكَ وَالسَّاعَةَ كَالشَّهْرِ

(١) يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي الْأَشْيَاءِ الْقَصِيرَةِ الَّتِي هِيَ كَالْخِيَالِ بِفِتْرِ - شِبْرِ - الضَّبِّ ، وَإِبْهَامِ
الْقَطَاةِ ؛ لِأَنَّهَا لَا فَتْرَ لَهُ ، وَلَا إِبْهَامَ لَهَا أَصْلًا .

(٢) سَالِفَةُ الدُّبَابِ : عُنُقُ السِّيفِ ، وَالْمَعْنَى : يَوْمُهُمْ قَصِيرٌ كَقِصْرِ عُنُقِ السِّيفِ .

وقال الصِّمَّةُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ [في «ديوانه» ٧٩ من الوافر]:

شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهْنٌ وَلَا سِرَارٍ^(١)
فَأَمَّا لَيْلُهُنَّ فَخَيْرٌ لَيْلٍ وَأَقْصَرُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّهَارِ

وقد يشبهه قولُ ابنِ الروميِّ [في «ديوانه» ٤/١٤٧٣ من الطويل]:

سَقَى اللَّهُ أَوْطَاراً لَنَا وَمَآرِباً تَقَطَّعَ مِنْ أَقْرَانِهَا مَا تَقَطَّعَا
لَيْلِي أَنْسْتَنِي حِسَابَ زَمَانِهَا بِلَهْنِيَّةٍ أَفْضِي بِهَا الْحَوْلَ أَجْمَعَا^(٢)

وقال الفقيهُ الشافعيُّ أسعدُ بنُ يحيى السَّنْجَارِيُّ [في «وفيات الأعيان»

٢١٦/١ من السريع]:

لِلَّهِ أَيَّامِي عَلَى رَامَةٍ وَطِينِبُ أَوْقَاتِي عَلَى حَاجِرِ
تَكَادُ بِالسُّرْعَةِ فِي مَرِّهَا أَوْلُهَا يَغْتُرُّ بِالْآخِرِ

تمثل السيدة عائشة ولا يخرجُ عنه قولُ مُتَمِّمِ بنِ نُويرةَ [في «المفضليات» ٣/١١٧٧ من
شعر متعمم بن نوية الطويل]- وقد تمثلت به عائشةُ عندَ قبرِ أخِ لها^(٣) - :

وَكُنَّا كَنَدْمَانِي جَدِيْمَةً حِقْبَةً مِنْ أَلْذَهْرِ حَتَّى قَبِلَ لَنْ نَتَصَدَّعَا^(٤)

(١) السرار - سرر الشهر ، بالتحريك - : آخرُ ليلةٍ منه .

(٢) البلهنية : الرخاءُ وسعةُ العيش .

(٣) تمثلت بهما السيدة عائشة - رضي الله عنها - عند قبر أخيها عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم . انظر : «الأغاني» (١٧/٣٦١) .

(٤) ندماني جديمة : هما عقيل ومالك ابنا فالج ، وجديمة : هو ابن مالك الأسدي أول ملوك الحيرة ، ولهما معه قصة حاصلها كما في «الأغاني» (٣٠٢/١٥) :

أَنَّ جَدِيْمَةً قَالَ يَوْمًا لِحِلسَاتِهِ : قَدْ ذَكَّرَ لِي غَلَامٌ لِحَمِيٍّ مَقِيمٌ فِي أَحْوَالِهِ مِنْ =

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لِطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

وهما من قصيدة له شاعرة محرّكة ، يقول فيها [في «المفضليات»

١١٨٧-١١٨٨ من الطويل] :

وَمَا وَجَدُ أَظَارٍ ثَلَاثِ رَوَائِمِ رَأَيْنَ مَجْرَأً مِنْ حُورٍ وَمَصْرَعًا^(١)

= إيادٍ ، له ظُفْرٌ ولَبٌّ ، فلو بعثتُ إليه يكونُ في نُدماي ، ووليتُهُ كاسي والقيام بمجلسي . . كانَ الرأيُ ؟ فأَيِدوه ، فبعثتُ إليه ومكثتُ عندهُ مدَّةً طويلةً ، ثمَّ أشرفْتُ عليه يوماً رقاشٍ أختُ جَدِيمةً ، فلم تزل تُراسلُهُ حتَّى اتَّصلَ بيْنَهُما ، ثمَّ قالتُ له : يا عددي ، إذا سقيتُ القومَ . . فأمزج لهم ، وأسقي أخي صِرْفًا ، فإذا أخذتُ منه الخمرُ فأخطِبيني إليه ، فإنه يزوِّجك ، وأشهدُ القومَ عليه إن هو فعل ، ففعلَ الغلامُ ذلكَ وأنصرفَ إليها بالخبر ، فقالت : عرسُ بأهلك ، ففعل ، فلما أصبح . . غدا مُصْرَجًا بِالخَلُوقِ ، فقالَ له جَدِيمةُ : ما هذه الآثَارُ يا عددي ؟ قالَ : آثَارُ العُرسِ ، قالَ : أَيُّ عُرْسٍ ؟ قالَ : عرسُ رقاشٍ ، فغضبَ جَدِيمةُ ، وهربَ عددي ، فطلبه جَدِيمةُ فلم يدركهُ ، وسجنَ أختَهُ في قصره ، واشتملت على حمل فولدت غلاماً وسَمَّتهُ عمراً ، وربَّتهُ حتَّى كَبُرَ ، ثمَّ دخلَ على خاله الملكِ بأبهي حُلَّةٍ ، فأحبَّه حبًّا شديدًا ، وقرَّبَهُ إليه . ثمَّ إنَّ الجنَّ اختطفته ، فلم يزل جَدِيمةُ يبحثُ عنه فلم يسمَعْ له بخبر .

ثمَّ أقبلَ رجلان - هما عقيل ومالك ابنا فالج - يريدان الملكَ بهدية ، فنزلا على ماء فيبينا هما يأكلان إذ أقبلَ رجلٌ أشعثُ أغبرٌ فنالاهُ شيئاً فأكلهُ ، ثمَّ سألاه عن اسمه ، فقالَ : إنَّ تُنكراني أو تُنكرنا نسبي فإنني عمروٌ وعددي أبي ، فقاما إليه ، فحسنا هيتتهُ ، وقالا : ما كُنَّا لنهدي إلى الملكِ هديةً عندهُ من ابنِ أختِهِ ، فبشرا الملكَ به ، فسُرَّ سروراً عظيماً ، وقالَ لهُما : أحكما ، فلكما حُكْمُكما ، قالَا : منادمتُك ما بقيتَ وبقينا ، فمكثنا عندهُ أربعينَ سنةً على تلكَ الحالِ ، حتَّى قُتِلَ الملكُ على يدِ الزُّبَّاءِ في قصَّةٍ لا حاجةَ لذكرها .

(١) أَظَارٌ - جمعُ ظنيرٍ - : وهي المرضعةُ لغير ولدها من الناس والإبل . الروائمُ - جمع رائمٍ - : وهي الناقةُ العاطفةُ على ولدها . المجرؤُ : أحشاءُ الحوارِ . والحوارُ : ولد الناقةِ من حين يرضعُ إلى أن يفطمَ ويفصل .

يُذَكِّرُنَ ذَا أَلْبَثِّ الْحَزِينِ بَيْتِهِ إِذَا حَنَّتِ الْأُولَى سَجَعْنَ لَهَا مَعَا
بِأَوْجَعِ مِنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ مَالِكَا وَقَامَ بِهِ النَّاعِي الرَّفِيعُ فَأَسْمَعَا

وبعدها البيتان ، ثُمَّ قَالَ [في «المفضليات» ٣/ ١١٧٨] :

وَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا فَقَدْ بَانَ مَخْمُودًا أَخِي حِينَ وَدَعَا
لَقَدْ كَفَرْنَا الْمِنهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ فَتَى غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا

ويأتي ما يشبهها في تحريك الأشجان ، وإثارة البلابل ، عند

شرح قوله [في «المكبري» ٢/ ٢٣٦ من الطويل] :

وَلَوْ حُمِلَتْ صُمُّ الْجِبَالِ الَّذِي بِنَا [غَدَاةَ أَفْتَرَقْنَا أَوْشَكْتَ تَصَدَّعُ]

من آخر المجلس الخامس عشر إن شاء الله تعالى .

وقال ابن ميادة [في «ديوانه» ٢٠٦ من الطويل] :

تَمَّتْ بِذَا الْيَوْمِ الْقَصِيرِ فَإِنَّهُ رَهِينٌ بِأَيَّامِ الدُّهُورِ الْأَطَاوِلِ كن صياد فرص

وقال أبو تمام [في «ديوانه» ٣/ ١٥١-١٥٢ من الكامل] :

مَرَّتْ لَنَا أَعْوَامٌ وَصَلِي بِالْحِمَى فَكَأَنَّهَا مِنْ قُضْرِهِمَا أَيَّامٌ
ثُمَّ أَنْشَتْ أَيَّامٌ هَجَرَ بَعْدَهَا فَكَأَنَّهَا مِنْ طُولِهَا أَعْوَامٌ
ثُمَّ أَنْقَضَتْ تِلْكَ السُّنُونََ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامٌ

وأصل المعنى من قول امرئ القيس [في «ديوانه» ١٥١-١٥٢ من

الطويل] :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْحَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَتَلَيَّ
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّكِلٍ (١)

(١) ناء : حط . الكلكل : الصدر من كل شيء .

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الْإِضْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْتَلٍ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلِ شَدَّتْ بِيَذْبَلِ (١)

وَالْأَخِيرُ مِنْ قَوْلِ خَالِهِ مُهْلَهْلٍ [مِنْ الْوَاغِي] :

فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَابِ طَالَ لَيْلِي فَقَدْ أَبْكَيَ مِنْ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ (٢)
كَأَنَّ الْجَذِي فِي مَثْنَاءِ رَبِّي أَسِيرٌ أَوْ بِمَنْزِلَةِ الْأَسِيرِ (٣)

وَالثَّانِي هُوَ الَّذِي أَعْنِي .

وَقَالَ حُنْدُجُ الْمُرِّي [فِي « دِيْوَانِهِ » مِنْ الْبَسِيطِ] :

لَيْلٌ تَحَيَّرَ مَا يَنْحَطُّ فِي جِهَةِ كَأَنَّهُ فَوْقَ مَثْنِ الْأَرْضِ مَشْكُؤُلُ
نُجُومُهُ رُكَّدٌ لَيْسَتْ بِزَائِلَةٍ كَأَنَّمَا هُنَّ فِي الْجَوِّ الْقَنَادِيلُ (٤)
مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُذْنِبِي عَلَى شَحَطِ مَنْ دَارُهُ الْخَزْنُ مِمَّنْ دَارُهُ صُؤُلُ (٥)

ثُمَّ تَعَاوَرَتْهُ أَيْدِي الْمَتَأَخِّرِينَ ، فَتَنَوَعُوا فِيهِ ، وَكَانَ الْإِمَامُ الْرَافِعِيُّ
كثيراً مَا يُنْشِدُ لغيرِهِ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

وَاللَّهِ مَا سَهَرَنِي إِلَّا لِتُعْدِيهِمْ وَلَوْ أَقَامُوا لَمَا عُدْبْتُ بِالسَّهَرِ
عَهْدِي بِهِمْ وَرِدَاءُ الْوَصْلِ يَجْمَعُنَا وَاللَّيْلُ أَطْوَلُهُ كَاللَّمْحِ بِالْبَصْرِ
وَالآنَ لَيْلِي إِذْ ضُنُّوا بِزُورَتِهِمْ لَيْلُ الْضَّرِيرِ فَتَوَمَّي غَيْرُ مُتَنَظَّرِ

(١) مُغَارُ الْفَتْلِ : الْحَيْلُ الْمَفْتُولُ جَيْدًا . يَذْبَلُ : جَبَلٌ فِي بِلَادِ نَجْدٍ .

(٢) الذَّنَابُ : مَوْضِعٌ بِنَجْدٍ ، قَالَ ابْنُ بَرِي : هُوَ عَلَى يَسَارِ طَرِيقِ مَكَّةَ .

(٣) مَثْنَاءُ رَبِّي : حَيْلٌ تَرْبَطُ بِهِ صِغَارُ الْغَنَمِ وَالْمَعَزِ .

(٤) رُكَّدٌ - جَمْعُ رَاكِدٍ - : وَهُوَ الثَّابِتُ الَّذِي لَا يَتَحَرَّكُ .

(٥) الْخَزْنُ : طَرِيقٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَخَبِيرٍ . صُؤُلُ : مَدِينَةٌ فِي بِلَادِ الْخَزَرِ ، فِي نَوَاحِي
بَابِ الْأَبْوَابِ .

وقال بعض أهل الأندلس^(١) :

وَمُرْتَجَّةِ الْأَعْطَافِ أَمَا قَوْمُهَا فَلَدْنُ وَأَمَا رَدْفُهَا فَرَدَاخُ^(٢)
الْمَتِّ فَصَارَ اللَّيْلُ مِنْ قِصْرِ بِهِ يَطِيرُ وَمَا غَيْرُ السُّرُورِ جَنَاحُ
وَبِتُّ وَقَدْ زَارَتْ بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ تُعَانِقُنِي حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحُ
عَلَى عَاتِقِي مِنْ سَاعِدَيْهَا حَمَائِلُ وَفِي خَضْرَاهَا مِنْ سَاعِدَيَّ وَشَاحُ

وقال ابن زيدون - من أبيات يودعُ بها ولادة مطلع الفجر من ليلة

وصل - [في «ديوانه» ١٢ من الرَّمَل] :

إِنْ يَطُلْ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكُمْ بِتُّ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ

وقال [في «ديوانه» ٥ من البسيط] :

حَالَتْ لِبَيْنِكُمْ أَيَّامُنَا فَعَدَّتْ سُودًا وَكَانَتْ بِكُمْ بَيْنًا لِيَالِينَا

وقال أبو عبادَةَ [البُحْتَرِيُّ فِي «ديوانه» ١٢٥٧/٢ من السريع] :

طَوَّلَ هَذَا اللَّيْلَ أَنْ لَا كَرِي يُرِيكَ مَنْ تَهَوَّى وَأَنْ لَا هُجُوعُ

وقال [في «ديوانه» ١٤٩٠/٣ من الطويل] :

لَقَاسِنَ لَيْلًا دُونَ (قَاسَانَ) لَمْ تَكْذُ أَوْ آخِرُهُ مِنْ بَعْدِ قُطْرِيهِ تُلْحَقُ^(٣)

وقال المَعْرِيُّ [في «سَفَطِ الزُّنْدِ» ٢٣٠-٢٣١ من الطويل] :

وَلَيْلَيْنِ : حَالٍ بِالْكَوَاكِبِ جَوْزُهُ وَآخِرُ مِنْ حَلِي الْكَوَاكِبِ عَاطِلُ

(١) وهو ابن الزقاق كما في «نفع الطيب» (٢٩٨/٤) من الطويل .

(٢) اللَّدْنُ : اللَّيْنُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْأُنْثَى لِدَنَةٌ : رِيَّةُ الشَّبَابِ نَاعِمَةٌ . وامرأة رداخ : عجزاء ثقيلة الأوراك تائمه الخلق .

(٣) قاسان - ويقال : قاشان وكاشان - : بلد في (إيران) ، بين (قم) و(أصفهان) .

كَأَنَّ دُجَاهُ الْهَجْرُ وَالْفَجْرُ مَوْعِدٌ بَوْضِلٍ وَضَوْءِ الصُّبْحِ حَبٌّ مُمَاطِلٌ
تَطَعْتُ بِهِ بَحْرًا يَعُبُّ عَبَابُهُ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا التَّبْلُجُ سَاحِلٌ^(١)

وقال ألوأواء الدمشقي [في «ديوانه» ٧٦ من الوافر] :

وَلَيْلٍ مِثْلِ يَوْمِ الْبَيْنِ طُولًا إِذَا أَفَلَتِ كَوَاكِبُهُ تَعُودُ
بَدَائِعُ نَوْمِهَا فِيهِ أَنْبَاءُ فَأَعْيُنُهَا مُفْتَحَةٌ رُقُودٌ^(٢)

وقال أيضاً [في «ديوانه» ٨٦ من الوافر] :

وَلَيْلٍ مِثْلِ يَوْمِ الْحَشْرِ طُولًا كَأَنَّ ظَلَامَهُ لَوْنُ الصُّدُودِ
يَبَاضُ هِلَالِهِ فِيهِ سَوَادٌ كَأَثَرِ اللَّطْمِ فِي بَيْضِ الْخُدُودِ^(٣)

وقال علي بن الخليل [من الطويل] :

يَقُولُونَ طَالَ اللَّيْلُ وَاللَّيْلُ لَمْ يَطُلْ وَلَكِنَّ مَنْ يَهْوَى مِنَ الشُّوقِ يَسْهَرُ
أَنَا مَ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَهَّدَ مَضْجَعِي وَأَفْقَدُ نَوْمِي حِينَ أُجْفَى وَأُهْجَرُ
فَكَمْ لَيْلَةٌ طَالَتْ عَلَيَّ لِصَدِّهَا وَأُخْرَى الْأَقْيَمَاءِ بَوْضِلٍ فَتَقْصُرُ

وقال آخر [من البسيط] :

سَهَرْتُ لَيْلَاتٍ وَضِلُّ فَرْحَةً بِهِمْ وَلَيْلَةَ الْهَجْرِ كَمْ قَضَيْتُهَا سَهْرًا
إِذَا تَقَضَّى زَمَانِي كُلُّهُ سَهْرًا فَمَا أَبَالِي أَطَالَ اللَّيْلُ أَمْ قَصُرًا

(١) الليلان : هما الليل و فرسه الأدهم الذي يشبه الليل بسواده . حال : أي ليل حال من الحلية ، وحلية الليل : نجومها . جوزة : وسطه . عاطل : ليس حالياً ، وهو فرسه الأدهم . التبلج : إشراق الصباح .

(٢) في «الديوان» : (يدافع نومها) بدل (بدائع نومها) .

(٣) في «الديوان» : (يقق الخدود) بدل (بيض الخدود) . واليقق : شديد البياض ناصعاً .

تفنن المتنبّي في هذا
الموضوع وكثرته عنده

والمعنى متكرّر عند الناظم بكثرة ؛ فمنه قوله [في «المكبري» ٣٦٤/٢] :
مِنَ الْخَفِيفِ] :

قَصَّرَتْ مُدَّةَ اللَّيَالِي الْمَوَاضِي فَأَطَالَتْ بِهَا اللَّيَالِي الْبَوَاقِي
وقوله [في «المكبري» ٥٨/١] مِنَ الطَّوِيلِ] :

ذَكَرْتُ بِهِ وَضَلًّا كَانَ لَمْ أَفْزِ بِهِ وَعَيْشًا كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَنَبَا
وقوله [في «المكبري» ١٤٠/١] مِنَ الْوَاغِي] :

وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ يَظَلُّ بِلَخْظِ حُسَّادِي مَشُونَا
وقوله [في «المكبري» ٩٥/٣] مِنَ الطَّوِيلِ] :

لَيَالِي بَعْدَ الظَّاعِنِينَ سُكُورٌ طَوَالٌ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلٌ^(١)
وقوله [في «المكبري» ٢٦٨/٢] مِنَ الْكَامِلِ] :

النُّومُ بَعْدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرٌ وَاللَّيْلُ مُعْيٍ وَالْكَوَاكِبُ ظَلَعٌ^(٢)
وقوله [في «المكبري» ٧٢/٢] مِنَ الْمُنْسَرِحِ] :

مَا بَالُ هَذَا الْجُوزِ حَائِرَةٌ كَأَنَّهَا الْعُمِي مَا لَهَا قَائِدُ
وقوله [في «المكبري» ١١٨/٢] مِنَ الْبَسِيطِ] :

مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لَا صَبَاحَ لَهُ كَأَنَّ أَوَّلَ يَوْمِ الْحَشْرِ آخِرُهُ
وقوله [في «المكبري» ١٣٥/٢] مِنَ الْكَامِلِ] :

تُدْمِي خُدُودَهُمُ الدُّمُوعُ وَتَنْقِضِي سَاعَاتُ لَيْلِهِمْ وَهِنَّ دُهُورُ

(١) الشُّكُورُ - جمعُ شَكْلٍ - : وشكّل الشيء مثله . وجمعُ القَلَّةِ : أَشْكَالٌ . وَأَتَى
ها هنا بجمع الكثرة ؛ لأنّه أبلغ في شكوى الحال .
(٢) الظَّلْعُ : العَرَجُ ، وقصد : أنّ النجوم بطيئة السير .

وقد غبّر أبو نؤاس في وجوه الشعراء القائلين في الموضوع بقوله

[من الخفيف] :

لَسْتُ أَذْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا كَيْفَ يَذْرِي بِذَاكَ مَنْ يَتَقَلَّى
إِنْ تَفَرَّغْتُ لِاسْتِطَالَةِ لَيْلِي وَلِرَعْيِ الْتُجُومِ كُنْتُ مُخْلًا

ومصداقه ما حكى : أن المعتمد بن عبّاد ودّع حظاياه من
(قُرْطُبَةَ) ، لما عزم بهنّ إلى (إشبيلية) ، وما زال يسايرهنّ ، وهو
مذهوبُ العقل من أول الليل ، حتّى برق الفجرُ ، فأفاق من غشيته ،
ورجع ، وقال في ذلك [كما في ديوانه ٣٦١ من الكامل] :

سَايَرْتُهُمْ وَاللَّيْلُ أَغْفَلُ ثُوبُهُ حَتَّى تَبَدَّي لِلنَّوَاطِرِ مُعْلِمًا
فَوَقَفْتُ ثُمَّ مُودِّعًا وَتَسَلَّمْتُ مِنْ يَدَا الإِضْبَاحِ تِلْكَ الأَنْجُمَا

وقد سنّح لي بمناسبة ذكر الوداع أن أتكلّم على بعض ما جاء
فيه ، ثمّ رأيتُ في الفرص الآتية ما هو به أمسّ ، فأخّرتُه إليها .

* * *

ولنختم المجلسَ بأبياتِ ثلاثةٍ للناظم تتصلّ بما نحنُ فيه ، وهي
مما قال في أيام صباه^(١) :

(١) وهي مطالع الأبيات الثلاثة الآتية .

[قال أبو الطيب المتنبي في «العكبري» ١٨٥ / ٤ من البسيط]

أَبْلَى الْهَوَىٰ أَسْفَا يَوْمَ النَّوَىٰ بَدَنِي وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ

الهوى المتلف يقول : إِنَّ الْهَوَىٰ أَتْلَفَ بَدَنَهُ يَوْمَ الْفِرَاقِ ، مِنْ شِدَّةِ الْأَسْفِ ، وَأَكْثَرَ الشَّعْرَاءِ يَدْعُونَ ذَلِكَ ، وَهُوَ مَقْبُولٌ ؛ إِذْ قَلَّ مَنْ سَلِمَ مِنَ الْبَيْنِ وَمِرَارَتِهِ ، وَلَمْ يَشْكُ مِنَ الْبُعْدِ وَحَرَارَتِهِ ، وَأَيُّ عَيْنٍ لَمْ تَذْرِفْ ؟ ! بَلْ كُلُّ نَفْسٍ مَفَارِقَةٌ ، وَإِنْ لَمْ تَعْرِفْ .

[قال أبو الطيب في «العكبري» ٣٤٢ / ١ من المتقارب] :

فَوَاحَسَرْتَا مَا أَمَرَ الْفِرَاقَ وَأَعْلَقَ نِيرَانَهُ بِالْكُبُودِ

هو الذي ينطوي به من الأفراح بساطها ، ويتقطع من القلوب نياطها ، ويكثر من العقول اختلاطها ، فلا كبد إلا تفتت على ذاهب ، غير أن للناس فيما يعشقون مذاهب [كما قيل من الطويل] :

وَأَيُّ أَمْرٍ يَخْلُو مِنَ الْحُبِّ قَلْبُهُ أَلَمْ تَرَهُ حَتَّى الْجَمَادُ بِهِ أَهْتَرَا
وَلَكِنَّهُمْ شَتَّى فَمِنْ هَابِطٍ بِهِ إِلَى الدَّرَكِ الْأَذْنَى وَمِنْ صَاعِدٍ عِزًّا
وَلَا عِزًّا إِلَّا فِي هَوَى اللَّهِ وَحَدَهُ وَحُبِّ الدِّينِ هَانَتْ بِهِ الْأَلْتُ وَالْعُرَى

وقد اختلفوا في تعريف الهوى ، واختلفت عباراتهم ، وتفاوتت إشاراتهم ، وكل يشير إلى ذلك الجمال ، وحسبك أنه اجتمع بحضرة يحيى بن خالد ثلاثة عشر حكيماً ، فسألهم عن حقيقة العشق ، فكل أتى بما عنده ، وكان فيهم أبو الهذيل ، فقال :

أَيْهَا الْوَزِيرُ ، الْعَشَقُ يَخْتِمُ عَلَى النَّوَظِرِ ، وَيَطْبَعُ عَلَى الْأَفْتَدَةِ ، العشق أوله لعب وآخره مرتعهُ الْأَجْسَامُ ، ومشرعُهُ فِي الْأَكْبَادِ ، وصاحبهُ متصرفُ الظنونِ ، عطب متفترُّ الْأَوْهَامِ ، لا يصفو له مرجوٌ ، ولا يسلمُ له مدعوٌ ، تُسرِعُ إليه النَّوَابِ ، وتحلوهُ المصائبُ ، وهو جُرْعَةٌ مِنْ نَقِيعِ الْمَوْتِ ، ونَقَعَةٌ مِنْ حِيَاضِ الثَّكْلِ ، غيرَ أَنَّهُ مِنْ أَرِيحِيَّةٍ تَكُونُ فِي الطَّبِيعِ ، وطلاوةٌ توجَدُ فِي الشَّمَائِلِ . اهـ .

وهو - بالحقيقة - وصفٌ لبعضِ أعراضِهِ ، لا له ، وإِنَّمَا أشارتِ كمنون الحب في الحشا إلى وصفِهِ الْأَعْرَابِيَّةُ بقولِهَا [كما في «مصارع العناق» ١/١٧٥] : جَلَّ عن أن يخفي ، وخفيَ عن أن يُرى ، فهو كامنٌ فِي الْأَحْشَاءِ ، كمنون النارِ فِي الزنادِ ، إن قَدَحْتَهُ . . وري^(١) ، وإن تركتهُ . . تواري .

وسيعادُ هذا أوائلَ المجلسِ التاسعِ قبيلَ قولِهِ [في «المكبري» ٣١٥/١ من الخفيف] :

يَسْرَشْفَنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أَخْلَى مِنْ التَّوْحِيدِ^(٢)

وقولهُ : (وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ) كذلكَ مِنَ الْإِغْرَاقِ الذي لا بأسَ له ، وهو متداولٌ كسابقِهِ ، إِلاَّ أَنَّهُ أَقْلٌ أَبْتَدَأَ ، وَأَحْسَنُ مَنَلاَ مِنْهُ قولُ الوَزيزِ الْمُهَلَّبِيِّ [مِنَ الطويل] :

تَصَارَمَتِ الْأَجْفَانُ لَمَّا صَرَمْتَنِي فَمَا تَلْتَقِي إِلاَّ عَلَى عِبْرَةِ تَجْرِي

(١) وري الرَّئْدُ : خرجت نارهُ .

(٢) وللبيتِ روايةٌ أُخرى هي فِي «الديوان» :

هُنَّ فِيهِ حَلَاوَةٌ التَّوْحِيدِ

وقال بشارٌ [في «ديوانه» ٢٤٩/٣ من الوافر] :

جَفَتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيضِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ

وأخذه التَّهاميُّ ، فقال [في «ديوانه» ٤٧٠ من الكامل] :

قَصُرَتْ جُفُونِي أَمْ تَبَاعَدَ بَيْنُهَا أَمْ مَقَلَّتِي حُلِقَتْ بِلاَ أَشْفَارِ

ومِمَّا يُنظَرُ إِلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ : ما تَغَنَّتْ بِهِ جَارِيَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ

أَبِي طَالِبٍ ، لابنِ أَبِي عَتِيْقٍ - رضوانُ اللَّهِ عليهم - وهو [من الكامل] :

بِهِوَائِكَ صَيَّرَنِي الْعَدُوْلُ نِكَالًا وَرَأَى السَّبِيْلَ إِلَى الْمَقَالِ فَقَالَ

وَنَهَيْتَ نَوْمِي عَنِ جُفُونِي فَأَنْتَهَى وَأَمَرْتَ لَيْلِي أَنْ يَطُوْلَ فَطَالَ

تكرار هذا المعنى عند المتنبّي والمعنى متكرّرٌ في «ديوان» الناظم ؛ منه قوله [في «المكبري»

٢٣/٣ من المتقارب] :

كَأَنَّ الْجُفُونََ عَلَى مَقَلَّتِي ثِيَابٌ شَقِقْنَ عَلَى ثَاكِلِ

وقوله [في «المكبري» ٤/٢٢٠ من البسيط] :

قَدْ عَلِمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانًا تَدْمَى وَأَلْفَ فِي ذَا الْقَلْبِ نَيْرَانًا

وقوله [في «المكبري» ١/١٤٨ من الطويل] :

فَإِنَّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مُذْلَهْمَةٌ عَلَى مُقَلَّةٍ مِنْ بَعْدِكُمْ فِي غِيَاهِبِ

بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الْجُفُونِ كَأَنَّمَا عَقَدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ جَفْنٍ بِحَاجِبِ

المحب لا يعرف الراحة ، وصدق والله ، فمن ناله من الحبيب شفونته^(١) .. يستحيل أن

تصطحح جفونهُ ، ومن ظهر لدى المعشوق ذنبهُ .. فلن يستقرَّ به

(١) شَفْنَةٌ : نظر إليه بمؤخر عينيه بُغْضَةً أو تعجباً . وقيل : نظره نظراً فيه اعتراض .

جنبُهُ ، وَمَنْ بَعْدَ عَنْهُ رِيحَانُهُ . . فلا بدع أن يطول امتحانه^(١) .

هُوَ الْحُبُّ فَاسْلَمَ بِالْحَشَا مَا الْهُوَى سَهْلٌ فَمَا اخْتَارَهُ مُضْنَى بِهِ وَلَهُ عَقْلٌ
نَصَحْتُكَ عَلِمًا بِالْهُوَى وَالَّذِي أَرَى مُخَالَفَتِي فَأَخْتَزَ لِنَفْسِكَ مَا يَخْلُو
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَخِيَا سَعِيدًا فَمُتْ بِهِ شَهِيدًا وَإِلَّا فَالْغَرَامُ لَهُ أَهْلٌ^(٢)

* * *

(١) الهوى : مقام من مقامات الحب ، ودرجة أعلى في سلم ارتقائه ، فإذا وقع فيه المرء . . فلا مهرب له ، ولا منجاة ولا مخرج ، فالهوى كلمة نلمح فيها معنى السقوط (هوى يهوي) ، والذي يهوي : أمرؤ سقط الزمام من يده ، فأصبحت نفسه مطيئة جامحة ؛ لذلك لا بد للعقل أن يسود العاطفة ، ويلجم النفس لتقف عند حدود الله سبحانه وتعالى ، حينئذ تنعم النفس بهدأة الطمأنينة وراحة السكينة . ويرحم الله القائل [من البسيط] :

دَعِ الْتَغْرُلَ فِي دَعْدٍ فَكُلُّ هَوَى يَهْوِي بِصَاحِبِهِ فِي بُؤْرَةِ النَّدَمِ
(٢) الأبيات لابن الفارض في « ديوانه » من الطويل .

[قال أبو الطيب في «المكبري» ١٨٦/٤ من البسيط]:

رُوحٌ تَرَدَّدُ فِي مِثْلِ الْخِلَالِ إِذَا أَطَارَتِ الرِّيحُ عَنْهُ الثُّوبُ لَمْ يَبِينِ^(١)
كَفَى بِجِسْمِي نُحُولاً أَنِّي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرْنِي

في البيت سؤالان

في البيت الثاني سؤالان :

أحدهما : أَنَّ (أَنَّ) المفتوحة مِنْ قولِهِ : (أَنَّنِي رَجُلٌ) تحتاجُ
إِلَى أَنْ تُسَبَّكَ بِمصدرٍ ، فما تقديرُهُ ؟

الأول : ما هو المصدر
المؤول؟

وقد أجابَ الشارحُ [المكبري] : بأنَّهُ كَفَى بِجِسْمِي نُحُولاً أَنْتَفَاءُ
رؤيتي لولا مخاطبتي .

والثاني : أَنَّ الأسماءَ الظاهرةَ مِنْ قبيلِ الغائبِ ، فكانَ الأوفقَ أَنْ
يقولَ : (أَنَّنِي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتُهُ إِيَّاكَ لَمْ تَرَهُ) .

الثاني : الاسم الظاهر
مثابة الغائب فكيف
الضمير

وأطالَ الشارحُ في الجوابِ ، والحاصلُ : أَنَّهُ مِنْ جنسِ قولِهِ جَلٌّ
شأنُهُ : ﴿ أَيُنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾
[النمل : ٥٥] ، فالخطابُ فِي ﴿ تَجْهَلُونَ ﴾ غيرُ مناسبٍ لقومٍ ، وإِنَّمَا هُوَ
أَنيسٌ بقولِهِ : ﴿ أَنْتُمْ ﴾ .

ومثله قولُ الشاعرِ [مِنَ الطويل] :

الشواهد عليه

أَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَيَّ فَتَبْتَعْنِي بِهِ الْجَاهُ أَمْ كُنْتُ أَمْرًا لَا أُطِيعُهَا
فقد أعادَ مِنْ (أطِيعُهَا) ضميرَ متكلِّمٍ وِفاقاً لـ(كنتُ)، ولم يُعِدْ

(١) الخِلالُ : العودُ الدقيقُ الذي لا يُرى .

ضمير غائبٍ وفاقاً (لامرئ) ، والبيت لقيس بن الملوّح [في شرح
شواهد المغني ٢٢١/١] ، أو لابن الدُمينة [في ديوانه ٢٠٦] ، أو للصمة بن
عبد الله القشيري [في ديوانه ١١٣] ، على اختلاف الرواة في ذلك ،
وقد أورده ابن هشام شاهداً على اشتراط الصفة لما وطئ به من خير ،
أو ، صفة ، أو حال ، وقبله [في ديوان الصمة ١١٣] :

وَبُنْتُ لَيْلَى أَرْسَلْتُ بِشَفَاعَةِ إِلَيَّ فَهَلَّا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا

وكان من خبرها [كما في «الأغاني» ١٢/٦] : أَنَّ الصِّمَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قِصَّةُ الصِّمَّةِ وَرَبَا
- على رواية أنها له - كان يهوى ابنة عم له تسمى ربيا ، فخطبها إلى
عمّه ، فزوجّه على خمسين من الإبل ، فجاء إلى أبيه ، فسأله ،
فساق عنه تسعاً وأربعين ، فقال : أكملها ، فقال : هو عمك ، وما
ينظرك في ناقة ، فقال : والله ما قال هذا إلا أستخفاً بأبنتي ، والله
لا أقبلها إلا كُملاً ، فلجّ عمّه ، ولجّ أبوه ، فقال : والله ما رأيت
الأم منكم ، وأنا الأم منكم إن أقمت معكم ، فرحل إلى
(الشام) ، فلقي الخليفة ، فأعجب به ، وفرض له ، وألحقه
بالفرسان ، فكان يتشوق إلى (نجد) ، ويحن إليها ، وكان هذا
الشعر فيما قاله . كذا رأيته ، وهو لا يلتئم مع البيتين ، وإنما يلتئم
مع ما سيأتي عنه في المجلس الثاني .

إذن : ففي البيت الذي نتكلم عليه نوع من الالتفات البديع ، ثم رد المؤلف على الشارح
قال الشارح : إنّه من قول الأخطل [في ديوانه ١٥٤ من الطويل] :

ضَفَادِعُ فِي ظُلْمَاءٍ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

وليس كذلك .

وإنَّما أصلُهُ قولُ الأَعشى [في «ديوانه» من الطويل] :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْنَ مِنِّي مُعَلَّقٌ بِعُودِ ثَمَامٍ مَا تَأَوَّدَ عُوْدُهَا (١)

وقد تلاعب به الناظم حتى أذاله ، فمن ذلك قوله [في «المكبري» ،

٢٨/٤ من الكامل] :

وَخَيَالُ جِسْمٍ لَمْ يُخَلِّ لَهُ الْهَوَىٰ جِسْمًا فَيُنْحِلُهُ السَّقَامُ وَلَا دَمًا (٢)

وقوله [في «المكبري» ، ١٤٩/١ من الطويل] :

وَلَوْ قَلَمٌ أَلْقَيْتُ فِي شَقِّ رَأْسِهِ مِنْ السَّقَمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ حَطِّ كَاتِبٍ

وقوله [في «المكبري» ، ٥١/٤ من الطويل] :

بِرَائِي السُّرَىٰ بَرِيٍّ الْمَدَىٰ فَرَدَدْتَنِي أَخْفَ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جِزْمِي

وقوله [في «المكبري» ، ٢٢٣/٣ من الوافر] :

بِجِسْمِي مَنْ بَرْتُهُ فَلَوْ أَصَارَتْ وَشَاحِي ثَقَبَ لَوْلُؤَةٍ لَجَالًا

وقوله [في «المكبري» ، ٣٦٣/٢ من الخفيف] :

حَلَبِ دُونَ الْمَزَارِ فَالْيَوْمَ لَوْ زُرْتُ لِحَالَ الثُّحُولِ دُونَ الْعِنَاقِ

وقوله [في «المكبري» ، ٢٥٢/٣ من الكامل] :

دُونَ الْتَعَانِقِ نَاحِلِينَ كَشَكَلْتِي نَضِبِ ، أَدْفَهُمَا وَضَمَّ الشَّاكِلِ (٣)

(١) الثَّمَامُ : نبتٌ معروفٌ في البادية ، ولا تأكلهُ النَّعَمُ إلا في الجُدُوبِ . تَأَوَّدَ عُوْدُهَا : تأوَّدًا : إذا تننَّى .

(٢) في «المكبري» : (لَحَمًا) بدل (جِسْمًا) ، ولعله الصواب .

(٣) الشُّكْلَةُ : أراد هنا التي تكونُ في الإعرابِ وهي الفِتحَةُ ، وهي من قولهم : شَكَلْتُ الدَابَّةَ ؛ أي : ضبطتها ، والشكْلَةُ تضبط الحروف ، وضَمُّ الشَّاكِلِ =

وقوله [في «المكبري» ١٤/١ من الكامل] :

وَشَكَّيْتَنِي فَقَدْ السَّقَامُ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءُ

وقوله [في «المكبري» ١٩٢/٤ من البسيط] :

كُنْتُ حُبِّكَ حَتَّى مِنْكَ تَكْرِمَةٌ ثُمَّ أَسْتَوَى فِينِكَ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي
لَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاضَ عَن جَسَدِي فَصَارَ سُقْمِي بِهِ فِي جِسْمِ كَيْتَمَانِي^(١)

وقد ألمَّ في هذا بقول قيس بن الملوِّح [في «ديوانه» ٢٩٤ من

الطويل] :

لَقَدْ كُنْتُ أَعْلُو حُبِّ لَيْلَى فَلَمْ يَزَلْ بِي النَّقْضُ وَالْإِبْرَامُ حَتَّى عَلَانِيَا

وهو من المعاني المشتركة ، وقد تداوله المولِّدون ، فمنه قول

ذوبان النفس في العشق

ليس حكرأ على أحد

المجنون [في «ديوانه» ٨٠ من الطويل] :

أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتِ يَا أُمَّ مَالِكِ صَدَى أَيْنَمَا تَذَهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ

وقول المؤمِّل [من السريع] :

يَكَادُ جِسْمِي مِنْ نُحُولِ أَلْ ضَنَا تَحْمِلُهُ أَنْفَاسُ عُوَادِي

وقول خالد الكاتب [من البسيط] :

غَدَا خَلِيلِكَ نِضْوًا لَا حَرَآكَ بِهِ لَمْ يَبْقَ مِنْ جِسْمِهِ إِلَّا تَوَهُمُهُ^(٢)

= الكاتب ، يريد بالضم : القرب ، ولم يُرد الضم الذي في الإعراب الذي يسمى
رفعاً .

(١) في «المكبري» : (كَأَنَّهُ) بدل (لَأَنَّهُ) .

(٢) النَّضْوُ : البعيرُ المهزولُ ، وقد يستعملُ في الإنسانِ .

وقولُ أبنِ المعتزِّ [مِنَ البسيط] :

مُسَهَّدُ حَانَهُ الْتَفْرِيقُ فِي أَمَلِهِ أَضْنَاهُ سَيِّدُهُ ظُلْمًا بِمُرْتَحِلِهِ
فَرَقٌ حَتَّى لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ قَادَ لَهُ حَتْفًا لَمَا أَبْصَرْتَهُ مُقَلَّتَا أَجَلِهِ

وقولُ أبنِ دُرَيْدٍ [مِنَ السَّرِيع] :

إِنِّي أَمْرُؤُ أَبْقَيْتَ مِنِ جِسْمِهِ يَا مُتْلِفَ الصَّبِّ وَلَمْ يَشْعُرِ
صَبَابَةً لَوْ أَنَّهَا قَطْرَةٌ تَجُولُ فِي عَيْنَيْكَ لَمْ تَقْطُرِ
وما أحسنَ قوله : (لَوْ أَنَّهَا قَطْرَةٌ) إلخ ، كما لا أقبحَ مِن تعليقه
البيتَ الثاني بالأوَّلِ ، وحشوه بقوله : (يَا مُتْلِفَ الصَّبِّ) ؛ فإنَّهَا
ظلماتٌ بعضها فوقَ بعضٍ ، لولا ما تتنفسُ به مِن ذلك الفجرِ الصادقِ .

ما هذه الخفة؟ وقال بعضهم [مِنَ الطويل] :

وَلَوْ شِئْتُ فِي طَيِّ الْكِتَابِ لَزُرْتُكُمْ وَمَا شَعَرْتُ بِي أَحْرَفٌ وَسُطُورٌ

وقال أبنُ العميدِ [مِنَ الكامل] :

الغدى الذي لا يؤذي لَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتَ مِنِ جِسْمِي قَدَى فِي الْعَيْنِ لَمْ يَمْنَعِ مِنَ الإِغْفَاءِ
وأغارَ الوأواءُ الدمشقيُّ على أوَّلِ البيتينِ اللَّذَيْنِ نَحْنُ بِسَبِيلِهِمَا ،
فقال [في « ديوانه » ١٨٩٠ مِ الوافر] :

وَمَا أَبْقَى الْهَوَى وَالشَّوْقُ مِنِّي سِوَى رُوحِ تَرَدَّدٍ فِي خِيَالِ
خَفَيْتُ عَلَى التَّوَائِبِ أَنْ تَرَانِي كَأَنَّ الرُّوحَ مِنِّي فِي مَحَالِ

وقال آخرُ [مِنَ الطويل] :

بَرَانِي الْهَوَى بَرِي الْمُدَى وَأَدَائِي صُدُودُكَ حَتَّى صِرْتُ أَنْحَلَ مِنِ أَمْسِ
فَلَسْتُ أَرَى حَتَّى أَرَاكَ وَإِنَّمَا يَبِينُ هَبَاءُ الدَّرِّ فِي أَلْقِ الشَّمْسِ

وقد قضى الشارحُ بالترفضيل لهذين البيتين ، وركمهُ مقبولٌ تاييد المؤلف للشارح
بالنسبة للثاني ، ومردودٌ بالنسبة للأول .
في بعض ورده لبعض

وقال الصنوبري [من الخفيف] :

ذُبْتُ حَتَّى مَا يُسْتَدَلُّ عَلَيَّ أَنِّي حَيٌّ إِلَّا بِنَعْضِ كَلَامِي

وقال الخابز أُرْزِي [من السريع] :

ذُبْتُ مِنَ الشُّوقِ فَلَوْ زُجَّ بِي فِي مُقَلَّةِ النَّائِمِ لَمْ يَنْتَبِهْ
قَدْ كَانَ لِي فِيمَا مَضَى خَاتَمٌ وَالْيَوْمَ لَوْ شِئْتُ تَمَنُّطُتُ بِهِ

أعذب الشعر أكذبه

وهو من معاصري الناظم ، وبين بيتيه من التفاوت ما لا يخفى ؛
إذ كيف يتمنطق من يكون القدي أكبر منه .

وقد أغارَ الوالدُ أبو بكر بن شهاب - رحمه الله - على الثاني
منهما ، ولكنّه أحسن الاتباع ، وذلك حيث يقول [من البسيط] :

لَدُنْ الْقِرْوَامِ دَفِيقُ الْحَضَرِ خَاتَمُهُ لَوْ شَاءَ مِنْ غَيْرِ تَكْلِيفِ يُمَنِّطُهُ

وقد سبق إلى أصل المعنى ، حبيب بن أوس ، في قوله [في السابق في المعنى أبو
تمام
« ديوانه » ١١٥/٣ من الطويل] :

مِنَ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَاخِيلَ صِيرَتْ لَهَا وَشَحًا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاخِلُ

وقد تفوّق في المعنى سلطانُ العاشقين ، وأفرغهُ في عدّة
قوالب ، منها قوله [في « ديوانه » ٨ من الرَّمَل] :

سلطان العاشقين
وإبداعه في هذه
المسألة

كِهْلَالِ الشُّكِّ لَوْلَا أَنَّهُ أَنَّ ، عَيْنِي عَيْنُهُ لَمْ تَتَأَيَّ (١)

(١) هلالُ الشكِّ : الذي لم تثبت رؤيته . أَنَّ : من الأنيب . عيني : باصرتي .
عينه : ذاته . لم تتأي : لم تقصد .

وقوله [في «ديوانه» ٣٧ من الطويل] :

كَأَنِّي هِلَالُ الشَّكِّ لَوْلَا تَأْوِهِي خَفَيْتُ فَلَمْ تَهْدِ الْعَيْنُونَ لِرُؤْيَيْي

وقوله [في «ديوانه» ١٣٧ من الطويل] :

خَفَيْتُ ضَنَى حَتَّى لَقَدْ ضَلَّ عَائِدِي وَكَيْفَ تَرَى الْعَوَادُ مَنْ لَا لَهُ ظِلُّ

وقوله [في «ديوانه» ١٧٣ من الطويل] :

تَحَكَّمْ فِي جِسْمِي التُّحُولُ فَلَوْ أَتَى لِقَبْضِي رَسُولُ ضَلَّ فِي مَوْضِعِ خَالِي

وقوله [في «ديوانه» ١٤٤ من البسيط] :

وَحَبَّذَا فِينِكَ أَسْقَامٌ خَفَيْتَ بِهَا عَنِّي ، تَقْرُومُ بِهَا عِنْدَ الْهَوَى حُجَجِي

وقوله [في «ديوانه» ١٦٤ من الطويل] :

خَفَيْتُ ضَنَى حَتَّى خَفَيْتُ عَنِ الضَّنَى وَعَنْ بُرِّئِ أَسْقَامِي وَبَرِّدِ أَوْامِي^(١)

وقوله [في «ديوانه» ١٥٢ من الكامل] :

أَخْفَيْتُ حُبِّكُمْ فَأَخْفَانِي أَسَى حَتَّى لَعَمْرِي كِدْتُ عَنِّي أَخْتَفِي

وقوله [في «ديوانه» ٤٩ من الطويل] :

فَلَوْ هَمَّ مَكْرُوهُ الرَّدَى بِي لَمَا دَرَى مَكَانِي وَمِنْ إِخْفَاءِ حُبِّكَ خُفْيِي

ويعجبني قولُ ابنِ زيدون [في «ديوانه» ٢٥٨ من البسيط] :

لَوْ شَاءَ حَمَلِي نَسِيتُ الصُّبْحِ حِينَ جَرَى وَأَفَاكُمُ بَفْتَى أَرْضَاهُ مَا لَأَقَى

= والمعنى : أنه صارَ في خفائه كهلل الشكِّ ، فلولا أنيته لم يهتد إليه .
(١) الأوامُ : شدَّةُ العطشِ وحرارتهُ ، وقيل : أن يَصِحَّ العطشانُ .

وقول الآخر [من الخفيف] :

قَدْ سَمِعْتُمْ أَيْنَهُ مِنْ بَعِيدٍ فَاطْلُبُوا الشَّخْصَ حَيْثُ كَانَ الْأَيْنُ

وقول لسان الدين ابن الخطيب [في «ديوانه» ١/٣٩٥ من الطويل] :

فَلَوْلَا أَيْنِي مَا اهْتَدَى نَحْوَ مَضْجِعِي خَيَالُكُمْ بِاللَّيْلِ حِينَ يَزُورُ

وجُلُّ ما في الموضوع من الغلو الذي ينبو عنه السمع ، ولا يقبله الخاطر ، إلا ما كان عن أكساده الصوفيّة ؛ فإنه لا بأس به ، ووجهه أنّها تتلاشى جسمانيّتهم ، وتتغلّب عليهم أرواحانيّته ، وينفكّون عن قيود المادّة ، ويطيرون بنفوسهم إلى حيث شاؤوا ، ممّا قسم لهم أن يدخلوه من عوالم القدس ، على حسب مراتبهم ، وتفاوت درجاتهم .

وقد قال بعضهم [من الطويل] :

نَحَلْتُ فَلَوْ عَلِقْتُ فِي رِجْلِ ذَرَّةٍ لَطَارَتْ وَلَمْ تَشْعُرْ بِأَنِّي تَعَلَّقْتُ

ولهذا قصّة ، حاصلها : أنّ جماعة من الصوفيّة كانوا على سماع ليلة ، فطرقهم شخص عظيم الهامة ، طويل القامة ، عليه هيئة السفر ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : سماعٌ اجتمع عليه الإخوان ، فقال : إنّ أذنتم لي . . دخلت ، فألفى الحادي يقول [من الطويل] :

خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ مَا أَلْقَبُ سَالِمٌ وَإِنْ ظَهَرَتْ مِنِّي شَمَائِلُ صَاحِ

وإلاّ فما بالي ولم أشهد الوغى أبيت كأتني مُنْخَنُ بِجِرَاحِ

فطرب ، وركض برجله الأرض ، ورمى للحادي ما كان على

رأسه ، ثمّ أندفع الحادي يقول [من البسيط] :

يَا بَانَةَ الْجِزَعِ لَوْلَا رَنَّةُ الْحَادِي لَمَا تَنَقَّلْتُ مِنْ وَادٍ إِلَى وَادٍ

وَلَا سَلَكْتُ بِنَعْمَانِ الْأَرَكَ وَلَا شَرِبْتُ مِنْ مَائِهِ مَا يُنْعَشُ الْأَصَادِي
 فَصَعِقَ الشَّيْخُ ، وَتَدَلَّهٗ (١) ، وَرَمَى جَمِيعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ
 الْثِيَابِ ، وَبَقِيَ عُرْيَانًا ، ثُمَّ غَنَى الْحَادِي بِالْبَيْتِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ ، فِي
 جُمْلَةِ آيَاتٍ ذَهَبَتْ عَنْ حِفْظِي ، فَصَاحَ الشَّيْخُ صَبِيحَةً خَرَجَتْ فِيهَا
 رُوحُهُ .

ومن العشق ما قتل ونظيرها ما حكاها أبو دقيق العيد في مجلسٍ درسه بجامع ابن طولون : أَنَّهُ حَضَرَ سَمَاعًا غَنَى فِيهِ مُغْنٌ بِقَوْلِ ابْنِ الْخَيَّاطِ [في «ديوانه» ١٧٠-١٧١ من الطويل] :

خُذَا مِنْ صَبَا نَجِدَ أَمَانًا لِقَلْبِهِ فَقَدْ كَادَ رِيَّاهَا يَطِيرُ بِلُبِّهِ
 وَإِيَّاكُمَا ذَاكَ النَّسِيمَ فَإِنَّهُ إِذَا هَبَّ كَانَ الْمَوْتُ أَيْسَرَ خَطْبِهِ
 وَفِي الرُّكْبِ مَطْوِيٌّ الضُّلُوعِ عَلَى جَوِيٍّ مَتَى يَدْعُهُ دَاعِ الْغَرَامِ يُلْبَهُ
 قَالَ : وَفِي الْقَوْمِ فَقِيرٌ أَخَذَ يَقُولُ : لِيَيْكَ ، لِيَيْكَ ، وَيَصِيحُ ،
 وَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ .

حكم ابن الأثير على قَالَ أَبُو الْأَثِيرِ [في «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» : ٣٤٦/٢] : وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بَيْتٌ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مَخْتَرَعٌ ، وَهُوَ [في «ديوان ابن الخياط» ١٧١] :

أَغَارُ إِذَا أَنْسْتُ فِي الْحَيِّ أَنَّهُ حِذَارًا عَلَيْهِ أَنْ تَكُونَ لِحَبِّهِ
 وَالْحَالُ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ الْمَتَنَّبِيِّ [في «المكبري» ٦/١ من الكامل] :

لَوْ قُلْتُ لِلدَّنْفِ الْمَشُوقِ فَدَيْتُهُ مِمَّا بِهِ . . . لِأَغْرَتَهُ بِفِدَائِهِ (٢)

(١) تدلَّة: ذهب فواده من العشق أو نحوه .

(٢) الدَّنْف: الذي أشتد مرضه وأشرف على الموت . وأغرته : من الغيرة . وفي =

أقول : وقد سبق إليه العباس بن الأحنف في قوله [في «ديوانه» ٣٤
من الكامل] :

لَمْ أَلْقَ ذَا شَجَنِ يَبُوحُ بِحُبِّهِ إِلَّا حَسِبْتُكَ ذَلِكَ الْمَخْبُوبَا
حَذْرًا عَلَيْكَ وَإِنِّي بِكَ وَاثِقٌ أَنْ لَا يَنَالَ سِوَايَ مِنْكَ نَصِينَا

فإن قال قائل : إذا كان الموت على مثل تلك الحال كمالاً . . لماذا لم يصعق
الصحابه من السماع؟
فهلاً كان هناك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،
ورضي عنهم ، وهم خير القرون (١) ؟

= «الديوان» : (الْحَزِينِ) بدل (الْمَشُوقِ). ولكن ابن الأثير قال :
(دخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدباؤها يلهجون بيت من شعر ابن
الخياط في قصيدة له أولها : خذا من صبا نجد أماناً لقلبه ، ويزعمون أنه من
المعاني الغريبة وهو :

أغار إذا أنست في الحسي أَنَّةً حَذَارًا عَلَيْهِ أَنْ تَكُونُ لِحُبِّهِ
فقلت لهم : هذا البيت مأخوذ من شعر أبي الطيب في قوله :

وقلت للندف المشوق فديته مما به لأغرته بفدائه
وقول أبي الطيب أدق معنى ، وإن كان قول ابن الخياط أرق لفظاً ، ثم إنني
أوقفتهم على مواضع كثيرة من شعر ابن الخياط قد أخذها من شعر المتنبي .

«المثل السائر» (٢/٣٤٦) .

(١) إنَّ الله في خلقه وعباده مقاماتٍ وأحوالاً تختلفُ من عبيدٍ لآخر ، فالعبدُ صاحبُ
الحالِ يتقلَّبُ حاله حَسَبَ ما يشاهدُ وحَسَبَ ما يفتحُ اللهُ عليه .

وأما صاحبُ المقامِ : فإنَّه ثابتٌ كالأوتادِ ، راسخٌ كالجبالِ ، لا يتزعزعُ ولا
يتغيَّرُ حاله أبداً مهما رأى وشاهدَ ، وفي النهاية يتغير الحالُ ويبقى المقامُ ،
وهؤلاء همُ الجَمُّ الغفيرُ مِنَ الصحابةِ رضوانُ اللهُ عليهم ، وهم كما قالَ الشاعرُ
[من الخفيف] :

تَبَّ غَرَامًا فَلِلْغَرَامِ رِجَالٌ وَأَبْكَ مَا شِئْتَ يَوْمَ قَوْمِكَ شَالُوا=

بل صقع بعضهم عند
سماع سورة الإنسان

قلنا : أخرج الطبراني [في الأوسط ١٦٦/٢] ، وابن مردويه ، وابن
عساكر : (أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ قضى عند سماع سورة
الإنسان ساعة نزولها) .

وأخرجه أحمد أيضاً بصورة لا تبعد عنها .

وصح عن ابن عباس : أنه لما نزلت : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا
أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم : ٦] . . تلاها رسول الله ﷺ ذات ليلة ،
أو يوم ، فخرّ فتى مغشياً عليه ، فوضع النبي صلى الله عليه وآله

وَتَمَلَّعَ يَوْمَ الْوَدَاعِ كَثِيْرًا =
وَتَجَرَّدَ عَن طَوْرِ كَوْنِكَ فِيهِمْ
لَا تُكْنُ فِي الْفَرَامِ رَبِّ لِسَانِ
عَزَبَدَ الْقَوْمُ عِنْدَ نَهْلَةِ كَأْسِ
وَشَرِبْنَا الْكُوْوسَ حَتَّى تَنَاهَتْ
إِنَّ فِي الْعَاشِقِينَ مِنَّا رِجَالًا
صَارَعَتْهُمْ أَحْوَالُهُمْ فَاسْتَقْرَوْا
وَمِنَ الصَّحَابَةِ مَن يَكُونُ صَاحِبَ حَالٍ : فتراه حيناً يهيم في محبوبه عز
وجل ، فيطلب منه - سبحانه - دوام الوصال مع دوام الحياة . بينما نراه في
الحين الآخر يشد عليه الحال ، فيفضل الموت على الحياة ، وربما صبح وهو
على تلك الحال ، لشدة ما يشاهد من الأنوار الربانية والحضرة القدسية
الرحمانية .

ومن أبرز المظاهر التي تدلنا على تبدل الأحوال . . ذلك العارف بالله
سلطان العاشقين - رحمة الله عليه - فتراه حيناً يقول :

عَدْتُ بِمَا شِئْتُ غَيْرَ الْبُعْدِ عَنْكَ تَجِدُ أَوْفَى مُحِبِّ بِمَا يُرْضِيكَ مُبْتَهَجِ
وَأُخَذَ بِقِيَّةِ مَا أَبْقَيْتَ مِن رَمَقِ لَا خَيْرَ فِي الْحُبِّ إِنْ أَبْقَى عَلَى الْمَهْجِ
ثم نراه ماشياً في السوق وهو يعطي الأطفال الصغار قطعاً من الحلوى ،
ويقول : أدعوا لعمكم الكذاب .

وسلم يده على فؤاده ، فإذا هو يتحرك ، فقال : « يَا فَتَى ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ، فقالها ، فبشّره بالجنة ، ومات من ذلك (١) .

وصحّ : أنّ منصور بن عمار تلا هذه الآية ، فسمعها فتى الأول يتلو والشاني يعوت ، فنفطرت مرارته ، ووقع ميتاً (٢) .

وأخرج الحاكم في « المستدرک » [٥٣٦/٢] ، وأبْنُ أَبِي الدُّنْيَا [في باح للنبي ﷺ ومات « الخائفين »] ، عن سهل بن سعيد : (أنّ فتى من الأنصار دخلته خشية من النار ، فكان يبكي من ذكرها ، فذكر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فجاءه إلى بيته ، فلما دخل عليه . . أعتنقه ، وخر ميتاً) .

ثم لا يؤثر السماع ذلك التأثير ، فيمن بلغ وقار الجبال من الصحابة ، وإن غلبهم الخشوع ، وأستولى عليهم الخشوع ، وفاضت من محاجرهم الدموع ، وإنما يبلغ ذلك الحد فيمن خف نسيمه ، ولم يصل إلى ما كان عليه سيّد البشر ، وكمل أصحابه ، من نهاية الثبات والوقار .

ومنه تعرف سرّ قوله ﷺ لأنجشة : « رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةَ ، رِفْقاً بِالْقَوَارِيرِ » (٣) ، فإنما أمره بالرفق بالنساء لضعفهن ، مع رقة عواطفهن ، وشفاء قلوبهن .

أما الرجال : فقد وكلهم إلى ما أعطاهم الله من القوة والجلادة ، وكم أنشقت بالوجد جيوب ، وذابت قلوب ، وسالت نفوس .

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرک » [٣٨٢/٢] .

(٢) ذكرها الذهبي في « السير » (٩٧/٩) مطولة ، وكذلك أبو نعيم في « الحلية » (٣٢٩-٣٢٨/١) .

(٣) ذكره الحافظ في « فتح الباري » (٥٩٤/١٠) .

وَقَدْ صَعِقَ هَمَامٌ مِنْ خُطْبَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي وَصْفِ الْمُتَّقِينَ ،
حَتَّى فَاضَتْ رُوحَهُ ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : مَا بِالْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ
- كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - : (إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ ، وَسَبَبًا
لَا يَتَجَاوَزُهُ ، فَمَهْلًا لَا تَعُدُّ لِمِثْلِهَا ، فَإِنَّمَا نَفَتْ الشَّيْطَانُ عَلَى
لِسَانِكَ) (١) .

وَأِنَّمَا زَجَرَهُ عَنْ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ مَوْتِ الْعَامِيِّ بوعظِ الْعَالِمِ
أَنْ يَمُوتَ ذَلِكَ الْعَالِمُ لوعظِ نَفْسِهِ ؛ لِأَنَّ أُنْفَعَالَ الْأَوَّلِ بضعفِ نَفْسِهِ ،
وَضِيْقِ حَوْصَلَتِهِ . . أَشَدُّ بِكثِيرٍ مِنْ أُنْفَعَالِ الْعَارِفِ الَّذِي لَا تَحْرِكُهُ
العَوَاصِفُ ، وَلَا تَرْعِزُهُ القَوَاصِفُ ، ﴿ وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبَهَا جَامِدَةً وَهِيَ
تَمْرَمِرُ السَّحَابِ ﴾ [النمل : ٨٨] .

(١) ذكره في « نهج البلاغة » (٢٢٧) .

ونذكرُ مقطَعاً مِنَ الخُطْبَةِ الَّتِي نَوَّهَ عَنْهَا الشَّيْخُ المَوْلُفُ فنقولُ : قَالَ الإِمَامُ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَهُوَ يَصِفُ عِبَادَ اللهِ الْمُتَّقِينَ - :
يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ، بِعِيداً فَحِشُهُ ، لِيُبَيِّنَ
قَوْلُهُ ، غَائِباً مَنْكُرُهُ ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ ، مُدْبِراً شَرُّهُ ، فِي الزَّلَازِلِ
وَقَوْرٍ ، وَفِي المَكَارِهِ صَبُورٍ ، وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورٍ ، لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبَغِضُ ،
وَلَا يَأْتُمُّ فِيمَنْ يَحِبُّ ، يَعْتَرِفُ بِالحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ ، لَا يَضِيغُ مَا
أَسْتَحْفِظُ ، وَلَا يَنْسِي مَا ذَكَرَ ، وَلَا يَنْابِزُ بِالأَلْقَابِ ، وَلَا يَضَارُّ بِالجَارِ ، وَلَا
يَسْتَمُتُ بِالمَصَائِبِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي البَاطِلِ ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الحَقِّ .
إِنْ صَمِتَ لَمْ يَغْمَهُ صَمْتُهُ ، وَإِنْ ضَحَكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبْرٌ
حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ ، نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ ،
أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ ، يُعْذُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زَهْدٌ
وَنَزَاهَةٌ ، وَدَنُوهُ مَمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دَنُوهُ
بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ . فَصَعِقَ هَمَامٌ عِنْدَهَا صَعِقَةً كَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ .

ويذكر: أنَّ واعظاً يقال له: الأكوغ، كان يلحقه في الوعظِ
 حالٌ، وتحمّل بين يديه الجنازُ، وكان لامرأة شابةً ولدٌ أبيضُ
 السريرة، منورُ القلب، فكانت تحميه عن حضورِ مجلسه، حتّى
 أنفلتَ عليها ذاتَ مرّةٍ، فشهدهُ، فمات، فما كان منها إلا أن أمهلتهُ،
 ثمّ استقبلته في يومِ حفلةٍ، وقالت [من المتقارب]:

أتهدي الأنام ولا تهديني ألا إن ذلك لا ينفعُ
 فيا حجر الشخذ حتّى متى تسرُّ الحديد ولا تقطعُ
 أما تستحي من خشوع أفلنؤ ب وقسوة قلبك يا أكوغُ

فما كان من الشيخ إلا أن لبى مُطيعاً، وخرّ عن كُرسیه صريعاً،
 فقالت: هذه بتلك، والبادي أظلم، أو ما يُشبه ذلك؛ فالروايةُ
 بالمعنى، والعهدُ بالقصة - من شرح القصيدة للعلامة ابن الأمير -
 بعيدٌ.

وأخرج الحاكم: أنَّ ابنَ وهبٍ ماتَ من سماعِ حديثٍ في موت ابن وهب
 الأهوال^(١).

ولمّا سمعَ الثوريُّ حادياً يقولُ [في «الرسالة الفشيرية» (٣٣٨) من الكامل]: موت النوري

ما زلتُ أنزلُ من وِدادِكَ منزلاً تتخيّرُ الأبوابُ دونَ نزولِهِ
 .. أندهِشَ وغابَ، وسكّرَ وطابَ، ووقعَ في أجمةِ قصبٍ

(١) أخرجه ابن رجب الحنبلي في «التخويف من النار» (٣٢/١)، وأبو نعيم في
 «الحلية» (٣٢٤/٨).

جُدًّا^(١) ، وبقيت أصوله مثل الممدى ، أخذ يجيء فيها ويروح ،
ويكرّر البيت ، والدم يسيل منه ، حتى مات رحمة الله عليه .

عبد الله بن طاهر
والجارية الشاعرة
ويحكي : أنّ عبد الله بن طاهر أستعرض جارية أعجبته ،
فأستنطقها ، فإذا هي شاعرة ، فقال لها : أجزبي^(٢) لمن مئخع
البيط :]

بَعِينَدَ وَضِلِّ طَوِينَلِ هَجِرِ جَعَلْتُهُ فِي الْهَوَى مَلَاذًا
فَقَالَتْ مُسْرَعَةً :

فَعَاتِبُوهُ فَزَادَ شَوْقًا فَمَاتَ عِشْقًا فَكَانَ مَاذَا
فَأَشْتَرَاهَا ، فَمَاتَتْ مِنَ الْغَدِ .

والحوادث في مثل هذا وراء العد ، ومن أطفها : ما ذكره أبو
عثمان الجاحظ وغريبي المشق
عُثْمَانَ الْجَاحِظُ ، قَالَ : أَرَادَنِي الْمَتَوَكَّلُ الْعَبَّاسِيُّ لِتَأْدِيبِ بَعْضِ
وَلَدِهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتِي . . أَسْتَبَشِعَ مَنْظِرِي ، فَصَرَفَنِي بِعِشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ ،
فَرَكِبْتُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي حَرَاقَتِهِ^(٣) ، فَأَمَرَ بِالْغِنَاءِ ، فَغَنَنْتُ
عَوَادَةً ، وَقَالَتْ [مِنَ الْخَفِيفِ] :

كُلَّ يَوْمٍ قَطِينَةً وَعَتَابُ يَنْقُضِنِي دَهْرُنَا وَنَخْنُ غِضَابُ
لَيْتَ شِعْرِي أَنَا خُصِصْتُ بِهِذَا دُونَ ذَا الْخَلْقِ أَمْ كَذَا الْأَحْبَابُ

(١) جُدًّا : قُطِعَ .

(٢) الإجازة في الشعر : أن يأتي شاعر بشطر بيت أو بيت تام فينظم شاعر آخر في
وزنه ومعناه ما يكون به تمامه .

(٣) الحرقاة : ضرب من الشفن ، فيها مرامي نيران .

ثُمَّ غَنَّتِ الطَّنْبُورِيَّةُ بِإِشَارَتِهِ ، وَقَالَتْ [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ] :

وَارْحَمَتَا لِلْعَاشِقَيْنَا مَا إِنْ أَرَى لَهُمْ مُعِينَا
كَمْ يُهَجَرُونَ وَيُضْرَمُونَ نَ وَيُقَطَّعُونَ فَيُضْبِرُونَ

قَالَتِ الْعَوَادَةُ : فَيَصْنَعُونَ مَاذَا ، فَهَتَكَتِ الطَّنْبُورِيَّةُ السُّتْرَ ،
وَبَرَزَتْ كَأَنَّهَا فَلَقَةُ قَمَرٍ ، وَقَالَتْ : يَصْنَعُونَ هَكَذَا ، وَأَلْقَتْ بِنَفْسِهَا
فِي الْمَاءِ ، وَعَلَى رَأْسِ مُحَمَّدٍ غَلَامٌ لَا يَنْقُصُ عَنْهَا جَمَالاً ، فَنَظَرَ
إِلَيْهَا تَتَدَاغُهَا الْأَمْوَاجُ ، وَقَالَ :

أَنْتِ الَّتِي أَغْرَقْتِنِي بَعْدَ الْقَضَا لَوْ تَعْلَمِينَا

وَأَلْقَى نَفْسَهُ عَلَى إِثْرِهَا ، فَرَأَيْنَاهُمَا عَلَى بُعْدٍ مُتَعَانِقِينَ ، ثُمَّ
غَاصَا ، وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِمَا ، فَأَنْكَسَفَ مُحَمَّدٌ ، وَهَالَهُ الْأَمْرُ ،

وَعَظُمَتْ عَلَيْهِ الرَّزِيَّةُ ، وَقَالَ : لَتُحَدِّثَنِي بِمَا يُسَلِّينِي ، أَوْ لِأَلْحِقَنَّكَ
بِهِمَا ، فَذَكَرْتُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَدْ قَعَدَ لِلْمِظَالِمِ ، وَمَرَّتْ ^{موت}

عَلَيْهِ بَيْنَ الْقِصَصِ رُقْعَةً فِيهَا : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُخْرِجَ إِلَيَّ
جَارِيَتَهُ (نَعْمَى) حَتَّى تُغْنِيَنِي ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ .. فَعَلَّ ، فَأَغْتَاطَ ، وَأَمَرَ
بِقِتْلِهِ ، ثُمَّ أَنْشَأَ ، وَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ ؟ قَالَ : الثَّقَةُ
بِحِلْمِكَ ، وَالْآتِكَالُ عَلَى عَفْوِكَ ، فَأَجْلَسَهُ ، حَتَّى خَرَجَ النَّاسُ ،
فَأَمَرَ بِالْجَارِيَةِ ، فَأَخْرَجَتْ ، وَمَعَهَا عُودُهَا ، فَقَالَ لَهَا الْفَتَى : غَنِّي

بهذا [مِنْ شِعْرِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي « دِيْوَانِهِ » ١٤٧ مِنْ الطَّرِيْلِ] :

أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا الْكُدْلِ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

فَغَنَّتَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ يَزِيدُ : اقْتَرَحْ ، فَقَالَ : غَنِّي بِهَذَا [مِنْ الْبَسِيطِ] :

تَأَلَّقَ الْبُرْقُ نَجْدِيًّا فَقُلْتُ لَهُ يَا أَيُّهَا الْبُرْقُ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولٌ

فغنته ، فقال له يزيدُ : قُل ، قال : تأمرُ لي برطلٍ مِنَ الكُشْرابِ ،
 فما أستمَّ شربه حتى قامَ إلى أعلى قُبَّةِ ليزيدَ ، ورمى بنفسِه ، فانتثرَ
 دماغُه ، فقال يزيدُ : إِنَّا لله وإِنَّا إليه راجعونَ ، أَوْظَنَ الأحمقُ أَنِّي
 أُخْرِجُ إليه جاريتي ، ثُمَّ أرُدُّها ، خُذُوا يا غلمانُ بيدها ، وأحملوها
 إلى أَهْلِه ، معَ ما يُعزِّيهم عنه مِنَ أَمالِ ، فلَمَّا توسَّطتِ أَلدارَ .
 نظرتُ إلى بئرِ هناكَ ، فجدبتُ يدها منهم ، وقالتُ [مِنَ السَّريعِ] :

مَنْ مَاتَ عِشْقًا فَلَيْمَتْ هَكَذَا لَا خَيْرَ فِي عِشْقِي بِلاَ مَوْتِ
 قال أبو عثمان [الجاحظ] : فسُرِّي عن محمدٍ ، وأجزَلَ صِلتي ،
 ولَهذه القِصَّة تمامُ يأتي أوَّلَ المجلسِ السابعِ .

أقولُ : وفي هذا تصديقٌ للخنساءِ في قولها [من «ديوانها» ٥٠ من
 الوافر] :

وَلَوْلَا كَثْرَةُ أَلْبَاكِينِ حَوْلِي عَلَيَّ إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
 وتكذيبُ لابنِ الروميِّ في قوله [مِنَ الخفيفِ] :

لَيْسَ تَأْسُو جُرُوحُ غَيْرِي جُرُوحِي مَا بِهِمْ مَا بِهِمْ وَمَا بِي مَا بِي
 وفي «تزيينِ الأسواقِ»^(١) العجبُ العُجابُ مِنْ ذلكَ ، وفي
 تراجمِ الصوفيَّةِ الكثيرُ الطيبُ منه .

لا تستعجل ما هو لك وبقولِ العوادةِ ألسالفِ ، وهو : (كُلُّ يَوْمٍ قَطِيعَةٌ وَعِتَابٌ) إلى
 آخرِه ، تذكَّرتُ قولَ الأوَّلِ [مِنَ الكاملِ] :

وَلَقَدْ عَلِمْتَ فَلَا تُكُنْ مُتَجَنِّيًا أَنَّ الصُّدُودَ هُوَ أَلْفِرَاقُ أَلأَوَّلِ

(١) لداود الأنطاكي، متداول.

حَسْبُ الْأَحِبَّةِ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ رَبُّ الْمُنُونِ فَمَا لَنَا نَسْتَعْجِلُ

وقول سعيد بن حميد [في «ديوانه» من الكامل] :

أَقْلِلْ عِتَابَكَ فَالْبَقَاءُ قَلِيلٌ وَالذَّهْرُ يَعْدِلُ تَارَةً وَيَمِيلُ
وَلَعَلَّ أَيَّامَ الْحَيَاةِ قَصِيرَةٌ فَعَلَامَ يَكْثُرُ عَتَبْنَا وَيَطْوُلُ ؟!

وقول معن بن أوس [في «ديوانه» من الطويل] :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لِأَوْجَلُ عَلَى أَيَّتَا تَعْدُو الْمَنِيئَةَ أَوْلُ
وَإِنِّي أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدِ لَمْ أَحُلْ أَبَارَاكَ خَضُمُ أَوْ نَبَا بِكَ مَنَزَلُ ؟

وقول الأعرابي [من الطويل] :

فَأَكْرَمُ أَخَاكَ الذَّهْرَ مَا عِشْتُمَا مَعَا كَفَى بِالْمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَنَايَا

وقول الطغرائي [من الطويل] :

رُؤَيْدُكُمْ لَا تَسْبِقُوا بِقَطِيعَتِي صُرُوفَ اللَّيَالِي إِنْ فِي الذَّهْرِ كَافِيَا

وقول سليمان بن عبد الملك في كتاب شفاعة إلى أخيه الوليد ، بشأن يزيد بن المهلب : فوالله يا أمير المؤمنين ، ما تدري ما بقائي وبقاؤك ، ولا متى يُفَرِّقُ الموتُ بيني وبينك ، فإن استطاع أمير المؤمنين - أدام الله سروره - أن لا يأتي علينا أجل الوفاة إلا وهو لي واصل ، ولحقي مؤد ، وعن مساءتي نازع . . فليفعل ، إلى آخر الكتاب .

وقول الناظم [في «العكبري» ١٤٨/٢ من الطويل] :

ذَرِ الْكُفْسَ تَأْخُذُ وَسَعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا فَمُفْتَرِقُ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمْرُ (١)

(١) بينها: بُعدها. جاران: الروح والجسد.

وقوله [في «المكبري» ١٤٩/٣ من الخفيف] :

وَصَلِينَا نَصَلِكُ فِي هَذِهِ الدُّنَى يَا فَإِنَّ الْمَقَامَ فِيهَا قَلِيلُ

إذا لا تشرب نظماً

وقال بشارٌ شيخُ المتأخرين [في «ديوانه» ٣٠٩/١ من الطويل] :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقِ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
فِعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَابِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ؟

وقال الرضيُّ [في «ديوانه» ٧٦٩-٧٧٠ من الطويل] :

وَكَمْ صَاحِبٍ كَالرُّمَحِ زَاغَتْ كُعُوبُهُ أَبِي بَعْدَ طُولِ الْعَمْرِ أَنْ يَتَّقَوْمًا^(١)
كِعُضْوٍ رَمَتْ فِيهِ اللَّيَالِي بِفَادِحِ وَمَنْ حَمَلَ الْعُضْوَ الْأَيْمَ . . تَأَلَّمَا
صَبِرْتُ عَلَى إِيْلَامِهِ خَوْفَ نَقْصِهِ وَمَنْ لَمْ يَزَعِي كَانَ الْوَمَا
أَرَاكَ عَلَى قَلْبِي وَإِنْ كُنْتَ عَاصِيَا أَعَزَّ مِنَ الْقَلْبِ الْمُطِيعِ وَأَكْرَمَا
حَمَلْتِكَ حَمْلَ الْعَيْنِ لِحَجِّ بِهَا الْقَدَى فَلَا تَنْجَلِي يَوْمًا وَلَا تَبْلُغِ الْعَمَى
إِذَا الْعُضْوُ لَمْ يُؤْلَمَكَ إِلَّا قَطَعْتَهُ عَلَى مَضْضٍ لَمْ تُبْقِ لِحْمًا وَلَا دَمَا

والكلامُ في الاستصلاحِ يَطْلُبُ تفصيلاً مُقْنِعاً نُوْفِيهِ حَقَّهُ إِنْ
شَاءَ اللهُ تَعَالَى فِي أَصْلِحِ الْمَوَاطِنِ لَهُ .

ولئن قلَّ بالوجدِ الموتُ في الصدرِ الأوَّلِ . . فكثيرٌ مَنْ يَصْعَقُ
لسماعِ القرآنِ ؛ منهمُ عمرُ بنُ الخطَّابِ ، فلقد يَمْرُضُ مِنَ الْآيَةِ ،
حَتَّى يُعَادَ .

صعقة أمير المؤمنين
عمر لسماع القرآن

(١) الْعَمْرُ: العصر باليد ؛ أي : التلحين .

ولقد كَانَ جَدِّي الْمُحْسَنُ بْنُ عَلَوِيِّ مِنْ أَرْقُ النَّاسِ عَاطِفَةً ، المحسن بن علوي
ورقة قلبه
وَأَسْلَمِهِمْ ذَوْقًا ، وَإِنْ كَانَ لَيَقُومُ بِالْآيَةِ مِنَ الْقُرْآنِ يُكْرَرُهَا ، حَتَّى
يَصْبَحَ بَيْنَ الْقَلْبِ الْوَاجِفِ ، وَالدَّمْعِ الذَّارِفِ ، وَسَمِعَهُ الْفَاضِلُ
الْأَرَيْبُ السَّيِّدُ شَيْخُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَبَشِيُّ - كَمَا أَخْبَرَنِي - يَتَرَنِّحُ لَيْلَةً
بِقَوْلِ الْحَدَّادِ [فِي « دِيوانه » ٤٧٤ مِنْ الْكَامِلِ] :

وَلَيْ الزَّمَانُ وَوَلَّتِ الْأَيَّامُ فَعَلَى الْمَنَازِلِ وَالتَّنَزِيلِ سَلَامٌ
وَيُرَدُّهُ إِلَى أَنْ كَادَ يُغْشَى عَلَيْهِ ، وَبَيْنَا هُوَ سَائِرٌ فِي بَعْضِ الْأَزَقَّةِ ،
إِذْ سَمِعَ مَنشَدًا يَنْشُدُ قَصِيدَةَ الْقَطْبِ الْحَدَّادِ ، الْمُسْتَهْلَةً بِقَوْلِهِ لَنِي
« دِيوانه » مِنْ الطَّوِيلِ] :

تَفِيضُ عَيْوُنِي بِالذُّمُوعِ السَّوَابِغِ وَمَا لِي لَا أَبْكِي عَلَى خَيْرِ ذَاهِبٍ
فَأَلْقَى عَصَاهُ تَحْتَ جَبْهَتِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ يُذْرِي الدَّمُوعَ ، حَتَّى سَقَطَ
مَغْشِيًا عَلَيْهِ .

وَحَدَّثَنِي الْفَاضِلُ الْوَجِيهُ السَّيِّدُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
بَلْفَقِيهِ ، عَمَّنْ حَضَرَ مَوَارَاةَ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ يَحْيَى ، وَكَانَ
يَوْمًا مَشْهُودًا ، لَمْ يَتَأَخَّرْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ رَجَالَاتِ (حَضْرَمُوتَ) ، وَهِيَ
إِذْ ذَاكَ بِهِمْ مِلَانَةٌ ، قَالَ : إِنَّهُمْ لَمَّا أَنْصَرَفُوا مِنْ دَفْنِهِ . . أَجْتَمَعُوا فِي
بَيْتِهِ ، فَأَنشَدَهُمْ بَعْضُ الْحُدَاةِ بِقَصِيدَةِ الْحَدَّادِ الْمَشَارِإِ إِلَيْهَا ، فَلَا تَسْلُ
عَمَّا حَصَلَ مِنَ الْنَشِيْجِ ، وَأَرْتَفَعَ مِنَ الْضَجِيْجِ ، وَسَالَ مِنَ الْعَبْرَاتِ ،
وَتَصَاعَدَ مِنَ الزَّفْرَاتِ ، حَتَّى لَقَدْ كَادَتْ تُحْمَلُ الْجَنَائِزُ .

وكذلك كَانَ وَالِدِي الْمَغْفُورُ لَهُ عَيْدُ اللَّهِ بْنِ مُحْسِنٍ صَحِيْحٌ
عبيد الله بن محسن
الشُّوقِ ، سَلِيْمَ الذُّوقِ ، غَزِيْرَ الدَّمْعَةِ ، طَوِيْلَ الْفِكْرَةِ ، كُلُّ آيَةٍ

تهزؤه ، وكلُّ صادحةٍ تُطربُّه ، وكثيراً ما يمرُّ في مجالسِهِ مرورَ
السهمِ ، ولا سيّما في إشاراتِ القومِ ، فأتَمثلُ له بالبيتِ يصيبُ
محزّه ، فيذوبُ وُجداً ، ويأخذُه حالٌ شديدٌ جدّاً .

الحداد وقوله : ولى
الزمان
وعلى ذكرِ قولِ القطبِ الحدّادِ : (وَلَى الزَّمَانُ) إِلَى آخِرِهِ . . .
أقولُ : إِنَّهُ بَيْتٌ يَكادُ يَضِيءُ مِنْ غَيْرِ زَيْتٍ ، ذَكَرْتُ بِهِ مَطْلَعَ قَصِيدَتَيْنِ
لِفَحْلَيْنِ مِنْ أَمْرَاءِ الْقَرِيضِ (١) :

أحدُهُما : أَبُو نُؤَاسٍ فِي قَوْلِهِ [فِي « دِيوانه » ٥٢١ مِنْ الكَامِلِ] :

يَا دَارُ مَا فَعَلْتَ بِكَ الْأَيَّامُ !؟ لَمْ تُبْقِ فِيكَ بَشَاشَةً تُسْتَمُّ

والثاني : هُوَ الْبَارُودِيُّ فِي قَوْلِهِ [فِي « دِيوانه » ٥٣٧ مِنْ الكَامِلِ] :

ذَهَبَ الصَّبَا وَتَوَلَّتِ الْأَيَّامُ فَعَلَى الصَّبَا وَعَلَى الزَّمَانِ سَلَامٌ

ولنَ تنظرَ فيهِما ملياً ، حتّى يتبيّنَ لكَ الفرقُ جليّاً ؛ إذْ بيتُ
الحدّادِ أجملُ شارةً ، وأعدبُ إشارةً ، وأصفى زُجاجةً ، وأنصعُ
ديباجةً ، وأرقُّ طبعاً ، وأعدبُ وضعاً ، أوْلا ترى عَروضَهُ أستوفى
مدحَ الماضي ، وذمَّ الحاضرِ ، بما لا تضبطُهُ العبارةُ ، ولا يدخلُ
تحتَ الحدِّ !؟ وإنّما هوَ مِنْ جنسِ قولِهِ جلّ شأنهُ : ﴿ فغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا
غَشِيَهُمْ ﴾ [طه : ٧٨] .

وقولِ الشاعرِ [مِنَ الرُّجَزِ] :

يَحْمِلُنَ كُلَّ سُودِدٍ وَفَخْرٍ يَحْمِلُنَ مَا نَذَرِي وَمَا لَا نَذَرِي

(١) القريضة : الشعر .

وذاك ما عجزَ عن أَقلِّهِ حَكِيمُ الشعراءِ ، صاحبُ (المعرَّة) ،
بشهادةِ قولِهِ [مِنَ الخفيفِ] :

كَمْ أَرَدْنَا ذَاكَ الزَّمَانَ بِمَدْحٍ فَشُغِلْنَا بِذَمِّ هَذَا الزَّمَانِ
ولكنَّ الحدَّادَ لم يشغلهُ هذا عن الآخرِ ، بل أصابَ الغرضينِ
بسهمٍ واحدٍ ، وما زالتِ الأدباءُ رافعةَ العقيرةِ بالثناءِ على قولِ أبي
تمامٍ [في « ديوانه » ١٦٦/٢ مِن الكامل] :

لَا أَنْتِ أَنْتِ وَلَا الدِّيَارُ دِيَارُ خَفَّ الْهُوَى وَتَقَضَّتِ الْأَوْطَارُ

وإنَّما هوَ بعضُ معنى قولِ الحدَّادِ : (وَلَى الزَّمَانُ وَوَلَّتِ
الْأَيَّامُ) ؛ لأنَّهُ إذا وَلَّى الزمانُ الطيبُ بعمومه ، وَوَلَّتِ أَيَّامُ الأحبابِ
بخصوصِها - المرادُ كلُّ هذا مِن شطرِ البيتِ . . فقد أنقضى الهوى ،
وخفتِ الأوطارُ ، ولم يبقَ ما يقتضى لزومَ الديارِ ، ومواقفةَ الآثارِ ؛
إذ لا هيَ ديارُ الأحبابِ ، ولا هُم سكَّانُها ، فالميزانُ راجحٌ ،
والفضلُ في بيتِ الحدَّادِ واضحٌ ؛ إذ ليسَ في بيتِ الحَكَمِيِّ^(١) سوى
دارٍ واحدٍ ، يسألُهُ سؤالاً تقريرياً ، ينحصرُ معناهُ في أنَّ الأيَّامَ مَحَتْ
بشاشتهُ بأسرها ، إنْ تأولنا بأنَّهُ مِن نفيِ الشيءِ بإيجابِهِ ، أو إلَّا الكنزَ
الذي لا يُستامُ منها ، إنْ لم نجعلهُ منه ، وهو معنى ضئيلٌ ، إلى
ما لا يخفى مِن أستثقالِ لفظَةِ : (تُستامُ) ، وعدمِ الحاجةِ إليها .

وأما بيتُ الباروديِّ : فصورةٌ مصغرةٌ مِن بيتِ الحدَّادِ ، وكأَنَّما
هو مأخوذٌ منه مع التَّقْصِيرِ ، فهوَ دونهُ بتفاوتٍ كبيرٍ في المعنى ؛ إذ
الباروديُّ لا يَحْنُ إلَّا إلى نزواتِ الصِّبا وخطواتِهِ ، بقرينةِ ذكرِهِ لَهُ في

(١) أي : أبي نواسٍ الشاعر .

القسمين ، وأتفه بذلك من مبكي عليه في جانب بيت الحداد ، ثم هل تجد لأحد البيتين شيئاً مما لبيت الحداد - فوق أتساع المعنى ، وبُعد المرمى - من هيبه النسخ ، وروعة اللفظ ، ومائيّة الأسلوب ، فإنه يكاد يقطر ماءً ، وينصع زواء^(١) ، ويستحلب الدمع ، ويدخل على القلب قبل السمع ، إلى بُعد عن التعمّل ، وبراءة عن التكلف ، وتناسب ظاهر بين الأيام والزمان ، والمنازل والنزول ، فهذا هو السحر الحلال ، والعذب الزلال ، والمطمع المؤمنس ، والسهل الممتنع ، ثم إن البارودي لم يأخذ بيته إلا من قول ابن المعتز له «ديوانه» من الخفيف :

أَخَذَتْ مِنْ شَبَابِي الْأَيَّامُ وَتَوَلَّى الصَّبَا عَلَيْهِ السَّلَامُ
ومع ذلك ، فلم يُحسِن الاتباع ، وبيت الحداد هو الراجح على الجميع ، ولا نزاع .

وإذ أنتهى بنا حديث الشوق إلى هنا . . فلا نُدحه لنا عن ذكر أمثلة حديث الشوق في الآخرين
سمعتُ بها في الأخير ؛ لنلحق التاليد بالطارف :

منها : أن بعض الأئمة زوج ابنه من ابنة أخيه ، فانتسج بينهما من ياقرة العين
صديق الحب ، ما لا يتسع للمزيد ، غير أن الإمام سيّر ابنه بإثر ذلك إلى موضع عمله ، وبقيت المرأة بقاعدة الملك ، فكان يطالعها بأشواقه ، وتجيئه بمثل ذلك ، وكان من عادة الإمام أن يقبل يوم الجمعة بمنزل ولده ، فعثر منه مرة على قصيدة ، يشتكي لزوجه

(١) الزواء : المنظر الحسن .

الْبَعْدَ ، وَتَوَجَّعُ مِنَ الْفِرَاقِ ، وَيَصِفُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْاِحْتِرَاقِ ، يَقُولُ
فِيهَا [مِنَ الْبَسِيطِ] :

يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ يَا نُورَ الْبَصِيرَةِ يَا شَفِيقَةَ الرُّوحِ يَا مَنْ لَا أَسْمِيَهَا

فَرَّقَ لَهُ أَبُوهُ ، وَرَسَمَ بِوَصُولِهِ ، وَلَكِنْ بَعْدَ مَا سَبَقَ السَّيْفُ
الْعَدْلَ ، وَلَمْ يُبْقِ الْحَبُّ عَلَى الرَّمَقِ ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةً وَصُولِهِ . . أَشْتَدَّ
الشَّقُّ ، فَطَارَتِ أَرْوَاحُ إِلَى فَوْقِ - وَنَدَى الَّذِي يَقُولُ [مِنَ الْوَاوِرِ] :

أبرح الشوق

وَأَبْرَحُ مَا يَكُونُ الشَّقُّ يَوْمًا إِذَا دَنَّتِ الْدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ

وَقَالَ التَّهَامِيُّ [فِي « دِيوانه » ٢٥٨ مِنْ الطَّوِيلِ] :

بَكَيْتُ فَحَنَّتْ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جَوَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارُهَا

(وَ) كَانَ ﷺ إِذَا أَبْصَرَ دَرَجَاتِ الْمَدِينَةِ . . حَرَّكَ دَابَّتَهُ مِنْ
حُبِّهَا (١) ، فَهُوَ أَصْلُ الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ - وَلَمْ يَدْخُلِ الْأَمِيرُ بِلَدِّهِ إِلَّا
وَرُوحُهُ خَامِدَةٌ ، وَجُثَّتُهُ هَامِدَةٌ ، وَلَمَّا اتَّصَلَ بِالْمَرْأَةِ نَعِيَهُ . . شَخْصَ
بَصَرُهَا وَبَرَقَ ، وَأَصْفَرَ جَبِينُهَا وَعَرَقَ ، وَكَانَتْ الْقَاضِيَةَ .

ومنها : أَنَّ الشَّيْخَ حُسَيْنَ زَايِدَ الشَّاعِرَ ، الْيَافِعِيَّ ، الْمَشْهُورَ ،
الْقَرِيبَ الْعَهْدِ (بِ حَضْرَمَوْتِ) . . كَانَتْ لَهُ أَمْرَاءٌ مَلَكَتْ عَقْلَهُ ،
وَعَلَبَتْ هَوَاهُ ، وَمَلَأَتْ رِضَاهُ ، فَبَيْنَا هُوَ مَعَهَا يَوْمًا عَلَى قَهْوَةٍ . .
قَالَ : أَتَمَنَّى عَلَيْكَ أَمْنِيَّةً ، أَحَبُّ أَنْ تَوَافِقَنِي عَلَيْهَا ، قَالَتْ : نَعَمْ ،
قَالَ : كَائِنَةً مَا كَانَتْ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، وَأَخَذَ عَهْدَهَا بِذَلِكَ ، فَقَالَ :
أَصْنَعِي الْقَهْوَةَ عُرْيَانَةً ، فَاسْتَقَالْتُهُ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ، فَفَعَلْتُ ، وَلَمَّا أَدَّتِ

الشيخ حسين زايد
وصناعة القهوة

(١) أوردته الحافظ في « فتح الباري » (٣/٦٣٠) .

الوظيفة . . قالت : وأنا أتمنى عليك أمراً ، أفطعطينيه ؟ قال : نعم .
 قالت : كائناً ما كان ؟ قال : نعم ، وأخذت عليه ميثاقاً غليظاً ،
 قالت : تطلقني بالثلاث في الحال ، ولما فشل في المراجعة ،
 ولجأت في التّصميم . . لم يسعه إلاّ الوفاء بما اقتطعه على نفسه ،
 وإن كان فيه حتفه ، ثم خرج هائماً على وجهه ، وأشار على أخيه أن
 يتزوّجها إذا حلّت ، فأمتثل ، وبعقب ذلك جاء لتهنئة أخيه ،
 فدخلت هي ، وألقت جانب السّتر ، فأشدها أبياتاً من شعره
 الحُميني ، يزعمُ فيه : أنه رآها وإيأه مجتمعين على شربِ قهوة في
 فراش واحد ، فأجابته من بحره وقافيته بما يقطعُ أمله ، ويخيّبُ
 رجاءه ، وكان ذلك في حين ذهاب أخيه لبعضِ شغله ، ومُذْزودته
 اليأسَ الحاضر . . استولاه الضّعف ، وزاره السّقام ، ولزمته
 العِللُ ، وأشتملَ عليه الفراشُ ، ولما استعر به الألمُ ، وأستحز به
 الوجدُ ، ونهكه المرضُ . . طلبَ من أخيه وصولَ المرأة ؛
 ليستحلّها ، ويطلبَ العفوَ منها ، ورُبّما خطرَ بباله ما خطرَ ببالِ
 مجنونِ عامرٍ في قوله [من «ديوانه» ٢٤٩ من الطويل] :

ولو شهدتني حين تأتي منيبي جلا سكرات الموت عني ابتسامها

أو قول الأغمشي [في «ديوانه» ١٥٢ من السريع] :

لو أسندت ميتاً إلى نحرها عاش ولم يُنقل إلى قابر

فأشارَ عليها أخوه بالذهاب ، فأمتنعت ، وقالت له : أولى لك
 أن لا تفعل ، فألحَ عليها ، وبمجرد دخولها على حسين . . أزدهرت
 عيناه ، كأنهما سراجان ، وأستأذنها أن يضع رأسه على فخدها ،

فَأَذَنْتُ ، وَلِحِينِ مَا وَضَعَهُ فَاضَتْ نَفْسُهُ ، وَلَمْ يَنْفَعَهُ مَا سَبَقَ عَنِ
الْأَعْسَى وَالْمَجْنُونِ ، بَلْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ غَيْرُهُمَا [مِنَ الطُّوَيْلِ] :

وَلَمَّا رَأَيْتَنِي فِي السِّيَاقِ تَعَطَّفَتْ عَلَيَّ وَعِنْدِي مِنْ تَعَطُّفِهَا شُغْلٌ
أَنْتَ وَحِيَاضُ الْمَوْتِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَمَنْتَ بِوَصْلِ حِينٍ لَا يَنْفَعُ الْوَصْلُ

وَقَالَ جَرِيرٌ [فِي «دِيوانه» ٢٠١/٦٦١ مِنَ الطُّوَيْلِ] :

إِذَا مَا رَجَا الظَّنَّانُ وَزَدَ شَرِيْعَةَ ضَرْبَنَ حِيَالِ الْمَوْتِ دُونَ الشَّرَائِعِ
ثُمَّ حَرَّكَوْهَا ، فَإِذَا هِيَ يَاْسَةٌ .

وَأَخْتَلَفَتْ أَلْرَوَايَةُ عَنِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ زَامِلٍ بَاجِرِيٌّ : فَقَدْ ذَكَرَ
رِيْمَا قَتَلَ الشَّيْخَ ابْنَ زَامِلٍ فِي هَذَا الطَّرِيقِ
مَوْتَهُ وَمَوْتَ مَحْبُوبَتِهِ فِي تِلْكَ السَّبِيلِ . وَالْأُخْرَى : أَنَّ الْعَوَامِرَ
قَتَلُوهُ ، وَلَمَّا لُفَّ فِي مِلْحَفَتِهِ . . أَصَابَتْهَا شَرَارَةٌ ، فَاشْتَعَلَتْ نَاراً ،
وَأَحْتَرَقَ ، وَمِنَ الْقِصَّةِ تَعْرِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ مِنَ الشَّهَامَةِ ، وَكَرَمِ
الطَّبَاعِ .

وَبِهَا ذَكَرْتُ مَا رَوَيْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : أَنَّ فِتْنَةَ مِنَ الْعَرَبِ
عَاشِقَةُ ابْنِ عَمِّهَا كَيْفَ تَمُوتُ
عَلَّقَتْ بِأَبْنِ عَمِّ لَهَا عَاقِلٍ ، أَدِيبٍ ، فَجَعَلَتْ تَكْثِيرَ الْاِخْتِلَافِ عَلَيْهِ ،
حَتَّى خَلَا لَهَا وَجْهُهُ ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ ، فَصَرَفَهَا ، فَتَغَيَّرَ حَالُهَا ،
وَأَعْتَلَّتْ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا الْمَرَضُ حَتَّى سَقَطَتْ عَلَى الْفَرَاشِ ، فَأَخْبَرْتَهُ
أُمُّهُ بِشَأْنِهَا ، فَقَالَ : عُوْدِيهَا ، وَقُولِي لَهَا : مَا شَأْنُكَ ؟ فَقَالَتْ :
وَجَعٌ فِي فُؤَادِي ، هُوَ أَصْلُ الْعَلَّةِ ، قَالَتْ : فَإِنَّ ابْنِي يَسْأَلُكَ عَنْهَا ،
فَتَنَفَّسْتُ ، وَقَالَتْ [مِنَ الطُّوَيْلِ] :

يَسْأَلُنِي عَنِ عَلَّتِي وَهُوَ عَلَّتِي عَجِيبٌ مِنَ الْأَنْبَاءِ جَاءَ بِهِ الدَّهْرُ
فَأَخْبَرْتُهُ بِحَالِهَا وَمَقَالِهَا ، فَقَالَ : أَتَحِبُّ أَنْ أَصِيرَ إِلَيْهَا ، أَوْ تَصِيرَ

إِلَيَّ ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهَا ذَلِكَ أُمَّهُ ، فَقَالَتْ [مِنَ الطَوِيلِ] :

وَيُبْعِدُنِي عَن قَرِيْبِهِ وَلِقَائِهِ فَلَمَّا أَذَابَ الْجِسْمَ مِنِّي تَعَطَّفَا
فَلَسْتُ بِأَتِ مَوْضِعًا فِيهِ قَاتِلِي بِحَسْبِي سِقَامًا أَنْ أَمُوتَ تَلَهُفَا
وَلَمْ تَزَلْ لِمَا بَهَا حَتَّى مَاتَتْ .

ومنها : ما بلغني أنَّ اثْنَيْنِ مِنَ الْحُمُومِ^(١) ، كَانَ بَيْنَهُمَا وَدٌّ
وَإِحَاءٌ ، فَزَارَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ مَرَّةً عَلَى بُعْدِ الدَّارِ ، وَشَخِطَ الْمَزَارِ ،
وَعَلِيهِ آثَارُ الضَّنَى ، فَسَأَلَهُ عَمَّا بِهِ فَكْتَمَ ، حَتَّى أَلْحَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ :
إِنِّي أَسْتَعْرِضُ النِّسَاءَ فِي قَدَمَتِي الْأُولَى عَلَيْكَ ، فَأَفْتِنْتُ بِوَاحِدَةٍ
مِنْهُنَّ ، صَيَّرَنِي هَوَاهَا إِلَى مَا رَأَيْتَ ، قَالَ : هَلْ تَعْرِفُهَا لَوْ رَأَيْتَهَا ؟
قَالَ : نَعَمْ ، فَمَرَّ بِهِ عَلَى النِّسَاءِ ، فَأَشَارَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ لَهُ : طِبَّ نَفْسًا
عِنَهَا ، وَقَرَّ عَيْنًا بِزَوَاجِهَا ، وَلَمْ يَزَلْ يُعَلِّلُهَا ، وَيَسْتَمِهُلُهَا ، حَتَّى أَعْرَسَ
لَهُ بِهَا ، وَزَفَّهَا إِلَيْهِ ، وَلَمَّا أَحْتَمَلَهَا إِلَى قَوْمِهِ . . أَخْبَرْتُهُ أَنَّهَا كَانَتْ
زَوْجَةً صَاحِبِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ مُحِبًّا لَهَا ، وَلَمْ يَطْلُقْهَا إِلَّا إِثْرًا لِهَوَاهُ ،
فَسُقِطَ فِي يَدِهِ^(٢) ، وَأَعْظَمَ الْأَمْرَ ، وَشَاءَ أَنْ يَطْلُقْهَا ، لَوْلَا أَنَّهَا
أَسْتَمَلَتْ مِنْهُ عَلَى وِلْدٍ ، وَأَيَقَنَ بِالْهَلَاكِ إِنْ هُوَ فَارَقَهَا ، ثُمَّ زَارَ صَاحِبَهُ
بِإِثْرِ ذَلِكَ ، فَالْفَاهُ رَهِيْنَ الْفَرَاشِ ، فَسَأَلَهُ عَن عِلَّتِهِ ، وَهَلْ لَهَا مِنْ
دَوَاءٍ ؟ فَقَالَ : لَقَدْ اسْتَوْصَفْتُ الْأَطْبَاءَ مِنْ أَهْلِ بَادِيَتِنَا ، وَكُلُّهُمْ أَشَارَ
عَلَيَّ بِمَا لَا يُمْكِنُ وَجُودُهُ ، قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : دَمٌ طِفْلِ يَكُونُ
وَحِيدَ أَبُوْبِهِ يَذْبَحَانِهِ بِأَيْدِيهِمَا ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَمْرَاتِهِ . . قَالَ لَهَا : قَدْ

يخرج روحه من نفسه
ليعطها لصديقه

(١) قَبِيْلَةٌ مِنْ قَبَائِلِ (حَضْرَمَوْتِ) .

(٢) سُقِطَ فِي يَدِهِ : نَدَمَ .

علمت ما أتقنني به صاحبي من المِنَّة ، وأقدرنى الله على مكافأته ،
 وشرح لها الحديث ، فذهبا بالولد ، ولما قابلا الرجل . . ذبحاه ،
 وأفرغا عليه دمه ، كما وصف له الأطباء في العلاج ، فتمائل ، ثم
 برأ .

هذا ما حدثني به جماعة من العوامر والحموم ، والله أعلم
 بحقيقة الحال . ولا شك أنه من النكارة والأشنع والفظاعة
 بالدرجة الفاحشة ، ولكن للوفاء هزة من حيث كان ، فلا حرج أن
 أعجبنا به من هذه الجهة ، كما قررناه عند ذكر مقتل أبي جهل بن
 هشام ، من كتابنا : « بلابل التغريد » .

وشبيه بهذه من ناحية : ما رأيته في بعض الكتب : أن ملكاً ظهر
 فيه خراج أعين الأطباء علاجه ، حتى جاءه أحد النصابين منهم ،
 فقال : لا يفيد فيه إلا دم صبي بلغ العاشرة ، يذبحه أبواه بين
 يديك ، بحيث يقع دمه على الخراج ، وأتفق أن رجلاً كلما بلغ أحد
 أبنائه العاشرة . . هلك ، وكان له ابن على رأسها ، فلما سمع بما
 جعله الملك من المال الجزيل لمن يبذل ولده في هندي الكسب . .
 قال لامرأته : قد علمت من العادة التي لا تتخلف أن هذا الولد
 لا بد أن يموت عمًا قليل ، فلأن نربح به هذه الثروة الضخمة . . خير
 لنا من أن يذهب ضياعاً ، فوافقت ، وتقدما به إلى الملك ، ولما
 اعتزما ذبحه بين يديه . . ضحك الصبي ، فقال له الملك : مم
 تضحك على ما أنت فيه ؟ فقال : إن أحن الناس على الصبي أبوه
 وأمه وسلطانة ، وإذا كان الثلاثة يرتكبون مني هذا الأمر الذي تقشعروا
 منه الأبدان . . فكيف يرحمهم جبار السماء ؟ ! فأرتاع الملك لقوله ،
 وأنفجر جرحه ، وأمر بالكف عنه ، ودفع لهم المال ، وعاش

الولدُ ، وعوفَى الملكُ ، والعهدَةُ على الراوي .

أرى جسداً عليلاً وعينين صحيحتين
ويَتَّصِلُ بحديثِ الحُموميِّ : ما ذكرَهُ عبدُ الملكِ بنُ عُمرِ ،
قَالَ : كَانَ أَخَوَانِ فِي ثَقِيفٍ مِنْ بَنِي كُنَّةَ ، بَيْنَهُمَا مِنَ الْوُدِّ مَا لَا يَعْلَمُهُ
إِلَّا اللَّهُ ، كُلُّ مِنْهُمَا يَرَى الْآخَرَ عِدَلَ نَفْسِهِ ، فَاتَّفَقَ أَنْ سَافَرَ الْأَكْبَرُ ،
وَأَعْتَمَدَ عَلَى الْأَصْغَرِ فِي حِفْظِ تَرْكِيهِ ، وَقَضَاءِ حَاجَةِ أَهْلِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ
فِي دَارِ أَخِيهِ . . إِذْ مَرَّتْ زَوْجُهُ - وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ الْبَشَرِ - فَوَقَعَ فِي
قَلْبِهِ حُبُّهَا ، وَجَعَلَ لَوْنُهُ يَتَغَيَّرُ ، وَجَسْمُهُ يَذُوبُ ، حَتَّى قَدِمَ أَخُوهُ ،
فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : لَا شَيْءَ ، فَدَعَا لَهُ الْأَطْبَاءَ ، فَعَيَّوْا بِأَمْرِهِ ،
مَا سِوَى الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ ؛ فَإِنَّهُ قَالَ : أَرَى عَيْنَيْنِ صَحِيحَتَيْنِ ، وَمَا
أَرَى مَا بِهِ إِلَّا مِنَ الْعَشَقِ ، وَسَأَسْقِيهِ شَرَاباً ، وَسَيِّبُنُ إِنْ كَانَ عَاشِقاً ،
فَجَعَلَ يَسْقِيهِ ، فَلَمَّا أَخَذَهُ الشَّرَابُ . . أَهْتَاجَ ، وَأَسْتَهَلَ بِأَيَّاتِ تَدُلُّ
عَلَى صَدَقِ مَا تَفَرَّسَهُ الْحَارِثُ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَجْمَلٌ ، وَلَمْ يَعِيْنُ ، فَقَالَ لَهُ
الْأَخُ : أَنْتَ طَيِّبُ الْعَرَبِ ، فَمَا الْحِيلَةُ فِي التَّعْيِينِ ، حَتَّى نَقْضِيَ
غَرَضَهُ ؟ قَالَ : سَأَعِيدُ عَلَيْهِ الشَّرَابَ ، حَتَّى يُسَمِّيَ ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْرُرُهُ
عَلَيْهِ ، حَتَّى سَمِيَ الْمَرْأَةَ ، فَطَلَّقَهَا أَخُوهُ لِيَتَزَوَّجَهَا ، فَقَالَ الْمَرِيضُ :
عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا إِنْ تَزَوَّجْتُهَا ، وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى قَضَى قَتِيلَ الْغَرَامِ (١) .

المتنبي والرمادي
وخاتمة المجلس : أَنَّ لَيْبَةَ النَّازِمِ الَّذِي نَحْنُ بِسَبِيلِهِ . . قِصَّةٌ
حَاصِلُهَا : أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بِقَوْلِ الرَّمَادِيِّ يَمْدَحُ أَبَا عَلِيٍّ الْقَالِيَّ لَفِي «دِيوانِهِ»
: ١١١ مِنَ الْكَامِلِ] :

فِي أَيِّ جَارِحَةٍ أَصُونُ مُعَذَّبِي سَلِمْتَ عَنِ التَّغْذِيبِ وَالتَّنْكِيلِ

(١) «المستقصى في أمثال العرب» (٣٩/١) .

.. قَالَ : إِنَّ سَلَمَ مِنْ دَاءِ الْحَلَاقِ^(١) .. فليجعلهُ في أَسْتِهِ .
فَأَنْتَهتْ مَقَالَتُهُ لِلرَّمَادِيِّ ، وَكَانَ قَدْ سَمِعَ بِقَوْلِهِ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنِّي رَجُلٌ [لَوْلَا مُحَاظَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي]
فَقَالَ : مَا أَشْبَهُهُ حِينَئِذٍ بِالضَّرْطَةِ ، فَإِنَّهَا تُسْمَعُ وَلَا تُرَى ،
وَالْبَيْتَانِ صَحِيحَانِ ، غَيْرَ أَنَّ مَنْ تَكَلَّفَ الْإِنْتِقَادَ .. لَمْ يَغُوزْ إِلَيْهِ
الطَّرِيقَ ، إِمَّا سَهْلًا وَإِمَّا وَغْرًا ، إِمَّا سَمِينًا وَإِمَّا غَنًّا ، كَصَنِيعِ الرَّجُلَيْنِ
فِي الْبَيْتَيْنِ ، وَقَدْ يَكُونُ الرَّمَادِيُّ إِنَّمَا أَنْتَقَدَ قَوْلَ النَّازِمِ الْآتِي عَنْ
قَرِيبٍ وَهُوَ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

وَصَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى صَارَ هَارِبُهُمْ إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلًا
وَالأَوَّلُ أَشْبَهُ ، وَالْحَفِظُ يَخُونُ ، وَاللَّفْظُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ

* * *

(١) الْحَلَاقُ : الْمَنِيَّةُ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ إِنْ بَقِيَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ بَعْدَمَا أَصَابَهُ مِنَ الْعَذَابِ .. فَلْيَجْعَلْ حَبِيبَهُ فِي أَسْتِهِ .

المجلس الثاني

[قال أبو الطيب المتنبي في «العُكْبَرِيِّ» ٢٩٤ / ١ من المنسرح]:

أَهْلًا بِدَارِ سَبَاكَ أَغْيَدُهَا أَبْعَدَ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا^(١)

جرت عادة الشعراء بالسلام على ديار الأحاب ، والدعاء عادة الشعراء البكاء
لآثارهم بالشقيا ، وما أشبه ذلك ، فقال عمرو القيس [في «ديوانه» من على الأطلال
الطويل]:

أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي [وَهَلْ يِعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي]

وقال القطامي [في «ديوانه» ٢٣ من البسيط]:

إِنَّا مُحَيِّوُكَ فَاسْلَمَ أَيُّهَا الطَّلُّ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّيْلُ

وقد أحب الناظم أن يتسمت آثارهم ، كما في قوله [في «العُكْبَرِيِّ» ٥٦ / ١ اقتداء المتنبي بهم

من الطويل]:

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَنْعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبَا فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْغَرْبَا

(١) الأعيْدُ : الناعم .

وقوله [في «المكبري» ٣٧٧/٢ من البسيط] :

فِعْمَ صَبَاحًا لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي شَجْنًا وَأَرْدُدُ تَحِيَّتَنَا إِنَّا مُحَيُّوكََا^(١)

وقوله [في «المكبري» ٣٦/٤ من البسيط] :

فَمَا أَمْرٌ بِرَسْمٍ لَا أَسْأَلُهُ وَلَا بِذَاتِ خِمَارٍ لَا تُرِيقُ دَمِي

مخالفته لهم غير أنه غايرهم في قوله [في «المكبري» ٢٤٩/٢-٢٥٠ من الوافر] :

مُلِثَ الْقَطْرِ أَعْطَشَهَا رُبُوعًا وَإِلَّا فَاسْقِهَا السُّمَّ النَّجِيعًا^(٢)

أَسْأَلُهَا عَنِ الْمُتَدَيِّرِيهَا فَلَا تَدْرِي وَلَا تُدْرِي دُمُوعًا^(٣)

ولقد بالغ المعري في قوله [في «سقط الزند» ١٩٦ من الطريل] :

تَحِيَّةٌ كِسْرَى فِي السَّنَاءِ وَتُبَّعٌ لِرَبْعِكَ لَا أَرْضَى تَحِيَّةً أَرْبَعًا^(٤)

شرح المطلع والناظم في البيت الذي نتكلم عليه يدعو للدار بأن تكون مأهولة ، وكان الواجب أن يقول : (أهلاً لدار) ؛ ليتضح معنى الدعاء للدار ؛ لأن من معاني (اللام) بيان المدعو له ، كما في قولهم : (سقيآله) .

(١) عم صباحاً: كلمة تحية. وفي «الديوان»: (طرباً) : بدل (شجنًا).

(٢) في «الديوان» و«المكبري»: (السُّمُّ النَّجِيعًا) بدل (السُّمُّ النَّجِيعًا). المُلِثُ :

الدائم المقيم . النجيع ، يُقالُ : نَجَعَ فِيهِ الدَّوَاءُ وَأَنْجَعَ : إِذَا عَمِلَ .

(٣) المُتَدَيِّرِيهَا : أي مُتَخَذِيهَا دَارًا ، وَالْأَصْلُ : الْمُتَدِيرِينَ فِيهَا ، فَأَضَافَ إِلَى الضمير .

(٤) السَّنَاءُ : الرَّفْعَةُ . تُبَّعٌ : مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ ، جَمْعُهُ تَبَائِعَةٌ : سُمُّوا بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، كَلَّمَا هَلَكَ وَاحِدٌ . . قَامَ مَقَامَهُ آخِرُ مَتَابِعَا لَهُ عَلَى مِثْلِ سِيرَتِهِ . وَتُبَّعٌ مَعْطُوفٌ عَلَى كِسْرَى ، أَي تَحِيَّةٌ كِسْرَى وَتُبَّعٌ . . لِرَبْعِكَ .

أَمَّا (ألباء) : فلا معنى لها ، وإن تكلفَ الشارحُ في تأويلها .

وأما قوله : (أَبْعَدَ مَا بَانَ عَنكَ خُرْدُهَا) . . فـ (الخُرْدُ) : جمع خريدة ، وهي البكرُ التي لَمْ تُمَسَّ . و (أَبْعَدَ) : أَفْعَلُ تفضيل .

ومعناه : أَنَّ أَهْلَ الدَارِ قَدْ بَعُدُوا كُلَّهُمْ ، غَيْرَ أَنَّ الخُرْدَ أَبْعَدُ . ثُمَّ لَا يَخْلُو أَنَّ يُرِيدُ وَصْفَهُمْ بِالْبُعْدِ حَالِ الإِقَامَةِ ، وَفِيهِ نَظَرٌ ؛ لِأَنَّ وَصْفَ الرِّجَالِ بِالْبُعْدِ قَدْ يُفْهَمُ مِنْهُ الإِشَارَةُ إِلَى تَحِلُّهُمْ^(١) ، أَوْ حَالِ الأَرْتِحَالِ ، وَهُوَ حَيْثُ ظَاهِرٌ ؛ لِأَنَّهُمْ وَإِنْ تَحَمَّلُوا مَعًا ، فَأَوَّلُ مَنْ يُقَدِّمُ النِّسَاءَ ، ثُمَّ يَزِدْنَ بَعْدَ الْغَيْرَةِ وَالصِّيَانَةِ ، وَكَثِيرًا مَا يَوْجَدُ ذِكْرُ بَعْدِهِنَّ فِي أَفَانِينَ القَوْلِ ، كَمَا هُوَ مُكْرَّرٌ فِي « دِيْوَانِهِ » مِنْهُ قَوْلُهُ [فِي « المُكَبَّرِيِّ » ١/ ٢٢٥ مِنْ الكَامِلِ] :

صيانة المرأة عند
العرب

سَرِبَتْ مَحَاسِنُهُ حُرِمَتْ ذَوَاتِهَا دَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِهَا

وقوله [فِي « المُكَبَّرِيِّ » ٤/ ١١١ مِنْ الطَوِيلِ] :

دِيَارُ اللَّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ بِطُولِ أَلْقَانَا يُحْفَظْنَ لَا بِأَلْتَمَائِمِ^(٢)

وهو مِنْ قَوْلِ الطَّرِمَّاحِ [فِي « دِيْوَانِهِ » ٣٥٠ مِنْ الطَوِيلِ] :

وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلَا عَزَّ أَهْلُهَا مِنْ النَّاسِ إِلَّا بِأَلْقَانِبِ^(٣) وَالْقُنَابِلِ

قريب المرأى بعيد
المنال

وقوله - أعني الناظم - [فِي « المُكَبَّرِيِّ » ١/ ١١١ مِنْ البَسِيطِ] :

(١) التَّحِلُّةُ : الإِقَامَةُ .

(٢) فِي « الدِّيْوَانِ » : (بَطُولِي) بَدَلُ (بَطُولِ) ، وَهُوَ مُؤَنَّثُ أَطْوَلِ ، مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى المَوْصُوفِ .

(٣) القُنَابِلُ - جَمْعُ قُنْبَلَةٍ - : وَهِيَ الطَّائِفَةُ مِنَ النَّاسِ وَمِنْ الخَيْلِ ، قِيلَ : مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ إِلَى الأَرْبَعِينَ .

بَيْضَاءَ تُطْمَعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَا
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْمِي كَفَّ قَابِضِهِ شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبًا

وقوله [في «العُكْبَرِيَّ» ٧٥/٣ من البسيط] :

تَكَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى مَعْدُ مَتَى تَرُزُ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يُنْحَفُونَكَ بِغَيْرِ الْبَيْضِ وَالْأَسْلِ^(١)

الشعراء

وقال كَثِيرٌ [في «ديوانه» ٩٧ من الطويل] :

كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضْتُ مِنَ الصُّمِّ لَوْ تَمَشِي بِهَا الْعُصْمُ زَلَّتْ^(٢)

وقال الطَّرِمَّاحُ [في «ديوانه» ٤٣٥ من الطويل] :

تَرَاهَا عُيُونُ النَّاطِرِينَ إِذَا بَدَتْ قَرِيبًا وَلَا يَسْتَطِيعُهَا مَنْ يَرُومُهَا

وقال أَبُو الْأَحْنَفِ [في «ديوانه» ٢٢١ من المتقارب] :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَزَّ الْقَوَادَ عَزَاءَ جَمِيلًا

وقال أَبُو عَيْنَةَ [من الطويل] :

فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هِيَ الشَّمْسُ ضَوْؤُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ

ولا يخرجُ عنه قولُ جريرٍ [من الكامل] :

حُورٌ حَرَاتِرٌ مَا هَمَمْنَ بِرَبِيبَةٍ كَطَبَاءِ مَكَّةَ صَيَدُهُنَّ حَرَامُ

يُحْسِبْنَ مِنْ لِينِ الْحَدِيثِ زَوَانِيًا وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الْخَنَا الْإِسْلَامُ

(١) البَيْضُ : السِّوْفُ . وَالْأَسْلُ : الرَّمَاحُ . قال الشاعر :

نَخْنَعُ زَيْدًا وَسَعْلًا لَمَّ رَأَى وَنَحَّ الْأَسْلَ

(٢) الصُّمُّ - جمعُ صَمَاءَ - : وهِيَ الصَّخْرَةُ الصَّلْبَةُ . الْعُصْمُ - جمعُ أَعْصَمَ - :

وَالْأَعْصَمُ مِنَ الطَّبَاءِ وَالْوَعُولِ : الَّذِي فِي ذِرَاعَيْهِ بِياضٌ .

وما أحسن قوله مع نظيره إلى ما نحن فيه من قريب [من الطويل] :
 وَأَذِنْتِنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتِنِي بِقَوْلٍ يُحِلُّ الْعُضْمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ
 تَجَافَيْتِ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ وَخَلَّفْتِ مَا خَلَّفْتِ بَيْنَ الْجَوَانِحِ
 وفيه نظر إلى قوله جل شأنه : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ
 اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ ﴾ [الحشر : ١٦] .

وفي معناه قول امرأة ابن الدُمَيْنَةِ [في «ديوانه» ٤٢ من الطويل] :
 وَأَنْتِ الَّذِي أَخْلَفْتِنِي مَا وَعَدْتِنِي وَأَشْمَتَّ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
 وَأَبْرَزْتِنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتِنِي لَهُمْ غَرَضًا أُرْمَى وَأَنْتِ سَلِيمٌ
 فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَا بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كُلُّومٌ

وقال العباس بن الأحنف [في «ديوانه» ٨٤ من البسيط] :

أَبْكِي الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ حَتَّى إِذَا أَيْقَظُونِي لِلْهَوَى رَقَدُوا
 وَأَسْتَهْضُونِي فَلَمَّا قُمْتُ مُتَّصِبًا بِثِقَلِ مَا حَمَلُونِي عَنْهُمْ فَعَدُوا

وقال بعضهم [في «الأغاني» ٥٣/٢] : بينا أنا وصديق لي من قريش . . . لقاءً وعتاب

إِذَا بَظَلَّ نِسْوَةٌ فِي الْقَمَرِ ، فَسَمِعْتُ وَاحِدَةً تَقُولُ : أَهُوَ هُوَ ؟ فَقَالَتْ
 الْأُخْرَى : نَعَمْ ، فَدَنْتُ مَنِّي ، وَقَالَتْ : قُلْ لِمَا حَبَبَكَ [من البسيط] :

لَيْسَتْ لِيَالِيكَ فِي خَاخٍ بِعَائِدَةٍ كَمَا عَهَدْتَ وَلَا أَيَّامُ ذِي سَلَمٍ (١)

(١) خَاخٌ : اسمٌ مَوْضِعٍ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ ، وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي حَدِيثِ عَلِيِّ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٤٨٩٠) وَغَيْرِهِ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْسَلَهُ وَالزَّبِيرَ وَالْمَقْدَادَ وَقَالَ : «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا طَعِينَةً . . . الْحَدِيثُ .

فلم يَحِرْ جواباً ، فقلتُ عنه [مِنَ الطويل] :

فَقُلْتُ لَهَا : يَا عَزُّ كُلِّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِنْتَ يَوْمًا لَهَا الْنَفْسُ ذَلَّتْ

فدعنتني إلى بيتها ، وقالت : ما أفظَّ جوابك ، وبكت ، وشكت
ما أضرَّ بها من هوى صاحبي ، فدعوتهُ لها ، فعاتبته طويلاً ، ثمَّ
تمثلت بأبيات امرأة ابن الدُمَيْنَةِ ، ثمَّ سككت ، فقال الفتى [مِنَ الطويل] :

غَدَرْتِ وَلَمْ أَغْدُرْ وَخُنْتِ وَلَمْ أَخُنْ وَفِي دُونَ هَذَا لِلْمُحِبِّ عَزَاءُ
جَزَيْتُكَ ضِعْفَ الْوُدِّ ثُمَّ صَرَمْتِنِي فَحُبُّكَ فِي قَلْبِي أَدَى وَشَقَاءُ

فَقَالَتْ [مِنَ الطويل] :

تَجَاهَلْتِ وَصَلِي حِينَ لَجَّتِ عَمَائِي فَهَلَّا صَرَمْتَ الْحَبْلَ إِذْ أَنَا مُبْصِرُ
وَلِي مِنْ قَوِي الْحَبْلِ الَّذِي قَدْ قَطَعْتَهُ نَصِيبٌ وَإِذْ رَأَيْتِي جَمِيعٌ مُؤَفَّرُ
وَلَكِنَّمَا أَذْنَتْ بِالْهَجْرِ بَغْتَةً وَلَسْتُ عَلَيَّ مِثْلَ الَّذِي جِئْتَ أَقْدِرُ

فَقَالَ الْفَتَى [مِنَ الطويل] :

لَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي - وَأَنْتِ أَجْتَرَمْتِي وَكُنْتِ أَحَبَّ النَّاسِ - عَنكَ تَطِيبُ^(١)

فبكت ، ثمَّ قالت : أما وقد جعلت نفسك تطيب . . فما فيك
بعدها خيرٌ ، والسلام .

وقال قيسُ بنُ المُلَوِّحِ [في «ديوانه» مِنَ الطويل] :

وَمَنْ يَنْبِي حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتِنِي عَلَيَّ شَرَفٍ لِلنَّاطِرِينَ قَرِيبِ
صَدَدَتْ وَأَشَمَّتِ الْعُدُوُّ بِقُرْبِنَا أَنَابِكَ يَا لَيْلَى الْجَزَاءُ مُثِيبِي

(١) اجترَمَ : قطع .

ومما يُنسبُ إلى سيفِ الدولة قولُهُ [« في ديوانه » من الطويل] : ما أصعب الفطام بعد

تَجَنَّى عَلَيَّ الذَّنْبُ وَالذَّنْبُ ذَنْبُهُ وَعَاتَبْتَنِي ظُلْمًا وَفِي شِقْهِ الْعَتَبُ الرضاع
وَأَعْرَضَ لَمَّا صَارَ قَلْبِي بِكَفِّهِ فَهَلَّا جَفَانِي حِينَ كَانَ لِي الْقَلْبُ

وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ لِبَعْضِ الْأَعْرَابِ [مِنَ الطويل] : الباذلات المانعات

وَمُسْتَخْفِيَاتٍ لَيْسَ يَخْفَيْنَ زُرْنَا يُسْحَبْنَ أَذْيَالَ الصَّبَابَةِ وَالذَّلُّ
جَمَعْنَ الْهَوَى حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتَهُ نَزَعْنَ وَقَدْ أَكْثَرْنَ فِينَا مِنَ الْقَتْلِ
مَرِيضَاتٍ رَجَعَ الطَّرْفُ خُرْسٍ عَنِ الْخَنَا تَأَلَّفْنَ أَهْوَاءَ الْقُلُوبِ بِلَا بَدَلِ
مَوَارِقَ مِنْ خَنْتِلِ الْمُحِبِّ عَوَاطِفِ يَقْتُلِ أَوْلِي الْأَلْبَابِ بِالْجِدِّ وَالْهَزْلِ (١)
يُعْتَنِّي الْعُدَالُ فِيهِنَّ ، وَالْهَوَى يُحَذِّرُنِي مِنْ أَنْ أُطِيعَ ذَوِي الْعَدْلِ

وقال المجنون [في « ديوانه » ١٨٣ من الطويل] :

يُعْرَضُنْ بِالذَّلِّ الْمَلِيحِ وَإِنْ يُرْدُ جَنَاهُنَّ مَشْغُوفٌ فَهِنَّ مَوَانِعُ

وقال ابنُ ميادةَ [في « ديوانه » ١٦٣-١٦٤ من الطويل] :

مَوَانِعُ لَا يُعْطِينَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ وَهَنَّ دَوَانَ فِي الْحَدِيثِ أَوَانِسُ
وَيَكْرَهُنَّ أَنْ يَسْمَعَنَّ فِي الْلَّهُوِ رَيْبَةَ كَمَا كَرِهَتْ صَوْتَ اللَّجَامِ الشَّوَامِسُ (٢)

وأملى أبو بكر الأنباري في بعض مجالسه أبياتا في بحرِها ، الكائنات الباخلات

وقافيتها ، وبعض معناها ، وهي :

وَبِالْقَرْيَةِ الْبَيْضَاءِ إِنْ زُرْتَ أَهْلَهَا مَهْمَا مُهْمَلَاتٍ مَا عَلَيْنَهُ سَائِسُ
خَرَجْنَ لِحُبِّ الرَّيْبِ مِنْ غَيْرِ رَيْبَةٍ عَفَائِفُ بَاغِي الْلَّهُوِ مِنْهُنَّ آيسُ

(١) يقال : مرق السهم من الرمية : إذا نفذ إلى الجانب الآخر .

(٢) الشوامس : من شمس الفرس : إذا منع ظهره .

عمر بن أبي ربيعة وعبد
الملك بن مروان

ويروى : أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ اسْتَقْبَلَ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ،
فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ عَلِمْتُ قَرِيشُ أَنَّكَ أَطْوَلُهَا صَبُوءً ، وَأَبْعَدُهَا تَوْبَةً ، أَمَّا
لَكَ فِي نِسَاءِ قَرِيشٍ مَا يَكْفِيكَ عَنِ نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ؟ أَلَسْتَ الْقَائِلَ
[كما في «ديوانه» ٢٠٧-٢٠٨ من الطويل] :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحْصَبِ مِنْ مِنيَ وَلِي نَظْرٌ - لَوْلَا التَّحْرُجُ - عَارِمٌ^(١)
فَقُلْتُ : أَصْبَحُ أَمَّ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السُّجْفِ أَمَّ أَنْتَ حَالِمٌ^(٢)
بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ^(٣)
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ بَعْدَ هَذَا قَوْلِي [كما في «ديوانه»
: [٢٠٩

طَلَبْنَ الْهَوَى حَتَّى إِذَا مَا وَجَدْنَهُ صَدْرَنَ وَهَنَّ الْمُسْلِمَاتُ الْكِرَائِمُ
فَاسْتَحْيَا مِنْهُ عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَوَصَلَهُ ، وَقَضَى حَوَائِجَهُ .

الكاسيات العاريات وقال آخر في المعنى [من الطويل] :

تَعَطَّلْنَ إِلَّا مِنْ مَحَاسِنِ أَوْجِهِ فَهِنَّ حَوَالٍ فِي الصِّفَاتِ عَوَاطِلُ^(٤)
كَوَاسٍ عَوَارٍ صَامِتَاتٍ نَوَاطِقُ بَعِثْ كَلَامٍ بِأَخِلَّاتٍ بَوَاطِلُ
بَرَزْنَ عَفَافاً وَأَخْتَجَبْنَ تَسْتُرًا وَشَيْبَ بِحَقِّ الْقَوْلِ مِنْهُنَّ بَاطِلُ
فَذُو الْجِلْمِ مُرْتَادٌ وَذُو الْجَهْلِ طَامِعٌ وَهَنَّ عَنِ الْفُخْشَاءِ حِينُ نَوَاطِلُ

(١) عارمٌ : خارجٌ عن القصد .

(٢) السُّجْفُ والسُّجْفُ : السُّرُّ .

(٣) بعيدة مهوى القُرط : كناية عن طول عنقها .

(٤) حَوَالٍ : صاحباتُ حليةٍ . عَوَاطِلُ : خالياتٌ مِنَ الحليِّ .

ولم ينسَ حظُّه البُحترِّي من هذا المعنى ، في مثل قوله [في ديوانه] ١١٥٠ من الكامل :

من كلِّ مُزَهَفَةِ الْقَوَامِ غَرِيْرَةٍ جُعِلَتْ مَحَاسِنُهَا هَوَى لِلْأَنْفُسِ
تَبْدُو بِعَظْفَةِ مُطْمِعٍ حَتَّى إِذَا شُغِلَ الْخَلِيُّ نَتَتْ بِصَدَّةِ مُؤَيْسِ

ولكنَّ الباري عزَّ شأنه يقولُ : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي الْكَلَامِ الْحَقِّ عَلَيْهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب : ٣٢] .

وبصَّرَ بعضهم بأمرأة فتانة على ضفة (الرصافة) ، فقال : إذا كنت ريحاً فقد يرحمُ الله أبا الجَهَمِ ، فقالت له : يرحمُ الله أبا العلاء .

أراد : قولَ عليِّ بنِ الجَهَمِ [في ديوانه] ٢٢٠ من الطويل :

عِيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ جَلَبْنَ الْهُوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي

وَأرادت : قولَ أبي العلاء - وهو موضعُ المناسبة - [من الطويل] :

فَيَا دَارَهَا بِالْخَيْفِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ

وذكر أبو نواس : أنَّ سماء^(١) أصابتهم في طريق الحجِّ ، فخرجَ أبو نواس يأكل الفتاة يتزَّه في بعض غياض العرب ، حتَّى رُفِعَ له بيتٌ ، فإذا فيه عجوزٌ عندها فتاة مبرقعةٌ ، سحرته بعينها النجلاوين^(٢) ، فأستسقاها الماءَ مرَّتين ، فقالت العجوزُ [من الطويل] :

هُمَا أَسْتَسْقِيَا مَاءَ عَلِيٍّ غَيْرِ ظَمَأَةٍ لِيَسْتَمْتِعَا بِاللَّحْظِ مِمَّنْ سَقَاهُمَا

(١) السماء : المطرُ .

(٢) النَّجْلُ : سعةُ شقِّ العين .

- وَمِنْ هَذَا أَخَذَ الْبُرْعِيُّ قَوْلَهُ [فِي « دِيوانِهِ » ١٢٢ مِنْ الْكامل] :

مَا الْمَاءُ مِنْ طَلْبِي وَلَكِنْ رُبَّمَا مَدَّتْ بِهِ فِتْنَالُ مِنْ يَدِهَا يَدِي -

فَلَمَّا رَأَتْهُ الْعَجُوزُ يَكَادُ يَأْكُلُ بَعِينِهِ الْفَتَاةَ . . . قَالَتْ [مِنْ الطويل] :

فَمَا لَكَ مِنْهَا غَيْرَ أَنَّكَ نَاحِحٌ بِعَيْنَيْكَ عَيْنَيْهَا ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعٌ ؟

فَقَالَ [مِنْ الطويل] :

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَعَلُّلُ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا

وَلَمَّا اسْتَبَاهُ لِحَظُهَا ، وَاسْتَهْوَاهُ لَفْظُهَا . . . قَالَ - يَسْتَطَعُهَا

السُّفُورَ - [مِنْ الْمُتقَابِر] :

إِذَا بَارَكَ اللَّهُ فِي مَلْبَسِي فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْبُرْزُوعِ

يُرِينِكَ وَجُوهَ الدَّمَى غِرَّةً وَيَكْشِفُ عَن مَنظَرِ أَفْطَعِ

فَنزَعَتْ بُرْقَعَهَا ، فَإِذَا وَجَهُ يَسْتَحِي الْقَمْرُ مِنْ جَمَالِهِ ، ذَكَرَ مِنْ

حُسْنِهِ مَا لَا يَحْضُرُنِي لَفْظُهُ ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ [مِنْ الطويل] :

عَلَى وَجْهِ مَيِّ مَسْحَةٍ مِنْ مَلَا حَةٍ وَتَحْتَ الثِّيَابِ الْعَارُ لَوْ كَانَ بَادِيَا

فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَّا أَنْ أَخَذَتْهَا هِرَّةٌ ، وَخَلَعَتْ مَا كَانَ عَلَيْهَا مِنْ

الثِّيَابِ ، وَوَقَفَتْ عُرْيَانَةً ، قَالَ : فَإِذَا صَدْرُ كَانَتْهُ صَفِيحَةٌ مَرْمَرٍ ، فِيهِ

نَهْدَانِ كَانَتْهُمَا حُقًا عَاجٍ^(١) ، ثُمَّ أَتَى فِي وَصْفِ أَعْضَائِهَا ، بِمَا ذَهَبَ

(١) الْحُقُّ وَالْحُقَّةُ - بِالضَّم - : وَعَاءٌ مَنْحُوتٌ مِنَ الخَشَبِ وَالْعَاجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، مِمَّا

يَصْلَحُ أَنْ يَنْحَتَ مِنْهُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَصَدْرٌ مُشْرِقِ اللَّوْنِ كَأَنَّ نَذِيَاهُ حُقَّانِ

عن حفصي أكثره - وهو موجودٌ في « ديوانه » - عند ذلك قال لمن الطويل] :

ألم تر أنَّ الماءَ يخْبُثُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أبيضَ صَافِيَا
فما كانَ منها إلاَّ أنْ قطعَتْ أملهُ ، وزوَدَتْهُ اليأسَ .

وبعقب رجوعهم تعرّض لها ، فألفاها بين أربع لا تنقص عنها واحدة منهنّ في الحسن والجمال ، فقبرت لهنّ حديثها معه على مسمع منه ، فعاتبنها في إعراضها عنه ، مع تعلّقه بهواها ، وقلن لها : ما يضرّك أن تنوّليه ، وما معك إلاّ من يسترّ عليك ؟! ولو أنّه علّق بإحدانا هواه . . لما كان لها أن تُخيّب رجاءه ، فطمع فيها ، وواعدته إلى غارٍ ، دلّته عليه ، فما هي إلاّ ساعة ، ودخل عليه عبداً أسوداً ينعظ بمثل ذراع البكر^(١) ، فولّى هارباً ، وما نجا فيما يقول إلاّ بنفسه بعد لأيٍ ما ، وما أحسبه صادقاً في دعوى السلامة ، بل صرّح ابن عبد ربّه في « عقده »^(٢) بعمدها ، وما كان إلاّ عرضة ذلك ، ويا طالما شهرتُه عنانٌ وغيرها بمثل ذلك .

وبما أنّ جُلَّ أشعار الحكاية من كلام ذي الرّمّة . . فلا بدّ أنّ له قصة ذي الرمة ومي قضية من نوعها ، ثمّ رأيتُ ابن خلّكان ذكرها باختصار^(٣) ، وذكر

(١) ينعظ بمثل ذراع البكر : يُحركُ بِذَكَرٍ كأنه من طولهِ ذراعِ الفتى من الإبل .

(٢) وهو الكتاب الشهير : «العقد الفريد» .

(٣) ذكر ابن خلّكان في « وفيات الأعيان » (١٢/٤) : أنّ ذا الرّمّة لم ير مئة قطّ إلاّ

في برقع فأحبّ أن ينظر إلى وجهها فقال [من الوافر] :

جَزَى اللهُ الْبَرَاقِعَ مِنْ ثِيَابٍ عَنِ الْفَتَيَانِ شَرّاً مَا بَقِينَا
يُورِئِنَ الْمَلَأَحَ فَلَا نَرَاهَا وَيُخْفِينُ الْفَبَاحَ فَيَزْدَهِينَا =

قوله في البرقع [من الوافر] :

جَزَى اللهُ الْبَرِاقِعَ مِنْ ثِيَابِ عَنِ الْفَتِيَانِ شَرًّا مَا بَقِينَا
يُوَارِينِ الْمِلَاحَ فَلَا نَرَاهَا وَيُخْفِينِ الْقَبَاحَ فَيَزِدْهِنَا

وائل بن قاسط ووادي السباع
وبينا وائل بن قاسط بوادٍ في طريقه إلى (الرقعة) . . إذ بصر
بأسماء بنت دريم القضاعية ، وكانت امرأة حسنة ، فيها بقية من
الشباب ، فهم بها حين رآها مسفرة ، فقالت : والله ، لئن قصدتني
بسوء . . لأدعون أسبعي ، فقال : ما أرى في الوادي أحداً ،
فصاحت ببنيها : يا كلب ، يا ذيب ، يا فهد ، يا سرحان ، يا نمر ،
يا حمار ، يا ضبع . . إلى آخرها ، فسأل الوادي رجالاً عشرين ،
جاؤوا يتعادون بالسيوف ، كما قيل [من البسيط] :

سَالَتْ عَلَيْهَا شِعَابُ الْحَيِّ حِينَ دَعَتْ أَنْصَارَهَا بِوُجُوهِ كَالدَّنَانِيرِ
فَقَالَتْ لَهُمْ : أَكْرَمُوا ضَيْفَكُمْ ، وَلَمْ تَكْشِفْ لَهُمُ الْحَدِيثَ ،
وَالْأَى . . لتوزعوا لحمه ، فقعروا ، وقال : ما أرى هذا الوادي إلا
وادي السباع ، فأطلق عليه من يومئذ .

=
فترعت البرقع عن وجهها ، وكانت باهرة الحسن ، فلما رآها مسفرة . . قال :
عَلَى وَجْهِ مَيِّ مَسْمُوعَةٍ مِنْ مَلَاخِيَةِ
البيت المتقدم ، فترعت ثيابها ، وقامت عريانة ، فقال :
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَخْبُثُ طَعْمُهُ
البيت المتقدم ، فقالت له : أتحب أن تذوق طعمه ؟ قال : إي والله ،
فقالت له : تذوق الموت قبل أن تذوقه .
وذكر الأصفهاني في « الأغاني » (١٨ / ٣٠) : أن هذه الأبيات منحولة على
ذي الرمة وليست له . والله أعلم بالصواب .

وفيه كان قتل الزبير بن العوام مُنصرفه من حادثة الجمل ، وقد ذكره في شعره سُحيم بن وثيل الرياحي ، فقال [من الطويل] :

مَرَزْتُ عَلَى وَادِي السَّبَاعِ وَلَا أَرَى كَوَادِي السَّبَاعِ حِينَ يُظْلَمُ وَادِيَا

وعلى ذكر عفة النساء وبعدهن نقول : إنه لا يمكن للإنسان أن يكلفهن إلى ما يثق به فيهن من ذلك ، فإن البعيد يقرب بالاحتيال ، والعصم تسهل بالاستئزال^(١) ، وقد قال بعضهم [من الكامل] :

عُسْرُ النِّسَاءِ إِلَى مُيَاسِرَةٍ وَالصَّغْبُ يَسْهُلُ بَعْدَ مَا جَمَحَا
وقال أخو خثعم [من الطويل] :

وَأَلَّتْ يَمِينًا كَالزُّجَاجِ رَقِيقَةً وَمَا حَلَفْتُ إِلَّا لِتَحْنَتِ مِنْ أَجْلِي

وبهذا ذكرت قول عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل في رثائها لبعض أزواجها [كما في «خزانة الأدب» (٣٨٠/١٠) من الطويل] :

فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي حَزِينَةً وَأَلَيْتُ لَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرَا

فأستأذن عليها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صبيحة بنائها على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وقال لها : أين قولك : (فأليت . . . إلى آخره) ؟ فقالت : ما أكثر ما تنفسخ عزائم الرجال ، فضلاً عن عزائم النساء ، أو ما يقرب من هذا المعنى .

وكانت تحت عبد الله بن أبي بكر الصديق ، فقتل عنها من سهم

(١) العصم ، هو : الغزال ، والمقصود : أن المرأة ينبغي التحفظ عليها ، ويكفي في ذلك أن سيدنا زكريا لم يكل سيدتنا مريم وهي في المحراب عن السؤال ﴿ أَنْ لَوِ هَذَا ﴾ وهي من هي ، من سيدات العالمين عفة وطهارة .

رُمِيَهُ فِي (الطَائِفِ) فَتَزَوَّجَهَا زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقُتِلَ عَنْهَا بِـ
 (الْيَمَامَةِ) ، ثُمَّ كَانَتْ تَحْتَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقُتِلَ وَهِيَ عِنْدَهُ ،
 ثُمَّ تَزَوَّجَهَا الزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، فَقَتَلَهُ أَبُو جَرْمُوزٍ ، وَهِيَ فِي عَصْمَتِهِ ،
 ثُمَّ خَطَبَهَا عَلِيُّ ، فَقَالَتْ : أَضِرُّ بِأَبْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ عَنِ الْقَتْلِ ،
 وَلَكِنَّهَا تَزَوَّجَتْ بِأَبْنِهِ الْحُسَيْنِ - كَمَا رُوِيَ - فَقُتِلَ عَنْهَا ، فَكَانَ أَهْلُ
 الْمَدِينَةِ يَقُولُونَ بَعْدَ [كَمَا فِي «الطبقات» ١١٢/٣] : مَنْ أَرَادَ الشَّهَادَةَ . .
 فَلْيَتَزَوَّجْ بَعَاتِكَةَ . وَفِي أَحَادِيثِهَا لَطَائِفُ ، وَفِي أَخْبَارِهَا نَوَادِرُ ، وَفِي
 أَشْعَارِهَا بَدَائِعُ ، وَبِحُسْنِهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ .

كما تدين تدان

وَأَوْلَى مَا يَتَوَسَّلُ بِهِ الْمَرْءُ لِتَحْصِينِ أَهْلِهِ . . التَّلْزُمُ بِالْعَفَافِ فِي
 نَفْسِهِ ، وَلِلَّهِ دَرُّ الْخِزَاعِيِّ ، أَوْ مَسْكِينِ الدَّارِمِيِّ فِي قَوْلِهِ [مِنْ السَّرِيعِ] :

مَا أَحْسَنَ الْغَيْرَةَ فِي حِينِهَا وَأَفْبَحَ الْغَيْرَةَ فِي كُلِّ حِينٍ
 حَسْبُكَ مِنْ تَخْصِينِهَا ضَمُّهَا مِنْكَ إِلَى خُلُقِ كَرِيمٍ وَدِينٍ
 لَا تَطَّلِعُ مِنْكَ عَلَى عَوْرَةٍ فَيَتَّبِعَ الْمَقْرُونُ حَبْلَ الْقَرِينِ

وَفِي الْحَدِيثِ : « عِفْوًا تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ » (١) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ [الشَّافِعِيُّ فِي « دِيْوَانِهِ » مِنْ الْكَامِلِ] :

عِفْوًا تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ فِي الْمَخْرَمِ وَتَجَبَّبُوا مَا لَا يَلِيْقُ بِمُسْلِمٍ
 إِنَّ الْزَّنَا دَيْنٌ إِذَا أَقْرَضْتَهُ كَانَ الْوَفَاءُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَاعْلَمْ

فَالْفَسَادُ دَيْنٌ يُؤْخَذُ بِهِ مِنْ أَهْلِ الزَّانِي وَذَرِيَّتِهِ لَا مُحَالَةَ ، وَلَوْ كَانُوا
 أَحْمَى مِنْ جَبْهَاتِ الْأَسْوَدِ ، وَأَمْنَعَ مِنْ عَقْبَانِ الْجَوْ ، وَالْأَخْبَارُ فِي

(١) أَخْرَجَهُ عَنْ عَائِشَةَ الصَّدِيقَةِ الطَّبْرَانِيِّ فِي « الْأَوْسَطِ » (٨/٢) مَطْوَلًا .

ذَلِكَ كَثِيرَةٌ ، وَالْعِيَانُ يُؤَكِّدُهَا ، وَاللَّهُ غَيُورٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ، وَهُوَ الْعَدْلُ فِي أَحْكَامِهِ^(١) .

كَانَ ابْنُ سِيرِينَ يَقُولُ : مَا غَشِيَتْ أَمْرًا قَطُّ فِي نَوْمٍ وَلَا يَقْظَةٍ ، الْعَفَّةُ حَتَّىٰ فِي النَّوْمِ غَيْرَ أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ ، وَإِنِّي لِأَرَى الْمَرْأَةَ لَا تَحِلُّ لِي فِي الْمَنَامِ ، فَأَصْرَفُ نَظْرِي .

فَأَلَمَّ بِهِ النَّازِمُ فِي قَوْلِهِ [فِي «الْمُكَبَّرِيِّ» ٢٦٨/١ مِنَ الطَّوِيلِ] :
الشعراء في هذا الموضوع
بِرْدٌ يَدَأُ عَن ثَوْبِهَا وَهُوَ قَادِرٌ وَيَعْصِي الْهَوَىٰ فِي طَيْفِهَا وَهُوَ رَاقِدٌ
وَقَالَ الْمَعْرِيُّ [فِي «سَقَطِ الزَّنْدِ» ٦٧ مِنَ الطَّوِيلِ] :

كَرِيمٌ حَلِيمٌ الْجَفْنِ وَالنَّفْسِ لَا يَرَى إِذَا هُوَ أَغْفَى مَا يَرَى النَّاسُ فِي الْحُلْمِ
وَقَالَ [فِي «سَقَطِ الزَّنْدِ» ٥٩ مِنَ الطَّوِيلِ] :

مَضَى طَاهِرَ الْجُثْمَانِ وَالنَّفْسِ وَالْكَرَىٰ وَسُهِدَ الْمُنَىٰ وَالْجَنِبِ وَالذَّنْبِ وَالرُّؤْدِنِ^(٢)
وَقَالَ ابْنُ طَبَّاطَبَا [مِنَ الْكَامِلِ] :

يَقْظَاتُهُ وَمَنَامُهُ شِرْعٌ كُلُّ بِكُلٍّ مِنْهُ مُشْتَبِهٌ
إِنْ هَمَّ فِي حُلْمٍ بِفَاحِشَةٍ زَجَرَتْهُ عِقَّتُهُ فَيَتَّبِعُهُ
وَلَكِنَّ التَّهَامِيَّ خَضَعَ لِبَعْضِ الْقَوْلِ ؛ إِذْ يَقُولُ [فِي «دِيوانِهِ» ٣٣٦ مِنَ الْبَسِيطِ] :

(١) لَمَّا أَخْرَجَ ابْنُ النَّجَّارِ فِي «ذَيْلِ تَارِيخِ بَغْدَادِ» عَنِ أَنْسِ : «مَنْ زَنَى .. زَنَى بِهِ وَلَوْ بِحَيْطَانِ دَارِهِ» .

(٢) الْكَرَى : النَّوْمُ ، وَنَقِيضُهُ : الشُّهُدُ ، وَقَوْلُهُ : سُهِدَ الْمُنَى : أَي أَنَّهُ إِذَا سَهَرَ فِي أَمْرِ يَتَمَنَّاهُ .. لَمْ يَسْهَرْ إِلَّا فِيمَا لَا تَبِعَةَ لَهُ . الرُّؤْدُنُ : الْكُفْمُ .

إِنِّي لِأَضْرِبُ نَفْسِي عَنْ مَحَاسِنِهَا تَكَرُّمًا وَأَكْفُ الْكَفَّ عَنْ لَمَمٍ^(١)
وَلَا أَهْمُ وَلِي نَفْسٌ تُنَازِعُنِي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إِلَّا سَاعَةَ الْحُلْمِ

الضيف الأعمى نزل خارجي على بعض إخوانه منهم مستترا من الحجاج ،
فشخص المنزل عليه لبعض شأنه ، وقال لزوجيه : يا ظيبا ،
أستوصي بضيفي خيرا ، وكانت من أحسن الناس وجها ، ولما عاد
بعد شهر . . قال لها : كيف كان ضيفك؟ قالت : ما أشغله بالعمى
عن كل شيء ، وكان أطبق جفنيه حتى لا يراها ، إلى أن عاد
زوجها^(٢) .

* * *

-
- (١) قال الشيخ عبد القادر القصاب الديرعطاني في مواظبه :
من كف فكفة ، وفك كفة . . فذباب الشر عنه كفة .
(٢) كذا في «المستطرف» (٣٤٩/٢) .

[قال أبو الطيب المتنبّي في «العُكْبَرِيّ» ٢٩٥/١ من المنسرح]:

ظَلَّتْ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَبِدٍ نَضِيجَةٍ فَوْقَ خَلْبِهَا يَدُهَا

(الخِلْبُ) : غشاء القلب^(١) ، أو الكبد .

قال الشارح : وجعل اليد نضيجة ، وأضافها إلى الكبد ؛ لأنها شرح المطلاع
دام وضعها على الكبد ، فأنضجتها بما فيها من الحرارة ، فلهذا
جازَ إضافتها إليها ، والعربُ تسمي الشيءَ بأسمٍ غيره إذا طالت
صحبتُهُ له ، والإضافة أهونُ . اهـ .

وأقول : إنَّهُ أصابَ في بعضٍ ، وأخطأ في آخرَ ، أمّا الذي رأي المؤلف
أصابَ فيه : فتوجيهُ إضافةِ اليدِ إلى الكبدِ بطولِ الملابسِ والصحية .
وأمّا الذي أخطأ فيه : فزعمُهُ أنّ الناظمَ جعلَ اليدَ نضيجةً ،
والحالُ أنّهُ لم يتعرّضَ لها بنضجٍ ولا غيره ، وإنّما تعرّضَ للكبدِ ،
فجعلها نضيجةً ، وهو المعقولُ ، والمحزونُ كثيراً ما يضعُ يدهُ على
كبدِهِ ؛ خشيةَ الانفطارِ ممّا يجدهُ من حرارةِ الوجدِ ، ومثلهُ كلُّ مَنْ
فوجيءَ بعظيمٍ يهيلُ ، ولما فيه من الفوائدِ يقولُ جلّ أسمهُ لموسى :
﴿ وَأَضْمَمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ [القصص : ٣٢] .

اصطلام النار في
الأكباد

وقال ابنُ الدُّمَيْنَةِ [في «ديوانه» من الطويل] :

عَشِيَّةَ أَثْنِي الْبُرْدُ ثُمَّ الْوُثَّةُ عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةِ أَنْ تَقَطَّعَا

(١) وفي التنزيل : يسمّى شغافاً، قال تعالى : ﴿قد شغفها حباً﴾ [يوسف : ٣٠] .

وقال [في «ديوانه» ١٥٠ من الطويل] :

لِيَهْنِكَ إِمْسَاكِي بِكَفِّي عَلَى الْحَشَا وَرَقْرَاقِ دَمْعِي رَهْبَةً مِنْ مَطَالِكِ

وقال الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ [في «ديوانه» ٩٦ من الطويل] :

وَأَذْكَرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَثْنِي عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَقْطَعَا

وقال عمرُ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ فِي كِتَابٍ مِنْهُ إِلَى الثَّرِيَّا [في «ديوانه» ٤٩٠ من

مَجْزُوءِ الْوَافِرِ] :

فِيْمَسِكَ قَلْبَهُ يَيْدٍ وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ يَيْدٍ

وقال معاذُ بْنُ كُلَيْبٍ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

فَقَدْ طَالَ إِمْسَاكِي عَلَى الْكَيْدِ الَّتِي بِهَا مِنْ هَوَى لَيْلَى الْغَدَاةِ صُدُوعُ

وقال أبو مِيَادَةَ [في «ديوانه» ١٣٣ من الطويل] :

عَشِيَّةً أَثْنِي بِالرَّدَاةِ عَلَى الْحَشَا كَأَنَّ الْحَشَا مِنْ دُونِهِ أُسْعِرَتْ جَمْرًا

وَعَنَى الْمَهْدِيِّ فِي قِصَّةٍ تَطْفُلُهُ بِقِطْعَةٍ يَقُولُ فِيهَا [مِنَ الْبَسِيطِ] :

لَهُ يَدٌ تَسْأَلُ الرَّحْمَنَ عَافِيَةً مِمَّا بِهِ وَيَدٌ أُخْرَى عَلَى كَيْدِهِ

وقال عبدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمُعَدَّلِ [مِنَ السَّرِيعِ] :

مُكْتَتِبٌ ذُو كَيْدٍ حَرَّى تَبْكِي عَلَيْهِ مُقْلَةً عَبْرَى

يَرْفَعُ يُنْمَاهُ إِلَى رَبِّهِ يَدْعُو وَفَوْقَ الْكَيْدِ الْيُسْرَى

وقال بعضُ الفقهاءِ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى الْحَجِّ مِنْ (بَغْدَادَ) ، كَمَا

ذَكَرَهُ أَبُو خَلْكَانَ [في «وفيات الأعيان» ٣/ ٢٦٠ من الطويل] :

مَدَدْتُ إِلَى التَّوَدِيعِ كَفًّا مَرِيضَةً وَأُخْرَى عَلَى الرَّمْضَاءِ فَوْقَ فُؤَادِي

فَلَا كَانَ هَذَا الْيَوْمَ آخِرَ عَهْدِنَا وَلَا كَانَ ذَا التَّوْدِيعِ آخِرَ زَادِي

وقد تكرر المعنى في « ديوان الناظم » غير أنني لا أذكر منه إلا ما تكرر هذا المعنى عند المتنبى أشار إليه الشارح ، وهو قوله [في « العكبري » ٣٦/٢ من الخفيف] :

فِيهِ أَيْدِيكُمْ عَلَى الظَّفَرِ الْخُدِّ سِوِ وَأَيْدِي قَوْمِ عَلَى الْأَكْبَادِ

ومما أبرَّ في الموضوع قولِي من قصيدة [في « ديوان المؤلف » ق ٤٢ من بيت للمؤلف في الموضوع الطويل] :

وَيَهْفُو بِقَلْبِي الْوَجْدُ لَوْلَا تَدَاوَلَتْ يَمِينِي فِي إِمْسَاكِهِ وَسِمَالِي

وربما وضعت المرأة يدها على رأسها ، أو على وجهها من الخجل ، أو الوجل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرْفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [الذاريات : ٢٩] .

وقال رجل من بني العنبر ، وكان مملكاً ، ورأته زوجته يطحن لضيفه الملك المتواضع [من الطويل] :

تَقُولُ وَصَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِهَا أَبْغَلِي هَذَا بِالرَّحَا الْمُتَقَاعِسِ !؟

وفي « الصحيح » : أَنَّ أَمْرَأَةً سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا هِيَ اخْتَلَمَتْ ؟ فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَجْهَهَا ، وَقَالَتْ : أَوْتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ ؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَرَبَّتْ بِمِثْلِكَ ، وَبِمِثْلِهَا وَلَدَهَا !؟ » ، ثُمَّ قَالَ لِلسَّائِلَةِ : « نَعَمْ ، إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ »^(١) . أو ما يقرب من هذا السياق .

والكلام في ماء المرأة إيجاباً وسلباً وصفة . لا يليق بالاستطراد

(١) رواه عن أم سلمة البخاري (٢٨٢) في الغسل ، ومسلم (٣١٣) في الحيض .

في هذا المجلس لاقتضائه التطويل ، فله مكانه ، ورأيتُ فيه من زمانٍ تأليفاً للسيّد أحمد الحسيني المصري .

النساء واختلاف التعبير
عند الفرع

ويروى : أنّ فزعا أدرك نساء ثلاثاً ، فوضعت يدها إحداهنّ على ثديها ، والأخرى على بطنها ، والثالثة على ركبها^(١) ، فقال بعض أهل الأركان^(٢) : أمّا الأولى : فمرضع ، وأمّا الثانية : فحُبلى ، وأمّا الثالثة : فبكر . فكان كما قال .

* * *

-
- (١) الرُكْبُ - بالتحريك - : العانة ، وقيل : منبِتها ، وقيل : هو ما انحدرَ عن البطنِ فكانَ تحتَ الثَّنيّةِ ، وفوقَ الفَرْجِ .
(٢) أهلُ الأركانِ : أهلُ الفِرَاسَةِ .

[قال أبو الطيب المتنبي في «العكبري» ٢٩٦/١ من المنسرح]:

يَا حَادِي عَيْسَهَا وَأَحْسَبُنِي أَوْجَدُ مَيْتًا قَبِيلَ أَفْقِدُهَا
قَفَا قَلِيلًا بِهَا عَلَيَّ فَمَا أَقَلَّ مِنْ نَظْرَةِ أَرْوُدُهَا

يقول لحداة عيسها : قفوا بها عليّ قليلاً ؛ لأترودَ منها نظرةً ، شرح المطع
وقد أترض بين النداء والمنادي بقوله : (وأحسبني أموتُ قبيلَ
تحركِكُم بها) ، وهذا يؤيدُ احتمالَ وصفه حين الارتحالِ ،
والجملةُ المعترضةُ المذكورةُ مأخوذةٌ من قولِ العربيّ [من الخفيف] :
لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا أَنْ يَرُدُّوا جَمَالَهُمْ فَتَزَمًا^(١)

وقد سمعه عليُّ بنُ جعفرٍ من جاريتهِ الشطباءِ ، فطربَ ، لِمِ العجلة؟
وصاحَ ، وقالَ : يا سبحانَ الله! ما هنذه العجلةُ ؟ ألا يُكونَ
قربةً^(٢) ، ألا يعلقونَ سفرةً^(٣) ، ألا يسلمونَ عليّ جارٍ^(٤) !؟

والمعنى متكرّرٌ عند الناظم ؛ منه قوله [في «العكبري» ٣٢٧/١ من الشعراء والموت من

الفراق

الكامل] :

أَلْيَوْمَ عَهْدُكُمْ فَأَيْنَ الْمَوْعِدُ؟ هِنَهَاتَ لَيْسَ لِيَوْمٍ عَهْدِكُمْ غَدُ

(١) رَمَّ البعيرَ : إذا ألبسه الزمام ، وهو اللجام .

(٢) الوكاء : الخيط الذي يشد به الكيس وغيره .

(٣) السفرةُ : طعامٌ يُتخذُ للمسافرِ ومنهُ سُمِّيَتِ السفرةُ التي يوعى فيها الطعام
مجازاً .

(٤) كذا في «الأغاني» (٣٥٨/٢٤) .

الْمَوْتُ أَقْرَبُ مِخْلَبًا مِنْ بَيْنِكُمْ وَالْعَيْشُ أَبْعَدُ بَعْدَكُمْ لَا تَبَعُدُوا^(١)

ولقد أجاد الحلي في قوله [في «ديوانه» ٦١٧ من الطويل] :

قَفِي وَدَعِينَا قَبْلَ وَشِكِ التَّفَرُّقِ فَمَا أَنَا مَنْ يَحْيَا إِلَى حِينٍ نَلْتَقِي

وَأَلَمَ بِهِ الْبُرْعَى فِي قَوْلِهِ [في «ديوانه» ١٤١ من الكامل] :

أَعِدِ الْوَدَاعَ فَمَا أَرَاكَ تَرَانِي [وَأَطْلُ بِكَ لِبَيْنِ أَهْلِ الْبَانِ]

وما أكثر استيقاف العيس للتزود بالنظر حين الوداع في أشعار

العرب ، منه قول عمرو بن كلثوم [في «ديوانه» ٧٨ من الوافر] :

قَفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ظَعِينَا نُخْبِرُكَ الْيَقِينِ وَتُخْبِرِنَا

وقول القطامي [في «ديوانه» ٣١ من الوافر] :

[قَفِي] قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضُبَاعَا وَلَا يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكَ الْوَدَاعَا

قَفِي فَادِي أَسِيرِكَ إِنَّ قَوْمِي وَقَوْمِكَ لَا أَرَى لَهُمْ أَجْمَاعَا

وقول قيس بن الخطيم [في «ديوانه» ٥٣-٥٤ من المنسرح] :

رَدَّ الْجِمَالَ الْخَلِيظُ فَأَنْصَرَفُوا مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنْهَمُ وَقَفُوا^(٢)

لَوْ وَقَفُوا سَاعَةً نَسَانِلُهُمْ رَيْثَ يَضْحِي جِمَالَهُ السَّلْفُ^(٣)

وأول ما سمعت لفظة (السلف) التي أكثر الناس منها الآن من

أول من قال لفظة
(السلف)

(١) في «الديوان» و«المكبري» : (أَبْعَدُ مِنْكُمْ) بدل (أَبْعَدُ بَعْدَكُمْ).

(٢) الخليط : المخالط لهم في الدار .

(٣) يضحى : من الضحاء وهو أن ترعى الإبل ضحى . السلف : القوم الذين يتقدمون الظعن في السير .

هذا الشعر ، ثم من قوله ﷺ بعد مُواراةِ عثمانَ بنِ مظعونٍ : « نِعْمَ السَّلْفُ » (١) .

وفي بابِ الأذَانِ مِنْ « حَاشِيَةِ البَجِيرِيِّ عَلَى فِتْحِ الوَهَّابِ » تفسِيرُ السلفِ
السَّلْفِ بالصَّحَابَةِ ، وَالخَلْفِ بِمَنْ بَعْدَهُمْ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : السَّلْفُ
مَنْ قَبْلَ الأَرْبَعِ مِثَّةٍ ، وَالخَلْفُ مَنْ بَعْدَهُمْ .

وفي بابِ الجَمَاعَةِ مِنْهَا : أَنَّ السَّلْفَ هُمُ أَهْلُ القُرُونِ الثَّلَاثَةِ
الأُولَى ، وَالخَلْفُ مَنْ بَعْدَهُمْ .

والبيتانِ مِنْ كَلِمَةٍ شَاعِرَةٍ لِقَيْسٍ ، وَكَانَ رَجُلًا شَجَاعًا ، جَمِيلَ
المنظرِ ، بَرَّاقِ الثَّنَايَا ، مَا رَأَتْهُ حَلِيلَةُ رَجُلٍ قَطُّ إِلاَّ ذَهَبَ عَقْلُهَا ، وَتَمَنَّتْ
أَنْ يَكُونَ لَهَا قِيَاضًا عَنْ صَاحِبِهَا ، وَكَانَ يَقْسِمُ أَيَّامَهُ ثَلَاثًا ، يَوْمًا : يَحْكُمُ
بَيْنَ قَوْمِهِ ، وَيَوْمًا : يَنْشُدُ شِعْرَهُ ، وَيَوْمًا : يَنْظُرُ فِي المِرَاةِ إِلَى جَمَالِهِ .

وَقَالَ أَبُو الدُّمَيْنَةِ فِيمَا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ [فِي « دِيوانِهِ » ١٣ مِنْ الطَوِيلِ] :

قَفِي قَبْلَ وَشِكِ الأَبِينِ يَا أُنْبَنَةَ مَالِكِ وَلَا تَحْرِمِينَا نَظْرَةَ مِنْ جَمَالِكِ
قَفِي يَا أَمِيمَ القَلْبِ نَقْضِي لُبَانَةَ وَنَشْكُو أَلْهُوَى ثُمَّ أَفْعَلِي مَا بَدَأَ لِكِ (٢)

قَالَ حَبِيبُ [أَبُو نَمَامِ فِي « دِيوانِهِ » ٢٤٢ مِنْ الكَامِلِ] :

مَا فِي وَوُقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ تَقْضِي ذِمَامَ الأَرْبَعِ الأَذْرَاسِ

قَالَ أَبُو عِبَادَةَ [مَنْ الخَفِيفِ] :

مَا عَلَى الرُّكْبِ مِنْ وَوُقُوفِ الرُّكَّابِ فِي مَعَانِي الصُّبَا وَرَسْمِ التَّصَابِي

(١) ومثله في دعاء الميت: «واجعله لنا سلفاً» قيل: هو من سلف المال، كأنه قد أسلفه وجعله ثمناً للأجر والثواب الذي يجازى على الصبر عليه .

(٢) اللُّبَانَةُ : الحَاجَةُ .

ولئن خرج هذان عن خصوص الاستيقاف يوم الرحيل . . فقد
دخلنا في عمومها شامل ؛ لقول ذي الرمة [من الوافر] :

تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا عَلَى خَرَقَاءَ وَاضِعَةَ اللَّثَامِ

نرجو من الله تعالى وقال البغدادي [ابن زريق في «ديوانه» من البسيط] :

وَأَعِظْ عَلَيَّ الْمَطَايَا سَاعَةَ فَعَسَى مَنْ شَتَّ شَمَلَ الْهُوَى بِالْبَيْنِ يَجْمَعُهُ

وقال الأندلسي [إسماعيل بن محمد الشقندي في «نفع الطيب» ٢٣٣/٣ من

البسيط] :

اسْتَوْقِفِ الرَّكْبَ قَدْ لَاحَتْ لَكَ الدَّارُ وَأَسْأَلُ بِرَبْعِ تَنَاءَتْ عَنْهُ أَقْمَارُ
لَا خَفَّفَ اللَّهُ عَنِّي بَعْدَ بُعْدِهِمْ فَإِنِّي سِرْتُ وَالْأَخْبَابُ مَا سَارُوا

وَمِنْ مَذَاهِبِ الْعَرَبِ : أَلْتَفَاتُ الْمَسَافِرِ رَجَاءَ الْعُودِ .
ما سبب التفات المسافر العربي؟

قال شاعرهم [من الطويل] :

تَلَفَّتْ أَرْجُو رَجْعَةَ بَعْدَ نِيَّةٍ فَكَانَ الْفِتَاتِي زَائِدًا فِي بِلَاتِيَا

ومنه قول الشريف الرضي [في «ديوانه» من الكامل] :

وَلَقَدْ مَرَزْتُ عَلَى طُلُولِهِمْ وَرُسُومَهَا بِيَدِ الْبَلِي نُهْبُ
فَوَقَفْتُ حَتَّى ضَجَّ مِنْ لَعْبِ نَضُوي وَلَجَّ بَعْدَ لِي الرَّكْبُ
وَتَلَفَّتْ عَيْنِي وَمُذْ خَفِيَتْ عَنِّي الطُّلُولُ تَلَفَّتْ الْقَلْبُ

وقيل : إنه لم يقصد التفاوض للرجوع ؛ إذ لا فائدة فيه ، وقد
صارت نهبا بيد البلي ، وإنما حملته عليه فرط الوجد ، وألم
التحسر .

وقد مرَّ بعضهم بديارِ الشريفِ الرضيِّ ، فتمثَّلَ بالأبياتِ ؛ إذ رآها من بدائع الإتهاق
خاويةً على عُروشِها ، وعليها سَمَةُ الشرفِ ، وأثارةُ العِزِّ ، وهو لا
يدرِي بصاحبِ الديارِ ، ولا بأنَّهُ قائلُ الأبياتِ ، فكانَ مِنْ بدائعِ
الاتِّفاقِ .

وقال الصَّمَّةُ بنُ عبدِ اللهِ القشيريِّ [في «ديوانه» ٩٤ من الطويل] : أنت مسكين يا صمة

تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِغْتُ مِنَ الْإِضْغَاءِ لَيْتَا وَأَخْدَعَا^(١)

من قصيدة له فحمة اللفظ ، منقحة المعنى ، قالها حين تعنتت
عليه عمه وردة عن بنته رياء ، وكان قد جمع الإبل المعينة لجهازها ،
فلما آيسه عمه . . أطلق عقلها ، وضربها ، فعاد كلُّ بعيرٍ إلى أهله ،
فقالَتْ مخطوبتُهُ : ما رأيتُ كالْيَوْمِ رجلاً ضيَّعَهُ قومُهُ^(٢) !

ومطلع القصيدة [في «ديوانه» ٩٤ من الطويل] :

حَنَنْتُ إِلَى رِيَا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارِكَ مِنْ رِيَا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا

ويأتي بعضها في غضون هذه المجالس بحسب المناسبات ،
وهي من أعذب الشعر وأشجاءه ، وقد مرَّ في المجلس الأول ما يشير
إلى بعض هذا .

وقال آخرُ [من الطويل] :

لَحَظْنَاهُمْ حَتَّى كَأَنَّ عَيْنُونَا بِهَا لِقْوَةٌ مِنْ شِدَّةِ اللَّحْظَانِ^(٣)

(١) اللَّيْتُ : صفحة العنق . الأخدعان : عرقان خفيان في موضع الحجامة من
العنق .

(٢) «ديوان الحماسة» (٦٢/٢) .

(٣) اللَّقْوَةُ : داءٌ يكون في الوجه يَفُوجُ منه الشَّدْقُ .

وَأَمَّا الشكايةُ مِنَ أَلَمِ النوى سَاعَةِ الوداعِ : فمِمَّا لا يُحصى كَثْرَةُ
فِي أشعارِهِمْ ، وَمِنْهُ قولُ امرئِ القيسِ [في «ديوانه» ١٤٤ من الطويل] :

كَأَنِّي غَدَاةَ البَيْنِ يَزُومُ تَحَمُّلُوا لَدَى سَمَرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلٍ (١)

وهو متكررٌ عند الناظم ؛ مِنْهُ قولُهُ [في «المكبري» ٢٣٥/٢ من الطويل] :

حُشاشَةٌ نَفْسٍ وَدَعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا فَلَمَّ أذْرِي أَيُّ الطَّاعِنِينَ أُشِيعُ

وقولُهُ [في «المكبري» ٨٧/٤ من الكامل] :

فَدُ كُنْتَ تَهْزَأُ بِالبِرِّاقِ مَجَانَّةً وَتَجُرُّ ذَيْلِي سِرَّةً وَعُرامٍ (٢)

لَيْسَ القَبَابُ عَلَى الرِّكابِ وَإِنَّمَا هُنَّ الحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلامٍ (٣)

مُتَلَحِّظِينَ نَسُحُ مَاءِ شؤُونِنَا حَذْرًا مِنَ الرُّقَبَاءِ فِي الأَكَامِ (٤)

أَرْواحُنَا أَنهَمَلَتْ وَعِشْنَا بَعْدَهَا مِنْ بَعْدِ ما قَطَرَتْ عَلَى الأَقْدَامِ

وقولُهُ [في «المكبري» ٢٥٩/٢ من الكامل] :

أَرْكابِ الأَحْبابِ إِنَّ الأَذْمَعَا تَطِسُ الأَخْدُودَ كَمَا تَطِسُنَ البِزْمَعَا (٥)

(١) غداة البين : صبيحة الفراق . السمرات : شجر في الحي ، جمع سمره . ناقف الحنظل : أشق الحنظل فتدمع عيناى ؛ لشدة مرارته ؛ لأن من يشقه يجد أثر مرارته في حلقه وأنفه وعينه .

(٢) المجانة : الخلاءة . السرة : الحدة والنشاط . العرام : الشدة والقوة والشراسة .

(٣) القباب : الهوادج . الركاب : الإبل .

(٤) نسح : السكب المتتابع . الشؤون - جمع شأن - : وهو مجرى الدمع . الأكام - جمع أكمة - : وهي القف من حجارة واحدة ، وقيل : هو دون الجبال ، وفي «الديوان» : (نسح) بدل (نسح) ، و(الأكام) بدل (الأكام) .

(٥) وطس الشيء : كسره ودقه . البزمع : حجارة بيض صغار رخوة .

فَأَعْرِفَنَّ مَنْ حَمَلَتْ عَلَيْكَ النَّوَى وَأَمْسِينَ هَوْنَا فِي الْأَرْمَةِ خُضْعًا^(١)
قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنَ الْبُكَاءِ فَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبُكَاءُ أَنْ يَمْنَعَا

والأخيرُ من خالص الشعر ، ومختار الكلام ، وكنت أظنه من
مخترعائه ، حتّى رأيتُ أبا ذؤيب الهذليّ سبقه إلى بعضه في قوله [في
ديوانه] ١٤٦ من الكامل :

وَلَقَدْ أَرَى أَنْ الْبُكَاءَ سَفَاهَةٌ وَلَسَوْفَ يُؤَلِّعُ بِالْبُكَاءِ مَنْ يُفْجَعُ
وأقتضاهُ ابنُ مطير ، حيثُ يقول - من كلمة له مؤنّقة - [في ديوانه] ٤٩
من الطويل :

وَكُنْتُ أَذُودُ الْعَيْنَ أَنْ تَرِدَ الْبُكَاءُ فَقَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذُودُهَا
ولا يبعدُ عنه قولُ كثيرٍ [في ديوانه] ٩٥ من الطويل :

وَمَا كُنْتُ أَذْرِي قَبْلَ عَزَّةِ مَا الْبُكَاءُ وَلَا مُوجِعَاتِ الدَّهْرِ حَتَّى تَوَلَّتْ
وقولُ المجنونِ [من الطويل] :

وَأَبْكَيْتُمَانِي وَسَطَّ صَحْبِي وَلَمْ أَكُنْ أَبَالِي دُمُوعَ الْعَيْنِ لَوْ كُنْتُ خَالِيَا
ويأتي بعض ما يشبهه في شرح قوله [في المُكَبَّرِي] ٣٠٨/١ من المنسرح :

أَصْبَحَ حُسَّادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُخَدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُضْعِدُهَا
وقبيلَ قوله [في المُكَبَّرِي] ٣٤/٤ من الطويل :

فَسِبْ - وَائْتِاقاً بِاللَّهِ - وَثَبَّةً مَاجِدٍ يَرَى الْمَوْتَ فِي الْهَبِجَا جَنَى النَّخْلِ فِي الْفَمِ

(١) الْأَرْمَةُ - جمع الزَّمَام - : وهو الحبلُ الذي يجعلُ في البرَّةِ والخشبةِ ، وفي عنقِ
البعيرِ .

وفي الموضوع قوله [في «المكبري» ٢٢٥/١ من الكامل] :

يَسْتَأَقُ عَيْسَهُمْ أَنِّي خَلَفَهَا تَوَهَّمُ الزَّفَرَاتِ رَجَعَ حَدَاتِهَا^(١)

وقوله [في «المكبري» ٢٤٦/١ من الكامل] :

لَمَّا تَقَطَّعَتِ الْحُمُولُ تَقَطَّعَتْ نَفْسِي أَسَى وَكَأَنَّهُنَّ طُلُوحُ^(٢)
وَجَلَّ الْوَدَاعُ مِنَ الْحَبِيبِ مَحَاسِنًا حُسْنُ الْعِزَاءِ وَقَدْ جُلِينَنَ قَبِيحُ

وقوله [في «المكبري» ١١٥/٢ من البسيط] :

وَكَاتِمُ الْحُبِّ يَوْمَ الْبَيِّنِ مُنْهَتِكَ وَصَاحِبُ اللَّذَمِ لَا تَخْفَى سَرَائِرُهُ

وقوله [في «المكبري» ١٦٢/٢ من الكامل] :

قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَوْ كَانَ يَنْفَعُ حَاتِنًا أَنْ يَحْذَرَ^(٣)

وقوله [في «المكبري» ١٩٤/٢ من الكامل] :

إِنْ كُنْتَ ظَاعِنَةً فَإِنَّ مَدَامِعِي تَكْفِي مَزَاوِدَكُمْ وَتُرْوِي الْعَيْسَا^(٤)

- (١) في «الديوان» : (زَجِرٌ) بدل (رَجَعَ) . العُدَاة : هم المغتوثون خلف الإبل .
- (٢) الطُّلُوحُ - جمع طُلُحٍ - وهي شجرة حجازية ، جناتها كجناة السَّمْرَةِ ، ولها شوكةٌ أَحَجْنُ ، ومنابتها بطونٌ الأودية ، وهي أعظمُ العِصَاءِ شوكةً ، وأصلبها عوداً ، وأجودها صَمْنًا ، والطلح أيضاً : الموز .
- (٣) المعنى : كنت أحذر فراقهم قبل وقوعه ولكن الهالك لا ينفعه الحذر ، وفي «الديوان» : (حَاتِنًا) بدل (حَاتِنًا) والصواب ما هو مثبت .
- (٤) مَزَاوِدُكُمْ - جمع مَزَوْدٍ - وهو وعاءٌ يجعلُ فيه الزادُ ، أو وعاءُ الماء الذي يترَوَّدُ للسفرِ ، وهو المرادُ هنا . وفي «الديوان» و«المكبري» : (مَزَادُكُمْ) بدل (مَزَاوِدُكُمْ) .

وقوله [في «المكبري» ٢٠/٢٩٥ من الوافر] :

نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ وَالْعَيْنُ شَكَرِي فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقًا^(١)

وقوله [في «المكبري» ٢٠/٣٠٨-٣٠٧ من الطويل] :

وَلَمْ أَرَ كَالْأَلْحَاطِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ بَعْنَنَ بِكُلِّ الْقَتْلِ مِنْ كُلِّ مُشْفِقٍ
أَدْرَنَ عِيُونًا حَائِرَاتٍ كَانَتْهَا مُرَكَّبَةٌ أَحْدَاقُهَا فَوْقَ زَنْبِقِ
عَشِيَّةٍ يَغْدُونَا عَنِ النَّظَرِ الْبِكَا وَعَنْ لَذَّةِ التَّوَدِيعِ خَوْفُ الْتَفْرِقِ

وقوله [في «المكبري» ٢٠/٣٤١ من الطويل] :

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأْتِي الْحَزَائِقُ وَيَا قَلْبُ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أَفَارِقُ^(٢)
وَقَفْنَا وَمِمَّا زَادَ بِنَا وَقُوفُنَا فَرِنَقِي هَوَى: مِنَّا مَشُوقٌ وَشَائِقُ

وقوله [في «المكبري» ٣٠/٢٢١-٢٢٢ من الوافر] :

بِقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمْ أَرْتَحَالَ وَحُسْنَ الصَّبْرِ زَمُوا لَا الْجِمَالَ
تَوَلَّوْا بَغْتَةً فَكَأَنَّ بَيْنَا تَهَيَّبَنِي فَفَاجَأَنِي أَغْتِيَالَ
كَأَنَّ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي مَنَاحَاتٍ فَلَمَّا تُزْنَ سَالَآ

وقوله [في «المكبري» ٣٠/٢٣٤ من الكامل] :

حَدَقُ الْحِسَانِ مِنَ الْعَوَانِي هَجَنَ لِي يَوْمَ الْفِرَاقِ صَبَابَةٌ وَعَظِيمًا^(٣)

(١) العينُ الشكرى : الممتلئة بالدمع . المَاقُ : طرفُ العينِ ممَّا يلي الأنفَ وهو

مخرجُ الدمعِ مِنَ العينِ .

(٢) تَأْتِي : تمهَّلَ وترَفَّقَ . الْحَزَائِقُ : الجماعةُ مِنَ النَّاسِ .

(٣) الغليلُ والغُلَّةُ : شدَّةُ العطشِ وحرارتهُ .

وقوله [في «العُكْبَرِيّ» ٢٢٠/٤ من البسيط] :

قَدْ عَلِمَ النَّبِينُ مِنَّا الْبَيْنَ أَحْقَانَا تَدْمَى وَأَلْفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَحْرَانَا

وقوله [في «العُكْبَرِيّ» ١٩٦/٤ من الكامل] :

بِنَا فَلَوْ حَلَيْتَنَا لَمْ تَذْرِ مَا أَلْوَانَنَا مِمَّا امْتَقَعْنَ تَلَوْنَا^(١)
أَفْدِي الْمُوَدَّعَةَ الَّتِي اتَّبَعْتُهَا نَظْرًا فُرَادَى بَيْنَ زَفْرَاتِ ثُنَا

وقوله [في «العُكْبَرِيّ» ٣٤٢/١ من المتقارب] :

فَوَاحَسَرَتَا مَا أَمَرَ الْفِرَاقَ وَأَعْلَقَ نَيْرَانَهُ بِالْكَبُودِ

ويعجبني قول بعضهم في شكوى الفراق [من الخفيف] :

إِنَّ يَوْمَ الْوَدَاعِ قَطَعَ قَلْبِي قَطَعَ اللَّهُ قَلْبَ يَوْمِ الْوَدَاعِ

وقول الآخر [من الكامل] :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهُمْ نَذَرُوا دَمِي أَوْلِي دَمٍ يَوْمَ الْفِرَاقِ يُرَاقِ ١٩

وقول ابن الفارض [في «ديوانه» ١٥٢ من الكامل] :

وَبِمَا جَرَى فِي مَوْقِفِ التَّوَدِيعِ مِنْ أَلَمِ النَّوَى شَاهَدْتُ هَوْلَ الْمَوْقِفِ

وقول ابن عبد ربّه [في «ديوانه» ١٤٠ من الخفيف] :

وَدَّعْتَنِي بِزَفْرَةٍ وَأَعْتَنَاقِ ثُمَّ قَالَتْ مَتَى يَكُونُ التَّلَاقِ؟
إِنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ أَفْطَحُ يَوْمٍ لَيَتَنِي مِثْلَ قَبْلِ يَوْمِ الْفِرَاقِ

(١) حَلَيْتَنَا: وصفتنا. امْتَقَع: تَغَيَّرَ لَوْنُهُ مِنْ حُزْنٍ أَوْ فَرَحٍ أَوْ حِيَاءٍ. وفي «الديوان» :
(بِثْنَا) بدل (بِنَا) ، و(أَسْتَقَعْنَ) بدل (أَمْتَقَعْنَ). ومعنى البيت: تفرقتنا، فليعظم ما
نالنا من ألم الفراق، لو أردت أن تصفنا. . ما قدرت؛ لتغيّر أوصافنا، فكنت لا
تلدي بأي لون تصفنا.

توديع ابن اللبانة
للمعتمد بن عباد

وَمِنْ أَرْقُ مَا فِيهِ ، وَأَبْعُهُ لِلأَشْجَانِ ، وَتَحْرِيكُهُ لِلْبَلَابِلِ : قَوْلُ
[أَبْنِ] اللَّبَّانَةِ فِي تَوْدِيْعِ الْمَعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ ، وَهُوَ [مَنْ الْبَسِيطِ] :

تَبْكِي السَّمَاءُ بِدَمْعِ رَائِحِ غَادِي عَلَى الْبُهَالِيلِ مِنْ أَبْنَاءِ عَبَّادٍ
عَلَى الْجِبَالِ الَّتِي هُدَّتْ قَوَاعِدُهَا وَكَانَتْ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ذَاتَ أَوْتَادٍ
عَرِيْسَةٌ دَخَلَتْهَا الْكَاثِبَاتُ عَلَى أَسَاوِدِ مِنْهُمْ فِيهَا وَأَسَادٍ^(١)
وَكَعْبَةٌ كَانَتْ الْأَمَالُ تَخْدِمُهَا وَالْيَوْمَ لَا عَاكِفَ فِيهَا وَلَا بَادِي
يَا ضَيْفُ أَفْقَرِ بَيْتِ الْمَكْرُمَاتِ فَخُذْ فِي ضَمِّ شَمْلِكَ وَأَجْمَعْ فَضْلَةَ الرَّادِ
لَمَّا دَنَا الْوَقْتُ لَمْ تُخَلْفْ لَهُ عِدَّةٌ وَكُلُّ شَيْءٍ بِمِيقَاتٍ وَمِيعَادِ
إِنْ يُغْلَبُوا فَبُنُو الْعَبَّاسِ قَدْ غَلِبُوا وَقَدَّ خَلَّتْ قَبْلَ حِمْنِ أَرْضِ بَغْدَادِ
نُسِيتُ إِلَّا غَدَاةَ النَّهْرِ يَوْمَ غَدَا فِي الْمُنْشَاتِ كَأَمْوَاتٍ بِالْحَادِ
وَالنَّاسُ قَدْ مَلُؤُوا الْعَبْرَيْنِ وَأَعْتَبَرُوا وَأَرْسَلُوا الدَّمْعَ حَتَّى فَاضَ فِي الْوَادِي^(٢)
حَانَ الْوَدَاعُ فَضَجَّتْ كُلُّ صَارِحَةٍ وَصَارِيحِ مِنْ مُفَدَّاتٍ وَمِنْ فَادِي
سَارَتْ سَفَائِنُهُمْ وَالنَّوْحُ يَتَّبِعُهَا كَأَنَّهَا إِبِلٌ يَخْدُو بِهَا الْحَادِي
كَمْ سَالَ فِي الْمَاءِ مِنْ دَمْعٍ وَكَمْ حَمَلَتْ تِلْكَ الْقَطَائِعُ مِنْ أَفْلَادِ أَكْبَادِ

وفي وصف ذلك اليوم بعينه يقول أبو حنيفة (في ديوانه) ٢٦٩ من

الطويل :

وَلَمَّا رَحَلْتُمْ بِالنَّدَى فِي أَكْفِكُمْ وَقَلِقَلِ رَضْوَى مِنْكُمْ وَثَبِيرِ^(٣)

(١) العريسة : ماوى الأسد .

(٢) العبرين : طرفا النهر .

(٣) قلقل : اضطرب . رضوى : اسم جبل (بالمدينة) ، وثير : اسم جبل بين مكة (ومنى) ، ومنه قيل : أشرق ثبير كما نغير .

رَفَعْتُ لِسَانِي بِالْقِيَامَةِ قَدْ دَنْتُ فَهَدَيْتِي الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتِ تَسِيرُ
وقد نظرَ فيه إلى قولِ ابنِ المعتزِّ في رِثاءِ أبْنِ الفِراتِ [في «ديوانه»
٣٢٦ من السَّريع] :

هَلْذَا أَبُو الْعَبَّاسِ فِي نَعْسِهِ قَوْمُوا أَنْظَرُوا كَيْفَ تَسِيرُ الْجِبَالُ
وَأغَارَ عَلَيْهِ النَّاظِمُ فِي قَوْلِهِ [في «المُعَبَّرِي» ١٢٩/٢ من الكَامِل] :

مَا كُنْتُ أَمَلُ قَبْلَ نَعْسِكَ أَنْ أَرَى رَضْوَى عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ تَسِيرُ
وَمَنْ الَّذِي لَا تَهِيحُ أَشْجَانُهُ ، وَلَا تَضْطَرُّ أَحْزَانُهُ ، وَلَا تَضْطَرُّ
نِيرَانُهُ عِنْدَمَا يَسْمَعُ قَوْلَ ابْنِ دِرَّاجِ ، وَقَدْ عَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ ، وَخَنَقَهُ
وَزَوْجَهُ الشَّهِيقُ وَالزَّرْفِيرُ [في «ديوانه» ٢٥٠ من الطَّوِيل] :

ابن درّاج وزوجته

تُرَاجِعُنِي عَهْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْهَوَىٰ وَفِي الْمَهْدِ مَبْعُومُ النَّدَاءِ صَغِيرٌ^(١)
عَيْي بِمَرْجُوعِ الْخِطَابِ وَإِنَّهُ بِمَوْقِعِ أَهْوَاءِ [النَّفُوسِ] خَبِيرٌ
وقولَ ابْنِ زُرَيْقٍ [البغداديّ] في «ديوانه» من البسيط] :

لله درك يا ابن زريق

وَكَمْ تَشَبَّتَ بِي يَوْمَ الرَّحِيلِ ضَحَىٰ وَأَدْمَعِي مُسْتَهْلَاتٌ وَأَدْمَعُهُ
وَكَمْ تَشَقَّعَ بِي أَلَّا أُفَارِقَهُ وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٌ مَا يُشَقُّعُهُ

ولا نبخسُ الشَّيخَ البُرْعِيَّ حَقَّهُ مِنَ الرِّقَّةِ وَالْعُدُوبَةِ فِي أَمْثَالِ قَوْلِهِ

[في «ديوانه» ١١١ من الكَامِل] :

بِأَبِي مُوَدَّعَةً تَخَافَتْ صَوْتَهَا خَوْفَ الرَّقِيبِ وَعَيْنُهَا تَتَمَلَّأُ
قَالَتْ: تُودِّعُنَا ، فَقُلْتُ لَهَا: نَعَمْ قَالَتْ: فَتَسَانَا ، فَقُلْتُ لَهَا: لَا

(١) البَعْمُ : الصوتُ الرَّخِيمُ .

وقال شيخنا العلامة أبو بكر بن شهاب من قصيدة تخلص فيها
إلى مدح جدِّي المُحسِن [من الوافر] :

وَلَمْ أَنْسَ الْوَدَاعَ وَمَا جَرَى لِي
بَكَتْ خَوْفَ النَّوَى وَبَكَيْتُ قَهْرًا
تَبْتُ إِلَيَّ شَكْوَاهَا فَأَشْكُو
وَقَالَتْ لِي: أَنْزِجْ عَن قَرِيبٍ ؟
غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ عَزَّ الْمَقَامُ
دَمًا فِيهَا وَيَبِي لَعِبَ الْغَرَامُ
إِلَيْهَا وَالذُّمُوعُ لَهَا أَنْسَجَامُ
فَقُلْتُ : نَعَمْ وَلِلدَّهْرِ أَحْتِكَامُ

وكم لي فيه من مثيرِ غرامٍ ، ومدججِ ضرامٍ ، منه قولِي [في ديوان قصيدة للمؤلف في
الموضوع المؤلف ٥٢٥١ من الطويل] :

تَذَكَّرْتُ شَرَقِيَّ الْحِمَى مِنْبِتِ الْأَثَلِ
مُشَارِفُ مَا فِيهِنَّ لِلْعَيْنِ مَنْظَرُ
فَمَا زَرَعَهَا زَاكٌ وَلَا نَمَّ قَاطِنُ
وَلَكِنَّ فِيهَا نَشَاتِي وَوِلَادَتِي
فَمَا فِي بِلَادِ اللَّهِ أَرْضٌ كَمِثْلِهَا
وَلَمْ أَنْسَ فِي يَوْمِ الْوَدَاعِ مَوَاقِفَا
تُرَاجِعُنِي فِيهَا الْهَوَى أُمَّ شَادِنِ
وَتَلَوِي بَلِيَّتَهَا مَخَافَةَ طِفْلَةٍ
تَصُدُّ لِإِيهَامِ الْأَطْفَالِ تَارَةً
وَمَا أَضَعَبَ الذُّكْرَى عَلَيَّ ذِي الْوَفَا مِنْبِلِي (١)
يَرُوقُ سِوَى شَيْءٍ مِنَ السُّدْرِ وَالنَّخْلِ
بِهَا غَيْرُ شَاكٍ قَلَّةَ الْأَمْنِ وَالْعَدْلِ
وَحَلَفْتُ فِيهَا صِبْيَتِي وَبِهَا أَهْلِي
لَدَيَّْ عَلَيَّ تِلْكَ الْمَخَافِ وَالْأَزْلِ (٢)
لَوَاعِجُهَا فِي الْقَلْبِ أَشْوَى مِنَ التُّكْلِ
وَأَجْفَانُهَا تَجْرِي وَأَشْجَانُهَا تَغْلِي (٣)
تَرَى مَا بِهَا مِنْ حَسْرَةِ الْبَيْنِ أَوْ طِفْلِ
وَتَقْبَلُ أَحْيَانًا بِفَوَارَتِي وَبَلِ (٤)

(١) الأَثَلُ : نوعٌ من أجود الشجر .

(٢) الْأَزْلُ : الضيقُ والشدةُ .

(٣) الشَّادِنُ : من أولاد الظباء الذي قوي وطلع قرناه وأستغنى عن أمه .

(٤) فَوَارَتَا الْوَيْلِ : المراد بهما العيونُ الدَّامِعَةُ .

وَيَمْنَعُهَا سَوْقَ الْمَقَالِ نَشِيحُهَا سِوَى كَلِمَاتٍ سَاقَطَتْهَا عَلَى رِئْسِ
تَقُولُ إِلَى أَيْنَ الشَّرَى بَعْدَمَا تَرَى فَلَيْسَ لَنَا ذَرْعٌ عَلَى فُرْقَةِ الشَّمْلِ
فَقُلْتُ : قَرِيْبًا تَنْطَوِي شُقَّةُ النَّوَى وَيُعْقِبُهَا مِنْ فَضْلِهِ اللهُ بِالْوَصْلِ

ثُمَّ إِنَّ الْأُدْبَاءَ عَلَى اخْتِلَافٍ فِي شَأْنِ التَّوْدِيْعِ :

فَمِنْهُمْ : مَنْ أَحَبَّهُ لِتَقْرِيْبِهِ مِنَ الْعِنَاقِ وَالْإِتِّصَالِ ، كَمَا قَالَ النَّاطِمُ

[في «المكبري» ٦٠/٢ من الطويل] :

وَمَنْ لِي بِيَوْمٍ مِثْلِ يَوْمِ كَرِهْتُهُ قَرُبْتُ بِهِ عِنْدَ الْوَدَاعِ مِنَ الْبُعْدِ

وقال الأندلسي [إبراهيم الحجارى فى «نفع الطيب» ٤١١/٣ من الطويل] :

لِئِنْ كَرِهْتُمْ يَوْمَ الْوَدَاعِ فَإِنِّي أَهِنُّمُ بِهِ وَجَدًا لِأَجْلِ عِنَاقِهِ
أَصَافِحُ مَنْ أَهْوَاهُ غَيْرَ مُرَاقِبٍ وَسِرِّ الْتَّلَاقِي مُودَعٌ فِي فِرَاقِهِ

وَأَنشَدَ الْمَبْرُودُ [مِنَ الْخَفِيفِ] :

مُتَّعًا بِالْفِرَاقِ يَوْمَ الْفِرَاقِ مُسْتَجِيرِينَ بِالْبُكَاءِ وَالْعِنَاقِ
وَأَظْلَّ الْفِرَاقُ فَالْتَّقِيَا فِى هِ فِرَاقٍ أَتَاهُمَا بِاتِّفَاقِ
كَيْفَ أَدْعُو عَلَى الْفِرَاقِ بِحَتْفِ وَغَدَاةِ الْفِرَاقِ كَانَ الْتَّلَاقِي
وهي أبياتٌ باردةٌ متكلفَةٌ .

ومنهـم : مَنْ كَرِهَهُ لِإِفْضَائِهِ إِلَى الْإِحْتِرَاقِ ، وَمَبْلَغِ الرُّوحِ
الْتَّرَاقِ ، وَبَسْطِ مَا فِيهِ يُفْضِي إِلَى الْإِمْلَالِ ، فَلِنَدْعُهُ إِلَى فُرْصَةٍ أُخْرَى .

وقال الحماسي [فى «ديوان الحماسة» ١٢٤/٢ من الوافر] :

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقَى مِنْ مُحِبِّ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُوَ الْمَدَاقِ
تَرَاهُ بَاكِئًا فِي كُلِّ وَقْتِ مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لِاشْتِيَاقِ

الخلافا فى شأن

التوديع

١- عصفور باليد أفضل

من عشر على الشجر

٢- درء المفاصد مقدم

على جلب المصالح

المحب شقى على كل

الأحوال

فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ

وقد نظرَ إليه الناظمُ في قوله [في «المكبري» ٣/٢٦٦ من المنسرح] :

وَاحْرَبَا مِنْكَ يَا جَدَايْتَهَا مُقِيمَةً فَأَعْلَمِي وَمُرْتَحِلَةً! (١)

وقوله [في «المكبري» ٢/٣٠٤ من الطويل] :

وَيَبِّنَ الرُّضَا وَالشُّحْطِ وَالْقُرْبِ وَالنُّوَى مَجَالٌ لِدَمْعِ الْعَاشِقِ الْمُتَرْقِقِ (٢)

ويعجبني قولُ بعضهم [من الطويل] :

حَبِيبِي غَدَاً لَا شَكَّ فِيهِ مُودَعٌ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي بِهِ كَيْفَ أَضْعُ
فَبَا يَوْمٌ لَا أَدْبَرْتَ هَلْ لَكَ مَحْسِنٌ وَيَا غَدُ لَا أَقْبَلْتُ هَلْ لَكَ مُدْفِعٌ؟
إِذَا لَمْ أُشِيعْهُ تَقَطَّعْتُ حَسْرَةً وَوَكَبِدًا إِنْ كُنْتُ مِمَّنْ يُشِيعُ

وقال الناظمُ [في «المكبري» ٤/١٤٨ من الوافر] :

وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامٍ

وقال مهيارٌ [من الكامل] :

صُلْبُ الْحَصَاةِ يَتَوَرُّ غَيْرَ مُزَوِّدٍ مِنْ أَهْلِهِ وَيَسِيرُ غَيْرَ مُودَعٍ

وأما الاقتناعُ باليسيرِ مِنَ المحبوبِ : فإنه كثيرٌ في الأشعارِ ؛ منه الاقتناعُ باليسيرِ من

المحبيب عند الشعراء

قولُ الناظمِ [في «المكبري» ٣/٣ من الوافر] :

(١) الْحَرَبُ: الهلاك . الْحَدَايَةُ - بفتح الجيم وكسر هاء - : الذكْرُ والأنثى مِنْ أولادِ

الظُّبَاءِ . والمعنى : أَنَّهُ يندبُ حَفْطَهُ مِنْ ظُبِيَّةِ هَذِهِ الدَّارِ ؛ لِأَنَّهَا إِذَا أَقَامَتْ مَنَعَتَهُ مِنْ الوَصُولِ إِلَيْهَا ، وَالسَّفَرُ حَائِلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ، فَقَرَّبَهَا وَبَعْدَهَا سِيَانٌ .

(٢) المترقِّق : الذي يجولُ في العَيْنِ وَلَا يَنحدرُ . وفي «الديوان» : (الْمُقَلَّةُ) بدل

(الْعَاشِقِ) .

وَجُودَكَ بِالْمُقَامِ وَلَوْ قَلِيلاً فَمَا فِيمَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلاً^(١)

وقوله [في «المكبري» ١٣٤/٢ من الكامل] :

وَقَنَعْتُ بِاللُقْيَا وَأَوَّلِ نَظْرَةٍ إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَبِيبِ كَثِيرٌ

وقال أبو الطَّيْرِيَّةِ [في «ديوانه» ٩٧ من الطويل] :

أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكَ ؟ وَكَلَّأَ لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلاً

وقال أبو ربيعة [في «ديوانه» ٢٧٥ من الخفيف] :

لَيْتَ حَظِّي كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمَهْنَأُ
أَوْ حَدِيثٍ عَلَى خَلَاءٍ يُسَلِّي مَا يُجَنِّي الْفُرَادَ مِنْهَا وَمِنَّا
كَبُرَتْ رَبِّ نِعْمَةٌ مِنْكَ يَوْمًا أَنْ أَرَاهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ وَمِنَّا

وقال ذو الرُّمَّةِ [في «ديوانه» ٩١٣/٢ من الطويل] :

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَعَلُّلُ سَاعَةٍ قَلِيلاً فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا

وقال أبو مُطَيْرٍ [في «ديوانه» ٥٤ من الطويل] :

كَلَامُكَ - يَا سَلْمَى - وَإِنْ قَلَّ نَافِعِي فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي وَإِنْ قَلَّ حَاقِرُهُ

وقال إسحاق الموصلي [في «معجم الأدياء» ٤٠/٦ من الخفيف] :

إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ قَلِيلٌ

وقال أبو نصر الميكالي [من الوافر] :

قَلِيلٌ مِنْكَ يَكْفِينِي وَلَكِنْ قَلِيلُكَ لَا يُقَالُ لَهُ قَلِيلٌ

(١) أي: وجُد جودك.

وقد تنوّق^(١) فيه سلطانُ العاشقين ، فقال [في «ديوانه» ٤٧ من وأجمله: عند سلطان
الطويل]:

وَمُنِّي عَلَى سَمْعِي بِ(لَنْ) إِنْ مَنَعْتِ أَنْ أَرَكَ فَمِنْ قَلْبِي لِغَيْرِي لَدَّتِ^(٢)

وقال [في «ديوانه» ١٥٧ من الخفيف]:

ذَابَ قَلْبِي فَأَذَنَ لَهُ يَتَمَنَّأ كَ وَفِيهِ بَقِيَّةٌ لِرَجَاكَ
وَإِذَا لَمْ تُنْعَشْ بِرُوحِ التَّمَنِّي رَمَقِي وَأَقْتَضَى فَنَائِي بَقَاكَ
أَبَقِ لِي مُهَجَةٌ لَعَلِّي يَوْمًا قَبْلَ مَوْتِي أَرَى بِهَا مَنْ رَاكَ
أَوْ مِرَّ الْعُمُضِ أَنْ يَمُرَّ بِجَفْنِي فَكَأَنِّي بِهِ مُطْبِعًا عَصَاكَ^(٣)

وقال [في «ديوانه» ٥٦ من الطويل]:

وَلِي مِنْكَ كَافٍ إِنْ هَدَرْتَ دَمِي وَلَمْ أَعُدَّ شَهِدَاءَ عِلْمٍ دَاعِي مَيِّتِي

وفي ترجمة الرُّوذباري المتوفى سنة: (٣٢٠ هـ) من «طبقات الطريح الروذباري والشباب
أبن السبكي» [٤٩/٣]: أَنَّهُ مَرَّ بِشَابِّ طَرِيحٍ فَقَالُوا: إِنَّهُ أَجْتَازَ بِهَذَا
القصرِ وجاريةٌ تَغْنِي وتقول [من مجزوء الرُّمل]:

كُبِّرَتْ هِمَّةٌ عَبْدٍ طَمَعَتْ فِي أَنْ تَرَكََا
أَوْ مَا يَكْفِي لِعَيْنِي أَنْ تَرَى مَنْ قَدْ رَاكََا

(١) تنوّق فلانٌ في أمره: إذا تجوّد وبالغ وأحكم.

(٢) للبيت نكتة لطيفة: وهي أن ابن الفارض طلب منها أن تقول له: لن تراني؛ لأن هذا فيه وعد بأن يراها في المستقبل، حيث إن النفي بـ (لن) يفيد النفي في الحال فقط، وعكسه رأي المعتزلة: فإنها تفيد عندهم النفي على التأييد. وهو مذهب باطل، والله أعلم.

(٣) الْعُمُضُ: النَّوْمُ.

وَمِنْ الْغَايَاتِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ ابْنِ الْأَثَمِينَةِ [فِي « دِيوانِهِ » مِنْ

الطويل] :

رَضِيتُ بِسَعْيِ الْوَهْمِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْوَصْلِ مِنْهُ نَصِيبُ

وقال آخر [من الطويل] :

قَفِي نَوَّلِنِي نَظْرَةً إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَى الْحَوْلِ تَكْفِينِي عَنِ الْمَاءِ وَالزَّادِ

وهو مثل قول الناظم [في « المكبري » ٤٧/٢ من الخفيف] :

هَذِهِ النَّظْرَةُ الَّتِي نَالَهَا مِنْ كِإِلَى مِثْلِهَا مِنْ الْحَوْلِ زَادُهُ

وقال بعضهم [كما في « المستطرف » ٤٤٢/١] : رأيتُ امرأةً مستقبلةً

امرأة في الطواف

البيتَ في الموسمِ ، وهي على غايةٍ مِنَ النحافةِ والضَّرِّ ، رافعةً يديها

تدعو ، فقلتُ لها : هل لكِ مِنْ حاجةٍ ؟ قالت : حاجتي أَنْ تُنادي

في الموقفِ بقولي [من الخفيف] :

تَزَوَّدَ كُلُّ النَّاسِ زَاداً يُقِينُهُمْ وَمَالِي زَادٌ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ نَفْسِي

ففعلتُ ، فَإِذَا أَنَا بفتىٍ منهوكِ القوى ، يقولُ : أَنَا وَاللَّهِ الزَّادُ ،

فمضيتُ بِهِ إِلَيْهَا ، فما زادوا على النظرِ والتباكي ، ثُمَّ قالتُ لَهُ :

أَنْصَرِفْ مَصَاحِباً ، فقلتُ : ما علمتُ أَنَّ التَّقَاءَ كَمَا يَكُونُ قَاصِراً عَلَى

هَذَا ، فقالتُ : أَمْسِكْ يَا فَتَى ، أَمَا علمتُ أَنَّ رُكُوبَ الْعَارِ وَدُخُولَ

النَّارِ شَدِيدٌ ؟ ! .

وقال بعضهم [من الطويل] :

أَقْلَبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ تَرَدُّدَا لَعَلِّي أَرَى النُّجْمَ الَّذِي أَنْتَ تَنْظُرُ

وَأَسْتَفْرِضُ الرُّكْبَانَ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ لَعَلِّي بِمَنْ قَدْ شَمَّ عَرْفَكَ أَظْفَرُ^(١)
وَأَسْتَقْبِلُ الْأَرْوَاحَ عِنْدَ هُبُوبِهَا لَعَلَّ نَسِيمَ الرِّيحِ عَنْكَ يُخَبِّرُ

وقال كثير عزة [في «ديوانه» ٤١٩ من الطويل] :

وَلَئِنِّي لِأَرْضِي مِنْكَ يَا عَزَّ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بِلَابِلُهُ^(٢)
بِلَا ، وَبِأَنَّ لَا أَسْتَطِيعُ ، وَبِالْمُنَى
وَبِالنَّظَرَةَ الْعُجْلَى ، وَبِالْحَوْلَ يَنْقُضِي
أَوَاحِرُهُ مَا نَلْتَقِي وَأَوَائِلُهُ

وقال جحدَر [في «خزانة الأدب» ٢٠٩/١١ من الوافر] :

الْيَسَّ اللَّيْلُ يَجْمَعُ أُمَّ عَمْرٍو وَإِنَّا فَذَاكَ بِنَا تَدَانِي ؟
نَعَمْ ، وَارَى الْهَيْلَالَ كَمَا تَرَاهُ وَيَعْلُوهَا الْنَهَارُ كَمَا عَلَانِي

ويأتي ما يتعلق به عند شرح قوله [في «المكبري» ١٦٤/٣ من البسيط] :

يُجَرُّ شَوْقًا فَلَوْلَا أَنَّ رَائِحَةَ تَزُورُهُ مِنْ رِيَّاحِ الشَّرْقِ مَا عَقَلَا

من المجلس السابع .

وعند قوله [في «المكبري» ٣١٩/١ من الخفيف] :

أَيُّ يَوْمٍ سَرَّرْتَنِي بِوِصَالِ لَمْ تَرُعْنِي ثَلَاثَةَ بِصُدُودِ

أواخر المجلس التاسع .

* * *

(١) العَرْفُ : الرِّيحُ ، طَيِّبَةٌ كَانَتْ أَوْ خَبِيثَةً ، يُقَالُ : مَا أَطْيَبَ عَرْفُهُ .

(٢) الْوَاشِي : النَّعْمَامُ . الْبِلَابِلُ : شِدَّةُ الْهَمِّ وَالْوَسْوَاسِ فِي الصُّدُورِ .

[قال أبو الطيب المتنبّي في «العُكْبَرِيّ» ٢٩٧/١ من المنسرح]:

بَانُوا بِخُرْعُوْبَةٍ لَهَا كَفَلٌ يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يُقْعِدُهَا^(١)

المراة ممدوحة بكبر العجيزة
يقول: ذهبوا بشايبه بضة^(٢) لها كفل، يكاد يقعدها ما عليه من كثرة اللحم، وهذا أيضاً يؤيد الاحتمال الثاني، وهو: وصفهم حال الارتحال، والمرأة ممدوحة بكبر العجيزة، وقد تكرّر عنده، فمنه قوله [في «العُكْبَرِيّ» ٢١٠/٣ من المنسرح]:

يَجْذِبُهَا تَحْتَ خَضْرِمَا عَجْزٌ كَأَنَّهُ مِنْ فِرَاقِهَا وَجِلٌ

وقوله [في «العُكْبَرِيّ» ٢٣٤/٣ من الكامل]:

تَشْكُو رَوَادِفِكَ الْمَطِيَّةُ فَوْقَهَا شَكْوَى النَّبِيِّ وَجَدَتْ هَوَاكِ دَخِيلاً^(٣)

وقوله [في «العُكْبَرِيّ» ١١٧/٢ من البسيط]:

أَعَارَنِي سُقْمَ جَفْنَيْهِ وَحَمَلَنِي مِنْ الْهَوَى ثِقَلَ مَا تَحْوِي مَازِرُهُ

وفي حديث أم زرع (عُكُومُهَا رَدَاحٌ)^(٤)، وقد فسره جزء من حديث أم زرع

(١) الخُرْعُوْبَةُ: الشَّابَّةُ الحَسَنَةُ الجَسِيْمَةُ فِي قَوَامٍ، وَقَالَ اللُّخَيَانِيُّ: هِيَ الرَّقِيْقَةُ العَظِيْمُ، الكَثِيْرَةُ اللَّحْمِ، النَّاعِمَةُ.

(٢) البَضَّةُ، يُقَالُ: أَمْرَأَةٌ بَاضَةٌ وَبَضَّةٌ كَثِيْرَةُ اللَّحْمِ.

(٣) الرَّوَادِفُ - مَفْرَدَةُ الرَّوْدَفِ - : وَهُوَ الكَفَلُ وَالعَجْزُ؛ لِأَنَّهُ يَرْدَفُ الْإِنْسَانَ وَيَكُونُ خَلْفَهُ.

(٤) أَخْرَجَهُ عَن عَائِشَةَ الْبَخَارِي (٥١٨٩) فِي النِّكَاحِ.

بعضُهُم : بأنتفاج العجيزة^(١) ، وفيه أيضاً : (فَوَجَدَ أَمْرَأَةً لَهَا أَبْنَانٌ
مِثْلُ الصَّقْرَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ)^(٢) ، وقد قيلَ : إِنَّ
المرادَ بالرَّمَّانِ الحقيقَةَ ، وأنَّهُما يلعبانِ بهما ، فلا يمسَّانِ ظهرَها ؛
لارتفاعِهِ بِعَظَمِ المآكِمِ .

وكانتَ هنداُ أبنَةُ عتبةَ مَضْرِبِ المثلِ في ذلكَ ، حتَّى لَقِدَ جوعِلَ^(٣) حلمَ معاويةَ رضي اللهُ
بعضُهُم على أن يذكرَها لمعاويةَ ، فمَضْرَبَ على عَجِيزَتِهِ وهوَ يَصَلِّي ،
وقالَ : ما أشبَهَها بعجيزةِ أمِّك ، فلَمَّا سَلَّمَ . قالَ لَهُ : ما لكَ
ولها ؟ إنَّما كانَ يليها أبو سفيانَ . وحملُهُ معَ ذلكَ ، وكسأهُ ، ولكنْ
- واللهُ أعلمُ بصحَّةِ ذلكَ جميعِهِ - دَسَّ مَنْ يَحْمِلُهُ على التَّحَرُّشِ
بزيادٍ ؛ ليشيطَ بدمِهِ ، فذهبَ إلى (العراقِ) ، وسألَ زياداً عن أمِّهِ ،
وهوَ يخطُبُ ، فقالَ لَهُ : يخبرُكَ عنها هذا ، وأشارَ إلى شرطيِّ ،
ذهبَ به ، وأحتزَّ الذي فيه عيناهُ .

وبهذهِ ذكرتُ ما رواهُ غيرُ واحدٍ : أنَّ رجلاً جاءَ إلى الأحنفِ بنِ
قيسٍ ، فلطمَ وجهَهُ ، فقالَ : ما شأنُكَ يا ابنَ أخي ؟ وما دعاكَ إلى
هذا ؟ قالَ : أليتُ أنَّ أَلِطَمَ سيِّدِ العربِ مِنْ بني تميمٍ . قالَ : لِمَ
تَبَرَّ يمينُكَ ؛ فما أنا بسيِّدِها ، إنَّما ذلكَ حارثَةُ بنُ قدامةَ ، فذهبَ
الرجلُ ، فلطمَ حارثَةَ ، فقامَ إليه حارثَةُ بالسيفِ ، فقطعَ يمينَهُ ، فبلغَ
الأحنفَ ، فقالَ : أنا - واللهِ - قَطَعْتُها^(٤) .

(١) يقالُ امرأةٌ نُفُجٌ : إذا كانت ضخمةَ الأردافِ والمآكِمِ .

(٢) طرف من حديث عائشة السالف .

(٣) جوعِلَ : أي أعطِيَ جُعلاً ، وهو المَالُ المؤدَّى للإنسانِ ليفعلَ شيئاً .

(٤) القصة في « المستطرف » (٢٠٢ / ٢) .

السبب في كون كبير العجيزة مدوحاً

وأراد معاوية أن يعث بإحدى فضليات العرب ، وعيرها بثديها وكفلها ، فقالت : إنما كان يضرب المثل في كبر هذين بأُمَّكَ ، فقال لها : إننا لم نقل لك إلا خيراً^(١) !! إذا كبر ثدي المرأة . . . روي ولدها ، وأتسع صدرها ، وإذا أنتفج كفلها . . . حسن مجلسها .
قالت : أوذاك !!؟

الثريا وانتاج عجزها

وأخرج الأصفهاني بسنده [كما في «الأغاني» ١/٢٢٥] : أن أكرثياً كانت تصب جرة ماء على بدنها ، وهي قائمة ، فلا يصيب ظاهر فخذها شيء منه ؛ لارتفاع عجزها .
وفيها أو في عائشة بنت طلحة يقول أبو ربيعة [كما في «الأغاني» ١٣٣/١٧ من الطويل] :

أخت الحجاج تندر أن تعتمر ماشية

تنوء بأخرها فلأباً قيامها وتمشي الهوننا عن قريب فتبهر^(٢)
ويروي : أن زينب ابنة يوسف ، أخت الحجاج ، نذرت أن تعتمر ماشية من (الطائف) إن شفي أبوها من شكور ألم به ، ثم لم تصل (مكة) [إلا] على شهر ؛ من سمنها وأمتلائها ، وتجادب أطرافها وروادفها ، وفي وجهها ذلك يقول التميمي [من الطويل] :

تضوع مسكاً بطن نعلان إن مست به زينب في نسوة خفرات^(٣)

- (١) أي : كنا نمزح معك ، ولم نتكلم لك الكلام الصحيح بكلامنا ذلك ، ولكننا سنقول لك الحقيقة والخير وهو : أن المرأة إذا كبر ثديها . . .
- (٢) تنوء : ناء بحمله : نهض بجهد ومشقة ، والمرأة تنوء بها عجيزتها ؛ أي : تثقلها ، وهي تنوء بعجيزتها ، أي تنهض بها ثقلة . الألي : بطاء القيام . البهز : الإغياء .
- (٣) تضوع : فاح . خفرات : حيئات ، محفوظات من الفساد .

يُحِبُّنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ الثَّقَى وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْتَمِرَاتٍ
وَلَمَّا رَأَتْ رَكَبَ الثَّمِيرِيِّ أَعْرَضَتْ وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ
وفي ذلك خبرٌ طويلٌ .

وممن أشتهر بذلك ضباعةُ ابنةُ عامرِ بنِ صعصعة ، كما وصفها
بعضُ الصحابة ، وقد رآها وهو غلامٌ يافعٌ تطوفُ بالبيتِ عُريانةً .

وحديثُ ذلك : أنَّ عبدَ اللهَ بنَ جُدعانَ . . خطبها ، وكانت عند
رجلٍ من قُرَيْشٍ ، فخببها عليه^(١) ، وأشارَ عليها أن تتجنى وتطلبَ
منهُ الأطلاقَ ، فأجابها على شرطٍ أن لا تتزوجَ عبدَ اللهَ بنَ جُدعانَ ،
فإنْ خانت . . فعليها أن تنحرَ مئةَ بَدَنَةٍ ، وتنسجَ له ثوباً في طولِ ما
بينَ الأخشينِ ، وتطوفَ بالبيتِ ضحىً متجرّدةً عن الثيابِ ، فقَبِلَتْ
برأيِّ من عبدِ اللهِ بنِ جُدعانَ ، ولمَّا أنقضتْ عِدَّتَها . . تزوّجها ،
وأعطاهَا البُذْنَ ، فنُحِرَتْ ، ونسجَ لها إماؤهُ ثوباً في ذلكَ الطولِ ،
بعثتْ به لزوجها الأوَّلِ ، وطلبَ من قُرَيْشٍ أن تُحَلِّيَ له المطافَ ساعةً
من نهارٍ ، فطافَتْ عُريانةً ، ولم يكنْ للمسجدِ جِدَارٌ إذ ذاكَ . قالَ
الراوي : فكنتُ فيمَن بقيَ حولَ الكعبةِ لصغرِ سِنِّي ، فلم أرَ أحسنَ
منها مقبلةً ولا مدبرةً ، وإنَّ رَكَبَها وكَفَلَهَا لمرتفعانِ ، تقولُ في
طوافِها [من الرَجَزِ] :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ أَخْتَمَ مِثْلَ الْعَقَبِ بَادٍ ظِلَّةٌ^(٢)

(١) خببها : أفسدها ، وفي الحديث عن أبي هريرة عند أبي داود (٥١٧٠) ،
والحاكم (١٩٦/٢) وصححه : «من خبب على امرئ زوجته أو مملوكه فليس
منه» .

(٢) الفرج الأختمُ : منتفخٌ قصيرُ السنكِ خنَّاقٌ ضيقٌ ، والشطر الآخر يروى : =

إِنَّمَا قَالَتْ : (بَعْضُهُ) ؛ لِأَنَّهَا سَتَرَتْ بِيَدَيْهَا [بَعْضَهُ] الْآخَرَ .

ومنه نائلة الكلية وكانت نائلة الكلية أبنة الأفرافصة ممن تدخل تحت الوصف .

ونقل السيوطي ، عن الأصمعي ، وأبي عمرو ، وغيرهما : أنه الشعراء في هذا الموضوع أحسن ما قيل في وصف امرأة عجزاء خميصية قول أبي وجزة السعدي [من الكامل] :

أَدْمَاءُ فِي وَضْحٍ يَكَادُ رِدَاؤُهَا يَغْرَى وَيَصْنَعُ مَا أَحَبَّ إِزَارُهَا^(١)

وفي الموضوع يقول عمرو بن كلثوم [في «ديوانه» ٨٠ من الوافر] :

وَمَا كَمَةَ يَضِيقُ الْبَابُ عَنْهَا وَكَشَحَ قَدْ جُنْتُ بِهِ جُنُونًا^(٢)

وقال عروة بن الورد^(٣) [من الكامل] :

أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالثَّدِي لِقُمْصِهَا مَسَّ الْبُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا

وقال النابغة الذبياني [في «ديوانه» ٢٣٥ من البسيط] :

تَلَوْتُ بَعْدَ أَنْضَالِ الْبُرْدِ مَبْرَزَهَا لَوْنَا عَلَى مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الْهَارِي^(٤)

وقال حسّان [في «ديوانه» ٢٩ من الكامل] :

وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ تَجِيءَ فِرَاشَهَا فِي لَيْنِ خَزْعَبَةٍ وَحُسْنِ قَوَامِ

= وما بدا منه فلا أجله

(١) أدماء : سمراء .

(٢) الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي .

(٣) البيت في «ديوان عمر ابن أبي ربيعة» (٤٩٢) .

(٤) تلوّث : تمشي ببطء لسميها . الدعص : كتيب من الرمل مجتمع .

وقال هدبة بنُ الخشرم [في «ديوانه» ١١٧ من الطويل] :

خَرَجْنَ بِأَغْنَاكِ الطَّبَاءِ وَأَعْيَنِ أَلْ جَاذِرِ وَأَزْتَجَّتْ لَهِنَّ الرِّوَادِفُ^(١)

وقال توبة بنُ الحميرِ الخفاجي [في «ديوانه» ٤٢-٤٣ من الطويل] :

أَمْخْتَرِمِي رَبِّبُ الْمُنُونِ وَلَمْ أَرُ كَوَاعِبَ مِنْ هَمْدَانَ يَبِضًا نُحُورُهَا
تَسْوُهُ بِأَعْجَازِ ثِقَالٍ وَأَسْوُقِ خِدَالٍ وَأَقْدَامٍ لَطَافٍ خُصُورُهَا^(٢)

وقال نصيب [من البسيط] :

وَذِي رَوَادِفَ لَا يُفْلَى الْإِزَارُ بِهَا يُلَوِي وَلَوْ كَانَ سَبْعًا حِينَ يَأْتِرُ

وقال ابنُ ميادة [في «ديوانه» ١٧١ من الطويل] :

حَرَامِيَّةٌ أَمَّا مَلَأَتْ إِزَارَهَا فَوَعَتْ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَلَطِيفُ^(٣)

وقال العزجي - وهو عبدُ الله بنُ [عمر بن] عمرو بنِ عثمان بنِ

عقَّان - [في «ديوانه» ١٥٥-١٥٦ من الطويل] :

أَسْأَلُ عَنْ أَسْمَاءِ فِي السُّجْنِ جَارَهَا لَعَمْرُ أَيْبَهَا إِنِّي لَمُكَلِّفُ
مِنَ الْبَيْضِ ، أَمَّا مَا يُوَارِي إِزَارَهَا فَفَعْمٌ وَأَمَّا مَا عَلَاهُ فَمُرْهَفُ^(٤)

وقال أبو دلامة [من الطويل] :

وَقَدْ حَاوَلْتُ نَحْوِي الْقِيَامَ لِحَاجَةٍ فَأَنْقَلَهَا عَنْ ذَلِكَ الْكُفْلُ النَّهْدُ

(١) الجَاذِرُ - جمعُ الجُوذِرِ - : وهي البقرة الوحشية ، أو ولدُ البقرة .

(٢) الخَدْلُ : هو أمتلاءُ الساقِ وأستدارتها كأنما طُويت طيًا .

(٣) الحَرَامِيَّةُ : نسبة لبني حَرَام . مَلَأَتْ الإِزَارَ : الموقع الذي يشدُّ عليه الإزار وهو العجز والكفل . الوَعَتْ : العسرُ المرتفع .

(٤) الفَعْمُ والأَفْعَمُ : الممتلئُ ، وقيل : الفائضُ أمتلاءً .

وقال أبو العتاهية [في «ديوانه» ٦١٢ من المتقارب] :

بَدَتْ بَيْنَ حُورِ قِصَارِ الْخُطَا تَجَاهِدُ بِالْمَشْيِ أَكْفَالَهَا

وقال الحارث بن خالد المخزومي [في «ديوانه» ٦٨ من الكامل] :

غَرَثَانُ سِمَطٌ وَشَاحِهَا قَلْبٌ رِيَانٌ مِنْ أَرْدَافِهَا الْمِرْطُ^(١)

وما أحسن قول القطامي لو أراد النساء [في «ديوانه» ٢٦ من البسيط] :

يَمْشِينَ هَوْنَا فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَكِيلُ^(٢)

مع مساجلة المؤلف من رجل من اليمن (اليمين) وقد نظرتُ أنا إلى بيت عروة بن الورد السابق في قصيدة ، سببها أنه ورد (حضر موت) رجلٌ يتشاعرُ من (اليمين) ، فهابهُ الناسُ ،

حتى ضمنا وإياه مجلسٌ أضطررنا فيه للمباراة ، وعينوا البحرَ والقافية والموضوع ، فجنثُ في نحو ساعةٍ وربعٍ بأربعين بيتاً . قلتُ

في (ريم صنعا) منها [في «ديوان المؤلف» ٥٠٦ من الطويل] :

يَسِرْنَ الْهُوَيْنَا عَانَةً بَعْدَ عَانَةٍ قِصَارَ الْخُطَى أَرْدَافُهُنَّ قِيُودُهَا^(٣)

تَدَاخَلُ مِنْ فَرْطِ الْحَيَا فِي رِيَاطِهَا فَتَأْبَى لَهَا أَرْدَافُهَا وَنُهُودُهَا^(٤)

وجاء هوَ بأربعةٍ وعشرين بيتاً لا تسفلُ ولا تَعْلُو ، غيرَ أنها

أنعقدت بعدهُ مجالسُ ندعى فيها إلى المباراة ، ويُقترحُ البحرُ

(١) غرثانُ : جوعان . وشاحُ غرثانُ : لا يملؤه الخصرُ . المِرْطُ - جمعةٌ

مروط - وهو كساءٌ من خَزٍّ أو صوفٍ أو كتانٍ أو غيره يُؤتزرُ به . والمرأةُ التي مرطها رِيَانٌ - أي ممتلئةٌ - كنايةٌ عن ضخَمِ روادِفيها .

(٢) ومراد القطامي النوق .

(٣) العانةُ : الجماعة ، وأصلها القطعة من حمر الوحش .

(٤) رِيَاطُهَا - جمعُ رِيطةٍ - وهي الملاءةُ التي كلُّها قطعةٌ واحدةٌ ونسجٌ واحدٌ .

والقافية ، وفي كُلِّهَا يُحِيلُ ، ونقولُ ، وَمَنْ رَنَا بَعِينِ الْمَعْدِلَةِ . .
 عرفَ أَنَّنِي أَحْسَنْتُ الْإِتْبَاعَ ، فكانَ لي الحقُّ في الأَخْذِ بخلافِ الناظِمِ
 فقدَ أعارَ عليَّ بيتَ ابنِ الورْدِ ، فأغثَّ ولمْ يجيْءْ إلاَّ بالبارِدِ النَّاقِصِ
 الثَّقِيلِ ، وذلكَ حيثُ يقولُ [في «المُعْجَبِيِّ» ٢٠١/٢ من الوافر] :

تُرْفَعُ نَوْبَهَا الْأَزْدَافُ عَنْهَا فَيَبْقَى مِنْ وِشَاحِيهَا شُسُوعًا^(١)

وعلى ذكرِ بيتِ القُطاميِّ أقولُ : إِنَّهُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ جَزَلَةٌ بَدِيعَةٌ ،
 يُحْكِي : [كما في «الأغاني» ٢٦/١١ و ٤٩/٢٤] أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مِرْوَانَ
 قَالَ لِلأَخْطَلِ : هلْ تُحِبُّ أَنَّ لَكَ شِعْرَ أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ قِياضاً
 بِشِعْرِكَ ، أوْ تُحِبُّ أَنَّكَ قَلْتَهُ ؟ قَالَ : لا وَاللَّهِ ، إلاَّ أَنِّي وَدِدْتُ أَنِّي
 قَلْتُ أباياتاً قالها رجلٌ مِنَّا ، كانَ مَغْدَفَ القِناعِ^(٢) ، قَليلَ السَّماعِ ،
 قَصيرَ الذراعِ ، قالَ وما هيَ ؟ فَأَنشَدَهُ [مِنْ قولِ القُطاميِّ في «ديوانه» ٢٣-٢٤
 مِنَ البسيط] :

إِنَّا مُحَيُّوكَ فَأَسْلَمَ أَهْيَا الطَّلُّ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّلِيُّ
 لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبَقَى بِشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو خِلَّةٍ يَصِلُ

مِنْهَا [في «ديوان القُطاميِّ» ٢٥-٢٦] :

يَمْشِينَ رَهْوَماً فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصُّدُورُ عَلَيَّ الْأَعْجَازِ تَكِلُ
 يَتْبَعَنَّ سَامِيَةَ الْعَيْنَيْنِ نَحْسَبُهَا مَجْنُونَةٌ أَوْ تَرَى مَا لَا تَرَى الْأَبْلُ

(١) الوشاحان : فِلاذنانِ تَتوشَّحُ بهما المرأةُ ، ترسلُ إحداهما على الجانِبِ
 الأيمنِ ، والأخرى على الأيسرِ . والشُّشُوعُ : البعيدُ .
 (٢) أي : مُرْسَلِ القِناعِ . أَعْدَفَ عليه سترًا : أرسَلَهُ .

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي وَلَا مِ الْمُخْطِئِ الْهَبَلُ^(١)
قَدْ يُذْرِكُ الْمُتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

ومنها - وهو من حرّ القولِ وخالصِ المدح - [كما في «ديوان القطامي»

: [٢٩-٣٠]

أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَا يَخْزُنُكَ حَالُهُمْ إِذَا تَحَطَّ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْأَجَلُ
أَمَّا قُرَيْشٌ فَلَنْ تَلْقَاهُمْ أَبَدًا إِلَّا وَهُمْ خَيْرٌ مَنْ يَخْفَى وَيَتَّعِلُ
مَنْ صَالِحُوهُ رَأَى فِي عَيْشِهِ سَعَةً وَلَا أَرَى مَنْ أَرَادُوا ضَرَّهُ يَبُلُ^(٢)

وفيها بيتٌ يشبهُ فيه الآثارَ بِالْكِتَابِ مَسَّهُ الْبَلَلُ ، نَظَرَ فِيهِ إِلَى قَوْلِ

لبيد [في «ديوانه» ٢٩٩ من الكامل] :

وَجَلَا أَلْسِيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجَدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا^(٣)

وإلى قولِ طَرْفَةَ [في «ديوانه» ٦٠ من الطويل] :

لِخَوْلَةِ أَطْلَالٍ يُبْرِقَةُ نَهْمِدِ تَلُوْحُ كِبَافِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْبَيْدِ^(٤)

وكان الشعبيُّ حاضراً ، فقالَ : إِنَّ لِلْقَطَامِيِّ أَحْسَنَ مِنْهَا ، وَأَشَدَّ

قَوْلُهُ [في «ديوانه» ١٠٥ من الكامل] :

طَرَقَتْ جَنُوبٌ رِحَالَنَا مِنْ مُطْرِيقِ مَا كُنْتُ أَحْسَبُهُ قَرِيبَ الْمُعْنِقِ

حَتَّى أَتَى إِلَى آخِرِهَا ، فَتَحَرَّكَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَأَهْتَرَّ ، وَقَالَ : هَذَا

(١) الْهَبَلُ : التُّكَلُّ .

(٢) يَبُلُ : يَنْجُو ، وَمِنَهُ الْمَوْتَلُ وَهُوَ الْمَلْجَأُ .

(٣) الزُّبُرُ : الْكُتُبُ .

(٤) بُرْقَةُ نَهْمِدِ : مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الشُّعْرَاءُ .

- والله - الشعرُ ، ثكلتِ القُطاميَّ أمُّهُ ، فأنكسرَ الأخطلُ ، وقال للشعبيُّ : إِنَّ لَكَ فنوناً في الكلام ، وإنما لنا فنٌّ واحدٌ ، فإن رأيتَ ألاَّ تحملني على أكتافِ قومك .. فأدعُهُم حَرَضاً^(١) ، قال الشعبيُّ : لا أعرضُ لك في شيءٍ من الشعرِ بعدَ هذا .

وعندي : أنَّ القصيدةَ التي اختارها الأخطلُ أجزلُ وأفحلُ ، إلاَّ تعليق المؤلف على أنَّ فيها من صريحِ المدحِ لسائرِ قريشٍ ما يثقلُ هضمُهُ على عبدِ المَلِكِ ، ويسهلُ غمطُهُ^(٢) على الشعبيِّ ، ولا حجةٌ في سكوتِ الأخطلِ ووقوفِهِ بموقفِ العاجزِ عَنِ الانفصالِ ؛ لمكانِ الهيبةِ ، وإيثارِ المصانعةِ ، وأتباعِ مرضيِ السلطانِ .

وقولُ القُطاميِّ : (قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي .. الخ) ، مأخوذٌ من قولِ عَدِيِّ بنِ زَيْدِ العَبَّادِيِّ [كما في «خزانة الأدب» ١/٣٥١ من السَّريع] :

قَدْ يُدْرِكُ الْمُبْطِئُ مِنْ حَظِّهِ وَالْخَيْرُ قَدْ يَسْبِقُ جُهْدَ الْحَرِيصِ
وَبَيْتُ عَدِيٍّ مَأخُودٌ مِنْ قَوْلِ جُمَانَةَ الْجُعْفِيِّ [كما في «خزانة الأدب»
١/٣٥١ من الطويل] :

وَمُسْتَعَجِلٍ وَالْمُكْتُ أذْنِي لِرُشْدِهِ وَلَمْ يَذِرْ فِي أَسْتَعْجَالِهِ مَا يُبَادِرُ
وقالَ أبْنُ الرُّومِيِّ في عكسِ المعنى [كما في «ديوانه» ٣/١١٤٧ من
البيط] :

عَيْبُ الْأَنَاةِ - وَإِنْ سَرَتْ عَوَاقِبُهَا -
أَنْ لَا خُلُودَ وَأَنْ لَيْسَ أَلْفَتَى حَجْرًا

(١) الحَرَضُ: الهلاكُ والفسادُ. قال تعالى: ﴿ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ﴾ [يوسف: ٨٥].

(٢) الغمطُ: الاستحقارُ .

رواية أخرى للقصة وفي القصّة روايةٌ غيرُ هذه ، وهي : أَنَّ الْقُطَامِيَّ وَرَدَ (دِمَشْقَ) فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ بَخِيلٌ لَا يُعْطِي الشُّعْرَاءَ ، وَقِيلَ بَلْ قَدِمَهَا فِي أَيَّامِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ الشُّعْرَ لَا يَنْفُقُ عِنْدَهُ ، فَأَمْتَدَحَ عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ سَلِيمَانَ بِقَصِيدَتِهِ تِلْكَ ، فَأَعْطَاهُ ثَلَاثِينَ نَاقَةً مَوْقَرَةً بُرّاً وَتَمِراً وَثِيَاباً ، فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا حَرَّكَ مِنَ الْقُطَامِيَّ ، وَرَفَعَ مِنْ ذِكْرِهِ .

رواية أخرى في القصيدة المتعناة هي قوله [كما في «ديوان القطامي» ٨ من البسيط] :

يَقْتُلُنَا بِحَدِيثِ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينِ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي
فَهَنْ يَنْبِذَنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصْبَنُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي^(١)
وإنها لعرضة ذلك نصاعة وفصاحة وبلوغ مرمي وإصابة محز ،
وهي من قصيدة يمدح بها زفر بن الحارث ، وقد منّ عليه وأكرمه
يقول فيها [في «ديوان القطامي» ٨٨٨٤] :

إِنِّي وَإِنْ كَانَ قَوْمِي لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِكَ إِلَّا ضَرْبَةُ الْهَادِي
مُنِّ عَلَيْكَ بِمَا اسْتَبَقْتِ مَعْرِفَتِي وَقَدْ تَعَرَّضَ مِنِّي مَقْتَلُ بَادِي
فَلَنْ أُثَبِّكَ بِالنَّعْمَاءِ مَشْتَمَةً وَلَنْ أَكْفِيءَ إِضْلَاحِي بِإِفْسَادِ
وَمَا نَسِيتَ مَقَامَ الْوَزْدِ تَجْعَلُهُ بَيْنِي وَبَيْنَ حَفِيفِ الْغَابَةِ الْعَادِي
إِذِ الْفَوَارِسُ مِنْ قَيْسٍ بِشِكْتِهِمْ حَوْلِي شُهُودٌ وَقَوْمِي غَيْرُ شُهَادِ^(٢)

- (١) ذو الغلة الصادي : العطشان شديد العطش .
(٢) الشكّة : السلاح ، وقيل : ما يلبس من السلاح .

إِذْ يَغْتَرِبُكَ رِجَالٌ يَسْأَلُونَ دَمِي
 نَفْسِي فِدَاءُ بَنِي أُمِّي هُمْ خَلَطُوا
 فِي الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ الْعَالِي ذَوِي أَمَلٍ
 مَا رَيْتُ قَوْمًا هُمْ شَرٌّ لِإِخْوَتِهِمْ
 وَلَوْ أَطَعْتَهُمْ أَيَّتَمَّتْ أَوْلَادِي
 يَوْمَ الْعَرُوبَةِ أَوْزَادًا بِأَوْزَادٍ^(١)
 وَفِي الْحَيَاةِ وَفِي الْأَمْوَالِ زُهَادٍ
 مِنِّي عَشِيَّةً يَجْرِي بِالدَّمِ الْوَادِي

منها :

تَقْرِيبُهُمْ لِهَذَمِيَّاتٍ تُقَدُّ بِهَا
 مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَادٍ^(٢)

* * *

- (١) يَوْمُ الْعَرُوبَةِ - بفتح العين وضمها - : الجمعة .
 (٢) اللّهذميّات - جمعُ لَهْدَمٍ - : ويقالُ سيفٌ لَهْدَمٌ : حادٌّ ، وكذلك السنانُ
 والنابُ . تَقَدُّ : تقطعُ . الزَّرَادُ : صانع الدروع .

[قال أبو الطيب المتنبي في «العكبري» ٢٩٨/١ من المنسرح]:

يَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعِ فِتْنَةً أَضَلَّهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا
بِئْسَ اللَّبَالِي سَهَدْتُ مِنْ طَرَبٍ شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبِيْتُ بَرَقْدُهَا

نصيحة لمن يعذل العاشقين يقول في البيت الأول: يا عاذل العاشقين على عشيقهم، دغ عنك لومهم، فإنك لا ترشدهم، وقد أضلهم الله، وأصل المعنى موجود بكثرة، ولا سيما في «ديوان سلطان العاشقين»، فقد تصرف فيه ما شاء، فمنه قوله [في «ديوانه» ١٢٤ من الكامل]:

يَا عَاذِلَ الْمُشْتَاكِ جَهْلًا بِاللَّيِّ يَلْقَى مَلِيًّا لَا بَلَّغْتَ نَجَاحَا
أَتَعَبْتَ نَفْسَكَ فِي نَصِيحَةٍ مَنْ يَرَى أَنْ لَا يَرَى الْإِقْبَالَ وَالْإِفْلَاحَا
إِنْ رُمْتَ إِضْلَاحِي فَإِنِّي لَمْ أَرِدْ لِفَسَادِ قَلْبِي فِي الْهَوَىٰ إِضْلَاحَا

وقوله [في «ديوانه» ١٣٧ من الطويل]:

وَفِي حُبِّهَا بَعْتُ السَّعَادَةَ بِالشَّقَا ضَلَالًا وَعَقْلِي عَن هُدَايِي بِهِ عَقْلُ

وقوله [في «ديوانه» ١٦٢ من الطويل]:

وَمِنْ أَجْلِهَا طَابَ افْتِضَاحِي وَلَدَّ لِي أَطْرَاحِي وَذُلِّي بَعْدَ عِزِّ مَقَامِي
وَفِيهَا حَلَا لِي بَعْدَ نُسُكِي تَهْتِكِي وَخَلَعُ عِدَارِي وَأَرْتِكَابُ أَثَامِي

شرح البيت الأول من المطلع ثم إن كان الناظم يتوهم أن العشق ضلالٌ بسائر أنواعه.. فقد أخطأ؛ لأنه لا يُدْمُ ما لم يُفْضِ إلى الحرام، بل ربما تدرج به المرء

في السلوك إلى سبيل السعادة ، كما قلتُ [في «ديوان المؤلف» ١٦٥ من
البيط]:

للهِ فِي الْحُبِّ سِرٌّ لَا يُكَيِّفُهُ آلُ إِنْسَانٌ مَا دَامَ فِي ذَا الْقَالِبِ الطَّنِينِ
وَفِيهِ لِلْمَرْءِ بِالتَّوْفِيقِ مَدْرَجَةٌ إِلَى السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدُّنْيَانِ

ولولا ما أكثروا فيه من شأن سويد بن سعيد . . لصحَّ ما يدورُ عليه
من طُرُقِهِ ، وهو حديثٌ : « مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ فَكَتَمَ فَمَاتَ . . فَهُوَ
شَهِيدٌ »^(١) ، ولكن رواه الزبير بن بكار ، فقال : حدَّثنا عبدُ
المَلِكِ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ المَاجِشُونِ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ أبي حازم ،
عن أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ ، عنِ ابنِ عَبَّاسٍ ، عنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ
قَالَ : « مَنْ عَشِقَ وَكَتَمَ وَعَفَّ وَصَبَرَ . . غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ، وَأَدْخَلَهُ
الْجَنَّةَ »^(٢) ، وكذلك رواه لعائديه محمد بن داود ، لكن بسند فيه

(١) أخرجه عن ابن عباس الخطيب في «تاريخ بغداد» في ترجمة محمد بن داود
الأصبهاني كما في «المقاصد الحسنة» (١١٥٣)، وقد أطنب في ذكر طرقة
والكلام عليه وأجاد، وقد ألف فيه جزءاً أبو الفيض الغماري سمّاه: «درء
الضعف عن حديث من عشق فعف». وأما سويد بن سعيد فقليل فيه: متروك،
منكر الحديث؛ فلذلك ضعفوه.

(٢) قال المناوي عن سنده في «فيض القدير» (٨٨٥٣): إسناده صحيح وقد ذكره ابن
حزم في معرض الاحتجاج وقال: رواه ثقات - وسيعرج المصنف على ذلك - .
وقد غلط في هذا الطريق بعض الرواة فأدخل إسناده في إسناده، وقال ابن القيم:
هذا الحديث والذي قبله كل منهما موضوع ولا يجوز كونه من كلام المصطفى
ﷺ وأطال، لكن انتصر الزركشي لتقويته فقال: أنكره ابن معين وغيره على
سويد لكنه لم ينفرد به وساق سند المؤلف . ويقال إن أبا الوليد الباجي رحمه الله
تعالى نظم فيه [من الوافر]:

إذا مات المحبُّ جوى وعشفاً فتلك شهادة يا صاح حَقًّا =

سويدُ بنُ سعيدٍ ، ثُمَّ أَنشَدَهُمْ لِنَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ رَوَاهُ لَهُمْ قَوْلَهُ [مَنْ الْبَسِطُ] :
 أَنْظُرْ إِلَى السُّخْرِ يَجْرِي فِي لَوَاحِظِهِ وَأَنْظُرْ إِلَى دَعَجٍ فِي طَرْفِهِ السَّاجِي (١)
 وَأَنْظُرْ إِلَى شَعْرَاتٍ فَوْقَ عَارِضِهِ كَأَنَّهُنَّ نِمَالٌ دَبَّ فِي عَاجِ
 وَأَنشَدَ أَيْضاً لِنَفْسِهِ [مَنْ الْخَفِيفُ] :

مَا لَهُمْ أَنْكَرُوا سَوَاداً بِخَدَيْهِ - وَلَا يُنْكَرُونَ وَزَدَ الْغُصُونِ
 إِنْ يَكُنْ عَيْنَبَ خَدِّهِ مَنَّبَتُ الشَّعْرِ - فَعَيْنَبُ الْعُيُونِ شَعْرُ الْجُفُونِ
 فَقَالَ لَهُ : نَفْطَوِيهِ - وَكَانَ لَهُ صَدِيقاً - أَنْكَرْتَ الْقِيَاسَ فِي الْفَقْهِ ،
 وَأَثْبَتَهُ فِي الْغَزَلِ !؟ قَالَ : غَلَبَةُ الْهَوَى ، وَمَلَكَتُهُ الْوَجْدُ دَعَوَا إِلَيْهِ .

وقد ذكرَ الحديثَ أبو حزمٍ في معرضِ الاحتجاجِ ، فقالَ [مَنْ
 الوافر] :

فَإِنْ أَهْلِكَ هَوَى أَهْلِكَ شَهِيداً وَإِنْ تَمَنَّيْتُمْ بَقِيْتُ قَرِيرَ عَيْنٍ
 رَوَى هَذَا لَنَا قَوْمٌ ثِقَاتٌ نَأَوَّا بِالصُّدْقِ عَنِ كَذِبٍ وَمَتِينٍ
 وللقومِ فيه كلامٌ معروفٌ يُؤخَذُ مِنْ مَرَاجِعِهِ ، إِذْ لَا حَاجَةَ إِلَى
 الإِسْهَابِ ، وَيَأْتِي لَوْنٌ مِنْهُ أَوَّلَ الْمَجْلِسِ التَّاسِعِ .

ولقد أحسنَ أبو الأسودِ الدؤليُّ ، وأجملَ وأجادَ ، إِذْ قَالَ فِي
 أَهْلِ الْبَيْتِ [في «ديوانه» ١٥٤ من الوافر] :

فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْداً أَصِيبُهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غَيًّا
 وما هوَ في شيءٍ مِنَ التَّشْكُكِ ، وَلَكِنَّهُ مِنْ بَابِ قَوْلِهِ تَقَدَّسَتْ

= رَوَاهُ لَنَا ثِقَاتٌ عَنِ ثِقَاتٍ عَنِ الْحَبْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَرْقَى
 (١) الدَّعَجُ : شِدَّةُ سَوَادِ الْعَيْنِ مَعَ سَعْتِهَا . وَطَرْفُ سَاجٍ : سَاكِنٌ .

أَسْمَاؤُهُ : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَمَلَكٌ هَدَىٰ آوْفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبا : ٢٤] .

وأما البيت الثاني : فقد قال الشارحُ إِنَّ أَصْلَهُ : (بَسَّسَ الْكَلِيَالِي) شرح البيت الثاني من المطالع ليالٍ سهرتها مِنْ طَرَبِي شوقاً إِلَى مَنْ يَبِينُ يَرَقُدُ فِيهَا)

وأقولُ : أَمَا حَذَفَ الْمَخْصُوصِ بِالذَّمِّ : فجائزٌ عِنْدَ الْعِلْمِ بِهِ مِنْ الْقَرِينَةِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴾ [الأنفال : ٤٠] ، و﴿ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٣٠] ، وَسِوَاهُ كَانَتِ الْقَرِينَةُ لَفْظِيَّةً أَوْ مَعْنَوِيَّةً ، وَإِنِ اقْتَصَرَ فِي «الْخِلَاصَةِ» عَلَى بَعْضِ أَفْرَادِ الْأُولَى فِي قَوْلِهِ [في باب : (نعم وبس) ، من الرجز] :

وَإِن يُقَدَّمَ مُشْعِرٌ بِهِ كَفَى كَالْعِلْمِ نِعَمَ الْمُقْتَنَى وَالْمُقْتَنَى

بل كثيراً ما يُحذفُ الفاعلُ معهُ لها [أي : للقرينة] ، كما في الحديثِ الصحيحِ الناسخِ لوجوبِ غُسلِ الجمعةِ ، وهوَ : « مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ .. فِيهَا وَنِعْمَتْ ، وَمَنْ اغْتَسَلَ .. فَالغُسلُ أَفْضَلُ »^(١) .

تقديرُهُ : ونعمتِ الخصلةُ الوضوءِ خصلةً ، أو ما يشبهُ ذلك .

وأما حذفُ عائِدِ الصفةِ : فَإِنَّهُ كَثِيرٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِيءِ الْقَيْسِ [في حذفِ عائِدِ الصلةِ ديوانه ٩٦ من المتقارب] :

فَأَقْبَلْتُ زَحْفًا عَلَى الرُّكْبَتَيْنِ فَثَوْبٌ لَبَسْتُ وَثَوْبٌ أَجْرٌ^(٢)

(١) أَخْرَجَهُ عَنْ سَمْرَةَ بْنِ جَنْدَبٍ أَبُو دَاوُدَ (٣٥٣) ، وَالثَّرْمَذِيُّ (٤٩٧) وَحَسَنُهُ ، وَالنَّسَائِيُّ (١٣٨٠) ، وَأَبْنُ مَاجَهَ (١٠٩١) .

(٢) هَذَا الْبَيْتُ مِنْ شَوَاهِدِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَهُوَ أَنَّهُ يَجُوزُ الْإِبْتِدَاءُ بِالْمَكْرَةِ (ثَوْبٌ) إِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ بِهَا التَّنْوِيعُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : كَانَ الْوَجْهُ أَنْ يَقُولَ : (يَرْقُدُ فِيهَا) بَدَلًا مِنْ
 (يَرْقُدُهَا) .. فَغَلَطَ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الَّذِي كَفَرَ بِاللَّيْلِ إِلَّا
 قَلِيلًا ﴾ [المزمل : ٢-١] .

وقال امرؤ القيس [كما في «ديوانه» ١١٦ من الطويل] :

فِيمَا تَرَنَّنِي لَا أَغْمُضُ سَاعَةً مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ أَكْبَّ وَأَنْعَسَا

والأمر أغنى عن التذليل بعد قولهم في المتنون : إن كل وقت
 يقبلُ النصب على الظرفية مبهماً كان أو مُخصَّصاً بوصف ، أو عدد ،
 أو إضافة ، بل إن ما فعله الناظم هو الأولى ؛ لما فيه من الإشارة إلى
 استغراق المحبوبة الليل بالرقاد ، وهو شاهدُ النعمة ، ودليلُ
 الترف ، وقد قالت أم زرع : (فعنده أقول فلا أقبح ، وأزقدُ
 فأنصبح)^(١) ، فلا معابة على الناظم في شيء من المحذوفات
 الأربعة التي ذكرها الشارح ، وإنما العيب عليه من جهة المعنى ،
 فلو أنه كان صحيح الهوى .. لما تبرم بما لحقه من التعذيب فيه ،
 والله درُّ ابن مطير في قوله [في «ديوانه» ٦٠ من الطويل] :

وَحُبُّكَ بَلَوَى غَيْرَ أَنْ لَا يَسْرُنِي وَإِنْ كَانَ بَلَوَى أَنْنِي لَكَ مُبْغِضُ
 إِذَا أَنَا رِضْتُ النَّفْسَ فِي حُبِّ غَيْرِهَا أَتَى حُبَّهَا مِنْ دُونِهَا يَتَعَرَّضُ
 فَيَا لَيْتَنِي أَفْرَضْتُ جَلْدًا صَبَابَتِي وَأَفْرَضَنِي صَبْرًا عَلَى الشُّوقِ مُفْرَضُ
 أَمَّا «ديوانُ ابن الفارض» : فمن فاتحته إلى خاتمته في

الكلام عن ديوان ابن
 الفارض

(١) سلف قريباً . ومعنى : أرقد فأصبح : أي أنام إلى وقت الضحى ، وهو من
 علامات أهل الدلال ، وليس من شأن أصحاب الجدِّ والهمة .

أَسْتَعَذِبُ الْعَذَابَ مِنَ الْأَحْبَابِ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ [فِي « دِيوانِهِ » ١٤٤ مِنْ
الْبَسِطِ] :

أَمْسَيْتُ فِيكَ كَمَا أَصْبَحْتُ مُكْتَبًا وَلَمْ أَقُلْ جَزَعًا : يَا أَرْزَمَةُ أَنْفَرِجِي
وقوله [فِي « دِيوانِهِ » ١٥٦ مِنْ الْخَفِيفِ] :

وَبِمَا شِئْتَ فِي هَوَاكَ أَخْتَبِرُنِي فَأَخْتَبِرُنِي مَا كَانَ فِيهِ رِضَاكَ
وقوله [فِي « دِيوانِهِ » ٥٠ مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَكُلُّ أَذَى فِي الْحُبِّ مِنْكَ إِذَا [بَدَأَ] جَعَلْتُ لَهُ سُكْرِي مَكَانَ شِكِّي
وَمَا حَلَّ بِي مِنْ مِخْنَةٍ فَهِيَ مِنْحَةٌ وَقَدْ سَلِمْتُ مِنْ حَلِّ عَقْدِ عَزِيمَتِي
وقوله [فِي « دِيوانِهِ » ١١٩ مِنْ الْكَامِلِ] :

هَلَّا نَهَاكَ نُهَاكَ عَنْ لَوْمِ أَمْرِي لَمْ يُلَفَّ غَيْرَ مُنْعَمٍ بِشِقَاءِ
وقوله [فِي « دِيوانِهِ » ٣١ مِنْ الْكَامِلِ] :

أَمْسَى بِنَارِ جَوَى حَشْتِ أَحْشَاءِهِ مِنْهَا يَرَى الْإِنْقَادَ لَا الْإِنْقَادَا
وقوله [فِي « دِيوانِهِ » ١٣٥ مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَتَعَذِّبُكُمْ عَذْبٌ لَدَيَّ وَجُورُكُمْ عَلَيَّ بِمَا يَقْضِي الْهَوَى لَكُمْ عَدْلُ
وقوله [فِي « دِيوانِهِ » ١٨-١٢ مِنْ الرَّمْلِ] :

بَلْ أَسَيْتُوا فِي الْهَوَى أَوْ أَحْسِنُوا كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٌ مِنْكُمْ لَدَيَّ
أَيُّ تَعَذِيبٍ سِوَى الْبُعْدِ لَنَا مِنْكَ عَذْبٌ حَبْدًا مَا بَعْدَ أَيِّ
وقوله [فِي « دِيوانِهِ » ٤١-٣٥ مِنْ الطَّوِيلِ] :

تُبِيحُ الْمَنَائِمَا إِذْ تُنْبِحُ لِي الْمَنَى وَذَاكَ رَخِيصٌ مُنَيَّبِي بِمَنِيَّتِي

وَمَا غَدَرْتُ فِي الْحُبِّ أَنْ هَدَرْتُ دَمِي بِشَرِّعِ الْهَوَىٰ لَكِنْ وَفَتْ إِذْ تَوَفَّتْ
 وَكَمْ رَامَ سِلْوَانِي هَوَاكَ مُيَّمَا سِوَاكَ وَأَنْسَىٰ عَنْكَ تَبْدِيلُ نَيْسِي
 وَقَالَ : تَلَّافَ مَا بَقِيَ مِنْكَ قُلْتُ : مَا أُرَانِي إِلَّا لِلتَّلَافِ تَلَفْتَنِي
 إِبَائِي أَبِي إِلَّا خِلَافِي نَاصِحَا يُحَاوِلُ مِنِّي شِيْمَةً غَيْرَ شِيْمَتِي

والأخير هو صدرُ بيتٍ لأبي عبادَةَ [في «ديوانه» من الطويل] عجزُهُ :

(وَتَطْلُبُ مِنِّي مَذْهَبًا غَيْرَ مَذْهَبِي) ، وَلَكِنَّ مَوْقِعَهُ مِنْ بَيْتِ الشَّيْخِ

التناقض عند المتنبى ، فَهُوَ بِهِ أَحَقُّ ، وَالنَّاطِقُ كَثِيرًا مَا يَدْعِي أَنَّهُ مَعْشُوقٌ

مُتَمَنِّعٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ [في «العُكْبَرِيِّ» ٣٠٦/٢ من الطويل] :

وَأَشْنَبَ مَعْشُورِ الْكُنْيَاتِ وَاصِحَ حَمِيئْتُ فَمِي عَنْهُ فَقَبَّلَ مَفْرُقِي^(١)

وَذَاتَ الْمَرَاتِ يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ مَبْغُوضٌ مَفْرُوكٌ^(٢) ؛ فَيَقُولُ [في

«العُكْبَرِيِّ» ٣٦٢/٣ من البسيط] :

وَاحَرَ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِيْمٌ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ^(٣)

ويقول [في «العُكْبَرِيِّ» ١٧٦/١ من البسيط] :

أَنْتَ الْحَيِّبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مَحْبُوبِ

ويقول [في «العُكْبَرِيِّ» ٨١/٤ من الطويل] :

وَلَمَّا أَلْتَقَيْنَا وَالنَّوَىٰ وَرَقِينَا غَفُولَانَ عَنَا ظَلْتُ أَبْكِي وَتَبَسِمُ

(١) الْأَشْنَبُ : الثَّغْرُ الْبَرَّاقُ ، وَيُقَالُ : الْمُحَدِّدُ الْوَاضِحُ الْأَبْيَضُ .

(٢) مَفْرُوكٌ : لَا يَحْظَىٰ عِنْدَ النِّسَاءِ .

(٣) الشَّبِيْمُ : الْبَارِدُ ، وَالشَّبِيْمُ : الْبَرْدُ .

ويقول [في «العُكْبَرِيُّ» ٤/ ٥٠ من الطويل] :

جَفْتِنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمَهَا وَأَطَعْنَهُمْ وَالشُّهْبُ فِي صُورَةِ الدُّهْمِ^(١)

ويقول [في «العُكْبَرِيُّ» ٤/ ٢٧١ من المنسرح] :

تَبَلُّ خَدَّيْ كُلَّمَا ابْتَسَمْتُ مِنْ مَطَرٍ بَزَقَهُ ثَنَائِيهَا

وهذا يحتمل معنيين ؛ لأنه إما أن يكون المرادُ : أنه يبكي كلما ضحكْتُ . . فيكونُ قولُه : (. . ظَلْتُ أَبْكِي وَتَبَسُّمٌ) وإِذَا أَنْ يَكُونَ معناهُ : أَنَّ لَعَابَهَا يَسِيلُ ، وَأَنَّهَا تَتَفَلُّ فِي وَجْهِهِ ، وَكِلَاهِمَا لَا يَلْتَمِهُمُ مع قولِه قَبْلَ ذَلِكَ [في «العُكْبَرِيُّ» ٤/ ٢٧٠ من المنسرح] :

فَقَبَّلْتُ نَاطِرِي تَغَالِطِنِي وَإِنَّمَا قَبَّلْتُ بِهِ فَاهَا

وفي أخبار أمرىء القيسِ : أنه كان مُفْرَكاً يُفْتَنُ بِجَمَالِهِ ومقاله امرؤ القيس كان مفركا النساءُ بادياً ، ثُمَّ يَكْرَهُنَّ بَعْدَ المَخَالِطَةِ ، فيحتملُ أَنَّ النَاطِمَ مِثْلُهُ ، أو أَنَّهُ لَمَّا كَانَ كَبِيراً فِي صَدْرِهِ . . أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ بِهِ فِيمَا زَانَ وَفِيمَا شَانَ ، حَتَّى لَوْ دَخَلَ جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلَهُ^(٢) ، وَكثيراً مَا تُزَيِّنُ لَهُ الأَحْمَوقَةَ القَبِيحَ ، كَمَا سَتَانِي مِثْلُهُ فِي هذِهِ المَجْمُوعَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، أو أَنَّهُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُ قَدَمٌ رَاسِخٌ فِي الحُبِّ . . قَاسَ حَالَهُ مَعَ النِسَاءِ عَلَى حَالِ مَمْدُوحِيهِ ، فَإِنَّ شَأْنَهُمْ كَمَا وَصَفَ يُقْبَلُونَ عَلَيْهِ بَدءاً ، وَيُعْرِضُونَ عَنْهُ عوداً .

(١) الشُّهْبُ : الخَيْلُ التي يخالطها البياضُ والسوادُ . الدُّهْمُ : السُّودُ . والمعنى : أَنهَا تَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهَا مِنَ الدَّمَاءِ وَالعَجَاجِ .

(٢) أَخَذَ المَصْنَفُ هَذَا اللفظَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الخَدْرِيِّ عِنْدَ مُسْلِمٍ (٢٦٦٩) وَفِيهِ : «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شَبْرًا بِشَبِيرٍ وَفِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ» .

والبيتُ الَّذِي نَحْنُ بِسَبِيلِهِ نَاطِرٌ إِلَى قَوْلِ أَبِي نُؤَاسٍ [«الأغاني» ،

٣٢٦/٦ من الطويل] :

شَكُونَا إِلَى أَحْبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا

ولا يبعدُ عنه قولُ العربيِّ ، وقد تمثَّلَ به أميرُ المؤمنينَ - كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ - في خطبتهِ الشَّقْشَقِيَّةِ^(١) [«نهج البلاغة» ١٥ من السريع] :

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

وقالَ عمرُ ابنُ أبي ربيعةَ يذكرُ عائِشَةَ ابنةَ طلحةَ بنِ عُبيدِ اللهِ [في

عمر بن أبي ربيعة
وعائشة بنت طلحة

«ديوانه» ٩٤-٩٥ من الطويل] :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصِرُ^(٢)

أَخَا سَفَرِ جَوَابِ أَرْضٍ تَقَادَفَتْ بِهِ فَلَوَاتٌ فَهَوَ أَشَعْتُ أَغْبَرُ

وَأَعَجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ وَرِيَّانُ مُلْتَفِّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ

وَوَالِ كَفَاهَا كُلَّ شَيْءٍ يَهْمُهَا فَلَيْسَتْ لِشَيْءٍ آخَرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ

فيروى [كما في «الأغاني» ٩٢/١] : أَنَّ حَالًا أَسْهَرَهَا لَيْلَةً مِنْ

زَوْجِهَا ، فَقَالَتْ : لَيْتَ ابْنَ أَبِي رِبِيعَةَ يَرَى لَيْلَتِي هَذِهِ حَتَّى يَرْجِعَ عَنِّ

بَعْضُ قَوْلِهِ .

وقالَ عترةُ [في «ديوانه» ١٩ من الكامل] :

حال العاشق
والمعشوق عند الشعراء

تُغْسِي وَتُضْبِحُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ وَأَبَيْتُ فَوْقَ سُرَاةِ أَدْهَمَ مُلْجَمٍ^(٣)

(١) شَقْشَقُ الْكَلَامِ : أَخْرَجَهُ أَحْسَنُ مَخْرَجٍ .

(٢) يَضْحَى : يَتَعَرَّضُ لِلشَّمْسِ . يَخْصِرُ : يَصِيبهُ الْبَرْدُ .

(٣) الْحَشِيَّةُ : الْفِرَاشُ الْمَحْشُو .

وقال [من الكامل] :

أَبْكَيْ وَيَضْحَكُ مِنْ بَكَائِي وَلَنْ تَرَى
عَجَباً كَحَاضِرِ ضَخِكِهِ وَبَكَائِي

وقال قيسُ بنُ الملوِّحِ [من الطويل] :

فَوَاكِدًا مِنْ حُبِّ مَنْ لَا يُحِبُّنِي
وَمِنْ زَفَرَاتِ مَا لَهْنٌ فَنَاءُ

وقال [من البسيط] :

أَطْعَمْتُهَا وَعَصَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ
فِي أَمْرَهَا وَهَوَاهَا وَهِيَ تَغْصِينِي

وقال نصيبٌ [من الكامل] :

وَذَكَرْتُ مَنْ رَقَّتْ لَهُ كَيْدِي
وَأَبَى فَلَيْسَ تَرِقُّ لِي كَيْدُهُ

وقال أبو عبادَةَ [من الخفيف] :

وَمِنَ الضُّنْمِ فِي هَوَى أَلْبِيضِ عِنْدِي أَنْ يَوَدَّ أَلْمَبْتُوْلُ مَنْ لَا يَوُدُّهُ

وفي المجلس الأولِ ذرؤٌ من القولِ في طولِ الليلِ ، ومنهُ قولُ

بشارٍ [في «ديوانه» ١٦٦/٤١ من الرَّمَلِ] :

لَمْ يَطْلُ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْمِ
وَأِذَا قُلْتُ لَهَا : جُودِي لَنَا

نَفْسِي يَا عَبْدُ عَنِّي وَأَعْلَمِي
إِنَّ فِي بُرْدِي جِسْماً نَاحِلاً

خَتَمَ الْحُبِّ لَهَا فِي عُنُقِي
مَوْضِعَ الْخَاتَمِ مِنْ أَهْلِ الذَّمِّ

وَأَخْطَأُ أَبُو مَعَاذٍ [بشارٌ] فِي قَوْلِهِ : (خَرَجْتَ بِالصَّمْتِ عَنِّي لَا

وَنَعَم) ، وَمَا أُوتِيَ إِلَّا مِنْ جَهْلِهِ بِحَدِيثِ مُسْلِمٍ [١٤٢١ فِي النِّكَاحِ عَنِ ابْنِ

عَبَّاسٍ] : «إِنَّ إِذْنَ الْبِكْرِ صُمَاتُهَا» .

رد على بشار بن برد

تَعَالَوْا أَعِينُونِي عَلَى اللَّيْلِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ عَيْنٍ لَا تَنَامُ طَوِيلٌ

فَلَمْ يَشْعُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ^(١) مِنَ الزَّمَانِ إِلَّا بِطَارِقٍ يَقْرَعُ بَابَهُ مِنْ نَصْفِ
اللَّيْلِ ، فَانْتَبَهَ فِرْعَا مَرْعُوبًا ، وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : أَنْتَ
دَعَوْتَنِي بِقَوْلِكَ : (تَعَالَوْا أَعِينُونِي . . . إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ) ، فَقَالَ لَهُ :
يَا بَنَ أَخِي ، أَبْطَأْتَ بِالْإِجَابَةِ حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْفَرْجِ .

وإنما قال أبو الفارض [في «ديوانه» ١٤٤ من البسيط] :

أَسْنَيْتُ فَيْكَ كَمَا أَصْبَحْتُ مُكْتَبًا وَلَمْ أَقُلْ جَزَعًا: يَا أَرْمَةُ أَنْفَرِجِي

لأنَّ الأصلَ اجتماعَ الهمومِ على المحيَّينَ بالليلِ ، وقد تفرَّقَ
عنهم نهاراً بما يُمارسونَ مِنَ الْخَلْقِ وَالْأَشْغَالِ ، كما قالَ قيسُ بنُ
المُلَوِّحِ أَوْ ابْنِ الدُّمَيْنَةِ [في «ديوانِ ابْنِ الدُّمَيْنَةِ» ٨٨ من الطويل] :

الأصل اجتماع الهموم
على العشاق بالليل
ومذاهب الشعراء في
ذلك

أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لِي اللَّيْلُ هَزْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ
لَقَدْ ثَبَّتْ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَحَبَّةٌ كَمَا ثَبَّتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

وقد سبق إلى أصله امرؤ القيس في قوله [في «ديوانه» ١٥٢ من

الطويل] :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِ بِصُبْحٍ وَمَا الْإِضْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

(١) أُمَّةٌ: حين، أو نسيان، من أمة يأمه أمها؛ أي: نسي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَذَكَّرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥].

وَأَحَدُهُ الطَّرْمَاحُ فَقَالَ [في «ديوانه» ٩٦ من الطويل] :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَصْبِحِي بِفَجْرِ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَزْوَحِ

وقال جميل بن مغمّر في عكس ما سبق عن ابن الدُمَيْنَةَ [في

«ديوانه» ٥١ من الطويل] :

أَظَلُّ نَهَارِي مُسْتَهَامًا وَيَلْتَفِي مَعَ اللَّيْلِ رُوحِي فِي الْمَنَامِ وَرُوحُهَا

وقال ذو الرُّمَّةِ [في «ديوانه» من الطويل] :

أَيُّنُّ وَشَكْوَى بِالنَّهَارِ طَوِيلَةٌ عَلَيَّ وَمَا يَأْتِي بِهِ اللَّيْلُ أَبْرَحُ

وقلت في رثاء ولدي بصري [كما في «ديوان المؤلف» ق/٩٥ من

الطويل] :

فَقُلْتُ : أَتُرَكِّبُنَا نُطْفِ بِغَضِّ النَّهَابِنَا بِغَزْرِ مِنَ الْأَمَاقِ فِي اللَّيْلِ إِذْ يَسْرِي

يَطُولُ نَهَارِي بِالتَّجَلُّدِ وَالذُّجَى بِهِ مِنْ بُرُودِ الدَّمْعِ شَيْءٌ مِنَ الْقَصْرِ

وَمِنْ أَبْلَغِ مَا قِيلَ فِي طَوْلِ اللَّيْلِ قَوْلُ النَّابِغَةِ [الدُّبْيَانِيَّ فِي «ديوانه» ٤٦

من الطويل] :

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتِنِي ضَيْئِلَةٌ مِنَ الرَّقْشِ فِي أَنْبَاهَا السُّمُّ نَاقِعٌ^(١)

وقوله [في «ديوانه» ٥٥ من الطويل] :

تَقَاعَسَ حَتَّى قُلْتُ : لَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَزَعَى الْتُجُومَ بِأَيِّ

وَأَرَادَ بـ (الَّذِي يَزَعَى الْتُجُومَ) : الفجر ، وهي كنايةٌ عجيبةٌ ،

(١) ضَيْئِلَةٌ : الحية الدقيقة ، قليلة اللحم . الرقش : المنقطة . ناقعٌ : ثابتٌ عتيدٌ كامنٌ .

وقال عليُّ بنُ هشامٍ [من السريخ] :

لَا أَظْلِمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي
لَيْلِي كَمَا شَاءَتْ فَإِنْ لَمْ تَجُدْ
أَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَغُوزُ
طَالَ وَإِنْ جَادَتْ فَلَيْلِي قَصِيرُ

قال الحرَّانيُّ [من البسيط] :

جَاءَتْ تُسَائِلُ عَن لَيْلِي فَقُلْتُ لَهَا
لَيْلِي بِكَفِّكَ فَأَعْنِي عَن سُؤَالِكِ لِي
وَسُورَةُ آلِهِمْ تَمْحُوزُ سُورَةُ الْجَذَلِ (١)
إِنَّ بِنْتَ طَالَ وَإِنْ وَاصَلَتْ لَمْ يَطُلْ

أبلغ من قال في طول
الليل

وَيُرْوَى عَن ثَعْلَبٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : كُلُّ مَنْ تَكَلَّمَ فِي طَوْلِ اللَّيْلِ لَمْ
يَبْلُغِ الْدَّرُورَةَ مِنَ الْإِجَادَةِ سِوَى خَالِدِ الْكَاتِبِ ، فَقَدْ جَاوَزَ الْغَايَةَ ، إِذْ
يَقُولُ [من المتقارب] :

رَقَدَتْ وَلَمْ تَزُتْ لِلْسَّاهِرِ
وَلَمْ تَذِرْ بَعْدَ ذَهَابِ الرُّقَا
وَلَيْلُ الْمُحِبِّ بِلَا آخِرِ
دِ مَا صَنَعَ الدَّمْعُ بِالنَّاطِرِ

وقال الثَّهَامِيُّ [من الطويل] :

أَبَا الْفَضْلِ طَالَ اللَّيْلُ أَمْ خَانِنِي صَبْرِي
فَخُيِّلَ لِي أَنَّ الْكُؤَاكِبَ لَا تَسْرِي

وقال ابنُ زُرَيْقٍ [البغداديُّ] في « ديوانه » من البسيط :

لَا يَطْمِئُنُّ بِجَنِينِي مَضْجَعٌ وَكَذَا
وَمَنْ يُقَطِّعُ قَلْبِي ذِكْرُهُ وَإِذَا
لَا يَطْمِئُنُّ بِهِ مُذْ غَبِتِ مَضْجَعُهُ
جَرَى عَلَيَّ قَلْبِي ذِكْرِي يُقَطِّعُهُ

وهو خلافُ بيتِ النَّاظِمِ الَّذِي نَحْنُ بِسَبِيلِهِ غَيْرَ أَنَّ « ديوانه » لا

يخلو مِمَّا يَشْبَهُهُ كَقَوْلِهِ [في « الْمُكَبَّرِيِّ » ٢٨٣/٢ من الطويل] :

هَرَأَقَتْ دَمِي مِنْ بِنِي مِنَ الْوَجْدِ مَا بِهَا
مِنْ الْوَجْدِ بِنِي وَالشُّوقِ لِي وَلَهَا حِلْفُ

(١) سُورَةُ الشَّمْسِ : شِدَّتُهُ وَحِدَّتُهُ وَهِيَاجُهُ . الْجَذَلُ : الْفَرْخُ .

وهو بالرقى أشبه منه بالأشعار ، وحاصل معناه قول الآخر [من
المنسرح] :

وَجِدْتُ بِي مِثْلَ مَا وَجِدْتُ بِهَا فَكِلَانَا مُغْرَمٌ دَنِفٌ
ولا يبعدُ عنه قولُ الأوّل ، وفيه لابن عائشة غناء ، وهو^(١) [من
المنسرح] :

وَارْحَمْنَا لِلْغَرِيبِ فِي الْبَلَدِ الْنَا زِحَ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا
فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا أَنْتَفَعُوا بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا أَنْتَفَعَا
وقال البهاء زهير^(٢) [من مجزوء الكامل] :

يَا لَيْلُ مَا لَكَ آخِرُ كَلًّا وَلَا لِلشُّوقِ آخِرُ^(٣)
لِي فِيكَ أَجْرٌ مُجَاهِدٍ إِنْ صَحَّ أَنَّ الْلَيْلَ كَافِرُ
وقال أبو العتاهية [في «ديوانه» ٥٤١-٥٤٢ من البسيط] :

إِنَّ الْمُحِبَّ إِذَا شَطَّتْ مَنَازِلُهُ عَنِ الْحَبِيبِ بَكَى أَوْ حَنَّ أَوْ ذَكَرَا
وَاللَّيْلُ أَطْوَلُ مِنْ يَوْمِ الْحِسَابِ عَلَى عَيْنِ الشَّجِيِّ إِذَا مَا نَوْمُهُ نَفَرَا

* * *

(١) جاء في هامش المخطوط: ذكرَ ابنُ خَلْكَانَ [كما في «وفيات الأعيان»
٣/٣٥٦]: أَنَّهُ لَمَّا نَزَعَتْ ثِيَابُ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ . . وَجِدْتُ فِيهَا رُقْعَةً
مَكْتُوبَةً عَلَيْهَا هَذَا ، لِكَيْتَهُ لَا يَصْحُحُ أَنَّ تَكُونَ لابنِ الْجَهْمِ ، وَيَكُونُ فِيهَا غِنَاءٌ
لابنِ عَائِشَةَ ؛ لِتَقْدِمُ هَذَا عَلَى ابْنِ الْجَهْمِ بِكَثِيرٍ .
(٢) وقد ورد هذا البيت أيضاً بلفظ:

يَا لَيْلُ طُلُّ أَوْ لَا تَطُلْ إِنِّي عَلَى الْحَالِيْنَ صَابِرُ

[قال أبو الطيب المتنبي في «العكبري» ١/ ٣٠١ من المنسرح] :

لَا نَاقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسَّوِطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْهَدَهَا

شرح المطلع يقول: إِنَّ نَاقَتَهُ لَا تَقْبَلُ الرَّدِيفَ، وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تُسَاقَ بِالسَّوِطِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي: نَعْلَهُ، وَلَوْ قَالَ لَا تَقْبَلُ الْإِنْفِرَادَ.. لَكَانَ أَوْلَى بِالْمَحَاجَاةِ؛ إِذْ لَا تَكُونُ النُّعْلُ إِلَّا مَشْفُوعَةً؛ كَمَا قَالَ الْآخَرُ [مَنْ الطويل]:

رَوَّاحِلُنَا سِتٌّ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ نُجَبِّهَنَّ الْمَاءَ فِي كُلِّ مَنَهْلٍ

فَهُوَ مِنْ خَصَائِصِهَا، بِخِلَافِ غَيْرِهَا مِنَ الْنَوَقِ، فَكَثِيرًا مَا تَعْجِزُ عَنِ الْإِرْتِدَافِ، وَيُقَالُ إِنَّ أَسْلَ الْمَعْنَى قَوْلُ عَتْرَةَ [في «ديوانه» ٣٣ مِنْ الْكامل]:

خصائص النعال وأصل
معنى بيت المتنبي

فَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودَ وَرَحْلُهُ وَأَبْنُ النَّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي
أَرَادَ بـ (أَبْنُ النَّعَامَةِ) عِرْقًا يَكُونُ فِي بَاطِنِ الْقَدَمِ، يَعْنِي: أَنَّهُ رَاكِبٌ أَحْمَصَةٌ^(١).

وقال أبو نؤاس [في «ديوانه» ٥٨٥ من الطويل]:

إِلَيْكَ أبا عَبَّاسٍ مِنْ بَيْنِ [مَنْ] مَشَى عَلَيْهَا أَمْتُنَيْنَا الْحَضْرَمِيَّ الْمُلسَنَا^(٢)

(١) الأخمص: الموضع المنخفض من باطن القدم. قال القاضي عياض رحمه الله [من الوافر]:

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصني أطأ الثرى
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً
(٢) الحضرميُّ المُلسنُ: النعلُ الذي فيه طولٌ ولطافةٌ على هيئة اللسان، أو النعلُ =

فَلَايَصُ لَمْ تَعْرِفْ حَيْنَنَا عَلَى طَلَى وَلَمْ تَدْرِ مَا قَزَعُ الْفَنَيْقِ وَلَا الْهِنَا^(١)

ومرّ ابن المطرّز - الشاعر ، وفي رجله نعلٌ باليةٌ - على الشريف
الرضي ، فقال : أنشدني قصيدتك التي منها قولك [من الطويل] :
المفحم

إِذَا لَمْ تَبْلُغْنِي إِلَيْكَ رَكَائِبِي فَلَا وَرَدَتْ مَاءً وَلَا رَعَتِ الْعُشْبَا

ففعل ، حتّى أنتهى إلى هذا البيت ، فقال له : أهذه ركائبك ؟ !
وأشار إلى نعله ، فقال : لَمَّا صَارَتْ هِبَاتُ مَوْلَانَا إِلَى مِثْلِ قَوْلِهِ [من
الخفيف] :

فَحَدِّ النَّوْمَ مِنْ جُفُونِي فَإِنِّي قَدْ خَلَعْتُ الْكَرَى عَلَى الْعُشَاقِ

عادت ركائبي إلى ما ترى ، فإنك قد خلعت ما لا تملك على من
لا يقبل ، فأعجبه كلامه وأجازه .

وقالت أبنه الحُسن في محاجاتها المشهورة : كاذ المتعلّ يكون
راكباً .
راكباً

وفي الثالثة والأربعين من «مقامات الحريري»^(٢) ما يتصل
بالموضوع .

وقال أبو الشمقمق - وقد وفد إلى (اليمن) على يزيد بن المزيّد - وفود أبي الشمقمق
على يزيد بن المزيّد
[من الكامل] :

= الذي جعل طرف مقدّمها كطرف اللسان .

(١) قلائص - جمع قلوص - : وهي الناقة الشابة الفتيّة . الفنيق : الفعل المكرّم من
الإبل الذي لا يُركب ولا يُهان لكرامته عليهم . الهناء : القطران ، ويقال : هتأ
الإبل إذا طلاها بالقطران .

(٢) اسم هذه المقامة : المقامة البكرية .

رَحَلَ الْمُطَيِّئِ إِلَيْكَ طَلَابُ النَّدَى
 إِذْ لَمْ يَكُنْ لِي يَا يَزِيدُ مَطِيئَةٌ
 تَخْدِي أَمَامَ الْيَعْمَلَاتِ وَتَعْتَلِي
 مِنْ كُلِّ طَاوِيَةِ الصُّوَى مُزَوَّرَةٌ
 فَإِذَا رَكِبْتُ بِهَا طَرِيقًا لِأَحِبًّا
 لَوْلَا الشَّرَاكُ لَقَدْ خَشِيتُ جِمَاحَهَا
 تَتَّابُ أَكْرَمَ وَائِلٍ فِي بَيْتِهَا
 أَغْنِي يَزِيدًا سَيْفَ آلِ مُحَمَّدٍ
 يَوْمَاهُ: يَوْمٌ لِلْمَوَاهِبِ وَالنَّدَى
 وَلَقَدْ أَتَيْتُكَ وَائِقًا بِكَ عَالِمًا
 وَرَحَلْتُ نَحْوَكَ نَاقَةً نَعْلِيَّةً
 فَجَعَلْتَهَا لَكَ فِي السَّفَارِ مَطِيئَةً
 فِي السَّيْرِ تَتْرُكُ خَلْفَهَا الْمَهْرِيَّةَ (١)
 قَطْعًا لِكُلِّ تَنْوَفَةٍ دَوْسِيَّةَ (٢)
 تَنْسَابُ تَخْتِي كَأَنْسِيَابِ الْحَيَّةِ
 وَزِمَامُهَا مِنْ أَنْ تَمَسَّ يَدَيْهِ
 حَسْبًا وَقَبَّةٌ مَجْدِهَا مَبْنِيَّةُ
 فَرَاجَ كُلِّ شَدِيدَةٍ مَخْفِيَّةُ
 خَضِلٌ وَيَوْمٌ دَمٌ وَخَطْفُ مَبْنِيَّةِ (٣)
 أَنْ لَسْتَ تَسْمَعُ مِدْحَةَ بِنَسِيَّةِ (٤)

فقال له يزيدُ : صدقت ، وأطلق عليه ألفَ دينار .

ومما يُعزى للكسائي قولُه للرشيد [من الكامل] :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ مَا تَقُولُ لِمَنْ
 أَمَسَى إِلَيْكَ بِحُزْمَةٍ يُذِلِّي
 مَا زِلْتُ مُذْ صَارَ الْأَمِيرُ مَعِي
 عَبْدِي يَدِي وَمَطِيئِي نَعْلِي

(١) الْيَعْمَلَاتُ - جمعُ الْيَعْمَلَةِ مِنَ الْإِبِلِ - : وهي النجيبَةُ المعتملةُ المطبوعةُ على

العملِ .

الْمَهْرِيَّةُ : إبِلٌ نجائبٌ تسبقُ الخيلَ ، منسوبةٌ لقبيلةٍ مَهْرَةَ بنِ حيدان .

(٢) الصُّوَى : الطريقُ الوعرُ . مُزَوَّرَةٌ : معوجةٌ ، وأراد أن حذاه عندما يسير إلى

الأمير يسبقُ جميعَ الخيولِ السريعةِ . التَنْوَفَةُ : القفرُ مِنَ الْأَرْضِ . الدَوْسِيَّةُ :

الدَّوْسُ شِدَّةُ الوَطءِ بالأقدامِ ، ومنْ هُنَا يُقالُ : طريقٌ مَدُوسٌ .

(٣) الْخَضَلَةُ : النعمةُ والرِفاهيةُ .

(٤) بِنَسِيَّةِ : أي بِنَسِيَّةِ ، وهو الدَّيْنُ الْمُؤَجَّلُ .

وحجَّ بعضُ نَسَاكِ أَرْضِنَا مَاشِيًا ، فَسُئِلَ : مِنْ أَيِّ الظَّهْرِ رَكَوبُكَ ؟ مِنْ أَيِّ الظَّهْرِ رَكَوبُكَ
فَقَالَ : ذَلُوبٌ ، كَتَيْتُ بِهَا عَنِ الْأَرْضِ مِنْ قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ هُوَ الَّذِي
جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُوبًا ﴾ [الملك : ١٥] .

وعلى ذكر النعل . . أقول : بينا أنا أطالعُ مرَّةً في كتابٍ للنبهانيِّ وجهة نظر المؤلف في
من عهد بعيد . . إذا به يقول في ليلة الإسراء [من الطويل] :

عَلَى رَأْسِ هَذَا الْكُونِ نَعْلُ مُحَمَّدٍ سَرَتْ فَجَمِيعُ النَّاسِ تَحْتَ ظِلَالِهِ (١)
لَدَى الطُّورِ مُوسَى نُودِيَ أَخْلَعُ وَأَحْمَدُ عَلَى الْعَرْشِ لَمْ يُؤْمَرْ بِخَلْعِ نِعَالِهِ

فلم يعجبني الكلام ، وأطرحُ الكتاب ، ولمَّا كَانَ اللَّيْلُ . .
رَأَيْتُ النَّبْهَانِيَّ ، أَوْ بَعْضَ مُحِبِّيهِ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ ، فَأَعْتَرَضْتُ قَوْلَهُ
وَأَوْسَعْتُهُ رَدًّا ، وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الْأَلِيْقَ بِمَدْحِ نَبِيِّنَا ﷺ هُوَ مَا أَقُولُ ،
وَأَنْشَدْتُهُ [من الطويل] :

يَقُولُونَ : إِنَّ الْمُصْطَفَى لَيْلَةَ السَّرَى إِلَى الْعَرْشِ لَمْ يَغْرَمْ بِخَلْعِ نِعَالِهِ
وَهَذَا مُحَالٌ لَا يَلِيْقُ بِحَالِ مَنْ تَوَاضَعَهُ اللَّهُ أَسْنَى خِلَالِهِ

في منام طويل ، لا حاجة إلى استيعابه ، إذ قد أستوفيته مع ما
يتعلَّقُ بِهِ مِنْ الْبَحْثِ فِي كِتَابِي « بِلَابِلِ التَّغْرِيدِ » ، وَمِنْهُ أَنَّهُ مَأْمُورٌ بِمَا
أَدَّبَ اللَّهُ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِمَا [الصَّلَاةُ وَ] السَّلَامُ بِنَصِّ قَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ :
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتْهُمْ أَقْتَدَةٌ ﴾ [الأنعام : ٩٠] . وَلَمَّا
أَعْتَرَضَ بَأَنَّ مُوسَى لَمْ يُؤْمَرْ بِخَلْعِ النِّعْلِ إِلَّا لِنَجَاسَتِهِ . . فَجَوَابُهُ : أَنَّهُ

(١) قال أحدهم في نحو هذا المعنى : (وَنَعْلٍ مَتَى نَخْضَعُ لِهَيْبَتِهَا نَعْلُو) .

قولاً لا يعوّل عليه ، وأمّا الصلاةُ في النعالِ . . فهي من الرّخصِ ،
كما قال ابنُ دقيقِ العيدِ ، لا من المستحباتِ .

أمره ﷺ بمخالفة اليهود
بالصلاة بالنعال

قالَ الحافظُ أبو حنيفةٍ [في «الفتح» ١/٤٩٤] : وروى الحاكمُ [في
«المستدرک» ١/٣٩١] وأبو داوودَ [في «سننه» ١/٦٥٢] من حديثِ شدّادِ بنِ
أوسٍ : « خَالِفُوا الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ وَلَا خِفافِهِمْ » ،
فيكونُ استحبابُ ذلكَ من جهةِ قصدِ المخالفةِ المذكورةِ ، ووردَ في
كونِ الصلاةِ في النعالِ مِنَ الزينةِ المأمورِ بأخذِها في الآيةِ حديثٌ
ضعيفٌ جدّاً ، أوردهُ ابنُ عديٍّ في «الكاملِ» ، وابنُ مردويه في
«تفسيره»^(١) ، من حديثِ أبي هريرةَ . انتهى .

وقد صرّحَ فقهاؤُنَا بأستحبابِ نزعِ النعلِ لدخولِ (مكةَ) وهو ممّا
يُرذُ كلامَ النبهانيِّ ، ولهذا كلُّهُ من حيثِ الفقه .

استحباب قلع النعل
لدخول (مكة)

وأمّا من حيثِ الروايةُ : فقد أعتَرَفَ هو نفسُهُ بأنّه لم يَرِدْ ما يدلُّ
عليه ، واللهُ درُّ المعرّيِّ في قوله [كما في «سقط الزند» ١٥٩ من البسيط] :

يَا شَاكِيَ التُّوبِ أَنْهَضَ طَالِباً حَلْبَا نُهَضُضَ مُضْنَى لِحْسَمِ الدَّاءِ مُلْتَمِسِ^(٢)
وَأَخْلَعَ حِذَاءَكَ إِنْ حَاذَيْتَهَا وَرَعَا كَفَعَلَ مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ فِي الْقُدْسِ

ويَتَّصَلُ بِهِ كَثِيرٌ مِمَّا يَأْتِي فِي الْآثَارِ مِنَ الْمَجْلِسِ الْحَادِي عَشَرَ .

تُلُونِ الْمُتَنَبِّيَّ وَتَغْيِرُهُ فِي
أَشْعَارِهِ

تَمَّ إِنَّ النَّاطِمَ كَثِيرُ التَّلُونِ فِي أَحْوَالِهِ ، فَتَارَةٌ يَتَّصَلُكَ وَيَتَفَقَّرُ

- (١) أورده عنه ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٢/٢١٠) عن أنس مرفوعاً أنها
نزلت في الصلاة بالنعال ، وقال : لكن في صحته نظر . والله أعلم .
- (٢) التُّوبُ : المصائبُ .

ويعترف بالرجلّة ، كما في البيت ، وكما في قوله [في «المكبري»
١٢٥/١ من الكامل] :

وَحَيْثُ مِنْ خُوصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ فَعَدَوْتُ أَمَشِي رَاكِبًا^(١)
(والدارش) : جلدٌ أسودٌ تصنعُ منه الأحذية ، وقوله [في
«المكبري» ١٤٠/١ من الوافر] :

وَلَمَّا قَلَّتِ الْإِبِلُ أَمْتَطَيْنَا إِلَى ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الْخَطُوبَا
وقوله [في «المكبري» ٢١١/٣ من المنسرح] :

وَمَهْمَهُ جُبْنُهُ عَلَى قَدَمِي تَعَجَزُ عَنْهُ الْعَرَامِسُ الدُّلُّ^(٢)
بِصَارِمِي مُرْتَدٍ ، بِمَخْبِرَتِي مُجْتَرِيٌّ ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلٌ^(٣)
وقوله [في «المكبري» ٣٤٦/١ من المتقارب] :

وَقَدْ كَانَ مَشِيهُمَا فِي النَّعَالِ فَقَدْ صَارَ مَشِيهُمَا فِي الْقَيْوُدِ
وقوله [في «المكبري» ٢٩٠/٤ من الطويل] :

وغيرُ كثيرٍ أن يزورك راجلٌ فيزجع ملكاً للعراقين واليا

(١) حَيْثُ : أعطيتُ . خُوصُ الرِّكَابِ : الإبلُ المتعبَةُ . والمعنى : أعطيت بدلَ الإبلِ
خفاً أسوداً أمشي فيه .

(٢) المَهْمَةُ : المفازةُ البعيدةُ والطريقُ ، والجمعُ المَهَامَةُ ، ومنه قول الشاعر :
وَمَهْمَهُ مَغْبِرَةٌ أَرْجَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاوُهُ
جُبْنُهُ : قَطَعْتُهُ ، ومنه : ﴿ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ [الفجر : ٩] . العَرَامِسُ :
النوقُ الصلابُ الشديدةُ . الدُّلُّ : المذلَّةُ بالعملِ ، المروضةُ بالسيرِ ، وهي
جمعُ ذلولٍ .

(٣) المعنى : أنا مرتدٌ بسيفي ، متقلدٌ به ، مكتفٍ بعلمي ، لم أحتجْ إلى دليلٍ يدلُّني
ويهديني الطريقَ ، لابسٌ ثوبَ الظلامِ ، مشتملٌ به كما يشتملُ الرجلُ بثوبِهِ .

وقوله [في «المكبري» ٢٧٦/٣ من البسيط] :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ
بينا هو كذلك .. إِذَا بِهِ يَتَطَاوَلُ تَارَةً أُخْرَى ، ويقول [في «المكبري»
٢٧٠/١ من الطويل] :

وَتُسْعِدُنِي فِي عَمْرَةٍ بَعْدَ عَمْرَةٍ سُبُوخٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ^(١)
ويقول [في «المكبري» ٣٦/١ من الخفيف] :

وَلَقَدْ أَفْنَتِ الْمَفَاوِزُ خَيْلِي قَبْلَ أَنْ نَلْتَقِي وَزَادِي وَمَائِي
ويقول [في «المكبري» ٣٨/١ من المتقارب] :

إِذَا فَزِعَتْ قَدَمْتُهَا الْجِيَادُ وَيَبِيضُ الْسُّيُوفِ وَسُمُرُ الْقَنَا
ويقول [في «المكبري» ١٧٣/١ من البسيط] :

وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أَدْخِرُهُ مَا فِي السَّوَابِقِ مِنْ جَرِيٍّ وَتَقْرِبِ
ويقول [في «المكبري» ١٥١/٢ من الطويل] :

عَلَيَّ لِأَهْلِ الْجَوْرِ كُلِّ طِمْرَةٍ عَلَيْهَا غَلَامٌ مِلءٌ حَيْرُومِهِ غِمْرُ^(٢)
وقوله : (مِلءٌ حَيْرُومِهِ غِمْرُ) مِنْ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ : (تَحَمَّلَ
فِي الْقَلُوبِ حَقًّا) .

(١) السُّبُوخُ : الفرسُ الشديدُ الجري ، والبيت من شواهد البلاغة .

(٢) الطِّمْرَةُ : الفرسُ العالِيَةُ المشرفة . الحَيْرُومُ : الصدرُ . الغِمْرُ : الحِقْدُ .
والمعنى أَنَّهُ يَقُولُ : أَنَا كَفَيْلٌ بِخَيْلِ فِرْسَانِهَا هَؤُلَاءِ .

وقول ربيعة بن مقروم الضبيّ [في «خزانة الأدب» ٤٣٦/٨ من الكامل] :
 وَاللَّدَّ ذِي حَنْقٍ عَلَيَّ كَأَنَّمَا تَغْلِي عِدَاوَةٌ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ
 ويقول الناظم أيضاً [في «المكبري» ١٧٩/١ من الطويل] :
 وَعَيْنِي إِلَى أُذُنِي أَعْرَأَ كَأَنَّهُ مِنْ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكَبٍ^(١)
 ويقول [في «المكبري» ٢٨٥/٤ من الطويل] :

وَجُرْدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا فَبِشْنِ خِصَافٍ يَتَّبِعْنَ الْعَوَالِيَا
 ويقول [في «المكبري» ٢٣/٢ من الطويل] :
 وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشَةٍ وَمَرْكُوبُهُ رِجْلَاهُ وَالثُّوبُ جِلْدُهُ
 ويقول [في «المكبري» ٣٩/٤ من البسيط] :

لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرَبِي وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شَيْمِي
 وقد ألمّ في هذا ، وفي قوله : (فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ) لا مجد إلا بمال
 ماله) بقول قيس بن سعد بن عبادة [في «البيان والتبيين» ٥٩٦/١] : اللهم
 هَبْ لِي حَمْدًا وَمَجْدًا ، لَا حَمْدَ إِلَّا بِفَعَالٍ ، وَلَا فَعَالٍ إِلَّا بِمَالٍ ،
 اللَّهُمَّ إِنَّ الْقَلِيلَ لَا يُصْلِحُنِي ، وَلَا أَصْلِحُ عَلَيْهِ .

وما أظنُّ أبا فراس الحمدانيّ في قوله [في «ديوانه» ١٩٦-١٩٧ من الكامل] :
 وَتَعَاثُ لِي طَمَعَ الْحَرِيصِ أُبُوتِي وَمُرُوءَتِي وَقِنَاعَتِي وَعَفَافِي
 تعريض الحمداني
 بالمتبسي ثم نفسي
 المؤلف الذم عنه
 مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيًا فَإِذَا قِنَعْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كَافٍ

(١) المعنى : أنّه كان ينظرُ إلى أُذُنِي فَرَسِهِ ، وذلك أنّ الفرسَ أبصرُ شيءٍ ، فإذا
 حَسَّ بشخصٍ من بعيدٍ نصب أُذُنِيهِ نحوهً . . فيعلمُ الفارسُ أنّه أبصرَ شيئاً ، ثمَّ
 وصفَ فرسَهُ بأنّه قطعةٌ ليلٍ في وجههِ كوكبٌ .

إِلَّا وَيُعْرَضُ بِالنَّاطِمِ ، وَيَشِيرُ إِلَى قَوْلَيْهِ السَّابِقَيْنِ ، وَلَكِنْ نَفَى
عَنْهُ الذَّمَّ كُلَّ النَّفْيِ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنْ دُعَاءِ قَيْسٍ ، وَالثَّانِي مِنْ آيَاتِ
الْحَمْدَانِي ، هُوَ مِنْ قَوْلِ أَبِي ذُوَيْبٍ [في «ديوانه» ٥٦١ من الكامل] :

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تَرَدُّتْ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

وَبَيْنَا صَاحِبُنَا يَعْتَرِفُ بِقَلَّةِ الْعَدِّ ، وَيَشْتَكِي مِنْ صُفُورَةِ الْيَدِ ،
وَيَقُولُ [في «المكبري» ١/٢٧٠ من الطويل] :

أَهْمُ بِشَيْءٍ وَاللَّيَالِي كَأَنَّهَا تَطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأَطَارِدُ
وَحِيدٌ مِنَ الْخُلَّانِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَظَّمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ

وَيَقُولُ لِلْمَغِيثِ الْعِجْلِيُّ [في «المكبري» ١/١٢٠ من البسيط] :

لَمَّا أَقَمْتَ بِأَنْطَاكِيَّةٍ اخْتَلَفْتَ إِلَيَّ بِالْخَبْرِ الرَّكْبَانُ فِي حَلْبَا
فَسِرْتُ نَحْوَكَ لَا أَلْوِي عَلَى أَحَدٍ أَحْتُ رَاحِلَتِي الْفَقْرَ وَالْأَدْبَا

إِذَا بِهِ يَنْتَفِسُ دِمَاغُهُ ، وَيَمْتَلِئُ فِرَاعُهُ ، وَيَعْقِصُ أَنْفَهُ ، وَيَمُدُّ إِلَى
النَّجُومِ كَفَّهُ ، وَلَا يَسْتَحِي أَنْ يَقُولَ لِلْمَغِيثِ فِي نَفْسِ الْقَصِيدَةِ [في
«المكبري» ١/١٢٠-١٢١ من البسيط] :

وَإِنْ عَمِرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً وَكُلُّ أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِمًا
حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَا عَنْ سَرْجِهِ مَرَحًا بِالْعِزِّ أَوْ طَرْبَا^(٢)
وَأَلْبَرُ أَوْسَعُ وَالذُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا فَالْمَوْتُ أَغْذَرُ لِي وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِي

(١) عَمِرْتُ: عَشْتُ طَوِيلًا.

(٢) الْقَعُ: الْخَالِصُ.

فَانظُرْ كَيْفَ يَطْمَعُ فِي الْمُلْكِ الْكَبِيرِ ، وما يجدُ ما يتبَلَّغُ بِهِ مِنْ نَاقَةِ
 أو بعيرٍ ، فما أشبههُ إِذْنُ بِخَالِدِ بْنِ سَدُوسِ الْبُهَيْمِيِّ ، إِذْ أَغَارَتْ بَنُو
 السدوسي والابن
 المسروقة
 جديلة على أمرىء القيس ، وأخذوا إبله ، وهو في جواره ، فقال
 له : أعطني رواحلك ؛ لألحق القوم ، فأردَّ الإبل ، ففعل ، وركب
 خالدٌ حتى أدركهم ، فقال : يا بني جديلة ، أغرمتُ على إبلٍ جاري !
 قالوا : ما هؤلِكَ بجارٍ ، قال : بلى ، وهذه رواحلهُ معي ، قالوا :
 أكذلك؟ قال : نعم ، فأنزلوه عنها ، وأخذوها فوق الإبل ، فعاد
 خالدٌ ينفضُ مَذْرَوِيَهُ^(١) ، قال لامرئ القيس : لا تخف فسأردُّ عليك
 الجميع ، فقال أمرؤ القيس [في «ديوانه» ١٧٤ من الطويل] :

وَدَغَ عَنكَ نَهْبًا صِينَحَ فِي حَجْرَاتِهِ وَهَاتِ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرَّوَّاحِلِ^(٢)

ولا يصحُّ أن يُعتدَرَ عنه بما سبقَ مِنْ قَوْلِهِ [في «المكبري» ٢٩٠/٤ من نفي العذر عن المتبي
 في تناقضه
 الطويل] :

(وَغَيْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ . . إِلَى آخِرِهِ) لِفَرْقِ مَا بَيْنَ
 الْحَالِيْنَ ؛ إِذْ هُوَ تَمَّ طَالِبٌ وَهُنَا فَاخِرٌ .

ويقول الناظم أيضاً [في «المكبري» ٤٤/٤ من البسيط] :

- (١) المَذْرَوَانِ : الجانبانِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، تقولُ العربُ : جاءَ فلانٌ يَضْرِبُ أَصْدْرَيْهِ ،
 وَيَهْزُ عَطْفَيْهِ وَيَنْفِضُ مَذْرَوَيْهِ ، وهما منكباهُ .
 (٢) القصة في «مجمع الأمثال» (٢٦٨/١) ، و«جمهرة الأمثال» (٤٥٢/١) .
 النهبُ : السلبُ وانتهازُ الفرصِ لاختطافِ الأشياءِ . حَجْرَاتُهُ : نواحيهِ ،
 والمعنى : دع عنك حديثِ إبلي التي سطا عليها هؤلاء اللصوص ولكن هات
 حديثي عن ذهاب رواحلك ، وكيف مكنتهم من أخذها ، يا سيءَ الجوار ، ويا
 ضعيفَ الدفعِ عن الجار ؟ ! .

مِينَادُ كُلِّ رَقِيقِ الشُّفْرَتَيْنِ غَدَاً وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ (١)

ويقول [في المَكْبَرِيّ] « ٤١ / ٤١ من البسيط] :

لَأَتْرُكَنَّ وُجُوهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقِي عَلَيَّ قَدَمٌ (٢)
وَالطَّعْنُ يُحْرِقُهَا وَالزَّجْرُ يُفْلِقُهَا حَتَّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْباً مِنَ اللَّمَمِ (٣)

ويقول [في « المَكْبَرِيّ » ١٥٧ / ٢ من الطويل] :

وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ مَقْتَهَا وَمَا يَقْتَضِينِي مِنْ جَمَاجِمِهَا النَّسْرُ

ويقول [في « المَكْبَرِيّ » ١ / ٣٧٣-٣٧٤ من الطويل] :

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَا وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا أَلْتَمُوا مُرْدٌ (٤)
ثِقَالٍ إِذَا لَاقُوا خِفَافٍ إِذَا دُعُوا كَثِيرٍ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٍ إِذَا عُدُّوا
إِذَا شِئْتُ حَمَّتْ بِي عَلَى كُلِّ سَابِحٍ رِجَالٌ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي فَمِهَا شَهْدُ

ويقول [في « المَكْبَرِيّ » ١ / ١٩٣ من الطويل] :

نَصْرَفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَادِرٍ قَدْ أَنْقَصَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِعَابٌ (٥)

ومهما أعتدنا للناظم - في قلبه بين الجزر والمد ، والصغر
وضرع الخد (٦) بأن الإنسان عرضة ذلك ، ولهذا كان أكثر حلفه ﷺ

(١) رقيق الشفرتين : السيف الذي رقت مضاربه بكثرة الصقل .

(٢) ساهمة : متغيرة الوجه من هول ما ترى .

(٣) اللمم : الجنون .

(٤) أراد أنهم مجربون ، فلذلك جعلهم مشايخ ، وأراد أنهم لا يفارقون الحرب ،
لهذا لا يفارقهم اللثام ، فكانهم مُرْدٌ لعدم رؤيته لحامه .

(٥) الحوادير : الغليظ السمين من الخيل .

(٦) الصغر : إمالة الخد ، وهو كناية عن التكبر ، والشموخ ، والترفع ؛ تهاونا =

بمقلَّبِ القلوبِ^(١) - فَإِنَّا لَا نَقْدِرُ أَنْ نُؤَلِّفَ بَيْنَ مَا سَمَعْتَ مِنْ هَبْوِ
الدَّعَاوِي الطَّوِيلَةِ العَرِيضَةِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ [فِي «الْمُكَبَّرِيِّ» ٣/٣٤٤ مَنِ الخَفِيفِ] :

لَيْتَ أَنَا إِذَا رَكِبْتَ لَكَ الْخَيْدَ - لُ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ

وَالْإَلَاءِ . فَأَلْعَارِفُونَ - وَهُمْ مَن هُمْ - تَضَطَّرِبُ أَحْوَالَهُمْ ، وَتَتَلَوُّنُ
أَمُورَهُمْ ، أَلَا تَرَى إِلَى الشَّرَفِ أَبْنِ الْفَارِضِ بَيْنَا هُوَ يَقُولُ ، وَفِي
السَّمَاءِ أَنْفُهُ ، وَعَلَى نَاصِيَةِ الثَّرِيَّا كَفَّهُ [فِي «دِيَوَانِهِ» ١٦٩ مَنِ الْكَامِلِ] :

وَإِذَا سَأَلْتُكَ أَنْ أَرَاكَ حَقِيقَةً فَاسْمَحْ وَلَا تَجْعَلْ جَوَابِي لَنْ تَرَى

إِذَا بِهِ يَتَضَاءَلُ وَيَذُوبُ ، وَيُنْكَسِرُ وَيَتُوبُ وَيَقُولُ [فِي «دِيَوَانِهِ» ٤٧ مَنِ

الطَّوِيلِ] :

وَمُنِّي عَلَى سَمْعِي بَلَنْ إِنْ مَنَعْتَ أَنْ أَرَاكَ فَمَنْ قَلْبِي لِغَيْرِي لَدَّتْ

وَيَقُولُ [فِي «دِيَوَانِهِ» ١٥٧ مَنِ الخَفِيفِ] :

ذَابَ قَلْبِي فَأَذَنْ لَهُ يَتَمَنَّأُ كَ وَفِيهِ بَقِيَّةٌ لِرَجَاكَ

وَيَقُولُ [فِي «دِيَوَانِهِ» ١٤٧ مَنِ الْبَسِيطِ] :

وَأَزْحَمُ تَعَثَّرُ آمَالِي ، وَمُرْتَجِعِي إِلَى خِدَاعِ تَمَنِّي الْوَعْدِ بِالْفَرَجِ

= بِالْمَنْظُورِ إِلَيْهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تُصَيِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان : ١٨] . ضَرْعُ
الْحَدِّ : إِذْلَالُهُ .

(١) وَلَفْظُهُ : «يَا مَقْلَبُ الْقُلُوبِ» رَوَاهُ عَنْ ابْنِ عَمْرِو الْبَخَارِيِّ ، وَأَبُو دَاوُدَ ،
وَالْتِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ مَاجَةَ ، وَمَنْ دَعَاهُ ﷺ كَمَا فِي حَدِيثِ أُمِّ سَلْمَةَ عِنْدَ
ابْنِ السَّنَنِ (٦٦٣) : «يَا مَقْلَبُ الْقُلُوبِ ثَبْتَ قَلْبُنَا عَلَى دِينِكَ» .

وبينا هو يقول [في «ديوانه» ١٥٣ من الكامل] :

وَإِنْ أَكْتَفَى غَيْرِي بِطَيْفِ خَيْالِهِ فَأَنَا الَّذِي بَوَّصَالِهِ لَا أَكْتَفِي

.. إِذَا بِهِ يَقُولُ [في «ديوانه» ١٢٦ من الكامل] :

وَأَبَيْتُ سَهْرَانًا أُمَيْلُ طَيْفَهُ لِلطَّرْفِ كَيْ أَلْقَى خَيْالَ خَيْالِهِ

وهو خيرٌ من قولِ النَّاطِمِ [في «المكبري» ٥٣/٣ من الكامل] :

إِنَّ الْمُعِينَدَ لَنَا الْمَنَامُ خَيْالُهُ كَانَتْ إِعَادَتُهُ خَيْالَ خَيْالِهِ^(١)

وبينا الشَّرفُ ابنُ الفَارَضِ أيضاً يقولُ [في «ديوانه» ١٤٥ من البسيط] :

عَذَّبَ بِمَا شِئْتَ غَيْرَ الْبُعْدِ عَنْكَ تَجِدُ أَوْفَى مُحِبِّ بِمَا يُرْضِيكَ مُبْتَهَجِ

ويقولُ [في «ديوانه» ١٤٤ من البسيط] :

أَمْسَيْتُ فَيْكَ كَمَا أَصْبَحْتُ مُكْتَبَا وَلَمْ أَقُلْ جَزَعًا : يَا أَرْزَمَةُ أَنْفِرْجِي^(٢)

ويقولُ [في «ديوانه» ١٥٦ من الخفيف] :

وَبِمَا شِئْتَ فِي هَوَاكَ أَخْتَبِرُنِي فَأَخْتِيَارِي مَا كَانَ فِيهِ رِضَاكَ

.. إِذْ بَطَلَ اخْتِيَارُهُ ، وَعَيْلَ اصْطِبَارُهُ ، وَبَكَاتُ دَرَّتُهُ^(٣) ، وَلَانَتْ

مَرَّتُهُ ، وَصَارَ يَقُولُ [في «ديوانه» ١٥٨ من الخفيف] :

بِأَنْكِسَارِي بِدَلَّتِي بِخُضُوعِي بِأَفْتِقَارِي بِفَاقَتِي بِغِنَاكَ

لَا تَكِلْنِي إِلَى قُوَى جَسَدِ خَا نَ فَإِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْ ضَعْفَاكَ

(١) المنام : فاعل المعيد؛ أي : إن الذي يعيد المنام لنا خياله.

(٢) الجزعُ : عدمُ الصبرِ .

(٣) بكأتُ : قلتُ .

وقام أحدُ المُلحدِينِ يطعنُ في القرآنِ بما ظاهرُهُ التناقضُ مِنْ قولِهِ
 تعالى: ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ ﴾ [المرسلات : ٣٥-٣٦] ،
 وقوله جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ
 الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبا : ٣٨] مع أمثالِ قولِهِ تقدَّستِ أسماؤُهُ : ﴿ وَأَقْبَلَ
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الصفوات : ٢٧] .

وأجابوا عَن ذَلِكَ : بأنَّ المنفيَّ مِنَ الكلامِ . . النافعُ ، وبأنَّ اليومَ
 طويلٌ تختلفُ فيه الأحوالُ ، فتارةً : يُمنعونَ عَنِ التكلُّمِ لتلاطمِ
 الأهوالِ ، وأخرى : يُؤذَنُ لَهُمْ فيه للتبكيِّ والتقريرِ ، فالاعتراضُ
 مدفوعٌ مِنْ أصلِهِ ، وإنَّما يكونُ التعارضُ مَعَ اتِّحادِ الزمانِ .

والناظمُ يلبسُ لكلِّ حالةٍ لبوسَها ، إذ لا يزالُ يعاني مِنَ الأيامِ
 نعمتها وبؤسها^(١) ، غيرَ أَنَّا لَمْ نَرَهُ في الخيرِ إِلَّا منوعاً ، وفي الشرِّ إِلَّا
 جزوعاً^(٢) ، بعيداً مِنْ قولِ العربيِّ [مَنِ البسيط] :

لَا مُتْرَفًا إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعَدَهُ وَلَيْسَ إِنْ عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا
 وَمِنْ قَوْلِ حاتمِ [في «ديوانه» ٥٢ من الطويل] :

عَيْنًا زَمَانًا بِالتَّصْغُلِكِ وَالْغِنَى كَمَا الدَّهْرُ مِنْ أَيَّامِهِ الْعُسْرُ وَالْيُسْرُ
 فَمَا زَادَنَا شَأْوًا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ غِنَانًا وَلَا أَرزَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ^(٣)

(١) لعلهُ أخذه من قولِ الشافعيِّ :

ألبسُ لكلِّ حالةٍ لبوسَها إِمَّا نعيمَها وإِمَّا بؤسَها
 (٢) اقتبس أسلوبه من قوله تعالى: ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْفَقْرُ مَنُوعًا ﴾
 [المعارج : ٢٠-٢١] .

(٣) شَأْوًا : بُغْدًا . أَرزَى : عاب .

وقول ابن عبدل الأسدِّي [في «الأغاني» ٨٤٤/٢ من الطويل] :

وَإِنِّي لَأَسْتَعْنِي فَمَا أَبْطُرُ الْغِنَى وَأَبْذُلُ مَيْسُورِي لِمَنْ يَتَّبِعِي قَرْضِي^(١)
وَأَعْسِرُ أَحْيَانًا وَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي وَأُذْرِكُ مَيْسُورَ الْغِنَى وَمَعِي عِرْضِي

وقول كثير [في «ديوانه» ٢٣٩ من الطويل] :

إِذَا قَلَّ مَالِي زَادَ عِرْضِي كَرَامَةً عَلَيَّ وَلَمْ أَتَّبِعْ دِقَاقَ الْمَطَامِعِ^(٢)

وقول الآخر [من الطويل] :

وَكَمَ أَرْزَمَ لِلدَّهْرِ أَلْقَتْ جِرَانَهَا عَلَيَّ فَلَمْ تَكْشِفْ مَذَلَّتَهَا سَثْرِي^(٣)

وَإِنِّي لَكَثِيرًا مَا أَعْجَبُ لِأَبِي فِرَاسٍ ، وَأَسْتَدِلُّ عَلَى أُكْرَمَتِهِ
وَطَيْبِ أَرْوَمَتِهِ^(٤) بقوله وهو في غيابات السجين [في «ديوانه» ٢٤٦-٢٤٧ من

كرم نفس أبي فراس
الحمداني

الطويل] :

أَيْضَحُكَ مَا سُورُ وَتَبْكِي طَلِيقَةً وَيَسْكُتُ مَخْزُونٌ وَيَتَذُبُّ سَالِي ۱۱؟
لَقَدْ كُنْتُ أَوْلَىٰ مِنْكَ بِالذَّمْعِ مُقَلَّةً وَلَكِنَّ دَمْعِي فِي الْحَوَادِثِ غَالِي

ولا نعدم من كلام الناظم ما يشبهه غير أنه في حال السعة ،
وهذا يقوله في حين الضيق ، وكذلك الحرُّ الكريم ، والعربيُّ
الصميم لا تجذُّه أشدُّ ما يكون إلا عند انقطاع الأسباب ، وأستغلاق
الأبواب ، كما أطلنا البحث فيه من كتابنا « بلابلُ التفريد » .

عند الامتحان يكرم
المرء أويهان

(١) البطرُ : الطغيان عند النعمة .

(٢) لَمْ أَتَّبِعْ دِقَاقَ الْمَطَامِعِ : أي لَمْ أَتَّبِعِ الْمَطَامِعَ الدَّقِيقَةَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي يَدْفَعُ إِلَيْهَا الْفَقْرُ أَحْيَانًا .

(٣) الْجِرَانُ : الثَّقُلُ .

(٤) الْأَرْوَمَةُ - بفتح الهمزة وضمها - : الْأَصْلُ ، وَالْجَمْعُ أَرْوَمٌ .

وحالهُ ﷺ أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ فِي ذَلِكَ ، وَلِهَذَا أَشْتَدَّ خَوْفُهُ ، وَكَثُرُ الْإِحَاحَةِ ﷺ عَلَى رَبِّهِ
 الْإِحَاحَةُ عَلَى رَبِّهِ يَوْمَ الْعَرِيشِ ، وَالْمَهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ بَيْنَ يَدَيْهِ تَدْوِرُ يَوْمَ الْعَرِيشِ
 حَمَالِيْقُهُمْ^(١) أَمْثَالَ الْحَيَاتِ .

وَبَتَّ جَاشُهُ ، وَذَهَبَ لِإِحَاحَتِهِ يَوْمَ الْغَارِ ، وَيَوْمَ حَنِينٍ ، وَيَوْمَ ثَبَاتَةِ جَاشِهِ فِي الْغَارِ
 أَحَدٍ ، وَقَدِ اصْفَرَّتِ الْجِبَاهُ ، وَبَسَّتِ الْكُفَاهُ ، وَغَارَتِ الْكُفَاهُ ، وَظَنَّتِ الظُّنُونُ .

وَهَلْ سَمِعْتَ بِشِدَّةِ أَعْظَمَ مِنْ شِدَّتِهِ ، وَقَدْ ظَنَّ أَنَّ عَمَّهُ سَيُسَلِّمُهُ وَاللَّهُ يَا عَمَّ لَوْ وَضَعُوا
 إِلَيَّ قَرِيشٍ ؛ إِنْ لَمْ يُجِبْنِي إِلَى خَصْلَةٍ مِمَّا عَرَضَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ
 لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي شِمَالِي ، عَلَيَّ أَنْ أَتْرُكَ
 هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ ، أَوْ أَهْلِكَ دُونَهُ ، مَا فَعَلْتُ »^(٢) .

وَهَلْ بَلَغَتْكَ رِقَّةُ أَعْظَمَ مِنْ رِقَّتِهِ يَوْمَ فَتْحِ (مَكَّةَ) ؛ إِذْ دَخَلَهَا عَلَى تَوَاضَعِهِ ﷺ عِنْدَ فَتْحِ
 رَحْلِ مُطَاطِنًا رَأْسَهُ ، حَتَّى لَيْكَادُ يَمَسُّ مُقَدَّمَ رَحْلِهِ ، مُرْدِفًا خَلْفَهُ عَبْدًا (مَكَّةَ)
 فِي سَوَادِ الْغُرَابِ ، وَخَلْفَهُ ثَمَانِيَةَ آلَافِ سَيْفٍ مُنْتَضَاةٍ ، وَمَكَّنَهُ اللَّهُ مِنْ

(١) وهذا تعبيرٌ فيه كنايةٌ عن شِدَّةِ هَوْلِ الموقفِ الذي كان يمرُّ فيه الصحابةُ آنَ ذاكَ ،
 وَالْحِمْلَاقُ : باطنُ أَجْفَانِ الْعَيْنِ ، وَحَمْلَقَ الرَّجُلُ : إِذَا أَنْقَلَبَ حَمْلَاقُ عَيْنَيْهِ مِنْ
 الْفَزَعِ .

أَخْرَجَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ الْبَخَّارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٩١٥) فِي كِتَابِ الْجِهَادِ
 وَالسَّيْرِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ فِي قَبَةِ يَوْمَ بَدْرٍ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشَدُكَ عَهْدَكَ
 وَوَعْدَكَ ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تَعْبُدْ بَعْدَ الْيَوْمِ » فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ : حَسْبُكَ يَا
 رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَيَّ رَبِّكَ ، وَهُوَ [يُشَبِّهُ] فِي الدَّرْعِ ، فَخَرَجَ وَهُوَ
 يَقُولُ : ﴿ سَيِّئَرُمُ الْبَصْمُ وَيَرْوُلُونَ الدُّبُرَ ﴾ [بِالسَّاعَةِ مَوَدُّهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْمُنُ وَأَمْرٌ] [القمر :
 ٤٤-٤٥] يَعْنِي مِنَ الْمَرَارَةِ .

(٢) « السيرة النبوية » (١٠١/٢) .

رقابِ أعدائِهِ الَّذِينَ فَعَلُوا بِهِ الْأَفَاعِيلَ ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ جَمَعَهُمْ حَوْلَ الْبَيْتِ ، وَقَالَ : « مَا تَرَوْنِي فَاعِلًا بِكُمْ ؟ » ، فَقَالُوا : إِنَّ تُعَذِّبُ . . فَقَدْ أَسَأْنَا ، وَإِنْ تَعْفُ . . فَخَيْرُ أَبِي وَخَيْرُ أَخٍ ، فَقَالَ لَهُمْ : « لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ »^(١) أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى^(٢) .

سؤال عن عفوه وعن شدته
وها هنا سؤال وهو : كيف عفا ﷺ عن قريش ، وقتل ما بين الصلاتين سبع مئة من اليهود ، لم تأخذه بهم رافة ، ولم تعطفه عليهم رحمة ، مع أنه أشفق الناس بالناس ، ومع أن ذنبهم لم يكن مثل ذنوب قريش^(٣) ؟

والجواب : أن لا هوادة عنده ، وقد قتل الفريقين ، إلا أن قريشاً لما كانوا أهل كرم ، وبُعد همم ، وطهارة شيم . . كان قتلهم بالعمو ، وأما اليهود : فإنهم لما أشتملوا على اللؤم ، وأندمجوا على الخسة بآية أن ذنبهم كان الغدر . . لم يكن ليصلحهم الحلم ، ولا ليتداركهم العفو ، لا جرّم أضطرّ إلى قتلهم بالسيف ، وقد قال ابن المعتز [من الكامل] :

ضَرَابُ هَامِ الرُّؤْمِ مُنْتَقِمًا وَفِي أَغْثَائِهِمْ مِنْ جُودِهِ أَعْبَاءُ
لَوْلَا أَنْبَعَاثُ السَّيْفِ وَهُوَ مُسَلِّطٌ فِي قَتْلِهِمْ قَتَلْتَهُمُ الْتَغْمَاءُ

(١) كما في سورة يوسف عليه السلام [الآية : ٩٢] .

(٢) قصة دخوله ﷺ على الصفة والهيئة المذكورة في « السيرة النبوية » (٢٤ / ٤) ،

ولكنه لم يذكر أنه ﷺ كان مردفاً عبداً . والله أعلم .

(٣) « ابن هشام » (٢٥٩ / ٣) .

إِلَّا أَنْ عَلَيْهِ مَوَآخِذَتَيْنِ :

اعتراض المؤلف على
ابن المعتز

إحداهما : أَنَّ الإِحْسَانَ ذِمَّةٌ ، فلا يَلِيْقُ بِالكَرِيمِ أَنْ يُوْذِيَ غَدِيَّ
نَعْمَتِهِ .

وَالْأُخْرَى : أَنَّهُ لَا يُصَارُ إِلَى الْقَتْلِ بِالسَّيْفِ إِلَّا عِنْدَ تَعَدُّرِهِ بِالنَّعْمَاءِ ،
وَالْأَيُّ كَانَ الْجِلْمُ أَلْيَقَ ، وَالْعَفْوُ أَجْدَرَ ، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

الصفح عند الشعراء

وقال أبو عبادة [في « ديوانه » من الطويل] :

صَفُوحٌ عَنِ الْجَانِبِ وَصَفْحَةٌ سَيْفِهِ إِذَا هِيَ لَمْ تَقْتُلْهُ فَالْصَّفْحُ قَاتِلُهُ

ووضَّحَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فِي قَوْلِهِ [في « المُكَبَّرِيِّ » ٢٨٨/١ من الطويل] :

وَمَا قَتَلَ الْأَخْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتُهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّيْنِمَ تَمَرَّداً
وَوَضِعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَلَا مُضِرٌّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

وقوله [في « المُكَبَّرِيِّ » ١٣٦/٤ من الطويل] :

وَأَحْلُمُ عَنِ خِلِّي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى أَجْرُهُ حِلْمًا عَلَيَّ الْجَهْلُ يَنْدَمُ

وقوله [في « المُكَبَّرِيِّ » ١٨٥/٤ من الكامل] :

يَا مَنْ يُقْتَلُ مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ أَصْبَحْتُ مِنْ قِتْلِكَ بِالْإِحْسَانِ

وقوله [في « المُكَبَّرِيِّ » ٣٧٩/١ من الطويل] :

وَيَصْطَنِعُ الْمَعْرُوفَ مُبْتَدِئًا بِهِ وَيَمْنَعُهُ عَنِ كُلِّ مَنْ ذَمُّهُ حَمْدُ

وقوله [في « المُكَبَّرِيِّ » ٣١٠/٣ من الكامل] :

لَا يَشْهَرُونَ عَلَيَّ مُخَالِفِهِمْ سَيْفًا يَقُومُ مَقَامَهُ الْعَدْلُ

وفي البحثِ طولٌ وفَيْناهُ حَقُّهُ في « بلابلِ التَّغْرِيدِ » .

ولنُعْذِ إِلَى ما يَتَّصِلُ بِتَناقُضِ النَّاظِمِ ، فنقولُ :

عود على بدء

حُكْمِي : أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ رُمِّيَ عَلَى حِمَارٍ أَعْجَفَ ، فَقِيلَ لَهُ : تَرَكَبُ

الأصمعي وبراذيين

هَذَا بَعْدَ بَرَاذِيَيْنِ الْخُلَفَاءِ ؟ فَقَالَ [مَنْ الْكامل] :

الخلفاء

وَلَمَّا أَبَتْ إِلَّا أَنْصِرَامًا لِيُودِّهَا وَكَدَّرَتْ أَلْمَاءَ الَّذِي كَانَ صَافِيَا

شَرِبْنَا بِرَيْقٍ مِنْ هَوَاهَا مُكَدَّرٍ وَلَيْسَ يِعَافُ الرُّيْقُ مَنْ كَانَ صَادِيَا

وَلِلنَّاظِمِ فِيمَا يَقْرُبُ مِنَ الْأَخِيرِ قَوْلُهُ [فِي « الْمُكَبَّرِيِّ » ٢٨١/٢ مِنْ

الضرورات تبيح

المحظورات

المنسرح] :

غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبِلْتُ بِرَكَ بِنِي وَالْجُوعُ يُزِضِي الْأَسْوَدَ بِالْجِيفِ

ومثله قولٌ بعضهم [من مجزوء الكامل] :

خُذْ مَا آتَاكَ مِنَ اللَّثَا مِ إِذَا نَأَى أَهْلُ الْكِرَمِ

فَالْأَسْدُ تَفْتَرِسُ الْكِلَا بَ إِذَا تَعَدَّرَتِ الْغَنَمِ

وسألَ ابْنُ الرُّومِيِّ حَاجَةً مِنْ بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ ، فَقَضَاهَا لَهُ ، وَمَا

ابن الرومي يطلب

حاجة لا يتوقع قضاءها

كَانَ يَتَوَقَّعُ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَقَالَ [مَنْ الطويل] :

سَأَلْتُكَ فِي أَمْرٍ فَجُدْتَ بِبَدْلِهِ عَلَيَّ أَنِّي مَا خِلْتُ أَنَّكَ تَفْعَلُ

وَالزَّمْتَنِي بِالْبَدْلِ شُكْرًا وَإِنَّهُ عَلَيَّ مِنَ الْحِزْمَانِ أَدَهَى وَأَعْضَلُ

وَمَا خِلْتُ أَنَّ الدَّهْرَ يَتَّيْنِي بِصَرْفِهِ إِلَى أَنْ أَرَى فِي النَّاسِ مِثْلَكَ يُسْأَلُ

لِئِنْ سَرَّنِي مَا نِلْتُ مِنْكَ فَإِنَّهُ لَقَدْ سَاءَنِي إِذْ أَنْتَ مِمَّنْ يُؤَمَّلُ

وفيما يليقُ بِمَوْضُوعِ البَيْتِ الَّذِي نَتَكَلَّمُ فِيهِ ، يَقُولُ ابْنُ الرُّومِيِّ

ابتسام الأيام بعد

عبوسها

أَيْضًا فِي أَبِي الصَّقْرِ [فِي « دِيوانِهِ » ١٦٣٨/٢ مِنْ الوافر] :

غَدَا يَغْلُو الْجِيَادَ وَكَانَ يَغْلُو إِذَا مَا اسْتَفْرَةَ السَّبْتَ الرَّفَاقَا^(١)
 أَعْتَبَهَا الشُّسُوعُ فَإِنْ عَرَاهَا حِفَاءُ الْكَدِّ أَنْعَلَهَا طِرَاقَا
 فَزُوجَ بَعْدَ فَقْرٍ مِنْهُ نُعْمَى أَرَانِي اللَّهُ صُبْحَتَهَا طَلَاقَا

وقال آخر [من الخفيف] :

رجل خفيف الحمل

أُرَانِي أَرَى مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا وَيَمْلِكِي مَطِيَّةً غَيْرَ رَجْلِي
 وَإِذَا كُنْتُ فِي أَنَاسٍ فَقَالُوا قَرَّبُوا لِلرَّحِيلِ قَرَّبْتُ نَعْلِي
 حَيْثُمَا كُنْتُ لَا أَخْلَفُ رَحْلًا مَنْ رَأْنِي فَقَدْ رَأْنِي وَرَجْلِي

وكان لبعض الفقراء من متأخري أهل بلادنا جيراناً أغنياء ، فكان اللهم مثلنا أو مثلهم يقول من آخر الليل : (اللهم مثلنا أو مثلهم) ؛ يريد أن يفتقروا مثله أو يثرى مثلهم ، وكأنما أخذه من قول بعضهم ، وهو من مناسب الموضوع [من المتقارب] :

تَسَامَى الرَّجَالُ عَلَى خَيْلِهِمْ وَرَجْلِي مِنْ بَيْنِهِمْ حَافِيَةً
 فَإِنْ كُنْتُ حَامِلَنَا رَيْتَا وَإِلَّا فَأَرْجُلِ بَيْنِي الزَّائِيَةَ

وذكروا : أن بعضهم رأى أحد بني هشام بن عبد الملك ، وعلى ظهره قرية ، فقال له : بعد الخلافة تكون على هذا الحال ؟ قال : لم يذهب إلا الفضول

ورأى ابنُ اللَّبَّانَةِ فخرَ الدولةِ ابنَ المعتمدِ بنِ عَبَّادٍ ، وقد جلسَ فخر الدولة ابن المعتمد يتعمم الصياغة

(١) استفرة : تخيرَ الجيد . السبث : النعالُ المصنوعةُ منَ الجلدِ المدبوغِ .
 الرفاق : كناية عن الجديد من النعال ؛ لأنها لا رقة فيها .

في السوق ليتعلم الصياغة ، وهو ينفخ الفحم بالقصبية ، فقال [كمانى
 « نفع الطيب » ٩٧/٤ من البسيط] :

شَكَاتْنَا لَكَ يَا فَخْرَ الْعُلَا عَظَمْتَ وَالرُّزْءُ يَعْظُمُ فَيَمْنُ قَدْرُهُ عَظَمًا
 طَوَّقْتَ مِنْ نَائِبَاتِ الدَّهْرِ مُخْنِقَةً ضَاقَتْ عَلَيْكَ وَكَمْ طَوَّقْنَا نِعَمًا
 صَرَفْتَ فِي آلَةِ الصَّوَاغِ أَنْمَلَةً لَمْ تَذَرِ إِلَّا التَّدْيِ وَالْكَسِيفَ وَالْقَلَمَا
 يَدُ عَهْدَتِكَ لِلتَّقْيِيلِ تَبْسُطُهَا فَتَسْتَقِيلُ الثَّرِيًّا أَنْ تَكُونَ فَمَا
 يَا صَائِعًا كَانَتْ الْعَلِيَا تُصَاغُ لَهُ حُلِيًّا وَكَانَ عَلَيْهِ الْحُلِيُّ مُنْتَظَمًا
 لِلتَّنْفِخِ فِي الصُّورِ هَوْلٌ مَا حَكَاهُ سَوَى هَوْلٌ رِثَاتِكَ فِيهِ تَنْفُخُ الْفَحْمَا
 وَدِدْتُ إِذْ نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْكَ بِهِ لَوْ أَنَّ عَيْنِي تَشْكُو قَبْلَ ذَاكَ عَمَى
 مَا حَطَّكَ الدَّهْرُ لَمَّا حَطَّ عَنْ شَرَفِ وَلَا تَحَيَّفَ مِنْ أَخْلَاقِكَ الْكِرْمَا
 لُحْ فِي الْعُلَا كَوَكْبًا إِنْ لَمْ تَلُحْ قَمْرًا وَقُمْ بِهَا رَبُوءَةٌ إِنْ لَمْ تَقُمْ عَلَمًا
 وَأَضْبِرْ فَرُبُّنَمَا أَحْمَدْتَ عَاقِبَةً مَنْ يَلْزِمُ الصَّبْرَ يَحْمَدُ غَيْبَ مَا لَزِمَا
 وَاللَّهِ لَوْ أَنْصَفْتِكَ الشُّهْبُ لَانْكَسَفَتْ وَلَوْ وَفَى لَكَ دَمْعُ الْعَيْنِ لَانْسَجَمَا
 أَبْكِي حَدِيثُكَ - حَتَّى الدَّرَّ - حِينَ غَدَا يَخْكِيكَ رَفْطًا وَالْفَاطَا وَمُبْسَمَا

تغير احوال ام جعفر ودخلت أم جعفر البرمكي - في يوم عيد - على بعض
 البرمكي الهاشميين ، فقالوا لها : صفي لنا حالك ، قالت : لا أزيدكم على
 أنه مضى عليّ مثل اليوم في العام الماضي وعلى رأسي مئة وصيفة ،
 وعندى مئة ألف دينار ، وأنا أعدُّ ولدي مقصراً في حقي ، واليوم
 أطلبُ درهماً أتبلغُ به في عيدي .

قصة عجيبة على تغير وقال محمد بن يزيد الشاعر : دعاني الفضل بن يحيى ذات ليلة
 الأحوال إلى دار له واسعة مؤثثة بأجمل الرياش ، وإذا هي غاصة بالعلماء

والشعراء والأمرء والخاصّة والأعيان ، وأخرج مولودٌ عن يمين
الفضل ، فقريء القرآن حتى انتهوا من الختمة ، فقام الشعراء
والخطباء ، ونثرت الدنانير ولم يحضرني غير قولي [من الطويل] :

وَنَفَّرِحُ بِالْمَوْلُودِ مِنْ آلِ بَرِّمَكِ وَلَا سِيَّمًا إِنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ الْفَضْلِ
وَيُعْرِفُ فِيهِ الْخَيْرُ حَالَ وُجُودِهِ بِسِيَّمِ الْعُلَا وَالْمَجْدِ وَالْجُودِ وَالْبَدْلِ

فأمر لي بعشرة آلاف دينار ، وقال : خذها يا محمد ، فهي أول
حقك ، فخرجت وأنا من أشد الناس فرحاً ، وتأكلت المال
والعقار ، ونعم عيشي ، وطاب لي زماني ، ثم لم تطل الأيام حتى
حلّت بهم النازلة . ودخلت الحمام بعد ذلك ، فأشار قيّمه على
صبي حسن الوجه من الخدم أن يذلك بدني ، فتذكرت البرامكة
وأيامهم ؛ لأنهم سبب نعمتي ، فأنشدت البيتين ، فأندهش الصبي ،
وسالت دموعه ، وسقط مغشياً عليه ، فظننت به الجنون ، وعاتبنت
القيّم ، ولما أفاق ، وسألناه عن أمره . . أمتنع ، وبعد الإلحاح
قال : أنا ذلك المولود الذي أنشدت فيه الشعر ، وقد صرّت إلى ما
ترى ، فعرضت عليه أن أنزل له عن جميع مالي ؛ إذ لا وارث لي
على أن أعيش ما بقي من حياتي في كنفه ، فأبى ، وقال : معاذ الله
أن أرزأك شيئاً ممّا حولك أبي ، وكان آخر عهدي به .

ولما جاء النعمان بن بشير يخطب الرقة ابنة النعمان بن المنذر . .
الرقبة ابنة النعمان بن المنذر
ردته ، وقالت له : كبرت عن النكاح ، وإنما أرذت بنكاحي
الفخر ؛ لتقول : أخذت مملكة النعمان ، وتزوجت بنته ، فقال
لها : صفي لنا ما رأيت ، فأنشدت [من الطويل] :

فَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهَا سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ

فَأَفْ لِدُنْيَا لَا تَدْوُمُ بِحَالَةٍ تَقْلَبُ تَارَاتِ بِنَا وَتُصَرَّفُ

ويروى : أن موسى بن نصير فاتح (الأندلس) كانت تُرْفَعُ لَهُ الذخائرُ ، فيرمي بالذهبِ والفضةِ ، ولا يلتقطُ إلا ما كانَ مِنَ الجواهرِ المُثَمِّنَةِ ، ثُمَّ آلَ بِهِ الحَالُ إِلَى أَنْ صَارَ يَتَسَوَّلُ^(١) (الطائف) ، وَإِذَا وَقَعَ لَهُ الدرهمُ . . سُرَّ بِهِ ، حَتَّى مَلَأَهُ حَبِيئُهُ ، وبعدهُ قَرِيْبُهُ ، وماتَ على ذلك .

موسى بن نصير وتغير حاله

ولا حاجة للبعد في أستخراج العبرة ، وقد رأيتُ زوجَ آخرٍ ملوكِ آلِ عثمانَ تطلبُ الصدقةَ في (سنكافورة)^(٢) ، فسبحانَ مَنْ لا يزولُ ملكُهُ .

زوجة ملك تطلب الصدقة

ورأيتُ قصرَ الأميرِ الخطيرِ عبدِ اللهِ بنِ عليِّ العولقيِّ خراباً يباباً في (حيدرَ آبادَ الدكن) [من الطويل] :

القصر الخرب

أَمْسَى خَلَاءً وَأَمْسَى أَهْلُهُ أَحْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهِ الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ^(٣)

مَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الثَّرْوَةِ وَضخامةِ المُلْكِ ، وما بالعهدِ مِنْ قَدَمٍ ؛ فَإِنَّمَا كَانَتْ وفاتهُ سنةَ : (١٢٨٤ هـ) ، وَلَمَّا أَقْتَرَبَ أَجَلُهُ . . قَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ : أَعْلَمُوا أَنِّي تَرَكْتُ لولدي محسنٍ عشرينَ ألفَ ألفِ

(١) وسببه : أنه لم يؤخّرُ فتح (الأندلس) ليكون في عهد ولي العهد ، وهكذا الأيام .

(٢) أي : (سنغافورة) البلد المعروفة .

(٣) أخنى عليه : أهلكه . لُبْدٌ : تزعمُ العربُ أَنَّ لقمانَ هو الذي بعثتهُ عادُ في وفديها إلى الحرمِ يستسقي لها فلما أهلكوا . . خَيْرَ لقمانَ بين بقاءِ سبعِ بمراتٍ سمرٍ من أظبِ عفرٍ في جبلٍ وعِرٍ لا يمسها القطرُ أو بقاءِ سبعةِ أنسرٍ كلما هلكَ نسرٌ . . خلفَ بَعْدَهُ نسرٌ ، فاختارَ النسور ، فكانَ آخرُ نسوره يسمي لبدأً ؛ لبقائه ، لأنه لَبْدٌ فبقي لا يذهب ولا يموت ، ومنه المثل : طَالَ الأبدُ على لَبْدٍ .

رُوبِيَّةٌ نَقْدًا ، فَضْلًا عَمَّا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْعِقَارِ وَالْأَثَاثِ
وَالْمَجُوهَرَاتِ ، ثُمَّ إِنْ كَانَ فَحْلًا . . . فَلَنْ يَحْتَاجَهَا ، وَإِنْ كَانَ
فَسْلًا^(١) . . . فَلَنْ تَنْفَعَهُ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

فَأَضْحَوْا حَدِيثًا كَالْمَنَامِ وَمَا أَنْقَضَى فِسْيَانَ مِنْهُ يَفْظَةُ وَمَنَامٌ
وَمَا كَانَ أَحَقَّهُ بِقَوْلِ بَعْضِهِمْ [مِنَ الْكَامِلِ] :

يَا مَنَزِلًا عَبَثَ الزَّمَانُ بِأَهْلِهِ فَأَبَادَهُمْ بِتَفَرُّقِي لَا يَجْمَعُ
أَيْنَ الَّذِينَ عَاهَدْتُهُمْ بِكَ مَرَّةً كَانَ الزَّمَانُ بِهِمْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ ؟^(٢)
وقول الآخر [مِنَ الْبَسِيطِ] :

بِاللَّهِ رَبِّكَ كَمْ قَصُرَ مَرَزَتَ بِهِ قَدْ كَانَ مَلَانَ بِاللَّذَاتِ وَالطَّرَبِ
نَادَى غُرَابُ الْمَنَائِيَا فِي جَوَائِهِ وَصَاحَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ^(٣)

ويُحْكِي 'كما في' «وفيات الأعيان» ١١٠/٥ : أَنَّ الصَّاحِبَ بْنَ عَبَّادٍ مَرَّ
بِدَارِ ابْنِ الْعَمِيدِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَقَالَ [مِنَ الْخَفِيفِ] :

أَيُّهَا الرَّبِيعُ لِمَ عَلَاكَ أَكْتِابُ أَيْنَ ذَلِكَ الْحِجَابُ وَالْحُجَابُ ؟
أَيْنَ مَنْ كَانَ يَفْرَعُ الدَّهْرُ مِنْهُ إِنَّهُ الْيَوْمَ فِي الْكُثْرَابِ تُرَابُ
قُلِّ بِلَا رَقَبَةٍ وَدُونَ أَحْتِشَامِ مَاتَ مَوْلَايَ فَأَعْتَلَانِي أَكْتِابُ

قال ابنُ خَلِّكَانَ [في] «وفيات الأعيان» ١١٠/٥ : ومثلُ هذهِ الحكايةِ ما
ذكره عليُّ بنُ سليمانَ ، قالَ : رأيتُ بـ (الرَّيِّ) دارَ قومٍ لم يبقَ منها
إِلَّا رَسْمُ الْبَابِ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ [مِنَ الْمُنْسَرَحِ] :

(١) الْفَسْلُ مِنَ الرِّجَالِ : الرَّذْلُ النَّذْلُ الَّذِي لَا مَرُوءَةَ لَهُ .

(٢) الْحَرْبُ : الْهَلَاكُ .

إِعْجَبَ لِصَرْفِ الدُّهُورِ مُعْتَبِرًا فَهَلِذِهِ الدَّارُ مِنْ عَجَائِبِهَا
عَهْدِي بِهَا وَالْمُلُوكِ زَاهِيَةً قَدْ سَطَعَ الثُّورُ مِنْ جَوَانِبِهَا
تَبَدَّلَتْ وَخَشَةَ بِسَاكِنِهَا مَا أَوْحَشَ الدَّارَ بَعْدَ صَاحِبِهَا

قصر ابن سيكتكين وأجتاز بعض الأفاضل بقصر ابن سُبُكْتِكَيْنَ بعد موته ، وقد
تَشَعَّثَتْ فَأَنْشَدَ [مَنْ الطويل] :

عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ مِنْ مَنْزِلِ قَفْرِ فَقَدْ هِجْتَ لِي شَوْقًا قَدِيمًا وَمَا تَذْرِي
عَهْدُكَ مِنْ شَهْرِ جَدِيدًا وَلَمْ أَخْلُ صُرُوفَ الرَّدَى تُبْلِي مَعَانِكَ فِي شَهْرِ^(١)

وما أحسن قول بعضهم [مَنْ البسيط] :

إِنْ شِئْتَ أَنْ لَا تَرَى صَبْرًا لِمُضْطَبِرٍ فَأَنْظِرْ عَلَيَّ أَيَّ حَالٍ أَصْبَحَ الطَّلَلُ
ويأتي ما يتصل بهذا في شرح قوله [في «العكبري» ٣٣٤/٢ من
الكامل] :

أَيْنَ الْأَكَاسِرَةُ الْجَبَابِرَةُ الْأَلْسَى كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا بَقِينَ وَلَا بُقُؤًا؟
وَأَذَكُرُ فِي الْكِتَابِ^(٢) أَمِيرَ (كَابِلَ) الَّذِي بَحَثَ عَنِ حَنْفِهِ
بِظَلْفِهِ^(٣) ، وَجَدَعَ مَارِنَ أَنْفِهِ بِكَفِّهِ^(٤) ، وَبَاءَ بِالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ ،
وَضِيَعِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَبَعْدَ أَنْ كَانَ يَغْبِطُهُ مَنْ رَأَاهُ ، أَوْ سَمِعَ
بِنِعْمَتِهِ . . تَبَّرًا مِنَ الْإِسْلَامِ ، فَطُرِدَ عَنِ الْمُلْكِ ، وَسَلِبَ الْمَالَ ،

أمير (كابيل)

(١) القصة في «وفيات الأعيان» ١٧٦/٥ .

(٢) هذا اقتباس حسن تكرر في القرآن الكريم .

(٣) بظلفه : بقدمه ، وقال أحدهم بمعناه :

إلى حنفي مشى قدمي أرى قدمي أراق دمي

(٤) قالت الزبارة : (لأمر ما جدع قصير أنفه) ، فضربت مثلاً .

وصار يرثي له كلُّ مَنْ رآه ، ولَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى^(١) .

ومع هذا فقد أخبرني الفاضلُ الثقةُ السيّدُ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ محمد علي باشا وأمان الرحمن بن طاهر ، عَنْ مُحَمَّدِ عَلِيِّ بَاشَا بْنِ تَوْفِيْقِ بَاشَا خَدَّيْوِيِّ (مصرَ) السابقِ : أَنَّهُ قَالَ : بَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي (بَارِيْزَ)^(٢) . . . إِذْ جَاءَ أَمَانُ اللهِ - وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدِ دَوْلَتِهِ - فِي أَتْبَاعِهِ وَحَشَمِهِ بِأَلْبَسْتِهِمُ الْوَطَنِيَّةَ وَشَعَائِرَهُمُ الْإِسْلَامِيَّةَ فَاسْتَلْفَتُوا الْأَنْظَارَ ، وَمَلَّؤُوا الصَّدُورَ ، وَاسْتَحَقُّوا الْإِعْجَابَ ، وَكَانُوا مَوْضِعَ الْأَحْتِرَامِ ، وَزَادَ الطُّيْنُ بَلَّةً أَنْ دَخَلَ وَقْتُ الْمَغْرَبِ . . . فَاسْتَهَلَّ مُؤَدِّئُهُ ثُمَّ أَقَامَ ، وَدَخَلُوا فِي الصَّلَاةِ ، فَبَادَرَتْ رِجَالُ الْحُكُومَةِ بِالْحَرَسِ ؛ لِمَنْعِ النَّاسِ عَنِ الْمُرُورِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ؛ أَحْتِرَاماً لَهُمْ وَلِدِينِهِمْ ، فَصَارُوا حَدِيثَ النَّوَادِي ، وَمَحَلَّ اسْتِحْسَانِ الْقَوْمِ وَإِعْظَامِهِمْ ، قَالَ مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ : فَلَا تَسْلُ عَمَّا دَاخَلَنِي مِنْ حَسَدٍ لَهُمْ ، وَأَنْكَسَارٍ فِي نَفْسِي ، وَأَحْتِقَارٍ لِرِزْبِي الْإِفْرَنْجِيِّ ، مَعَ أَنَّ بِلَادِي أَعْظَمُ سُلْطَاناً مِنْ بِلَادِهِمْ ، وَمَا رَفَعَهُمْ إِلَّا الْتَمَسُّكَ بِتَقَالِيدِ بِلَادِهِمْ وَدِينِهِمْ .

ثُمَّ أَرْجِعُ النَّظَرَ فِي حَالِ أَمَانِ اللهِ خَانَ وَصِيورِ أَمْرِهِ ، فَلَقَدْ أَتَّضَعَ مِنْ حَيْثُ أَرْتَفَعَ ، وَأَنْدَفَعَ مِنْ حَيْثُ أَتَّضَعَ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَثَرَاتِ

(١) ونحو قول الآخر:

أخذت بالجمة رأساً أزعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمراً حيدرأ كما اشترى المسلم إذ تنصرا
الأزعر: قليل الشعر. الدردر: مغارز أسنان الطفل. الحيدر: القصير.

المتنصر: هو جبلة بن الأيهم ارتد بعد إسلامه ، وعاد إلى كفره .

(٢) أي : (باريس) عاصمة (فرنسا) .

الشَّوْر^(١) ، ومن الحَوْرِ بعد الكَوْرِ^(٢) .

ركب النميري ثمَّ إِنِّي ذَكَرْتُ بتعاضدِ الناظِمِ عَنْ غيرِ حَقِيقَةِ قَوْلِ التَّمِيمِيِّ [مَنْ الطَّوِيلُ]:
وَلَمَّا رَأَتْ رَكَبَ التَّمِيمِيِّ أَعْرَضَتْ وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ
فَقَدْ أَحْفَاهُ السُّؤَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مِرْوَانَ عَنْ ذَلِكَ الرَّكْبِ ، فَقَالَ
لَهُ : لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَتَانُ ضَالِعٌ .

الجيش الكبير وقول ليلى لأبيها : أَرَأَيْتَ قَوْلَ أَبِيكَ [مَنْ الطَّوِيلُ] :
بَجِيشٍ تَظَلُّ أَلْبَلُقُ فِي حُجْرَاتِهِ يَبْتَرِبُ أَخْرَاهُ وَبِالشَّامِ قَادِمُهُ
كَمْ كَانَ عَدْدُهُ ؟ قَالَ : أَنَا وَإِيَّاهُ وَأَخْوَكِ فَلَانَ وَمَعَنَا اثْنَانِ .

ابن الحجّام وقول ابنِ الحَجَّامِ^(٣) [مَنْ المَنْسُوحُ] :
أَنَا [أَبْنُ] مَنْ دَانَتْ الرِّقَابُ لَهُ مَا بَيْنَ مَخْرُومِهَا وَهَاشِمِهَا
تَأْتِي إِلَيْهِ الْأَنْسَامُ طَائِعَةً يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دِمِهَا

ابن الفوَالِ وقول ابنِ الفَوَالِ^(٤) [مَنْ الطَّوِيلُ] :
أَنَا ابْنُ الَّذِي لَا يُنْزَلُ الدَّهْرُ قَدْرَهُ وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُوذُ

(١) الشَّوْرُ : الرأْيُ بالحضرمية ، وكأنه مأخوذ من المشورة .

(٢) الحَوْرُ بعد الكَوْرِ : النقصان بعد الزيادة .

وهو من دعائه ﷺ الثابت من حديث عبد الله بن سرجس عند مسلم (١٣٤٣) والترمذي (٢٤٣٩) ، والنسائي (٥٥٠٠) ، وابن ماجه (٣٨٨٨) وغيرهم . وفيه رواية بالنون (بالكون) بدل الراء ، فمعنى الكور: اللَّفُّ والجمع ، والكون: الوجود والاستقرار .

(٣) الذي يحجم الناس .

(٤) الذي يبيع الفوال .

وقال ابنُ خَلْكَانَ [في «وفيات الأعيان» ٥٧/٧]: قالَ عَوْتُ بْنُ الزَّرْعِ : القبران المشاتمان
 حدَّثني مَنْ رَأَى بـ (الشام) قبرا مكتوبا عليه : لا يَغْتَرُّنَّ أَحَدٌ بِالدُّنْيَا ؛
 فَإِنِّي أَبْنُ مَنْ كَانَ يُطَلِّقُ الرِّيحَ إِذَا شَاءَ ، وَيَحْسِبُهَا إِذَا شَاءَ ، وَيَبْزِئُهُ قَبْرٌ
 مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : كَذَبَ الْمَاصِئُ بَطْرَ (١) أُمِّهِ لَا يَظُنُّ أَحَدًا أَنَّهُ ابْنُ سَلِيمَانَ بْنِ
 دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، إِنَّمَا هُوَ ابْنُ حَدَّادٍ يَجْمَعُ الرِّيحَ فِي الزُّقِّ ، ثُمَّ يَنْفُخُ
 بِهَا الْجَمْرَ ، قَالَ : فَمَا رَأَيْتُ قَبْرَيْنِ قَبْلَهُمَا يَتَشَاتَمَانِ .

والكلامُ في النعلِ يطولُ ، وقد أَفْرَدتُ بِالتَّأْلِيفِ . وفي الكلامِ على النعلِ
 « حاشيتي » على « الشمائلي » جملةٌ صالحةٌ مِنْهُ ، في ضَمْنِهِ قَوْلُ
 « النحفة » : ووردَ : « أمشوا حفاةً » (٢) وفي روايةٍ أَنَّهُ ﷺ مشى
 حافياً ، وقد يُؤخَذُ مِنْهُ تَدْبُّ الحَفَاءِ في بعضِ الأحوالِ بقصدِ
 التواضعِ ، حيثُ أَمِنَ مُؤذِباً وتنجيساً ، ولو أحتَمالاً ، ويؤيِّدُهُ نَدْبُهُ
 لِنَحْوِ دُخُولِ (مَكَّةَ) بِهَذِهِ الشُّرُوطِ . انتهى .

وَمِنْ مَحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ ، وَأَعْتِنائِهَا بِالْعَدْلِ : كَرَاهَةُ المَشْيِ فِي
 نَعْلِ وَاحِدَةٍ .

وَمِنْ مَمَادِحِ العَرَبِ رِقَّةُ النِّعَالِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ [النابغة الذبياني في من الممادح رقة النعال
 « ديوانه » من الطويل] :

رَقَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حُجْرَاتُهُمْ يُحَيِّوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ (٣)

- (١) البظر: الشفر ، وهو بطرف فرج المرأة .
- (٢) ثبت عن أبي هريرة عند البخاري (٥٨٥٥) ، ومسلم (٢٠٩٧) قوله ﷺ : لا
 يمش أحداكم في نعل واحدة ، لينعلهما جميعاً ، أو ليخلعهما جميعاً .
- (٣) الحجزة : العشرة يحتج بها ، أي يُمتنعُ . ورجلٌ طيبُ الحجزة عفيفٌ .
 السباسبُ : أيامُ السقانين ، وهو عيدٌ للضارئ ، وفي الحديث : « إنَّ الله =

ومنها لبس السبتية ولبسُ السَّبِيَّةِ منها ، كما قالَ عنتَرُ [في «ديوانه» ٦٥ من الكامل] :

بَطَلٍ كَأَنَّ تِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يَخْذِي نِعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ^(١)
وَالسَّبْتُ : جِلْدُ الْبَقْرِ الْمَدْبُوعَةِ الَّتِي لَا تَقْرُبُهَا الْكَلَابُ إِذَا
أَبْتَلَتْ ؛ لِإِتْقَانِ دَبِغِهَا .

رقعة النعل كناية عن سلامتها
وأَمَّا رِقَّةُ النَّعْلِ : فَكِنَايَةٌ عَنِ سَلَامَتِهَا مِنَ الرَّقَاعِ ؛ لِأَنَّهِمْ مَلُوكٌ لَا
تُخَصِّفُ نِعَالَهُمْ ، وَإِنَّمَا تُخَصِّفُ نَعْلُ مَنْ يُكثِرُ الْمَشْيَ ، وَمِثْلُهُ
قَوْلُهُمْ : (فَلَانٌ مُسَمِّطُ النَّعْلِ) ؛ يَعْنُونَ أَنَّ نَعْلَهُ طَبَقَةٌ وَاحِدَةٌ غَيْرُ
مَخْصُوفَةٍ . قَالَ الْمَرَارُ الْفُقَعَسِيُّ [مِنَ الْوَارِثِ] :

وَجَدْتُ بَيْنِي خَفَاجَةً فِي عَقِيلٍ كِرَامَ النَّاسِ مُسَمِّطَةَ النَّعَالِ

* * *

= تعالَى أَبْدَلَكُمْ يَوْمَ السَّبَاسِ بِيَوْمِ الْعِيدِ .
(١) مَدْحَةٌ بِأَرْبَعِ خَصَالٍ كِرَامٍ : إِحْدَاهَا : أَنَّهُ جَعَلَهُ بَطْلًا شَجَاعًا ، الثَّانِيَةُ : أَنَّهُ جَعَلَهُ
طَوِيلًا ، شَبَّهَهُ بِالسَّرْحَةِ ؛ وَهِيَ : شَجَرٌ عِظَامٌ طَوَالٌ ، الثَّلَاثَةُ : أَنَّهُ جَعَلَهُ
شَرِيفًا ؛ لِلبسِ نِعَالَ السَّبْتِ ، الرَّابِعَةُ : أَنَّهُ جَعَلَهُ مُتَفَرِّدًا لَا مِثْلَ لَهُ .

المجلس الثالث

[قال أبو الطيب المتنبّي في «العُكْبَرِيّ» ٣٠٤/١ من المنسرح]:

لَهُ أَيَادٍ عَلَيَّ سَابِقَةٌ أَعَدُّ مِنْهَا وَلَا أَعُدُّهَا

الأيادي : جمعُ يدٍ ، وهي النُّعْمَةُ ؛ لأنها التي تُجمعُ هذا شرح المطلاع
الجمعَ بخلافِ الجارحةِ ، فإنَّها لا تُجمعُ عليه ، وزعمَ بعضهم أنَّها
تُجمعُ عليه أيضاً ، وذكروا له أمثلةً لا يحضرني منها الآن شيءٌ .

أما قوله : (أَعُدُّ) فيروى بفتح الهمزة [أَعُدُّ] ، وهو من قوله الروايات في المطلاع
تعالى : ﴿ وَإِنْ نَعَدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم : ٣٤] ، ويروى
بضمِّها مبنيةً للمفعول ، ونائبُ الفاعلِ مستترٌ تقديرُهُ (أنا) ؛ يعني :
أَنَّ نَفْسَهُ مَعْدُودَةٌ مِنْ جَمَلَةِ نِعَمِ الْمَدْرُوحِ ، فهو كقولِ شاعرِ الحماسَةِ
[من السريع] :

لَا تَنْتَفِئُنِي بَعْدَ أَنْ رَشْتَنِي فَإِنِّي بَعْضُ أَيَادِيكََا

وقد تلاعبَ بهذا المعنى في «ديوانه» فقال [في «العُكْبَرِيّ» ٣٨٠/٢ تلاعب المتنبّي في
معنى الجود من البسيط] :

مَا زِلْتُ تُتَبِّعُ مَا تُؤَلِّي يَدَا بِيَدٍ حَتَّى ظَنَنْتُ حَيَاتِي مِنْ أَيَادِيكََا

وقال [في «المكبري» ٢٠٥/٤ من الكامل] :

فَأَغْفِرْ فِدَى لَكَ وَأَحْبِبِي مِنْ بَعْدِهَا لَتُخْصِنِي بِعَطِيَّةٍ مِنْهَا أَنَا

وقال [في «المكبري» ٣٤٧/١ من المتقارب] :

وَفِي جُودِ كَفِّكَ مَا جُدْتَ لِي بِنَفْسِي وَلَوْ كُنْتُ أَشَقَى ثُمُودَ

وقال العتابي [من البسيط] :

مَا زِلْتُ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ مُطْرَحاً يَضِيقُ عَنِّي وَسِيعُ الرَّأْيِ مِنْ حَيْلِي
فَلَمْ تَزَلْ دَائِباً تَسْعَى بِلُطْفِكَ لِي حَتَّى أَنْتَزَعْتَ حَيَاتِي مِنْ يَدَيَّ أَجْلِي

أن تكون واحدة من
حسنات معدوحك عند
الشعراء

وقال غيره [من البسيط] :

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَبْخُلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ مَالِي قَدَمًا قَدْ حَقَنْتَ دَمِي

وقال أبو تمام [من البسيط] :

رَدَدْتَ رَوْنَقَ وَجْهِي فِي صَحِيفَتِهِ رَدَّ الصَّقَالِ بِهَاءِ الصَّارِمِ الْخَدِمِ
وَمَا أَبَالِي وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِي أَوْ حَقَنْتَ دَمِي

وقال [من الطويل] :

عَطَاؤُكَ لَا يَفْنَى وَتَسْتَعْرِقُ الْمُنَى وَتَبْقَى وَجُوهُ الرَّاغِبِينَ بِمَائِهَا

ويروى [كما في «تاريخ بغداد» ١٠٦/١٣] : أَنَّ مَصْعَبَ بْنَ الزَّبِيرِ أَمَرَ بِقَتْلِ

مصعب بن الزبير
وجوده على بعض من
حاربه

أَحَدٍ مِّنْ حَارِبِهِ مَعَ الْمُخْتَارِ ، فَقَالَ : أَتَرْضَى أَنْ أَتَلَقَّ بِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،

وَأَنْتَ عَلَيَّ مَا نَرَى مِنْ هَذَا الْجَمَالِ الْبَاهِرِ ، وَأَقُولُ : سَلْ مَصْعَبًا فِيمَ

قَتَلَنِي ؟ فَقَالَ : أَطْلِقُوهُ ، قَالَ : أَجْعَلْ مَا وَهَبْتَ لِي مِنْ عُمْرِي فِي عَيْشِ

طَيْبٍ ، فَأَمَرَ لَهُ بِمِئَةِ أَلْفٍ ، قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، أَشْهَدُكَ أَنَّ نِصْفَهَا

لِقَيْسِ الرُّقِيَاتِ ؛ لِقَوْلِهِ فَيْكَ [في «ديوانه» ٩١ من الخفيف] :

إِنَّمَا مُضَعَبٌ شَهَابٌ مِّنَ اللَّيْلِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
فضحك مصعبٌ ، وقال : لقد أطففت ، وإنَّ فيكَ لموضعا
للصنعية ، وأمرَ لقيسٍ بخمسين ألفاً ، وترك مئة بحالها .

ويُحكى [كما في «المستطرف» ٣٠١/١] : أنَّ بعضَ الشيعة سعى
للخروج في أيام الدولة العباسية ، فجعل الخليفة فيه مئة ألف
درهم ، فأخذهُ رجلٌ من (بغداد) ، فمرَّ به معن بن زائدة ، فقال :
يا أبا الوليد أجزني . . أجازك الله ، فقال معن للرجل : خلَّ عنه ،
فقال : إنَّه طلبه أمير المؤمنين ، قال : خلَّ سبيله ، فأبى ، فخلَّصه
منه قهراً ، وأردفه خلف بعض أعوانه ، وذهب الرجل للخليفة ،
فأستدعى معنًا ، ولما حضر . . قال له : أتجير عليّ ؟ قال : نعم ،
قتلتُ في طاعتِكُم خمسة عشر ألفاً بـ (حضر موت) في يوم واحد^(١)
، فما تروني أهلاً لأن أُجيرَ واحداً علَّق بي رجاءه ؟ فأستحيا
الخليفة ، ثمَّ قال : قدَّ أجرنا من أجرت يا أبا الوليد ، قال : إن رأيتُ
أمير المؤمنين أن يصلَ جاري ، فأمر له بخمسين ألفَ درهم ، فقال
معن : إنَّ ذنبه عظيمٌ ، وينبغي أن تكونَ صلواتُ الخلفاءِ على قدرِ
الجرائمِ ، فقال : قد جعلتها مئة ألفٍ ، فرجع معن إلى منزله ،
ودفع المالَ للرجل ، وحدَّره من مساخطِ الملوكِ .

ولما أفضت الخلافة إلى بني العباس . . اختفى بنو أمية حتى أخذوا
من السقاح الأمان ، فحضر عنده إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك ،
وكان عالماً أديباً ، فسأله السقاح عن أعجب ما مرَّ به في تغيُّبه ، قال :
يستجير عند رجل قد قتل أباه

(١) وفي «المستطرف» : خمسة آلاف .

بيننا أنا بـ (الحيرة) . . نظرتُ الأعلامَ السودَ خارجةً منَ (الكوفة) ،
فوقعَ لي أنّها تريدُني ، فخرجتُ متنكراً ، حتّى أتيتُ (الكوفة) لا
أعرفُ أحداً ، فتحيرتُ ، ثمَّ ظهرَ لي بابٌ واسعٌ ، وإذا رجلٌ وسيمٌ
حسنُ الهيئَةِ ، فقالَ لي : مَنْ أنتَ ؟ قلتُ : غريبٌ خائفٌ مستجيرٌ
بك ، قالَ : أدخلْ ، ولكَ الأمانُ ، فدخلتُ ، وأكرمَ مثوايَ ، ولمَّ
يسألني عن شيءٍ من أمري ، ورأيتُهُ يركبُ في كُلِّ غداةٍ ، فسألتهُ ،
فقالَ : ذكّرَ لي أنّ إبراهيمَ بنَ سليمانَ مخفٍ بهذا الطرفِ ، وقد قتلَ
أبي صبراً^(١) ، فأنا أركبُ في طلبِ ثأري منه ، فأيقنتُ أنّ القدرَ
ساقني إلى الهلاكِ ، وسألتهُ عن اسمِ أبيه ، حتّى عرفتُ صحّةَ ما
يقولُ ، فقلتُ له : قد وجبَ حقُّك عليّ ، وإنّ منه أن أدلكَ على
خصمِكَ ، ألا وإنّه الذي يكلمُك ، فأفعلْ ما تحبُّ ، فقالَ : أحسبُ
الزمانَ أضربُك ، فأحببتُ الراحةَ منَ الحياةِ ، فقلتُ : كلاً ، ولكن
صدقتُك ، فلمّا استيقنَ الأمرَ . . أريدُ^(٢) وجههُ وتغيّرَ لونهُ ،
وأحمرّتْ عيناهُ ، وأطرقَ ملياً ثمَّ قالَ : أمّا أنتَ ستلقني أبي عندَ حكَمِ
عدلٍ ، يأخذُ بثأره مِنك ، وأمّا أنا فلا أخفِرُ ذمتي ، ولكن لا آمنُ
عليكَ نفسي ، فإن شئتَ أن تنصرفَ آمنأ إلى حيثُ تحبُّ ، وأعطاني
ألفَ دينارٍ ، فاعتذرتُ إليه من قبوله ، وأنصرفتُ ، فهذا أكرمُ رجلٍ
رأيتُهُ بعدَ أميرِ المؤمنينَ .

وفاء الحارث بن عباد
للمهلهل بعد قدرته
عليه

وَأقولُ : إنّ في تأخّرِ معرفةِ إبراهيمَ بصاحبِ الدارِ لنعواً منَ
الأنظرِ . والقصةُ أشبهُ بقصةِ الحارثِ بنِ عبّادٍ ، وقد قدّرَ عليّ

- (١) القتلُ صبراً : هو أن يُحبسَ ويُرمَى حتّى يموتَ .
(٢) أريدُ وجهه : تغيّرَ من الغضبِ وصارَ كلونِ الرمادِ .

مهلهل ، وهو لا يعرفه ، وطلب منه أن يدلّه على مهلهل بشرط
الأمان ، فاستعرف عليه ، فجزّ ناصيته ، وأطلقه ، وهو قاتلُ ابنه
بُجَيْر ، وقال في ذلك [من الخفيف] :

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَقَدْ أَسَدَ قَبَّ لِلْمَوْتِ وَأَخْتَوْتُهُ الْيَدَانِ (١)
وَعَدِيٌّ هُوَ أَسْمُ الْمَهْلِهِلِ .

إلّا أنّ صاحبَ إبراهيمَ منّ من غيرِ شرطٍ بخلافِ الحارثِ ،
وقصّةُ ابنِ زائدةَ أيامَ اختفائه من بني العباسِ مع الجندي الذي
أمسكه ، ثمّ منّ عليه وصغّره في نفسه مشهورة .

وظفر المهلبُ بخارجي يُريدُ اغتياله ، فقال له : قد ثبتَ كيدُك
لنا ، فأختر أيّ قتلةٍ تريدُ ، قال : سيفٌ ماضٍ لا يَنْبُو ، أو عطفةٌ ^{قتله}
كريمٌ تحترقُ الضغائنَ ، قال : هل فيكَ موضعٌ للصنعية؟ قال له :
سينظرُ الأميرُ ما يسره بعدَ التجربة ، قال : فإنها عطفةٌ كريمٌ يحترقُ
الذنوبَ ، فخلّى سبيله ، وأكرمه ، فكانَ بعدَ ذلكَ من أوثقِ أصحابه
عنده .

وذُكِرَ : أنّ المأمونَ استقدمَ رجالاً من (الكشام) بعقبِ فتنةٍ لا ابرح حتى اعرف
حديثك مع المأمون
أشتعلتَ فيها ، ثمّ اعتقلهم ، ودفعَ أكبرَ المتهمِينَ في إثارَتها لبعضِ
خاصّته ؛ ليأخذه بأنواعِ العذابِ ، حتّى يتفرغَ لقتله ، فأخذَ الرجلُ
يُسائلُ أسيره عن (الكشام) وأهلها ، وقال له : ما فعلَ فلانُ ،
لصديقٍ له بها؟ قال : وما علمك به ، قال : لا أقدرُ على مكافأته ،
وما نعمتي وحياتي إلّا من حسناته ، فلقد أهدرَ الخليفةُ دمي بإثرِ
حوادثٍ ظننتُ بي فيها الظنونَ ، ولصقتُ بي فيها التُّهمَ ، فلجأتُ إليه

(١) أسقب : قرُب .

عَنْ غَيْرِ سَابِقِ مَعْرِفَةٍ ، فَأَكْرَمَ مَثْوَايَ ، وَحَقَّنَ دَمِي ، وَحَفِظَ عَلَيَّ مَاءَ وَجْهِي ، ثُمَّ جَهَّزَنِي بِأَحْسَنِ الْجِهَازِ ، كَسَا وَحَمَلَ ، وَأَغْنَى وَأَقْنَى ، ثُمَّ سَأَلْتَنِي الْأَيَّامَ ، وَصَارَتْ بِي إِلَى مَا تَرَى ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أَظْفَرُ بِهِ . . . فَأُكَافِئُهُ بِبَعْضِ مَا طَوَّقَنِي مِنَ النِّعَمِ ، وَأَسْدِي إِلَيَّ مِنَ الْمَنَنِ ، فَقَالَ الْأَسِيرُ : لَقَدْ أَظْفَرَكَ اللَّهُ بِمَطْلُوبِكَ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَلَا تَعَبٍ ، قَالَ : وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ : نَجِيئِكَ ، وَمَا زَالَ يَسْتَعْرِفُ إِلَيْهِ بِالذِّكْرِيَّاتِ . . . حَتَّى أَثْبَتَهُ مَعْرِفَةً ، فَأَطْلَقَ وَثَاقَهُ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ الذَّهَابَ ، وَالتَّحَكُّمَ فِي أَمْوَالِهِ ، فَقَالَ : لَا أَضْرُكَ بِنَفْعِي ، وَلَكِنْ أَتْنِي بَعْدِي فَلَا تَحْتِ أَوْصِيهِ إِلَى أَهْلِي ، وَتِلْكَ أَكْبَرُ مَكَاافَاةٍ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، حَتَّى أُبْلِغَكَ مَأْمَنَكَ ، وَأُوصِلَكَ إِلَى أَهْلِكَ قَرِيرَ الْعَيْنِ ، مَعَ مَا يُغْنِيكُمْ طَوْلَ الْحَيَاةِ ، فَقَالَ : لَا أْبْرُحُ حَتَّى أَعْرِفَ حَدِيثَكَ مَعَ الْمَأْمُونِ ، فَإِنْ نَجَوْتَ كَانَتْ نَجَاتِي ، وَإِلَّا وَقَيْتُكَ بِنَفْسِي ، ثُمَّ إِنَّ الْمَأْمُونَ سَأَلَ صَاحِبَهُ عَنْ أَسِيرِهِ . . . فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ ، فَأَغْرورَقَتْ عَيْنَاهُ ، وَقَالَ : قَدْ وَجِبَتْ عَلَيْنَا مَكَاافَاةُهُ ؛ لِأَنَّ وَجُودَ مِثْلِهِ قَلِيلٌ ، وَأَكْبَرُ شَيْءٍ عَدَمُ إِثَارِهِ السَّلَامَةَ وَالْإِنْتِظَارَ عَلَى نَجَاتِكَ ، ثُمَّ أَسْتَدْعَاهُ ، وَبَالِغَ فِي إِكْرَامِهِ ، وَإِسْبَاغِ الْإِلْفَافِ عَلَيْهِ ، وَصَرَفَهُ مَوْفُورَ الْكِرَامَةِ ، وَجَعَلَهُ مَوْضِعَ سِرِّهِ وَأَمَانَتِهِ بِ(الشَّامِ) ، فَكَانَتْ كُتُبُهُ تَرِدُ عَلَى الْمَأْمُونِ بَعْدَ ذَلِكَ فَيَطَالُعُ بِهَا صَاحِبَهُ .

ولإبراهيم بن المهدي في أيام أخفافه ما لا يقل من وجه عنها .

ويُتَّصَلُ بِهَا حَدِيثُ الثُّعْمَانِ وَصَاحِبِهِ شَرِيكَ بْنِ عَمْرٍو مَعَ الطَّائِفِيِّ الَّذِي قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلْقَتْلِ وَفَاءً بِوَعْدِهِ ، فَكَانَ مِنْ بَرَكَةِ ذَلِكَ إِطْلَاقُ الثُّعْمَانِ لِعَادَتِهِ السَّيِّئَةِ فِي يَوْمِ بُوْسِهِ (١) .

النعمان بن المنذر ويوم
بؤسه

(١) وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ : أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ الْمَنْذَرِ جَعَلَ لِنَفْسِهِ يَوْمِينَ ، يَوْمَ بُوْسٍ : مَنْ -

= صادفه فيه .. قتله وأرداه ، ويوم نعيم من لقيه فيه .. أحسن إليه وأغناه ، وكان هناك رجل طائي ، قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره ، فأخرجته الفاقة من محل أستقراره ليرتاد شيئاً لصيبته وصغاره ، فبينما هو كذلك .. إذ صادفه النعمان في يوم يؤسه ، فلما رآه الطائي .. علم أنه مقتول ، وأن دمه مطلول ، فقال : حيّا الله الملك ، إن لي صبيةً صغاراً ، وأهلاً جيعاً ، وقد أرقّت ماء وجهي في حصول شيء من البلغة لهم ، وقد أقدمني سوء الحظ على الملك في هذا اليوم العيوس ، وقد قريت من مقرّ الصبية والأهل ، وهم على شفا تلف من الجوع ، ولن يتفاوت الحال في قلبي بين أول النهار وآخره ، فإن رأى الملك أن ياذن لي في أن أوصل إليهم هذا القوت ، وأوصي بهم أهل المروءة من الحي ؛ لتلاّ يهلكوا ضياعاً ، ثم أعود إلى الملك ، وأسلم نفسي لنفاذ أمره .

فلما سمع النعمان صورة مقالِهِ ، وفهم حقيقة حالِهِ ، ورأى تلثمُهُ على ضياع أطفالِهِ .. رفق له ، ورثى لحاله ، غير أنه قال له : لا أذن لك حتى يضمنك رجلٌ معنا ، فإن لم ترجع .. قتلناه ، وكان شريك بن عدي بن شرحبيل - نديم الملك - معه ، فالتفت الطائي إليه ، ومدحه ، وتدخّل عليه بأبيات .. فقال شريك : أصلح الله الملك ، عليّ ضمانه .

فمرّ الطائي مسرعاً ، وصار النعمان يقول لشريك : إن صدر النهار قد ولّى ولم يرجع ، وشريك يقول : ليس للملك عليّ سبيلٌ حتى يأتي المساء ، فلما قرب المساء .. قال النعمان لشريك : قد جاء وقتك ، فم فتأهب للقتل ، فقال شريك : هذا شخص قد لاح مقبلاً ، وأرجو أن يكون الطائي ، فإن لم يكن .. فامر الملك ممثلّ ، قال : فبينما هما كذلك وإذ بالطائي قد أشتدّ عدوه في سيره مسرعاً ، حتى وصل فقال : خشيت أن ينقضني النهار قبل وصولي .

ثم وقف قائماً ، وقال : أيها الملك .. مرّ بأمرك . فأطرق النعمان ثم رفع رأسه ، وقال : والله ما رأيت أعجب منكما ، أمّا أنت يا طائي : فما تركت لأحد في الوفاء مقاماً يقوم فيه ، ولا ذكراً يفتخر به ، وأمّا أنت يا شريك : فما تركت لكريم سماحة يُذكر بها الكرماء ، فلا أكون أنا الأمام الثلاثة ، ألا وإني قد =

يعود إلى السجن بعد ما
خرج منه وفاءً لمن هزبه

ونظيرها في زماننا : أن بعض اليافعيين ارتكب في (المكلاً)
جريمةً توجب قتله ، فأعتقله السلطان ، فطلب من السجن أن
يجمعه بالجليل السيد حسين بن حامد ، ففعل ، فأستعطفه ليطلقه
ليلة ليوصي ، ويؤدّي ودائعته ، ويخبر أهله بدفائن أمواله قريباً من
(الشحر) على شرط أن يعود في الليلة الثانية ، فأخذ عهده ،
وأطلقه على ذلك ، وكان أعداء السيد حسين من بطانة السلطان
غالب بن عوض يراقبون ذلك ، فأخبروه ، فعاتب السيد حسيناً ،
فأنكر إطلاقه ، وأتعدوا على أن يفتشوا عنه في السجن من اليوم
الثاني ، ولما كان الليل . . عاد إلى مكانه منه ، وجاء السلطان على
وعده ، فألفاه كما قال السيد حسين ، فعاد على أصحابه بالأئمة ،
وأوسعهم توبيخاً ، ولكن السيد حسيناً شرح له القصة بعد أن هدأت
عنه سورة غضبه ، فأطلقه ، وعفا عنه ، وليست هذه بالقليلة من
بلادنا على فساد الزمان ، وتنگر الأيام ! فله الحمد والمنة .

وقول الناظم : (وَلَا أَعْدُدُهَا) مناسب للمعنى الأول ، وهو

عود على شرح المطلع

رفعت يوم بؤسي عن الناس ، ونقضت عادتي ؛ كرامة لوفاء الطائي ، وكرم

شريك . فقال الطائي [من الكامل] :

وَلَقَدْ دَعَيْتَنِي لِلْخِلَافِ عَشِيرَتِي

عَدَدْتُ قَوْلَهُمْ مِنَ الْإِخْلَالِ

إِنِّي أَمْرٌ مِّنِّي الْوَفَاءُ سَجِيَّةٌ

وَفَعَالٌ كُلُّ مُهَذَّبٍ مِفْضَالِ

فَقَالَ لَهُ النِّعْمَانُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى الْوَفَاءِ وَفِيهِ إِتْلَافٌ نَفْسَكَ ؟ فَقَالَ :

دِينِي ، فَمَنْ لَا وِفَاءَ فِيهِ . . لَا دِينَ لَهُ .

فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ النِّعْمَانُ ، وَوَصَلَهُ بِمَا أَغْنَاهُ ، وَأَعَادَهُ مَكْرَمًا إِلَى أَهْلِهِ ، وَأَنَالَهُ مَا

تَمَنَّاهُ .

انظر «المستطرف» (١/٤٢٩) .

ناظرٌ إلى قوله ﷺ: «سُبْحَانَكَ ا لَا نُحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ» (١). وهو كثيراً ما يتأثرُ السُّنَّةُ والقرآنُ ، ويستخرجُ منهما ما يجعلُهُ في غيرِ مكانِهِ ، وهو القائلُ [في «المكبري» ٢/٣٨٨ من الوافر]:

وَقَدْ حَمَلْتَنِي شُكْرًا طَوِيلًا ثَقِيلًا لَا أُطِيقُ بِهِ حِرَاكَا
وله [في «المكبري» ٣/٨١ من البسيط]:

وَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلْ
وله [في «المكبري» ١/١١٩ من البسيط]:

مَحَامِدٌ نَزَفَتْ شِعْرِي لِيَمْلَأَهَا فَالَ مَا أَمْتَلَأْتُ مِنْهُ وَلَا نَضَبَا
وله [في «المكبري» ٢/٢٦٧ من الكامل]:

وَمَتَى يُودِّي شَرَحَ حَالِكَ نَاطِقٌ حَفِظَ الْقَلِيلَ الْتَزَرَ مِمَّا ضَيَّعَا
وله [في «المكبري» ٢/١٢٦ من الطويل]:

لَهُ مِنْ تَفْنِي الثَّنَاءِ كَأَنَّمَا بِهِ أَقْسَمْتُ أَنْ لَا يُودِّي لَهَا شُكْرُ
وغير ذلك .

* * *

(١) أخرجه عن عائشة الصديقة مسلم (٤٨٦)، وابن خزيمة (٣٢٩/١). وأخرجه عن علي المرتضى أبو داود (١٤٢٧)، والترمذي (٣٥٦٦)، والنسائي (١٧٤٧)، وتامه: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» .

قال أبو الطيب المتنبّي في « العُكْبَرِيّ » ١ / ٣٠٤ من المنسرح :

يُعْطِي فَلَا مَطْلُهُ يَكْدُرُهَا بِهَا وَلَا مَتُّهُ يَنْكُدُهَا

شرح المطلع الضمائرُ في (يَكْدُرُهَا) و (بِهَا) و (يَنْكُدُهَا) تعودُ إلى الأيادي المذكورة في البيتِ قبله .

يقولُ : إِنَّهُ يعطي الأيادي التي لا يكْدُرُها المطلُ ، ولا ينكُدُها المَنْ ، وليس المرادُ أنّ هناك مطلاً ومناً غيرَ أنّ لا تكديرَ ولا تنكيدَ منهما ، ولكنّ المرادُ نفيُ المطلِّ والمَنْ البتّةَ على حدّ ما سبق في المجلسِ الأوّلِ مِنْ قولِ امرئِ القيسِ [من الطويل] :

عَلَى لَاحِبٍ لَا يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ [إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ التَّبَاطِيءُ جَزَجْرًا] إِذْ لَمْ يُرِدْ : أَنَّ لَهُ مَنَارًا لَا يَهْتَدِي بِهِ ، وَلَكِنَّهُ عَمَدٌ إِلَى نَفِي الْمَنَارِ مِنْ أَصْلِهِ .

ومثله قولُ الآخرِ^(١) في وصفِ مفازةٍ [في « خزانة الأدب » ١٠ / ١٩٢ من السريع] :

لَا يُفْرِغُ الْأَزْنَبَ أَهْوَالُهَا وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ

وقد ذكره الزمخشريُّ في « الكشاف » ١ / ٦٣٩-٦٤٠ عند قولهِ تعالى : ﴿ سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ [آل عمران : ١٥١] ، وقال : (فَإِنْ قُلْتَ : كَأَنَّ

(١) وهو : عمرو بنُ أحمَرَ .

هناك حُجَّةٌ حَتَّى نَزَلَهَا تَعَالَى ، فَيَصْحُ لَهُمُ الْإِشْرَاكُ . . قُلْتُ : لَمْ يَغْنِ أَنَّ هُنَاكَ حُجَّةً إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ عَلَيْهِمْ ؛ لِأَنَّ الشَّرْكَ لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ تَقُومَ عَلَيْهِ حُجَّةٌ ، وَإِنَّمَا الْمَرَادُ نَفْيُ الْحُجَّةِ وَنَزْوُلُهَا جَمِيعاً) ، وَذَكَرَ عَجَزَ الْبَيْتِ . فَإِنَّهُ لَمْ يُرِدْ : أَنَّ بِهَا أَرْنَبًا لَا تَفْرَعُ ، وَضَبًا لَا يَنْجَحِرُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ : نَفْيَ الْحَيَوَانِ رَأْسًا ، وَهَذَا مِمَّا يَتَنَافَسُ فِيهِ أَهْلُ الْبَيَانِ ، وَيُسَمِّيهِ الْبَدِيعِيُّونَ : (نَفْيَ الشَّيْءِ بِإِيجَابِهِ) ، وَفَسَّرَهُ أَبُو رَشِيْقٍ وَأَبْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ^(١) وَغَيْرُهُمَا بِأَنَّهُ : (الْكَلَامُ الَّذِي ظَاهِرُهُ إِيجَابُ الشَّيْءِ ، وَبَاطِنُهُ نَفْيُهُ) .

ومنه قوله جل ذكره: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾ [مريم: ٦٢] ، فليس المراد - على أصح الأقوال - : أَنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغْوًا إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَهُ ، وَلَكِنَّ الْمَرَادَ : نَفْيُ اللَّغْوِ مِنْ أَصْلِهِ ، وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ فِيهَا لَغْوٌ أَوْ غَوْلٌ^(٢) .

ومنه قول زهير [من الطويل] :

بَارِضٍ خَلَاءٍ لَا يُسَدُّ وَصِيدُهَا عَلَيَّ وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ^(٣)
فَأَثَبَتْ لَهَا وَصِيدًا ، وَأَرَادَ : أَنَّ لَيْسَ لَهَا وَصِيدٌ يُسَدُّ عَلَيْهِ .

ومنه قول الزبير بن عبد المطلب يذُكُرُ عَمِيلَةَ بِنَ السَّبَّاقِ بْنِ عَبْدِ

(١) ابن أبي الإصبع : هو عبد العظيم بن عبد الواحد العدواني البغدادي المصري ، شاعر أديب توفي سنة : (٦٥٤ هـ) .

(٢) غول : ما ينشأ عن الخمر من صداع أو سكر . قال تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴾ [مريم: ٦٢] و : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ [الصفوات: ٤٧] .

(٣) الوصيدُ : فناء الدار والبيت . قال عز وجل : ﴿ وَكَلَّمَهُمْ بَسِطَ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ [الكهف: ١٨] .

الدار ، وكان له نديماً [من الطويل] :

صَبَحْتُ بِهِمْ طَلْقاً يَرَاخُ إِلَى النَّدَى إِذَا مَا أَنْتَشَى لَمْ تَخْتَصِرْهُ مَغَايِرُهُ
ضَعِيفاً يَبْحَثُ الْكَاسِ قَبْضُ بَنَانِهِ كَلِيلًا عَلَى وَجْهِ النَّدِيمِ أَظْفِرُهُ
فظاهرُ كلامِهِ : أَنَّهُ يَخْمِشُ وَجْهَ النَّدِيمِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوْذِيهِ ؛ لِكَلَّةِ
أظْفارِهِ ، وَمَا أَرَادَ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعْرِدُ ، وَلَا يَمَسُّ وَجْهَ النَّدِيمِ بِشَيْءٍ
أَصْلًا .

وقال أبو زيد يصفُ فرساً [من الكامل] :

مُتَغَلِّقٌ أَنْسَاؤَهَا عَن قَانِيءٍ كَالْقَرْطِ صَاوٍ غُبْرُهُ لَا يُرْضَعُ (١)
فإنَّهُ لَمْ يُرِدْ : أَنَّ هُنَاكَ لَبَنًا لَا يُرْضَعُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ : أَنَّ لَا لَبَنَ لَهَا
حَتَّى يَرْضَع .

وقال أبو كبير الهذلي يصفُ هضبةً [في «ديوان الهذليين» ، ٩٦/٢ - ٩٧ من

الكامل] :

وَعَلَوْتُ مُزْتَبِئًا عَلَى مَرْهُوِيَّةٍ حَصَاءَ لَيْسَ رَقِيئُهَا فِي مَهْمَلٍ
عَيْطَاءَ مُعْنِقَةٍ يَكُونُ أَيْسَهَا وَزُقُ الْحَمَامِ جَمِيمُهَا لَمْ يُؤْكَلِ (٢)

(١) في «اللسان» (٣٢١/١٥) البيت لأبي ذؤيب، والنساء : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين، ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر، فإذا سمت الدابة انفلقت فحذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النسا بينهما واستبان . القانيء : الأحمر . الصاوي : اليابس . الغبُر : بقية اللبن في الضرع .

والمعنى : شبه الضرع بقراط المرأة ولم يرد أن هناك بقية لبن لا يرضع، إنما أراد أنه لا غبُر هناك فيهندي إليه .

(٢) العيطاء : الطويلة العُنُق . المُعْنِقَةُ : الطويلة . الجميم : ما نهض وانتشر من النبات ؛ وهو ما طال بعض الطول ولم يتم ؛ أي : لا يرقى فيها راقٍ ولا راعٍ =

يريدُ : أن ليسَ بها جميمٌ حتى يؤكلَ ، كما يدكُ على ذلك قولهُ
في البيتِ الأولِ (حَصَّاءَ) ؛ وهي التي لا نبتَ فيها .

ومنه قولُ ذي الرُّمَّةِ [في « ديوانه » ٤٤/١ من البسيط] :

لَا تُشْتَكِي سَفْطَةً مِنْهَا وَقَدْ رَقَصَتْ بِهَا الْمَفَاوِزُ حَتَّى ظَهَرُهَا حَدِبٌ^(١)

فإنَّهُ لَمْ يُرِدْ : أَنَّ لَهَا سَقَطَةً ، لَكِنَّهُ لَا يُشْتَكِي مِنْهَا ، وَإِنَّمَا أَرَادَ :
نَفْيَ السَّقُوطِ رَأْسًا .

ومنه قولُ مسلمِ بنِ الوليدِ [من البسيط] :

لَا يَغْبِقُ الطَّيْبُ حَدِيثَهُ وَمِفْرَقَهُ وَلَا يُمَسِّحُ عَيْنَيْهِ مِنَ الْكُحْلِ

فالمرادُ : نَفْيُ الطَّيْبِ وَالْكُحْلِ مِنْ أَصْلِهِمَا ، لَا نَفْيُ الْعَبْقِ
وَالْمَسْحِ فَقَط .

ومثلهُ : قولُ الناظمِ [في « المُكَبَّرِي » ١٦٩/١ من البسيط] :

أَفْدِي ظِبَاءَ فَلَآةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا مَضْغَ الْكَلَامِ وَلَا صَبْغَ الْحَوَاجِبِ

وَلَا بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَّامِ مَائِلَةً أَوْزَاكُهُنَّ صَقِيلَاتِ الْعَرَاقِبِ^(٢)

فظاهرُ الكلامِ : نَفْيُ بُرُوزِهِنَّ مِنَ الْحَمَّامِ عَلَى تِلْكَ الْهَيْئَةِ ،

وَالْمَرَادُ : عَدَمُ دُخُولِهِنَّ الْحَمَّامَ أَصْلًا ، فَإِنَّهُنَّ بَدَوِيَّاتٌ كَظِبَاءِ

الْفَلَآةِ ، لَا يَعْرِفْنَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ .

= وَلَا أَحَدٌ فَيَأْكُلُ جَمِيمَهَا . وَزُقُ الْحَمَّامِ : الْحَمَّامُ الْخَضِرُ ؛ وَهِيَ الَّتِي فِيهَا سَوَادٌ

وغيرُهُ . وَالْعَرَبُ تَطْلُقُ الْخَضِرَةَ عَلَى السَّوَادِ .

(١) السَّفْطَةُ : الْعَثْرَةُ وَالْفَتْرَةُ . حَتَّى ظَهَرُهَا حَدِبٌ : أَي قَدْ تَقَوَّسَ مِنَ الْهَزَالِ .

(٢) الْعَرَاقِبُ - جَمْعُ عَرَقُوبٍ - : وَهُوَ مَا يَكُونُ عِنْدَ الْكَعْبِ .

وإنما أكثرت من الأمثلة ؛ لقول ابن الأثير السابق في المجلس الأول : إنه طاف على أقوال الشعراء فلم يجد منها شيئاً حتى أضطر إلى ما نبهنا عليه من الاختلاس ، والحال أنها على طرف ذراع ، فسبحان من لا يسهر .

السبب في تكثير الأمثلة على هذه المسألة

ثم اختلف القوم في شأن الوعد :

الخلاف في الوعد

فمنهم : من أحبه قبل العطيّة ؛ ليحلّو موقعها ، وتكمل بها اللذتان : (لذة الإعطاء ، ولذة الإنجاز) ، فإن النفس إذا تعلقّت بالشيء . . حصل لها ولولة لا تزول إلا بحصوله ، وتلك الولاية لا تحط من قدر العطيّة إذا كان الوعد حقاً ، وكان صاحبه مناط الثقة ، وعلى هذا الرأي : يحيى بن خالد ، فقد كلمه منصور بن زياد في حاجة لرجل ، فقال : عده قضاءها ، قال منصور : فقلت له : أصلحك الله ، وما يدعوك إلى العدة مع القدرة ؟ قال : هذا قول من لم يعرف مواقع الصنائع من القلوب ، فإن الوعد تطعم ، والإنجاز إطعام ، وليس من فاجأه الطعام كمن وجد رائحته ، وتمطّق به ، وتطعمه ، ثم قرب إليه ، فدع الحاجة تختم بالوعد ؛ ليكون بها عند المصطنع إليه حُسْنُ موقع ، ولطف محل ، فإنها إذا لم يتقدمها موعد ينتظر به نجاحها . . لم يتجاذب النفس سرورها .

١- صنف أحبه قبل العطيّة

من أصحاب هذا المذهب يحيى بن خالد

وقال أبو مسلم الخولاني : أوقع المعروف في القلوب ، وأبرده على الأكباد . . معروف منتظر بوعده لا يكدره مظل .

ومنهم أبو مسلم الخولاني

وقال المهدي [من مجزوء الكامل] :

ومنهم المهدي

الوعد أحسن ما يكون إذا تقدّمه ضمّان

وقال غيره [من الرجز] :

حَلَاوَةٌ الْفَضْلِ بِسَوْعِدٍ يُنَجِّزُ لَا خَيْرَ فِي الْعُرْفِ كَنَهَبٍ يُنْهَزُ (١)

وقد يتأكد هذا بأمثال قوله جل ذكره لموسى وهارون : ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا ﴾ [يونس : ٨٩] ، فإنه لم يظهر أثر الإجابة - كما يروى - إلا بعد أربعين سنة .

وقال الإمام الرازي في تأخر ظهور أثر الرؤيا الحسنة : (إن من رحمة الله الإعلام بالخير متقدماً على ظهوره بزمان طويل ، حتى تكون البهجة بتوقع حصوله أكثر وأتم) . انتهى بمعناه .

على أنه لا يبعد أن يكون الريث في المواعيد الإلهية بالدنيا من الامتحان الذي يحسن من الله لا من الخلق فيما بينهم .

ومنهم الحارثي

وقال الحارثي [من الطويل] :

وَمَا رَوْضَةٌ دَارِيَّةٌ أَسَدِيَّةٌ مُنْمَمَةٌ زَهْرَاءُ ذَاتُ ثَرَى صَعِدُ
بِأَحْسَنَ مِنْ حُرٍّ تَضَمَّنَ حَاجَةً لِحُرٍّ فَأَوْفَى بِالنَّجَاحِ مَعَ الْوَعْدِ

وقال ابن رشيقي [في « ديوانه » ١٥٠ من السريع] :

أَحْسَنْتَ فِي تَأْخِيرِهَا مِثَّةً لَوْ لَمْ تُؤَخَّرْ لَمْ تَكُنْ كَامِلَةً
وَكَيْفَ لَا يَخْسُنُ تَأْخِيرُهَا بَعْدَ يَقِينِي أَنَّهَا حَاصِلَةٌ
وَجَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ يُدْعَى بِهَا أَجَلَةٌ لِلْمَرْءِ لَا عَاجِلَةٌ

وذهب آخرون إلى خلافه ، وأنه لا يحسن الاستناد إلى المواعيد ٢- الصنف الثاني
إلا عند عدم القدرة ، وقد يدل له هديته ﷺ (فقد كان لا يرُدُّ سائلاً ، عكسهم واستدلالهم
على ذلك) . وإن لم يجد شيئاً . . . وعد) .

(١) العُرْفُ : المعروف . والمراد : أنه لا خير في معروف يؤخذ كالنهب والسرقه .

وقوله : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَجَاءَةِ الْخَيْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فَجَاءَةِ الشَّرِّ »^(١) ولا يخرج عنه قوله : « أَبِي اللَّهِ أَنْ يَرْزُقَ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ لَا يَخْتَسِبُ »^(٢) .

أصحاب هذا المذهب
كثر
ولا يدخل تحت الحصر ما فيه من أقوال الشعراء . منه قول
عبد الله بن مصعب الزبيرى [من الطويل] :

وَأَنْجَزَ خَلَقَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ وَعْدِهِ أَرَاكَ مِنْ مَطْلٍ وَمِنْ طُولٍ كَدِّهِ
وقد تكرر عند الناظم منه قوله [في « المُكَبَّرِي » ٣٦٩/١ من المتقارب] :

تكرار هذا المعنى بكثرة
عند المتنبي
وَمَالٍ وَهَبْتَ بِلاَ مَوْعِدٍ وَقِرْنٍ سَبَقَتْ إِلَيْهِ الْوَعِيدَا^(٣)
وقوله [في « المُكَبَّرِي » ٣٤٣/١ من المتقارب] :

لَقَدْ حَالَ بِالسِّنْفِ دُونَ الْوَعِيدِ وَحَالَتْ عَطَايَاهُ دُونَ الْوَعُودِ
وقوله [في « المُكَبَّرِي » ٣٤٨/١ من البسيط] :

مُحَمَّدُ بْنُ زُرَيْقٍ مَا نَرَى أَحَدًا إِذَا فَقَدْنَاكَ يُعْطِي قَبْلَ أَنْ يِعْدَا
وقوله [في « المُكَبَّرِي » ٣٧٧/١ من الطويل] :

تَوَالَى بِلاَ وَعْدٍ وَلَكِنَّ قَبْلَهُ شَمَائِلُهُ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ لَهَا وَعْدُ

(١) أورده عن أنس الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١١٥/١٠) وقال : رواه أبو يعلى وفيه يوسف بن عطية متروك ، والسيوطي في « الجامع الصغير » (٩١/١) .
(٢) أخرجه عن أبي هريرة القضاعي في « مسند الشهاب » (٣٤١/١) وذكره العجلوني في « كشف الخفاء » (٥٨) وأطال في عزوه ، ولا يفرح له بسند مقبول .

(٣) الْقِرْنُ - بالكسر - : هو الكف في الشجاعة والممائل ، والقِرْنُ - بالفتح - : هو مثلك في السن . والمراد الأول .

وقوله [في «المكبري» ٤٠/٣٠ من الكامل] :

نَصَرَ الْفَعَالَ عَلَى الْمِطَالِ كَأَنَّمَا خَالَ السُّؤَالَ عَلَى النَّوَالِ مُحَرَّمًا^(١)

وقوله [في «المكبري» ٣٠/١٨٨ من الطويل] :

وَحَالَتْ عَطَايَا كَفِّهِ دُونَ وَعْدِهِ فَلَيْسَ لَهُ إِنْجَازُ وَعْدٍ وَلَا مَطْلُ

وقوله [في «المكبري» ٣٠/٢٧٧ من البسيط] :

وَأَجَزِ الْأَمِيرَ الَّذِي نِعْمَاهُ فَاجِئَةٌ مِنْ غَيْرِ قَوْلٍ وَتَعَمَّى النَّاسِ أَقْوَالَ

وقوله [في «المكبري» ٢٠/٢٨ من الطويل] :

وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قَبْلَ وَعْدٍ لِأَنَّهُ نَظِيرُ فَعَالٍ الصَّادِقِ الْقَوْلِ وَعَدُّهُ

وقوله [في «المكبري» ٢٠/١٨٣ من الخفيف] :

كُلَّمَا جَادَتْ الظُّنُونُ بِوَعْدٍ عَنْكَ جَادَتْ بِدَاكِ بِالْإِنْجَازِ

وقوله [في «المكبري» ٣٠/٢٩٧ من الطويل] :

وَأَهْدَتْ إِلَيْنَا غَيْرَ قَاصِدَةٍ بِهِ كَرِيمِ السَّجَايَا يَسْبِقُ الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ

وقوله [في «المكبري» ٣٠/٨٧ من البسيط] :

أَنْتَ الْجَوَادُ بِلَا مَنْ وَلَا كَدْرٍ وَلَا مِطَالٍ وَلَا وَعْدٍ وَلَا مَدَلٍ^(٢)

وربما دخل بعض هذه الأبيات بتأويل في القسم الأول ، ولا
مُشَاحَّةَ فِي ذَلِكَ ، فَالْخَطْبُ يَسِيرٌ .

(١) الْفَعَالُ - يَفْتَحُ الْفَاءَ - : الْفِعْلُ الْجَمِيلُ .

(٢) الْمَدَلُ : الْفِتْرَةُ وَالضَّجْرُ .

وقال البُحرِيُّ [في «ديوانه» ٥٧٤/١ من البسيط] :

يُنْضِي الْمَنَايَا دِرَاكًا ثُمَّ يُشْبِعُهَا بِنِضِّ الْعَطَاءِ وَلَمْ يُوعِدْ وَلَمْ يَعِدْ

وقال [في «ديوانه» ٥٥٧/١ من البسيط] :

رَطْبُ الْغَمَامِ إِذَا مَا اسْتَمْطَرَتْ يَدُهُ جَاءَتْ مَوَاهِبُهُ قَبْلَ الْمَوَاعِينِ

وقال المعرِّيُّ [في «سقط الزند» ١٢٩ من الطويل] :

فَيَا أَهْلَ السَّادَاتِ مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ وَيَا أَجْوَدَ الْأَجْوَادِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ

وقال آخرُ [من الطويل] :

عَلَى عُدْوَاءِ الدَّارِ جَاءَتْ هِبَاتُهُ بِلَا عِدَّةٍ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ وَلَا مِنْ (١)
فَأَوْلَيْتُهُ شُكْرِي وَلَكِنَّ بِرَّهُ لَدَيْ الْهَيْبَةِ الْجَمُّ مِنْ فَوْقِ مَا أَتَيْتِي

وأنصحُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ [في «ديوانه» ٢٩٣/١ من الطويل] :

يَرَى الْوَعْدَ أَخْرَى الْعَارِ إِذْ هُوَ لَمْ تَكُنْ مَوَاهِبُهُ تَأْتِي مُقَدِّمَةَ الْوَعْدِ
فَلَوْ كَانَ مَا يُعْطِيهِ غَيْثًا لَأَمْطَرَتْ سَحَابِيهِ مِنْ غَيْرِ بَرْقٍ وَلَا رَعْدِ

وقال القاضي ظهيرُ الدين [من البسيط] :

جَوْدُ الْكَرِيمِ إِذَا مَا كَانَ عَنْ عِدَّةٍ وَقَدْ تَأَخَّرَ لَمْ يَنْسَلِمَ عَنِ الْكَدْرِ
إِنَّ السَّحَابَ لَا تُجِدِّي بَوَارِقُهَا نَفْعًا إِذَا هِيَ لَمْ تُمِطْزْ عَلَى الْأَثَرِ

وقال الخَازِرِيُّ في كلمةٍ رشيقةٍ لا بأسَ بِاسْتِيفَائِهَا ؛ لِعُدْوَيْتِهَا

كلمة رشيقة

على ما فيها ممَّا سننَّبُهُ عَلَيْهِ [من الطويل] :

للخَازِرِيِّ

خَلِيلِي هَلْ أَبْصَرْتُمَا أَوْ سَمِعْتُمَا بِأَكْرَمَ مِنْ مَوْلَى تَمَشَّى إِلَى عَبْدٍ ؟

(١) عُدْوَاءِ الدَّارِ : الدَّورُ البعيدةُ النَّائيةُ ، والعُدْوَاءُ : البعدُ .

أَتَى زَائِرًا مِنْ غَيْرِ وَعَدِ وَقَالَ لِي: أَجَلُكَ عَنْ تَغْلِيظِ قَلْبِكَ بِالْوَعْدِ
فَمَا زَالَ نَجْمُ الْوَصْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ يَدُورُ بِأَفلاكِ السَّعَادَةِ وَالسَّعْدِ
فَطَوَّرًا عَلَى تَقْيِيلِ نَزَجِ نَاطِرٍ وَطَوَّرًا عَلَى تَغْضِيضِ تَفَاحَةِ الْخَدِّ

وَالَّذِي نُلَاحِظُهُ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى: بَطْلَانُ الْأَسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ
فِي قَوْلِهِ: (. . . هَلْ أَبْصَرْتُمَا أَوْ سَمِعْتُمَا) بِمَا كَانَ مِنْ هُدْيِهِ ﷺ فِي
زِيَارَتِهِ لِأَصْحَابِهِ وَأَخْدَامِهِ ، حَتَّى لَقِدَ زَارَ غُلَامًا نَحَامًا^(١) مِنْ الْيَهُودِ .

وَمِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ: جَمَعَهُ بَيْنَ السَّعَادَةِ وَالسَّعْدِ ، وَهَلْ هُمَا إِلَّا
كشياءٌ واحِدٌ ؟ وَجَاءَ فِي الْخَبَرِ: أَنَّ (عِدَّةَ الْكَرِيمِ دَيْنٌ)^(٢) ، وَ: أَنَّ (لِي) الْوَاحِدِ ظُلْمٌ^(٣) .

وَمِنْ كَلَامِهِمْ: إِنَّ الْمَسْؤُولَ حُرٌّ حَتَّى يَعِدَّ .

وَمِنْ ثَمَّ ذَهَبَ أَكْثَرُ الْأَيْمَةِ إِلَى الْقَوْلِ بِوَجوبِ الْوَفَاءِ بِالْوَعْدِ ،
وَهَلْ يَبِيعُ الْعَهْدَةَ^(٤) الْمَعْرُوفَ بِأَرْضِنَا إِلَّا مَبْنِيٌّ عَلَيْهِ ؟ وَإِنِّي لِأَعْجَبُ
مِنَ الْإِمَامِ الْشَّافِعِيِّ ؛ إِذْ لَا يَقُولُ بِوَجوبِهِ مَعَ صِحَّةِ الْأَحَادِيثِ فِيهِ ،
وَكَثْرَةِ الْوَعْدِ فِي الْخُلْفِ !

(١) النَّحَامُ: الْمَصَابُ بِالسَّعَالِ .

(٢) يُقَالُ فِي الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ: الْوَعْدُ عِنْدَ الْحَرِّ دَيْنٌ .

(٣) أَخْرَجَهُ بَنُوهُ عَنِ الشَّرِيدِ أَبُو دَاوُدَ (٣٦٢٨) ، وَالنَّسَائِيُّ (٤٦٨٩) وَ(٤٦٩٠) ،

وَابْنُ مَاجَةَ (٢٤٢٧) ، وَابْنُ حِبَانَ (٥٠٨٩) بِإِسْنَادِ حَسَنٍ ، وَنَحْوِ مَعْنَاهُ حَدِيثُ
أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الْبَخَارِيِّ (٢٢٨٧) وَمُسْلِمٍ (٤٦٨٨) بِلَفْظِ «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ» .

(٤) وَيَسْمَى أَيْضًا بِيَعِ الْإِتَالَةَ: وَهُوَ مُسْتَجْمَعٌ لَشُرُوطِ الصِّحَّةِ ، إِلَّا أَنَّ الْمُشْتَرِيَّ يَعِدُّ
الْبَائِعَ أَنَّهُ إِذَا جَاءَ بِمِثْلِ الثَّمَنِ لَهُ . . أَقَالَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ الْمَبِيعَ .

وفاء سيدنا أبي بكر عداته
 وقد وفى أبو بكر الصديق سائر عداته رضي الله عنه من بيت المال ، ولو
 لم تكن ديناً لازماً . . . لَمَا سَدَّهَا مِنْهُ . ودعوى الخصوصية به رضي الله عنه
 لا بد لها من دليل .

وفاء عدات سعيد بن العاص
 وما كان دينُ سعيدِ بنِ العاصِ الَّذي بِنِعَ فِيهِ دَارُهُ مِنْ مَعَاوِيَةَ بِثَلَاثِ
 مِئَةِ أَلْفٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ . مِنْهُ صَكٌّ لِبَعْضِ قَرِيشٍ لَا يُؤْبَهُ لَهُ ،
 سَأَلُوهُ عَنْ سَبَبِهِ ، فَقَالَ : مَشَيْتُ مَعَهُ مَرَّةً إِلَى دَارِهِ حَتَّى بَلَغَهَا ،
 فَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قُلْتُ : لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُكَ تَمْشِي وَحَدَّكَ ،
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَصِلَ جَنَاحَكَ ، فَكَتَبَ لِي هَذَا الصَّكَّ ، وَأَعْتَذَرَ بِعُسْرَةِ
 إِذْ ذَاكَ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ : لَا جَرَمَ ، لَا تَأْخُذْهَا إِلَّا بِالْوَافِيَةِ ،
 وَلَا تَبْرَحْ مَكَانَكَ حَتَّى تَقْبِضَهَا^(١) .

قصيدة شاعرة لبعض شعراء الحماسة
 والله درُّ بعضِ شعراءِ الحماسة^(٢) في قوله [في « شرح حماسة أبي تمام »
 ٩٢٣-٩٢٥ من الطويل] :

مَوَاعِيذُهُمْ صِدْقٌ إِذَا مَا تَكَلَّمُوا بَيْتَكَ الَّتِي قَدْ سُمِّيَتْ وَجَبَ الْفِعْلُ

وهو من كلمة شاعرة تقتضي الجزالة أستيفاءها وهي :

إِلَى هَضْبَةٍ مِنْ آلِ شَيْبَانَ أفرغت لَهَا الذَّرْوَةُ الْعَلِيَاءُ وَالْكَاهِلُ الْعَبْلُ^(٣)
 إِلَى النَّفْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ كَانَهُمْ صَفَائِحُ يَوْمِ الرَّوْعِ أَخْلَصَهَا الصَّقْلُ
 إِلَى مَعْدِنِ الْعِزِّ الْمُؤَيَّدِ وَالنَّدَى هُنَاكَ هُنَاكَ الْفَضْلُ وَالْخُلُقُ الْجَزْلُ

(١) راجع القصَّة كاملة في « الأغاني » (٣٩/١) .
 (٢) وهو : خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ مَوْلَى قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ .
 (٣) الكاهلُ : أصلُ العتقِ ، وهو الحاركُ . العَبْلُ : الغليظُ ، وهذا مثلُ لشرفهم
 وعلوهم .



عَذَابٌ عَلَى الْأَكْبَادِ مَا لَمْ يَدْفَعُهُمْ
عَلَيْهِمْ وَقَارُ الْحِلْمِ حَتَّى كَانَمَا
إِذَا اسْتَجْهِلُوا لَمْ يَغْرِبِ الْحِلْمُ عَنْهُمْ
هُمُ الْجَبَلُ الْأَعْلَى إِذَا مَا تَنَكَرَتْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْقَتْلَ غَالٍ إِذَا رَضُوا
بُحُورٌ تُلَاقِيهَا بُحُورٌ غَزِيرَةٌ
عَدُوٌّ وَفِي الْأَفْوَاهِ أَسْمَاؤُهُمْ تَخْلُو
وَلَيْدُهُمْ مِنْ أَجْلِ هَيْبَتِهِ كَهْلُ
وَأَنْ آتَرُوا أَنْ يَجْهَلُوا كَثُرَ الْجَهْلُ
مُلُوكُ رِجَالٍ أَوْ تَخَاطَرَتْ الْبُرُزُ^(١)
وَإِنْ غَضِبُوا فِي مَوْطِنٍ كَثُرَ الْقَتْلُ
إِذَا غَضِبَتْ قَيْسٌ وَإِخْوَانُهَا ذُهْلُ^(٢)

وقال ابن الزبير يمدح بني عبد مناف في حديث لا حاجة بنا ابن الزبير يمدح بني
عبد مناف إلى الاستطراء به [كما في « شعر ابن الزبير » ٥٤ من الكامل] :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ
الْخَالِطِينَ فَيَقِيرُهُمْ بِغَيْرِهِمْ
وَالْقَائِلِينَ بِكُلِّ وَعْدٍ صَادِقٍ
هَلَّا نَزَلَتْ بِأَلِ عَبْدِ مَنْافٍ
حَتَّى يَعُودَ فَيَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي
وَالظَّاعِنِينَ لِرَحْلَةِ الْإِيْلَافِ^(٣)

وقال الحطيئة يمدح آل شماس بن لؤي [كما في « ديوانه » من الطويل] : الحطيئة يمدح آل
شماس
أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا
وَإِنْ عَاهَدُوا وَقَوُوا وَإِنْ عَقَدُوا سَدُّوا
وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ - عَلَى جُلِّ حَادِثٍ
مِنَ الدَّهْرِ - رُدُّوا فَضَلَ أَخْلَامِكُمْ رَدُّوا
أَقْلُوا عَلَيْهِمْ - لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ -
مِنَ اللُّومِ أَوْ سَدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا

- (١) تنكرت : تجاحدت . تخاطرت : حركت أذنانها . البرز : حسان الإبل .
والمعنى : أنهم بلغوا الذروة العليا من المكارم والشجاعة والدعاء قولاً وفعلاً
على عكس غيرهم .
(٢) قيس وذهل : ابنا ثعلبة ، من بكر بن وائل . وشيبان من ذهل بن ثعلبة .
(٣) كما ذكرها تعالى بسورة مخصصة .

وقال أيضاً [في «ديوانه» ٢٦٢٥ من البسيط] :

قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا [عَقْدًا] لِجَارِهِمْ شَدُّوا الْعِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرْبَا^(١)
أَوْلَيْكَ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَاوِي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا^(٢)

ويروى للحسن السبط رضوان الله عليه [من البسيط] :

وَلَا أَقُولُ نَعْمَ يَوْمًا فَاتَّبَعُهَا خُلْفًا وَلَوْ ذَهَبَتْ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ

فَأَخَذَهُ بَعْضُهُمْ ، وَقَالَ [مِنَ الرَّمْلِ] :

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تُرِدْ أَنْ تُتِمَّ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ : نَعْمَ
فَإِذَا قُلْتَ : نَعْمَ فَاصْبِرْ لَهَا بِوَفَاءِ الْعَهْدِ إِنَّ الْخُلْفَ ذَمٌّ

وقال ابن أبي حاتم [من الطويل] :

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ : نَعْمَ فَاتِمَّهُ فَإِنَّ نَعْمَ دَيْنٌ عَلَى الْكُرِّ وَاجِبٌ
وَالْأَفْقُلُ : لَا ، تَسْتَرِخْ وَتُرِخْ بِهَا لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ : إِنَّكَ كَاذِبٌ

وقال أبو عبادَةَ [في «ديوانه» ٦٩٩/٢ من الكامل] :

عَجَلٌ إِلَيَّ تُنَجِّحُ الْفَعَالَ كَأَنَّمَا يُمَسِّي عَلَيَّ وَتُرِي مِنَ الْمَوْعُودِ^(٣)

(١) يقول : إذا عقدوا عقدًا لجارهم . . وفوا به وأحكموه ، وكنى عن ذلك بالعِنَاجِ ، والعِنَاجُ : حبلٌ يشدُّ تحت الدلو ويتصل طرفاه من أعلاها بما يتصل به أذناها . الْكَرْبُ : الحبلُ الذي يشدُّ في وسطِ خشبةِ الدلو فوق الرشاء ليقويه .

(٢) أَنْفُ النَّاقَةِ : قَصْدٌ بِهِ بَغِيضًا وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وَكَانُوا يَعْبُرُونَ بِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا قَالَ الْحَطِيئَةُ هَذَا الْبَيْتَ . . صَارَ مَدْحًا لَهُمْ . وَالْأَذْنَابُ : قَصْدٌ بِهَا الزَّبْرَقَانَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ .

(٣) الْوَتْرُ : النَّارُ .

وقال [في «ديوانه» ٧٥٩/٢ من الطويل] :

كَأَنَّ سَنَاهَا بِالْعَشِيِّ لِضَبْحِهَا تَبَسُّمُ عَيْسَى حِينَ يَلْفِظُ بِالْوَعْدِ

وقال [في «ديوانه» ٢٠١٢/٣ من الطويل] :

إِذَا وَعَدَ أَرْفَضَتْ عَطَاءَ عِدَاتِهِ وَأَعْرِفُ مِنْهُمْ مَنْ يَحْزُ وَلَا يُذْمِي^(١)

وقال [في «ديوانه» ٨٢٣/٢ من الكامل] :

شُكْرًا لِأَنْعَمِهِ الْجِسَامِ وَلَمْ تَضِعْ نِعَمٌ مَلَانَ لَهُ الْبِلَادَ مَحَامِدًا
يُورِيكَ فَضْلًا صَدْرُ قَاصِيهِ الْغِنَى بِعَوَائِدِ قَدْ كُنَّ أَمْسِ مَوَاعِدًا^(٢)

وقال [في «ديوانه» ١٥٣١/٣ من الطويل] :

مَوَاهِبُ أَعْدَادِ الْأَمَانِي وَيَعْدَهَا عِدَاتُ يَكَادُ الْعُودُ مِنْهُمْ يُورِقُ

وفي عكسه يقول بشار بن برد ، وقد وعده خالد بن برمك

بجائزة ، فتأخرت [في «ديوانه» ٨٩/٤ من الطويل] :

أَظَلَّتْ عَلَيْنَا مِنْكَ يَوْمًا عَمَامَةٌ أَضَاءَ لَهَا بَرْقٌ وَأَبْطَأَ رَشَاشُهَا
فَلَا غَيْمُهَا يُجْلِي فَيَنَاسَ طَامِعٌ وَلَا غَيْثُهَا يَأْتِي فَتَرَوِي عِطَاشُهَا

وأمتدح أبو العتاهية عمر بن العلاء بقوله [في «ديوانه» ٦٠٦-٦٠٥ من أبو العتاهية وعمر بن

العلاء

[الكامل] :

إِنِّي أَمِنْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَرَيْبِهِ لَمَّا عَلِقْتُ مِنَ الْأَمِيرِ جَبَالًا
لَوْ يَسْتَطِيعُ النَّاسُ فِيهِ إِجْلَالَهُ لَحَدَّوْا لَهُ حُرَّ الْوُجُوهِ نَعَالًا

(١) ارفضت : تفرقت وذهبت . العداث - جمع العدة - : وهي الوعد .

(٢) المعنى : أن من يرجع من عنده . . يرجع متحقق الوعود بمطايا صيرته غنيا .

إِنَّ الْأَمْطَايَا تَشْتَكِينِكَ لِأَنَّهَا قَطَعَتْ إِلَيْكَ سَبَابًا وَرِمَالًا
فَإِذَا وَرَدْنَ بِنَا وَرَدْنَ مُخِفَّةً وَإِذَا صَدَرْنَ بِنَا صَدَرْنَ ثِقَالًا

فرسم له بسبعين ألفاً ، فتأخرت ، فكتب إليه [في «ديوانه» ٥٥٧ من

الطويل] :

أَصَابَتْ عَلَيْنَا جُودَكَ الْعَيْنُ يَا عُمَرُ فَخَنُ لَهَا نَيْبِي الْتَمَائِمِ وَالْكَشْرِ
أَصَابَتْكَ عَيْنٌ فِي سَخَائِكَ صُلْبَةٌ وَيَا رَبَّ عَيْنِ صُلْبَةٍ تَقَطُّعُ الْحَجَرِ
سَنَزِقِيكَ بِالْأَشْعَارِ حَتَّى تَمَلَّهَا فَإِنْ لَمْ تُفِقْ مِنْهَا رَقِينَاكَ بِالسُّورِ

وقال أيضاً [في «ديوانه» ٥٦٨-٥٦٩ من البسيط] :

يَا أَبْنَ الْعَلَاءِ وَيَا أَبْنَ الْقَرْمِ مِرْدَاسِ إِنِّي أَمْتَدُّكَ فِي صَخْبِي وَجَلَّاسِي (١)
أُنْبِي عَلَيْكَ وَلِي حَالٌ تُكَذِّبُنِي فِيمَا أَقُولُ فَأَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ
حَتَّى إِذَا قَبِلَ مَا أَوْلَاكَ مِنْ مَنِّ طَاطَأْتُ مِنْ سُوءِ حَالِي عِنْدَهَا رَاسِي
فَأَمَرَ حَاجِبُهُ أَنْ يَعْجَلَ لَهُ بِدَفْعِ الْمَالِ ، وَقَالَ : لَا تُدْخِلْهُ عَلَيَّ
حَتَّى يَقْبِضَهَا ؛ فَإِنِّي مُسْتَحٍ مِنْهُ .

وقد جرث للعلامة ابن المقرئ قضية من نوعها مستوفاة في

«ديوانه» .

وقال محمد بن يزيد الأموي لعيسى بن فرخان شاه يعاتبه [من الهزج] :

لَقَدْ كُنْتُ أَرْجِيكَ لِمَا أَخْشَى مِنَ الدَّهْرِ
فَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ أَوْكَ دِ اسْبَابِي إِلَى الْفَقْرِ

(١) الْقَرْمُ : سيّد القوم . قال الشاعر كما في شواهد العربية :

إلى المليك القرم وأبن الهمام وليث الكتبية في المزدحم

وَقَدْ أَفْنَيْتُ مَا أَفْنَيْتُ ت فِي شُكْرِكَ مِنْ عُمْرِي
 مَوَاعِينِدُ كَمَا أَخْبَتْ سَرَابَ الْمَهْمَةِ الْقَفْرِ
 فَمِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ وَمِنْ شَهْرٍ إِلَى شَهْرٍ
 لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَصْنَعَ عَ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي

ووقف دعبل الخزاعي ببعض أمراء (الرقّة) ، فقال : إني لا
 أقول كما قال صاحبُ معني [في «تاريخ بغداد» ٢٣٩/١٣ من الوافر] :

بِأَيِّ الْخُلْتَيْنِ عَلَيْكَ أَتْنِي فَإِنِّي عِنْدَ مُنْصَرَفِي مَسْئُولُ
 أَبِالْحُسْنَى وَلَيْسَ لَهَا ضِيَاءُ عَلَيَّ فَمَنْ يُصَدِّقُ مَا أَقُولُ
 أَمْ الْأُخْرَى وَلَسْتَ لَهَا بِأَهْلٍ وَأَنْتَ لِكُلِّ مَكْرَمَةٍ فَعُولُ

ولكنني أقول كما في «ديوان دعبل» ٢٢٠-٢٢١ من الكامل :

إِنْ قُلْتُ : أَعْطَانِي كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلُ : ضَنَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ .. لَمْ يَجْمُلِ
 وَلَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَا مِنْ أَنْ أَقُولَ : فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلِ
 فَأَخْتَرُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا بُدَّ مُخْبِرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلِ

قال له : قاتلك الله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

وقد سبق إلى المعنى حاتم في قوله [من الكامل] :

وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الضَّيْفَ مُخْبِرُ أَهْلِهِ بِمَيِّتٍ لَيْلِيهِ وَإِنْ لَمْ يُسْأَلِ

ونحنُ ذاكروه بما يتعلّق به في غير هذا الموضع إن شاء الله تعالى .

ومما يستحقُّ أن يُذكرَ بالإعجاب - وإن خلا عن التصريح
 بالاعتضاء ، فلن يكون إلا من أجله ، وهو موضعُ المناسبة - قولُ

البحرّي [في «ديوانه» ٣/ ١٩٧٩ - ١٩٨١ من الطويل] :

وَأَصِيدَ إِنْ نَارَعْتُهُ اللَّحْظَ رَدَّهُ
ثَنَاهُ الْعِدَا عَنِّي فَأَصْبَحَ مُعْرِضًا
وَقَدْ كَانَ سَهْلًا وَاصِحًا فَتَوَعَّرَتْ
الْسُنْتُ الْمُؤَالِي فِيكَ غُرَّ قَصَائِدِ
وَلَوْ أَنَّنِي وَقَرْتُ شِعْرِي وَقَارَهُ
لَاكْبَرْتُ أَنْ أُوْمِي إِلَيْكَ بِإِصْبَعِ
وَكَانَ الَّذِي يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ هَيِّنًا
وَلَكِنِّي أَعْلِي مَحَلِّي أَنْ أَرَى
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أُوؤَبَ مُمْلَكًا
كَلْبَلًا وَإِنْ رَاجَعْتُهُ الْقَوْلَ جَمْعًا^(١)
وَأَوْهَمَهُ الْوَأَشُونَ حَتَّى تَوَهَّمَا
رُبَاهُ وَطَلَقًا وَاصِحًا فَتَجَهَّمَا
هِيَ الْأَنْجُمُ أَقْنَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمًا ؟
وَأَكْرَمْتُ مَدْحِي فِيكَ أَنْ يَهْضَمًا^(٢)
تَضَرَّعُ أَوْ أُذْنِي لِمَعْذِرَةٍ فَمَا
عَلَيَّ وَلَوْ كَانَ الْحِمَامَ الْمُقَدَّمَا
مُدِلًّا وَأَسْتَحْيِيكَ أَنْ أتعظَّمَا
فَأَصْبَحْتُ أَرْجُو أَنْ أُوؤَبَ مُسَلَّمًا^(٣)

من رواع ابن الرومي في الموضوع
فهذا والله الشعرُ يتفجرُ الحجرُ لمسه ، وتهتزُّ القلوبُ لجرسه ،
ولا يقصرُ عنه قولُ ابنِ الرُّوميِّ يُعَاتِبُ أَبَا الصَّقِرِ [كما في «ديوانه»
٥١٨/٢-٥٢٠ من الطويل] :

عَقِيلَ النَّدَى أَطْلِقَ مَدَائِحَ جَمَّةَ
خَوَاسِي حَرَّى قَدْ أَبَتْ أَنْ تُسْرَحًا^(٤)

- (١) الْأَصِيدُ : الرجلُ يرفعُ رأسَهُ كبراً ، وقيلَ للملكِ : أَصِيدُ ، لأنه لا يلتفتُ من الزهو يمينياً ولا شمالاً . جمجم : لم يبينَ كلامه .
- (٢) يَهْضُمُ : يُظْلَمُ وَيُعْتَصَبُ حَقُّهُ .
- (٣) أُوؤَبُ : أَعُوذُ وَأَرْجِعُ .
- (٤) الإِبِلُ الْمُخَيَّسَةُ : هِيَ الإِبِلُ الْمُحْبُوسَةُ لِلنَّحْرِ أَوْ الْقَسَمِ وَلَمْ تُطَلَّقْ ، وَفِي الْبَيْتِ كِنَايَةٌ ظَاهِرَةٌ وَهِيَ جَعْلُهُ الْمَدِيحِ الَّذِي هُوَ أَغْلَى الْكَلَامِ كَالْإِبِلِ الَّتِي هِيَ أَغْلَى شَيْءٍ عِنْدَ الْعَرَبِ . حَرَّى - فَعَلَى مِنَ الْحَرِّ - : وَهِيَ تَأْنِيثُ حَرَّانَ ، وَهِيَ لِلْمَبَالِغَةِ ، يَرِيدُ أَنَّهَا لَشِدَّةٌ حَرَّهَا قَدْ عَطَشَتْ وَيَسَّتْ مِنَ الْعَطَشِ ، وَمِنْهُ طَرَفُ الْحَدِيثِ : « فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرٌ » رَوَاهُ عَنِ مَخْوَلِ الْبَهْزِيِّ ابْنِ حِبَانَ فِي «الإحسان» (٥٨٨٢) بسند ضعيف .

وَكُنْتَ مَتَى تُنْشِذُ مَدِينًا ظَلَمْتَهُ يَكُنْ لَكَ أَهْجَى كُلَّمَا كَانَ أَمْدَحَا
عَدْرَتِكَ لَوْ كَانَتْ سَمَاءً تَقَشَّعَتْ مَحَابِثُهَا أَوْ كَانَ رَوْضٌ تَصَوَّحَا^(١)
وَالكِنْتَهَا سُقْيَا حُرِمْتُ رَوِيَّهَا وَعَارِضُهَا مُلْتَى كَلَاكِلَ جُنَّحَا^(٢)
فِيَا لَكَ بَخْرًا لَمْ أَجِدْ فِيهِ مَشْرَبًا عَلَى أَنَّ غَيْرِي وَاجِدٌ فِيهِ مَسْبَحَا
غَيْرَ أَنَّ الْأَوَّلَ أَفْخَمُ وَأَمْلَأُ لِلضَّمِّ ، فَمَا أَبْدَعَهُ مِنْ قَوْلٍ يَعْرِضُ عَلَى
الفصحاءِ فِي مِيدَانِهِ الْجَوْلِ .

وقال البحرئي أيضاً فيما يشبه ما نحن فيه [كما في «ديوانه» ٤/٢٤٢٢ الشعراء في هذا الميدان من البسيط]:

يُطِيلُ تَسْوِيفَ وَعَدِي ثُمَّ يُخْلِفُهُ عَمْدًا وَيَمْطُلُ دَنِيئِي ثُمَّ يَلْوِيهِ^(٣)
وقال [من الطويل]:

لَيْسَ غَرْنِي مَطْلُ الْبَخِيلِ لِقَبْلَهُ غُرْزُ بِاسْعَافِ الْخَيْالِ الَّذِي يَسْرِي
وقال الناظم [في «المكبري» ٢/٤١-٤٢ من البسيط]:

أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مَثْرٍ خَازِنًا وَوَيْدَا أَنَا الْغَنِيُّ وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ^(٤)
إِنِّي نَزَلْتُ بِكَدَائِبِنَ ضَيْفُهُمْ عَنِ الْقَرَى وَعَنِ الْتَرْحَالِ مَخْدُودُ
جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ

- (١) أنقش الغيم والسحاب: إذا كشفت الریح . تصوَّح الروض: إذا تمَّ يبسه .
- (٢) الكلاكل: الجماعات .
- (٣) مَطَّل: سوف الوعد مرة بعد أخرى . لَوَى: بمعنى مَطَّل .
- (٤) أَرْوَحَ: من الراحة .

وَأَبْطَأَ رَجُلٌ بُوْعِدِهِ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ [مَنْ الْمَسْرُوحُ] :

لَا جَعَلَ اللَّهُ لِي إِيْنِكَ وَلَا عِنْدَكَ مَا عِشْتُ حَاجَةً أَبَدًا
مَا جِئْتُ فِي حَاجَةٍ أَقْرُبُهَا إِلَّا تَنَاقَلْتُ ثُمَّ قُلْتُ غَدًا

وقال بشارُ فيما يشبهُ الكلامَ [في «ديوانه» ٢١١/٤-٢١٢ من الطويل] :

وَلَا تَبْخَلَا بُخْلَ ابْنِ قَزَعَةَ إِنَّهُ مَخَافَةٌ أَنْ يُزَجِّيَ نَدَاهُ حَزِينُ
إِذَا جِئْتُهُ فِي حَاجَةٍ سَدَّ بَابَهُ فَلَنْ تَلْقَهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَمِينُ

وقال كثيرٌ [في «ديوانه» ٥٠٧ من الوافر] :

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمِطَالَأَ

وقال [في «ديوانه» ١٤٣ من الطويل] :

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوْفَى غَرِيمَهُ وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مُعْتَى غَرِيمُهَا^(١)

فيحكي [كما في «الأغاني» ٣٦/٩] : أَنَّهُ كَانَ لَكَثِيرٍ عَبْدٌ يَبِيعُ لَهُ الطَّيْبَ

مِنَ النِّسَاءِ ، وَيَنْسَوُهُنَّ بِالثَّمَنِ ، فَجَاءَ يَتَقَاضَاهُنَّ ، فَأَذَيْنَهُ إِلَّا

واحدةً ، لَمْ يَعْرِفْهَا لِمَكَانِ الْبُرْقِعِ ، فَمَثَلَ بَيْتَ مَوْلَاهُ هَذَا ، فَقُلْنَ

لَهُ : أَتَدْرِي مَنْ هَذِهِ !؟ قَالَ : لَا ، قُلْنَ لَهُ : إِنَّهَا عَزَّةٌ ، قَالَ :

أَشْهَدُكُمْ أَنَّهَا فِي حِلٍّ مِمَّا عِنْدَهَا ، وَأَخْبَرَ مَوْلَاهُ فَسَرَّ بِصَنِيعِهِ ،

وَأَعْتَقَهُ .

ويحكي [كما في «الأغاني» ٣٦/٩] : أَنَّ عَزَّةً دَخَلَتْ عَلَى أُمِّ الْبَنِينِ ،

فتوى في الحب

فَقَالَتْ لَهَا : مَا الدَّيْنُ الَّذِي يَتَقَاضَاكَ كَثِيرٌ ؟ قَالَتْ : قُبْلَةٌ وَعَدْتُهُ

إِيَّاهَا ، قَالَتْ : أَنْجِزِيهِ مَا وَعَدْتِ ، وَإِثْمُ ذَلِكَ عَلَيَّ .

(١) المعنى - من العناء - : وهو المشقة والتعب .

فكانت أمّ البنين تبكي كلما ذكرت فتواها هذه لعزّة ، وأعتقت فيها رقاباً ، وتصدّقت .

شر الآفات البخل

وقال بعضهم [من الطويل] :

فإن تجمّع الآفات فالبُخلُ شرّها وشرٌّ من البُخلِ المَواعيدُ والمَطلُ

وسأل بعضهم عديّ بن حاتم حاجة ، فصرّح بالَمَنع ، فقال له : لا شيء أفضل من كأنك لم تكن من حاتم ؟! فقال عديّ : إن لم أكن في الشطرِ الثاني . . فإنني منه في الأوّل ، يعني قوله [في شرح ديوان حاتم] « ٥١ من الطويل] :

أماويّ إمّا مانعٌ فمبيّنٌ وإمّا عطاءٌ لا يُنهيهُ الزجرُ^(١)

وقال أعرابيٌّ : فلانٌ له وعدٌ عاقبته المَطلُ ، وثمرته الخُلفُ ، وصف لبخلٍ ومحصولة اليأس .

وقال الثعالبيُّ : أوّلُ من أخلف المَواعيدَ ، ولم يفِ بشيءٍ منها : أولُ من أخلف إسماعيلُ بنُ صبيح ، كاتبُ الرشيدِ ، وما كانت الرؤساءُ قبله تُعرفُ المَواعيدَ الكاذبةً .

وأشتهرَ أحدُ اللثامِ بشدّةِ الحرصِ ، حتّى أيسرَ منه المِكدُونُ ، دواءٌ ينفعُ مع اللثيم فتذكروا غِلظةَ كَبِدِهِ ، وتحجّرَ يَدِهِ ، فقالَ أحدهمُ : أنا لهُ ، الحرصُ فقالوا : لَنْ تَقْدِرَ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ ، وخاطروه^(٢) ، فغدا على بابِهِ يقرعُهُ قرعاً شديداً ، حتّى أضجَرَهُ ، وآلِي أن لا ينصرفَ إلاّ بنوَالِ

(١) يُنهيهُ : يكفُهُ .

(٢) التَخاطَرُ : التَراهنُ ، وسمي الرهانُ : مَخاطرةً ؛ لما فيه من احتمالِ فِقدِ ما يكون فيها أو سلامته .

أو وعدٍ ، فوعدهُ بدائِقٍ إلى سَنَةٍ ، فبَكَرَ إليه مِنَ الغدِ ، وأَقْلَقَ راحتهُ ، وقال له : أَحْسَبُ فقد مضى مِنَ السَنَةِ يَوْمٌ ، وَلَمْ يَزَلْ يباكرُهُ بمثلِ ذلكَ . . . حَتَّى ضَيَّقَ عليه أَنْفاسَهُ ، فرأى التخلُّصَ بَدْفِعِ الدائِقِ أهونَ عليه ، فنقدهُ إِياهُ ، فأستحقَّ الخَطَرَ على أصحابِهِ ، وما أَظنُّهُ أَهتدى لِهَذِهِ الحيلةِ إِلَّا مِنْ حيثُ فَتَحَ لَهُ بابها شيخُ (المعرَّة) في قوله [في « سقط الزند » ١٦٥ من الكامل] :

إِنَّ الْبَخِيلَ إِذَا يُمَدُّ لَهُ الْمَدَى فِي الْجُودِ هَانَ عَلَيْهِ وَعَدُّ السَّائِلِ

الوعد في الحب

أما اقتناع المحييين بالمواعيد : فإنه حديث آخر ، ومنه قول

سلطانهم [في « ديوان ابن الفارض » ١٣٨ من الطويل] :

عِدْنِي بِوَضَلٍ وَأَمْطَلِي بِنَجَارِهِ فَعِدْنِي إِذَا صَحَّ الْهَوَى حَسَنَ الْمَطْلِ

وقوله [في « ديوانه » ١١ من الرَّمَل] :

أَوْعِدُونِي أَوْ عِدُونِي وَأَمْطَلُوا حُكْمُ دِينِ الْحُبِّ دِينُ الْحُبِّ لِي^(١)

الكثون والمواعيد

ويأتي ما يتعلق به في فرصة أنسب له من هذه إن شاء الله تعالى ، وما أدري أصحح ما يقال : إِنَّ الْكَثُونَ يَعِيشُ بِالْمُواعيدِ أَمْ لا^(٢) ؟ ففي ذلك ينشدون [من البسيط] :

(١) أَوْعِدُونِي : هَدُونِي ، مِنَ الوعيدِ . عِدُونِي : مِنَ الوعدِ ، يريدُ : أَنْ حُكْمَ دِينِ

الْحُبِّ يُحْلُلُ المماطلةَ فِي أداءِ دِينِ المَحَبِّ . قال الشاعر :

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدتي

(٢) يقال : إِنَّ الْكَثُونَ عندما لا يبقى ماء لسقياهُ يقولون له : سنسقيك غداً ، فيغنيه

هذا الكلام عن السقيا ، قال الشاعر :

فَأَصْبَحْتُ كَالْكَثُونَ مَاتَتْ عُرْوَتُهُ وَأَغْصَلْنُهُ مِمَّا يُمَسُونَهُ خُضْرُ

وفي المثل ببلاد الشام : بالوعد يا كمون .

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ كَمُونًا بِمَزْرَعَةٍ إِنْ فَاتَهُ السَّقْيُ أَغْتَتَهُ الْمَوَاعِيدُ

وَأَمَّا قَوْلُهُ : (وَلَا يُتَكَدَّمَا) .. فَنَظَرٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [١٦٦] ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [١٦٧] يَكْفِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَةً لِلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ [البقرة : ٢٦٢-٢٦٤] .

التنكييد والمن في
المطاء في أصدق
الكلام

ووجه مناسبة قوله : ﴿ والله غني ﴾ لِمَا قَبْلَهُ أَنَّ اللَّهَ يَتَلَقَّى الصَّدَقَةَ بِيَدِهِ كَمَا فِي « الصَّحِيحَيْنِ »^(١) ، وَإِنَّمَا يَنَالُهُ مِنَ عِبَادِهِ التَّقْوَى ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ .

وَقَالَ الْحَطِيبَةُ [في « ديوانه » ٤١ من الطويل] :

التنكييد والمن في
المطاء عند الشعراء

وَإِنْ كَانَتْ النَّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدَّرُوا

وَقَالَ الْأَعشى يمدحُ المنتشر [من البسيط] :

مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مَنْ يُكَدِّرُهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدَّرُ

وَقَالَ الْقَطَامِيُّ [في « ديوانه » ٣٨ من الوافر] :

فَلَمْ أَرْ مُنْعِمِينَ أَقَلَّ مِنَّا وَأَكْرَمَ عِنْدَمَا أَضْطَنَعُوا أَضْطِنَاعَا
مِنَ الْبَيْضِ الْوُجُوهِ بَيْنِي نُفَيْلِ أَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ إِلَّا أَتْسَاعَا

(١) وذلك في الحديث الذي رواه البخاري في (الزكاة) (١٤١٠) ومسلم في (الزكاة) (١٠١٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ تَصَدَّقَ بَعْدَلَ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَرِيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرِي أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ أَوْ قَلْوَصُهُ ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ » واللفظ للبخاري .

وقوله : (أَقَلَّ مِنَّا) شبيهة بما مرَّ القولُ فيه مِنْ نَفْيِ الشَّيْءِ بِإِيجَابِهِ ، والمرادُ : عدمُ المَنِّ ، كما في قولِهِمْ عَن وَصْفِهِ ﷺ : (كَانَ يُقَالُ لِلْغَوِّ) ؛ إِذِ المرادُ منه : أَنَّهُ لَا يَقُولُ لِعَوًّا أَبَدًا .

وقال جريرٌ يمدحُ بني أميةَ [من البسيط] :

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَخْدُوهَا ثَمَانِيَةَ مَا فِي عَطَائِهِمْ مِنْ وَلَا سَرَفُ

وقال الأخطلُ [في «ديوانه» ١٧٢ من البسيط] :

بَنِي أُمِيَّةَ نَعْمَاكُمْ مُجَلَّلَةٌ تَمَّتْ فَلَا مِثَّةَ فِيهَا وَلَا كَدْرُ

وقال أبو قابوسٍ يمدحُ يحيى بنَ خالدِ البرمكيَّ [من البسيط] :

يُنْسَى الَّذِي كَانَ مِنْ مَعْرُوفِهِ أَبَدًا إِلَى الرَّجَالِ وَلَا يُنْسَى الَّذِي يَعِدُ

وقال رجلٌ لمسلمٍ بنِ قريشٍ : لَا تَنْسَ حَاجَتِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، قَالَ : لَنْ أَنْسَاهَا إِلَّا إِذَا قَضَيْتُهَا .

وقال أبو عبادةَ [في «ديوانه» ١٣٩٧/٣ من الطويل] :

كَرُمْتَ فَمَا كَدَّرْتَ نَيْلَكَ عِنْدَنَا بِمَنْ وَلَا أَتْبَعْتَ وَغَدَكَ بِالْخُلْفِ

وأكثرُ الناظمُ في المعنى فمِنهُ قَوْلُهُ [في «العُكْبَرِيِّ» ٦٥/٤ من المنسرح] : تَكَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ الْمُتَنَبِّئِيِّ

تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ أَعْتِدَادَهُمْ أَنَّهُمْ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا

وقوله [في «العُكْبَرِيِّ» ١٧٣/١ من البسيط] :

إِلَى الَّذِي تَهَبُ الدُّوَلَاتِ رَاحَتُهُ وَلَا يَمُنُّ عَلَيَّ آثَارِ مَوْهُوبٍ (١)

(١) الدُّوَلَاتُ : تعريضُ بسيفِ الدَّوَلَةِ ، يريدُ : أَنَّهُ مَلِكٌ عَظِيمٌ تَصِلُ عَطَايَاهُ إِلَى الدُّوَلَاتِ .

وقوله - وقد تقدّم - [في «المكبري» ٨٧/٣ من البسيط] :

أَنْتِ الْجَوَادُ بِلَا مَنْ وَلَا كَدْرٍ وَلَا مِطَالٍ وَلَا وَعْدٍ وَلَا مَذَلٍ (١)

وقوله [في «المكبري» ٢٥٨/٣ من الكامل] :

سَتَرُوا النَّدَى سَتَرَ الْغُرَابِ سِفَادَهُ فَبَدَا وَهَلْ يَخْفَى الرَّيَابُ الْهَاطِلُ (٢) ؟

وقال بعضُ الهاشميين : كانت أمُّ جعفرِ البرمكيِّ تزورنا - وهي أم جعفر البرمكي تصف
أمرأةً جَزَلَةً - فسألْتُها يوماً عَنْ حَالِ ولديها : (الفضلِ وجعفرِ) ، أولادها
قالتُ : لا أزيدُكَ على واقعةٍ لهما وهما طفلانِ : عادَ يحيى إلى
البيتِ بعدَ فراغِهِ مِنْ شُغْلِ السلطانِ ، فقالَ لجعفرِ : بلغني أَنَّكَ تلعبُ
الشطرنجَ ، قالَ : نعم ، قالَ : فهل لك أن تلعبَ معَ أخيك؟ قالَ :
نعم ، فأعْتذَرَ الفضلُ ، فقالَ يحيى : أتَلعبُ معه على المُقامرةِ ،
وأنا في جانبِهِ؟ قالَ : نعم ، فأمتنعَ الفضلُ وأستحيا ، فأنصرفَ ،
فترى أنَّ جعفرًا أخطأَ مِنْ جهاتٍ ، وعزمَ اللهُ للفضلِ بالثباتِ .

ولما ظننَّا أَنَّها قضتْ له على جعفرٍ . . قالتُ : فخلوتُ بجعفرِ ،
وقلتُ له : تعرفُ أَنَّ أباك يكرهُ اللعِبَ ، وقد صارحتُهُ بأنَّكَ تلعبُ!
قالَ : ذاكَ أهونُ عليَّ مِنْ أَنْ أكذِبَهُ . قلتُ له : وحرصتَ على أن
تُحجَلَ أخاكَ بغلبتِهِ! قالَ : أعرفُ تفوقَهُ عليَّ ، ولو ضَعُفَ . .

(١) المَذَلُ : الفترةُ والضجرُ .

(٢) سَفَدٌ يَسْفُدُ سِفَاداً : هو نَزْوُ الذَكَرِ على الأنثى ، يقالُ ذلك في التيسِ والبعيرِ
والثورِ والطيرِ والسباعِ . والريابُ : غيمٌ يتعلَّقُ بأسافلِ السحابِ إذا كَثُرَ ماؤهُ .
والمعنى : أَنَّهُم يكتُمونَ معروفَهُم كما يكتُمُ الغرابُ سِفادَهُ ، ثُمَّ ذلكَ لا يُكْتَمُ
كما لا يخفيُ السحابُ الهاطِلُ .

لانغلبتُ له . قلتُ : وأكبرُ مِن ذلكَ كلِّه رضاكَ بالمُقامرة! قالَ :
 ما حملني عليها إلاَّ أنَّ الرشيذَ أعطاني دواةً مِن الجواهرِ ، ورأيتُ
 أخي يستحسنُها ، وكرهتُ أن يريَ لي مِنَّه عليه إنَّ أنا أهديتها له ،
 فأحبتُّ أن يأخذها بالغلبةِ ؛ لتكونَ أهنأَ له . قلتُ له : وقاصِمةُ
 الظَّهرِ ، رضاكَ بمغالبةِ أبيك!! قالَ : قد عرفتِ جوابها مِن أنغلابي
 لا محالةً ، وإنَّما أردتُ تشجيعَ أخي على اللعِبِ حتَّى يستأثرَ
 بالدَّواةِ ، فصبرتُ للجُرأةِ على أبي مِن أجلِ ذلكَ . قالَ الهاشميُّ :
 فقلتُ لها : أكانَ ذلكَ وقد بلغا الحُلُمَ؟ قالتُ : أين يُذهَبُ بك؟! أما
 قلتُ لك : إنَّهما طفلانِ ، إنَّ الصبيَّ إذا بلغَ عشرًا لمَ نُمكِّنه أن يتبسَّم
 بمحضِ الرجالِ .

وأقولُ : إنَّ آخرَها ليسَ بأكبرَ ممَّا رويَ عنَ بعضِ أجدادنا
 العلويِّينَ أنَّه قالَ : جنثُ وأنا في التاسِعةِ مِن عُمرِي ، وأمِّي تُسبِّحُ
 الضُّحى ، فرأيتُ ما أرتفعَ له صوتي قليلاً بالضحكِ ، فما أنفتلتُ
 أمِّي مِن صلاتِها.. إلاَّ وقد بَلَّتْ خمارَها بالدموعِ تسترجعُ ،
 وتقولُ : لقد أصبَحَت بيوتنا شبيهةً بالأسواقِ ، وما كانَ يُسمَعُ فيها
 إلاَّ ذِكْرُ اللهِ ، وتلاوةُ القرآنِ ، فقالتُ لي أختي مريمُ : هل لكَ في
 التوبةِ؟ قلتُ : نعم ، وتبتُّ على يدها ، وأخذتُ ميثاقي على أن لا
 أعودَ إلى مثلِها ، وبقيَ الخدمُ سنَّةً يُؤنَّبوني ، ويقولونَ : توبةٌ
 مقبولةٌ .

أصبحت بيوتنا
كالأسواق

ولقد صدقَ أشجعُ في قولِهِ عنِ البرامِكَةِ عامَّةً ، وعنَ جعفرِ
 خاصَّةً [في «ديوانه» ٢٢٠١ من الكامل] :

مديح البرامكة

سَادَ الْبَرَامِكِ جَعْفَرُ وَهُمْ الْأَوْلَى بَعْدَ الْخَلَائِفِ سَادَةُ الْإِنْسِ

وَصَدَقْتُ أَنَا فِي قَوْلِي عَنِ لَهَامِيمٍ ^(١) السَّابِقِينَ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ [في قصائد للمؤلف في

مدح العلويين

ديوان المؤلف « ٢٢٦ من الطويل] :

مَلَائِكَةٌ فِي سَمْتِهِمْ وَلَدَى الْوَعَى لُيُوثٌ لَهُمْ فِي الْمَشْرِفِيَّةِ أَخْيَاسُ
عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَارِي وَقَارٌ لَأَنَّهُمْ بِأَزْوَاجِهِمْ فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ جُلَاسُ ^(٢)

وقولي [كما في « ديوان المؤلف » ١٢١ من الطويل] :

وَمَنْ دَرَجُوا عَنْ وَكْرِهِمْ مِنْ أَيْمَةٍ يَبَّاسٌ مُلُوكٌ فِي لِبَاسِ مَلَائِكِ
نُجُومُ الْهُدَى مِنْ بَاسِهِمْ يَنْمَحِي الرَّدَى وَتَعْنُو الْعِدَا مِنْ فَتْكِهِمْ فِي الْمَعَارِكِ ^(٣)

وقولي [كما في « ديوان المؤلف » ٢٥١ من الطويل] :

لِيَالِي كَانَ الْخَيُّ يَزْهُو بِجَيْرَةٍ لَهُمْ حَلِيَّةٌ التَّقْوَى إِلَى رِقَّةِ الطَّبَعِ
مَرَايِحُ سَبَّاقُونَ فِي الْمَجْدِ لَمْ يُرْذ بِهِمْ [رَبُّهُمْ] لِلْعَالَمِينَ سِوَى النُّفَعِ ^(٤)

في كثير من أمثال ذلك .

وَمِنْ أَبْلَغِ مَا سَمِعْنَا فِي تَعَاظُمِ السَّائِلِ ، وَسَمَاحَةِ نَفْسِ أَبْلَغِ مَا رَوِيَ فِي تَعَاظُمِ
المسؤول ، مَا ذُكِرَ عَنْ بَعْضِهِمْ - وَأَظَنُّهُ الْمَهْلَبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ بَعْدَ
المسؤول
ذَهَابِ دَوْلَتِهِ ، وَزَوَالِ نِعْمَتِهِ - : أَنَّهُ تَحَمَّلَ أَلْفَ بَعِيرٍ فِي الْإِصْلَاحِ ،

(١) لهاميم - جمع لهميم - : وهو السابق الجواد .

(٢) في « الديوان » (٢٢٦) :

مَلَائِكَةٌ فِي سَمْتِهِمْ وَلَدَى الْوَعَى لُيُوثٌ الشَّرَى وَالْمَشْرِفِيَّاتُ أَخْيَاسُ
عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَارِي الْوَقَارُ وَكَيْفَ لَا وَهُمْ بِالنُّهَى فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ جُلَاسُ

الشَّرَى : جليلٌ بـ(تَهَامَةٌ) كثيرُ السباع . المشرفيات : سيوفٌ معروفة .
أخيَّاسُ : ملتفة ، وأصله الشجرُ الملتفُّ .

(٣) نَعْنُوا : تخضعُ .

(٤) مَرَايِحُ : حلماؤُ .

فَقَصَدَ مَلِكَ (العراقِ) ، وَهُوَ الْكُوْثُرُ بْنُ الصَّعْرِ - فِيمَا إِخَالَ - وَقَالَ لَهُ : الْأَمَلُ أَوْقَفَنِي بِبَابِكَ ، وَحُسْنُ الظَّنِّ سَاقَنِي إِلَيْكَ ، وَكَمَا لَمْ أَصُنْ وَجْهِي عَنِ سَوَالِكَ . . صُنْ وَجْهَكَ عَنِ رَدِّي ، وَأَنْهَيْ لَهُ الْقِصَّةَ ، وَأَنْشُدْ [مَنْ الْوَافِرُ] :

وَكَُنْتُ خَبَاتُ أَمَالِي لِيَزُومَ فَهَذَا الْيَوْمُ يَوْمُكَ وَالسَّلَامُ
وَكَُنْتُ أَطَالِبُ الدُّنْيَا بِحُرِّ فَأَنْتَ الْحُرُّ وَأَنْقَطَعَ الْكَلَامُ

فَاهْتَرَّ ، وَأَمَرَ لَهُ بِهَا وَبِمِثْلِهَا مَعَهَا ، فَقَالَ : أَمَّا هِيَ . . فَمَقْبُولَةٌ ؛ لِأَنَّهَا الْمَطْلَبُ ، وَأَمَّا الْبَاقِي . . فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ، وَلَيْسَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي بِأَفْضَلِ مِنَ الَّذِي أَعْطَيْتَكَ - يَعْنِي مَاءَ وَجْهِهِ - فَمَا كَانَ مِنَ الْأَمِيرِ إِلَّا أَنْ نَزَلَ عَنْ تَكْرَمَتِهِ ، وَأَقْعَدَ الْمَهْلَبَ عَلَيْهَا ، وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِضِرَاعَةٍ وَإِلْحَاحٍ أَنْ لَا يَرُدَّ عَطِيَّتَهُ ، وَأَنْ لَا يَقْمَأَهُ^(١) بَعْدَ قَبُولِهَا ، فَفَعَلَ وَمَا كَادَ .

ولا يبعد عنها ما كان من طاهر بن الحسين ، فإن الناظم امتدحه بطلب من أبي محمد بن طنج ، ثم ركب إليه هو وإيائه ، فنزل طاهر عن سريره ، وأجلس الناظم على مرتبته ، ثم أشده القصيدة المستهلة بقوله [في «المكبري» ١٤٧/١ من الطويل] :

أَعِينُوا صَبَاحِي فَهَوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ [وَرَدُّوا رُقَادِي فَهَوَ لَخْظُ الْحَبَابِ]^(٢)
فَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعًا نَفِيسَةً ، قَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : مَا رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ أَنَّ شَاعِرًا جَلَسَ الْمَمْدُوحُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَسْتَمِعًا لِمَدْحِهِ سِوَى مَا كَانَ مِنْ طَاهِرٍ مَعَ أَبِي الطَّيِّبِ .

(١) يقمأه : يُصْفَرُه .

(٢) الكواعب - جمع كاعب - : وهي الجارية التي قد علا نهدها .

العفة في السؤال وحفظ
ماء الوجه

وما أحسن قولَ أبي تمامٍ [في «ديوانه» ٣٥٣/٢ من البسيط] :

مَا مَاءُ كَفْكَ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخِلَتْ مِنْ مَاءٍ وَجْهِي إِنْ أَفْنَيْتُهُ عَوْضٌ^(١)

وقوله [في «ديوانه» ١٦٢/١ من البسيط] :

أَعْطَى وَتَنْطَفَءُ وَجْهِي فِي قَرَارَتِهَا تَصُونُهَا الْوَجَنَاتُ الْغَضَّةُ الْقَشْبُ^(٢)
لَا يَكْرُمُ الظَّنْفَرُ الْمُعْطَى وَإِنْ حَصَلَتْ بِهِ الرِّغَائِبُ حَتَّى يَكْرُمَ الطَّلَبُ

وقال أبو عبادة [في «ديوانه» ٢٠٩٤/٤ من الطويل] :

وَمَا خَطَرِي دُونَ الْغِنَى إِنْ بَلَغْتَهُ سُؤَالًا وَلَا عِرْضِي نَظِيرُ الدَّرَاهِمِ

وقال مهيار [في «ديوانه» ٣٤٦/٣ من الطويل] :

تَنَفَّسْتُ عَنْ عَثْبٍ فَوَادِي مُفْصِحٌ بِهِ وَلِسَانِي لِلْحِفَاظِ يُجْمَعُ^(٣)
وَفِي مَاءٍ مِنْ بَقَايَا وَدَادِكُمْ كَثِيرًا بِهِ مِنْ مَاءٍ وَجْهِي أَرْقَمْتُ

جابر عثرات الكرام

وَيُحْكِي : أَنَّ بَعْضَ الْكِرَامِ أَمَلَقَ فِي الْعَهْدِ الْأُمَوِيِّ ، وَأَرْتَكِبْتُهُ
الديونُ فقَبِحَ فِي كِسْرِ بَيْتِهِ ، وَلَمْ يَشْعُرْ فِي إِحْدَى اللَّيَالِي إِلَّا بِطَارِقِ
يَقْرَعُ بَابَهُ ، وَفِي يَدِهِ خَمْسَةُ آلَافِ دِينَارٍ دَفَعَهَا إِلَيْهِ ، فَسَأَلَهُ عَنِ
أَسْمِهِ ، فَلَمْ يَزِدْهُ عَلَيَّ أَنْ قَالَ لَهُ : أَنَا جَابِرُ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ ، فَقَضَى
الرَّجُلُ دَيْنَهُ ، وَأَصْلَحَ شَأْنُهُ ، وَتَجَهَّزَ لِلوَفَادَةِ عَلَيَّ الْخَلِيفَةِ ، فَوَلَّاهُ
تِلْكَ النَّاخِيَةَ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَأْخُذَ سَلْفَهُ بِمَا عِنْدَهُ ، وَأَنْ يَنَاقِشَهُ

(١) ماءُ الوجه : رَوْنَقُهُ ؛ أَي : إِنَّ كِرَامِي أَعْظَمُ مِنْ أَحْلَاثِكَ فِي حَالَتِي الدَّفْعِ
وَالْمَنْعِ .

(٢) النَطْفَةُ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ ، اسْتَعَارَهَا لِمَاءِ الْوَجْهِ . الْقَرَارَةُ : الْمَطْمِئَةُ مِنَ الْأَرْضِ .
الغَضَّةُ : الطَّرِيَّةُ . الْقَشْبُ : الْبَيْضُ .

(٣) الحِفَاظُ : الْمَنْعَةُ وَالْإِبَاءُ . يُجْمَعُ : لَا يَبِينُ الْكَلَامَ مِنْ غَيْرِ عِيٍّ

الحساب ، فسَدَّدَ المعزولُ ما في جرائده ، غيرَ أَنَّهُ عَجَزَ عَنْ خَمْسَةِ
أَلْفِ دِينَارٍ ، فَأَوْدَعَهُ السَّجْنَ مِنْ أَجْلِهَا ، فَأَرَادَتْهُ أَمْرَاتُهُ عَلَى أَنْ
يَسْتَعْرِفَ لِلْأَمِيرِ ، فَلَمْ يَرْضَ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَّا أَنْ رَكِبَتْ إِلَيْهِ بَعْدَ
هُدَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَقَالَتْ لَهُ : تَدْرِي مَنْ فِي سَجْنِكَ؟ قَالَ : فَلَانٌ ،
قَالَتْ : إِنَّهُ لَفَلَانٌ ، وَإِنَّهُ لَجَابِرُ عَشْرَاتِ الْكِرَامِ ، فَأَضْطَرَبَ ،
وَأَسْتَرْجَعَ ، وَكَادَ أَنْ يُغْشَى عَلَيْهِ ، وَذَهَبَ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَأَطْلَقَ وَثَاقَهُ
بِيَدِهِ ، وَرَفَعَ قَدْرَهُ ، وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ ، وَطَالَعَ الْخَلِيفَةَ بِالْحَالِ ،
فَأَسْتَسْنَى^(١) قِيمَتَهُمَا ، وَبَالَغَ فِي الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمَا ، وَأَبْقَى الْعَمَلَ شَرَكَةً
بَيْنَهُمَا فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، فَعَاشَا أَرْغَدَ عَيْشٍ وَأَهْنَأُ ، فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى
أَهْلِ الْجُودِ وَالْوَفَاءِ ، وَأَتَى بِهِمُ الْآنَ^(٢) !؟

كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُورِ إِلَى الصَّفَا [أَنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرًا]^(٣)

غَاضَ الْوَفَاءُ وَفَاضَ الْغَدْرُ وَأَنْفَرَجَتْ مَسَافَةُ الْخُلْفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ^(٤)

الخلف أقيح من البخل وقالوا : إِنَّ الْخُلْفَ أَقِيحٌ مِنَ الْبَخْلِ ؛ لِأَشْتِمَالِهِ عَلَى ثَلَاثِ مِنْ
الْمَذَامِ : الْكُذْبِ ، وَاللُّؤْمِ ، وَتَخْيِيبِ الْأَمْلِ .

(١) استسنى - مأخوذٌ مِنَ السَّئِءِ - : وَهُوَ الرِّفْعَةُ . وَأَسْنَأُ : رَفَعَ قِيَمَتَهُ .

(٢) قَالَ بِهَذَا الْمَعْنَى أَحَدُهُمْ :

مَاتَ الرِّجَالُ وَمَضُوا وَانْقَضُوا وَمَاتَتْ مَعَهُمْ تِلْكَ الْكِرَامَاتُ
وَلَوْ أَبْصَرُوا طَيْفَ ضَيْفٍ فِي الْكَرَى مَاتُوا
وَقَالَ آخَرُ :

رَأَى الصَّيْفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ فَصَحَّفَهُ ضَيْفًا فَمَاتَ مِنَ الذِّعْرِ

(٣) الْبَيْتُ مِنَ الطَّوِيلِ .

(٤) هَذَا الْبَيْتُ مِنْ « لَامِيَةِ الْعَجْمِ » وَهُوَ مِنَ الطَّوِيلِ .

وقال زيادُ الأعجمُ [في «شعره» ١٦١ من مجزوء الكامل] :

للهِ دَرَكٌ مِمَّنْ فَتَى لَوْ كُنْتَ تَفَعَلُ مَا تَقُولُ
لَا خَيْرَ فِي كَذِبِ الْجَوَا وَحَبَّذَا كَذِبُ الْبَخِيلِ

وَمِنْ أَقْبَحِ مَا ذَكَرُوا فِي الْمَنْ : أَنَّ رَجُلًا أَهْدَى بِطَيْخَةَ إِلَى
الْأَعْمَشِ ، فَلَقَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي ، وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ كَانَتِ الْبَطِيخَةُ يَا
أَبَا مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ : طَيِّبَةٌ ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْقَوْلَ ثَانِيًا ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ
كَفَفْتَ وَإِلَّا قَتَّيْتَهَا .

وَأَنَّ أَبَا الْهَذِيلِ أَهْدَى إِلَى أُسْتَاذِهِ لَهُ دِجَاجَةً ، فَجَعَلَهَا تَارِيخًا لِكُلِّ
كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ مِنْ شَأْنِهِ ، فَيَقُولُ : جَاءَ الْأَمِيرُ يَوْمَ أَهْدَيْتُ الدِّجَاجَةَ ،
وَمَاتَ الْقَاضِي بَعْدَ إِهْدَاءِ الدِّجَاجَةِ بِعَشْرَةِ أَيَّامٍ ، وَهَكَذَا .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْبُحْتَرِيِّ [في «ديوانه» ٥١٠/١ من الخفيف] :

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُنَاكِدُ حَتَّى إِذَا فَنَاءَ مِنَ النَّسِيبَةِ نَقَدُهُ^(١)

وقول الناظم [في «المكبري» ٢٣٦/٤ من البسيط] :

وَتَغْضَبُونَ عَلَيَّ مَنْ نَالَ رِفْدَكُمْ حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْمَنْنُ

وهو أحدُ معاني قوله [في «المكبري» ١٨٥/١ من الطويل] :

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِدًا لِمَنْ بَاتَ فِي مَعْرُوفِهِ يَتَّقَلَّبُ

(١) النسيئة : التأخيرُ، والدينُ الموجلُ ومنه قول ابن عوف : ما بعت نسيئة ولا احتقرت ربحاً .

وقال شاعرُ (المعرّة) [في « سقط الزند » ١٥٧ من البسيط] :
وَدَعُ أَنْاسًا إِذَا أَجْدُوا عَلَيَّ رَجُلًا رَتَّوْا إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْمُغْضَبِ الْحَقِيقِ^(١)

* * *

(١) أجدوا على رجلٍ : أنعموا عليه ، من الجدا ، وهو العطاء . رتا : أدام النظر .
الحقّيقُ : الحاقِدُ .

[قال أبو الطيب المتنبّي في «العُكْبَرِيّ» ١/٣٠٨ من المنسرح]:

أَصْبَحَ حُسَّادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُحْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُضْعِدُهَا

لا يُنَكِّرُ أَنْ سَخَرَ^(١) الْخَائِفِ كُلَّمَا أَنْفَخَ . . تَصَعَّدَ النَّفْسُ ، صفات الخائف
وكَلَّمَا خلا . . أَنْحَدَرَ ، وَمِنْ لَازِمِ الْإِنْتِفَاحِ الضَّغْطُ عَلَى الْقَلْبِ ،
حَتَّى رُبَّمَا بَلَغَ الْخَنْجَرَةَ ، كما في الذُّكْرِ الْحَكِيمِ^(٢) . وَأَصْلُ الْمَعْنَى
مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : « نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ »^(٣) .

وَلَمَّا سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ [عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] عَمَّا غَرَسَ لَهُ الْهَيْبَةَ ماذا يعمل الخوف
فِي الْقُلُوبِ . . قَالَ : (إِنِّي أَعْمَدُ إِلَى الْجَبَانِ فَأَصْرَعُهُ ، ثُمَّ لَا أَتْنِي
إِلَى الشُّجَاعِ إِلَّا وَقَدْ ذَهَبَ نَصْفُهُ) ، وَهُوَ فِي هَذَا هَاضِمٌ لِنَفْسِهِ ،
وإِلَّا . . فَالْأَمْرُ مِنْ فَوْقِ ذَلِكَ .

وَلَمَّا أَرْتَدَّ عَمْرُؤُ بْنُ مَعْدِيكَرَبَ الزَّبِيدِيَّ مَعَ مَنْ أَرْتَدَّ مِنْ صور من شجاعة الإمام
(مَذْحِج) . . وَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ خَالَدَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، وَخَالَدَ بْنَ
الْوَلِيدِ ، وَعَلَيْهِمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَيُرْوَى أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ عَمْرَأَ قُرْبُ

(١) السَّخَرُ : الرُّتَّةُ ، تقول عائشة رضي الله عنها : (قبض رسول الله ﷺ بين سحري
ونحري) .

(٢) كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾
[الأحزاب : ١٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْبَعَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ
كَظِيمِينَ ﴾ [غافر : ١٨] .

(٣) رواه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما البخاري (٣٣٥) ، وفي الباب : عن
أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم (٥٢٣) .

مكانِهِمْ . . أقبَلَ في جماعَةٍ مِنْ قومِهِ ، وقالَ : دعوني آتي هؤلاءِ القومِ ؛ فإنِّي لَمْ أَسْمَ لأحدٍ قطُّ إلاَّ هابني ، فلمَّا دنا منهم . . قالَ : أنا أبو ثورٍ ، أنا عمرو بنُ معديكربَ ، فأبتدرهُ عليٌّ وخالدٌ [رضي اللهُ عنهما] ، كلاهما يقولُ لصاحبهِ : دعني وإيَّاهُ ، ويفديه بأبيه وأمه ، فقالَ عمرو عندَ ذلكَ : العربُ تفرغُ مني ، وأراني جزراً لهؤلاءِ ، فأنصرفَ عنهمُ ، ثمَّ رجعَ إلى الإسلامِ^(١) .

وَمِنْ هَذَا أَخَذَ مَهيارُ الدَيْلميُّ قولَهُ [في «ديوانهِ» ٣٢/٤ من الكامل] :

وَإِذَا رَأَوْكَ تَفَرَّقَتْ أَرْواحُهُمْ فَكأَنَّمَا عَرَفْتِكَ قَبْلَ الأَعْيُنِ
فَإِذَا أَرَدْتَ بِأَنْ تَقُلَّ كَتِيْبَةٌ لَأَقْتِنَهَا فَتَسَمَّ فِيهَا وَأَكْتَنِ

وفي الجزء الثالث (ص ١٢٨) مِنْ «شرح نهج البلاغة» : أَنَّهُمْ اجتمعوا بموضع يقالُ لَهُ : (كَسْرٌ) فأقتتلوا هناك ، وصمد^(٢) عمرو عليٌّ ، فعابنَ منه ما لَمْ يحتسبهُ ، ففرَّ مِنْ بينِ يديه هارباً بحشاشةِ نفسه ، وفرَّ معه رؤساءُ (مذحج) وفرسانُهُمْ ، وغنمَ المسلمونَ أموالَهُمْ ، وسبيت في ذلكَ اليومِ ريحانةُ أختِ عمرو .

وقولُهُ : بموضعٍ يقالُ لَهُ : (كَسْرٌ) لاَّ يبعدُ أَنْ يكونَ المرادُ بهِ

(١) في «شرح النهج» (١٢٠/١٢) قريبٌ مِنْ هذا اللفظِ ، ولكنَّ الذي يناسبُ موضوعنا هوَ ما جاءَ في «شرح النهج» (٢٥٩/١٠) أَنَّ سيدنا عمرَ بنَ الخطابِ كتبَ إلى عمرو بنِ معديكربَ - وهوَ شجاعُ العربِ الذي تضربُ فيه الأمثالُ - في أمرِ أنكره عليه :

أما اللهُ : لئن أقمتَ عليَّ ما أنتَ عليهِ . . لأبعثنَّ إليك رجلاً تستصغرُ معه نفسك ، يضعُ سيفه على هامتك ، فيخرجهُ مِنْ بينِ فخذيك . فقالَ عمرو - لَمَّا وقفَ على الكتابِ - : هَدَدَنِي بعليٍّ واللهِ .

(٢) صَمَدٌ لَهُ : بَيَّتَ لَهُ .

(كَسَرَ قَشَاقِشَ) الذي مِنْ قَرَأَهُ الْآنَ (هَيْنَن) ؛ فَإِنَّ أَرْضَ (مَذْحَج)
ليستْ بِالْبَعِيدَةِ مِنْهُ ، إِذْ مِيَاهُهَا تَصُبُّ إِلَى (حَضْرَمَوْت) .
ويقربُ ذلكَ أَنَّ فَرْوَةَ بِنَ مُسَيِّكِ المَرَادِيِّ كَانَ أَسَاءَ السَّيْرَةَ ،
وطلبَ المَدَدَ مِنْ رَسولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلنَ يَسْتَجِيشُهُ إِلَّا وَهُمُ الْغَازِوْنَ ،
واللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الحَالِ .

ثمَّ ذَكَرْتُ أَنَّ الفَرَزْدَقَ سَبَقَ إِلَى المَعْنَى إِذْ يَقولُ فِي رِثَاءِ مَخْلِدِ بِنِ خَوْفِ المَحَارِبِ مِنْ
الاسم عند الفرزدق
يزيد بن المهلب [في «ديوانه» ١/١٩٣ من الطويل] :

أَبُوكَ الَّذِي تُسْتَهْزِمُ الْخَيْلُ بِأَسْمِهِ وَإِنْ كَانَ فِيهَا قَيْدٌ شَبِيرٌ مُطْرَدٌ^(١)
وَقَدْ عَلِمُوا إِذْ شَدَّ حَفْوَيْهِ أَنَّهُ هُوَ اللَّيْثُ لَيْثُ الْغَابِ لَا بِالْمُعْرَبِ^(٢)

والمعنى الذي نحنُ فِيهِ مَتَكَرِّرٌ عِنْدَ النَّاظِمِ ، فَمِنَهُ قَوْلُهُ [في تَكَرُّارِ هَذَا المَعْنَى عِنْدَ
المتنبي
«المُعَبَّرِي» ٢/٣٦٤ من الخفيف] :

طَاعِنُ الطَّغْنَةِ الَّتِي تُذَعِرُ الْفَيْدَ لَقَّ بِالذُّعْرِ وَالذَّمِّ الْمُهْرَاقِ^(٣)
وقوله [في «المُعَبَّرِي» ٣/٢٤٣ من الكامل] :

تَلَفُ الَّذِي اتَّخَذَ الْجِرَاءَةَ خُلَّةً وَعَظَّ الَّذِي اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلًا
وقوله [في «المُعَبَّرِي» ٣/١٣٩ من الخفيف] :

مَا مَضَوْا لَمْ يُقَاتِلُوكَ وَلَكِ نَّ الْقِتَالَ الَّذِي كَفَاكَ الْقِتَالَ

(١) قَيْدٌ : قَدْرٌ . مُطْرَدٌ : طَوِيلٌ تَامٌ . وَالمَعْنَى : أَنَّهَا تَخَافُ مِنْ ذِكْرِ اسْمِهِ وَلَوْ كَانَ
بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ المَسَافَاتُ الشَّاسِعَةُ .

(٢) العَرَبِيُّدُ : هِيَ الحَيَّةُ الَّتِي تَنْفُخُ وَلَا تُؤْذِي ، وَمِنْهُ اسْتَقَّ اسْمُ المُعْرَبِ : لِلرَّجُلِ
السَّكِرِ الشَّرِيرِ . وَالمَعْنَى : أَنَّ مَدَدَ حُهُ مَمَّنْ إِذَا قَالُوا فَعَلُوا .

(٣) الفَيْلَقُ : هُوَ الجَيْشُ . الذُّعْرُ : الخَوْفُ وَالفَرَعُ .

وقوله [في «المكبري» ٢٤٣/٣ من الكامل] :

سَمِعَ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَيَحَالِهِ فَتَجَا يُهَزُّوْكَ مِنْكَ أَمْسٍ مَهْزُولًا

وقوله [في «المكبري» ٣٦٦/٢ من الخفيف] :

بَعَثُوا الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْأَعَادِي فَكَأَنَّ الْقِتَالَ قَبْلَ الْقِتَالِ

وقوله [في «المكبري» ٣٦٥/٣ من البسيط] :

قَدْ نَابَ عَنْكَ شِدْبُذُ الْخَوْفِ وَأَضْطَنَعَتْ لَكَ أَلْمَهَابَةُ مَا لَا تَصْنَعُ الْبُهْمُ^(١)

وقوله [في «المكبري» ٢٩٣/٣ من الطويل] :

فَإِنْ تَكُ مِنْ بَعْدِ الْقِتَالِ أَتَيْتَنَا فَقَدْ هَزَمَ الْأَعْدَاءَ ذِكْرُكَ مِنْ قَبْلِ

وقوله [في «المكبري» ٥٩/٣ من الكامل] :

وَيُمِينْتُ قَبْلَ قِتَالِهِ وَيَبْسُ قَبْلِ نَوَالِهِ وَيُنْبِلُ قَبْلَ سُؤَالِهِ

وقوله [في «المكبري» ١٤١/٣ من الخفيف] :

أَبْصَرُوا الطَّعْنَ فِي الْقُلُوبِ دِرَاكًا قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرِّمَاحَ خِيَالًا

وقوله [في «المكبري» ١٩٨/٣ من الخفيف] :

فَهُمْ لَا تَقَائِهِ الْدَّهْرَ فِي يَوْمِ نِزَالِ وَلَيْسَ يَوْمَ نِزَالِ^(٢)

وقوله [في «المكبري» ١١٦/٣ من الطويل] :

فَخَافُوكَ حَتَّى مَا لِقَتْلٍ زِيَادَةٌ وَجَاوُوكَ حَتَّى مَا تُرَادُ السَّلَاسِلُ^(٣)

(١) الْبُهْمُ - جمعُ بُهْمَةٍ - : وهمُ الأبطالُ الذينَ تنَاهَتْ شجاعَتُهُمْ .

(٢) النَّزَالُ : المحارِبَةُ والنزولُ إلى أنقَاءِ الأعداءِ .

(٣) المعنى : أبَدُوا من مخافتك ما يزيدُ على القتلِ ، وجاؤوكَ طائعينَ ، حتى إنك لا =

وقوله [في «المكبري» ٥٦/٤ من الطويل] :

لَقَدْ حَالَ بَيْنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ سَبْفُهُ فَمَا الظَّلُّ بَعْدَ الْجِنِّ بِالْعُرْبِ وَالْعُجْمِ
وَأَزْهَبَ حَتَّى لَوْ تَأَمَّلَ دِرْعَهُ جَرَتْ جَزَعًا مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلَا فَحْمِ

وقوله [في «المكبري» ٣٦٢/١ من الوافر] :

وَلَكِنْ هَبَّ خَوْفَكَ فِي حَشَاهُمْ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي رِجْلِ الْجَرَادِ

وقوله [في «المكبري» ١٧٠/٣ من البسيط] :

فَقَدْ تَرَكْتَ الْأَلَى لِأَقْيَمِهِمْ جَزْرًا وَقَدْ قَتَلْتَ الْأَلَى لَمْ تَلْفَهُمْ وَجَلًّا^(١)

وقوله [في «المكبري» ٢٥٧/٢ من الوافر] :

إِذَا مَا لَمْ تُسِرْ جَيْشًا إِلَيْهِمْ أَسْرَتَ إِلَى قُلُوبِهِمُ الْهَلُوعَا
وَالْقَصِيدَةُ الَّتِي مُسْتَهَلُّهَا (أَرَاعَ كَذَا كُلَّ الْأَنَامِ هُمَامٌ) تدورُ حولَ

هذا المعنى .

وذكرتُ به : أَنَّ الْأَخْطَلَ اسْتَفْزَهُ الْقُرْبُ مِنَ الْخَلِيفَةِ ، فَقَالَ

جبن الأخطل وقصته
مع الجحاف

لِلْجَحَافِ وَكَانَ حَاضِرًا [في «ديوانه» ٤٢٦ من الطويل] :

أَلَا سَائِلِ الْجَحَافِ هَلْ هُوَ نَائِرٌ بِقَتْلِي أُصِيبَتْ مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ؟^(٢)

فَقَالَ الْجَحَافُ [من الطويل] :

بَلَى سَوْفَ نُبَكِّبُهُمْ بِكُلِّ مَهْنَدٍ وَنُبَكِّي عُمَيْرًا بِالرَّمَاكِ الشَّوَاغِرِ

= تحتاجُ في أسرهْم إلى السلاسل .

(١) الْجَزْرُ : مَا أُلْقِيَ لِلْسَّبَاعِ ، وَيُقَالُ : (مَا كَانُوا إِلَّا جَزْرًا لِسَيُوفِنَا) أَي : الَّذِينَ
نَقَتْلُهُمْ فَنَلْقِيهِمُ لِلْسَّبَاعِ .

(٢) الْجَحَافُ : مِنَ السُّلَمِيِّينَ أَعْدَاءُ بَنِي تَغْلِبَ ، وَلَهُ يَوْمُ الْبَشْرِ الَّذِي أَوْقَعَ بِالْتغْلِبِيِّينَ
شَرِّ وَقَعَةٍ .

فأنخزلَ الأخطلُ ، وكأئما كانَ في نشوة فأفاقَ ، وأخذتُه الحُمى
 مِنَ الفَرَقِ ، فقالَ له عبدُ الملكِ : ماذا عليكِ وأنتِ في جِوارِي؟
 قالَ : هَبْكَ أجزتني في اليقظةِ ، فمن يُجيزُنِي مِنْهُ في المنامِ ؟ وكانَ
 عارفاً بشدةِ بأسِهِ ، وأصابهُ قلقٌ أفضَّ مضجعُهُ ، ونغصَ عيشُهُ ، حتَّى
 أوقعَ الجَحَافُ وقعتهُ المشهورةَ ببني تغلبَ رهطِ الأخطلِ ، فقالَ
 الأخطلُ [في «ديوانه» ٢٧٢ من الطويل] :

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالْبِشْرِ وَقَعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُشْتَكَى وَالْمُعْوَلُ (١)
 لِسُنِّ لَمْ تُغَيِّرْهَا قَرْنِشٌ بِمِثْلِهَا يَكُنُّ عَنِ قَرْنِشٍ مُسْتَمَارٌ وَمَرَحَلُ (٢)
 قالَ عبدُ الملكِ : إلى أينَ إذن؟ قالَ الأخطلُ : إلى النَّارِ ، قالَ
 عبدُ الملكِ : أولى لكِ ، أما واللهِ لو قلتَ غيرها . . لم تطرفِ
 عيناكِ (٣) .

إلى أينَ أبا ليلي؟ وقولُ الأخطلِ إلى النَّارِ عكسُ قولِ النابغةِ الجعديِّ إلى الجنَّةِ ،
 حينَ قالَ [في «ديوانه» ٧١ من الطويل] :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُودَنَا وَإِنَّا لَنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا
 فقالَ لَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «إلى أينَ يا أبا ليلي؟» قالَ : إلى
 الجنَّةِ ، قالَ لَهُ النبيُّ ﷺ : «فَنَعَمْ إِذَا» (٤) ، وهذا مِنْ قصيدةِ لَهُ

- (١) الْمُعْوَلُ : الاعتمادُ والمفرغُ .
 (٢) مُسْتَمَارٌ : مِنْ (ماز) رَحَلَ وَأَنْتَقَلَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ .
 (٣) تنظرُ القصةَ في «الأغاني» (٢٤٠/١٢) .
 (٤) أورد الخبير بنحوه عن النابغة الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٢٦/٨) وقال :
 رواه البزار وفيه يعلو بن الأشدق وهو ضعيف .
 ولفظه عنده :

منقحة اللفظ ، جزلة المعاني إلا أنها تداخلت مع قصيدة لزفر بن الحارث في بحرهما وقافيتها ، وأولها لني « ديوان النابغة الجعدي » ٨٧ من الطويل :

تَذَكَّرْتُ وَالذُّكْرَى تُهَيِّجُ لِلْفَتَى وَمِنْ عَادَةِ الْمَخْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
وَإِنِّي لِأَسْتَشْفِي بِرُؤْيَةِ جَارِهَا إِذَا مَا تَلَقَّيْهَا عَلَيَّ تَعَدَّرَا

منها :

حَسِبْنَا زَمَانًا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً لِيَالِي إِذْ نَغْزُو جُدَامًا وَحَمِيرَا
إِلَى أَنْ لَقِينَا الْحَيَّ بِكَرْبَنٍ وَإِثْلِ ثَمَانُونَ أَلْفًا دَارِعِينَ وَحُسْرَا
فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ بَعْضُهُ بِيَعْضِ آبَتِ عَيْدَانُهُ أَنْ تَكْسُرَا
سَقَيْنَاهُمْ كَأْسًا سَقُونَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّا كُنَّا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبِرَا
بِنَفْسِي بِأَهْلِي عُضْبَةً سَلْمِيَّةَ يُعِدُّونَ لِلْهَيْجَا عَنَّا جِيحَ ضُمْرَا^(١)
وَتُكْرِي يَوْمَ الرُّوعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى نَحْسَبَ الْجُونَ أَشْقَرَا^(٢)
وَقَالُوا لَنَا : أَخِيوَا لَنَا مَنْ قَتَلْتُمْ لَقَدْ جِئْتُمْ أَمْرًا مِنَ الْقَوْلِ مُنْكَرَا
وَلَسْنَا نَرُدُّ الرُّوحَ فِي جِسْمِ مَيِّتٍ وَلَكِنْ نَسْلُ الرُّوحَ مِمَّنْ تَنْشُرَا
مَلَكْنَا فَلَمْ نَكْشِفْ قِنَاعًا لِحُرَّةٍ وَلَمْ نَسْتَلِبْ إِلَّا الْحَدِيدَ الْمُسَمَّرَا
وَلَوْ أَنَّا شِئْنَا سِوَى ذَلِكَ أَصْبَحَتْ كَرَائِمُهُمْ فِينَا تُبَاعُ وَتُشْتَرَى

= علونا العباد عفة وتكرما وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرأ

- (١) سلمية : من بني سلم . العناجيج - جمع عنجوج - : وهو الرائع من الخيل .
الخيل الضمر : التي ضمربطنها ، وهي من أسرع أنواع الخيل .
(٢) الجون : الأسود .

منها :

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أُوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا
أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجْرَةَ نَيْرَا

فيروى [في «مجمع الزوائد» ١٢٦/٨] : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ : « لَا
يَقْضِيهِ اللَّهُ فَآكِ » . فعاش مئة وستين سنة ، لم يُتَغَزَلْهُ سِ (١) .

الجين حتى في النوم وما أظنُّ أشجعَ السلميِّ إلا ناظراً إلى ما جرى للأخطلِ مِنَ
الْجَحَافِ ، حيثُ يقولُ للرشيديِّ مِنْ كَلِمَةٍ لَهُ خَالِصَةٍ [في «ديوانه» ٢٥٣ مِنْ
الكامل] :

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا أَبْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَضْدَانِ ضَوْءِ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامِ
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُغْتَهُ وَإِذَا غَفَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامِ

المتنبّي وهذا المعنى وَلَمْ يَنْسَ حِظَّهُ النَّاطِمُ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ يَغْتُ تَارَةً كَمَا فِي
قَوْلِهِ [في «المكبريّ» ٣٦٤/١ مِنْ الْوَاوِي] :

يَرَى فِي النَّوْمِ رُمَحَكَ فِي كُلاهُ وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي الشَّهَادِ
ويجيدُ أُخْرَى كَمَا فِي قَوْلِهِ [في «المكبريّ» ٤٤/٤ مِنْ الْبَسِط] :

مَنْ لَوْ رَأَى مَاءَ مَاتَ مِنْ ظَمًا وَلَوْ مَثَلْتُ لَهُ فِي النَّوْمِ لَمْ يَنْمَ
وقوله [في «المكبريّ» ٤٥/٤ مِنْ الْوَاوِي] :

إِذَا أَمْتَلَأَتْ عِيُونَُ الْخَيْلِ مِنِّي فَوَيْلٌ فِي التِّيْقِظِ وَالْمَنَامِ

(١) لَمْ يُتَغَزَلْ : لَمْ يُكْسَزْ ، أَوْ لَمْ يَسْقَطْ .

وقوله [في «المكبري» ٢/ ٢٢٩ من البسيط] :

يُقَاتِلُ الْخَطْوَ عَنْهُ حِينَ يَطْلُبُهُ وَيَطْرُدُ النَّوْمَ عَنْهُ حِينَ يَضْطَجِعُ

وقوله [في «المكبري» ٣/ ٨٣ من البسيط] :

وَكُلَّمَا حَلَمَتْ عَذْرَاءٌ عِنْدَهُمْ فَإِنَّمَا حَلَمَتْ بِالسَّبِيِّ وَالْجَمَلِ^(١)

وقال السري الرفاء [في «ديوانه» ٢٤٥ من البسيط] :

تَرْوَعُ أَحْشَاؤُهُ بِالْكُتُبِ وَهُوَ لَهَا خَوْفَ الرَّدَى وَرَجَاءَ السَّلْمِ يَسْتَلِمُ
لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا غَصًّا مِنْ حَذَرٍ وَلَا يَهْوُمُ إِلَّا رَاعَهُ الْحُلْمُ

وَأَلَّمَ بِهِ شَاعِرُ الْمَعْرَةِ إِلَّا أَنَّهُ غَيَّرَ الْمَوْضِعَ ، فَقَالَ [في «سقط الزند» ١١١ المعري في الموضوع

من البسيط] :

وَأَنْتَ مَنْ لَوْ رَأَى الْإِنْسَانُ طَلَعَتَهُ فِي النَّوْمِ لَمْ يُنْسِ مِنْ خَطْبٍ عَلَى خَطْرِ

وقتل الرشيدُ أحمأ لأبي الهيدام ، فجاء في رثيه بما يشبه قول أبو الهيدام ورثاه

لأخيه

البحاف إذ يقول [من الطويل] :

سَابِكِيكَ بِالْبَيْضِ الرَّقَاقِ وَبِالْقَنَا وَلَسْتُ كَمَنْ يَبْكِي أَحَاهُ بِعَبْرَةٍ
وَأَنَا أَنَاسٌ مَا تَفِيضُ عُيُونُنَا وَلَكِنَّا نَشْفِي الْفُؤَادَ بِغَارَةٍ
فَإِنَّ بِهَا مَا يَطْلُبُ الْمَاجِدُ الْوَثْرَا يُعْصِرُهَا فِي جَفْنِ مُقْلَتِهِ عَصْرَا
عَلَى هَالِكٍ مِنَّا وَإِنْ قَصَمَ الظُّهْرَا تَلَهَّبُ مِنْ قُطْرِي جَوَانِبَهَا جَمْرَا

وقبل ذلك يقول عبد الله ابن أبي ربيعة أخو عيَّاشٍ عندما بلغه

ورثاه لعثمان بن عفان

رضي الله عنه

مقتل عثمان [ابن عفان رضي الله عنه من الطويل] :

سَابِكِي أَبَا عَمْرٍو بِكُلِّ مُهَنْدٍ وَبِيضٍ [لَهَا فِي الدَّارِ عَيْنٌ فُلُولٌ]

(١) ذكر الجمل مع السبي ؛ لأن العرب تحمِلُ السبايا على الجمال .

ثُمَّ لَمْ يَزِدْ عَلَيَّ أَنْ خَرَجَ بَعْدَ مَعِي فَلَمَّا قَرَبَ مِنِّي (مَكَّةَ) . . سَقَطَ
عَنْ رَاِحِلَتِهِ وَمَاتَ .

عبد الملك بن مروان ينهى ولده عن البكاء
ومما قاله عبد الملك بن مروان - عند موته - للوليد ، وقد رآه
يبكي عند رأسه ، يشجعه ، وينهاه عن البكاء ، وحينئذ النساء لنفسه
أو متمثلاً [من الطويل] :

بُنُو الْحَزْبِ لَا نَعْنَى بِشَيْءٍ نُزِيدُهُ وَلَسْنَا عَلَيَّ مَا أَخَذْتَ الدَّهْرُ نَجْزِعُ
جِلَادٌ عَلَيَّ رَيْبِ الزَّمَانِ فَلَنْ تَرَى عَلَيَّ هَالِكٍ عَيْنًا لَنَا الدَّهْرُ تَدْمَعُ

هية سيدنا ابن عباس من سيدنا عمر رضي الله عنهم
وكان ابن الخطاب عظيم الهيبة ، ولهذا لم يقدر ابن عباس على
إظهار قوله في العول حتى مات ، فقيل له : هلا قلت هذا في حياة
عمر؟! قال : (هبتُهُ ، وكان أمراً مهيباً) (١) .

من هية سيدنا عمر رضي الله عنه تضع المرأة حملها
ويروى : أنه استدعى امرأة ليسألها عن أمر ، وكانت حاملاً ،
فلسدة هيبته ألقت ما في بطنها ميتاً ، فاستفتى أكابر الصحابة ،
فقالوا : لا شيء عليك ، قال له علي : إن كانوا راقبوك فقد
غشوك ، وإن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطوا ، عليك غرة (٢) ،
فرجع عمر والصحابة إلى قوله (٣) .

نهيه النساء عن رفع الصوت
ومن ذلك سكوت النساء لما دخل ، وأصواتهن عالية عند

(١) أخرجه عن زفر ، البيهقي في « الكبرى » (٢٥٣/٦) ، وابن حزم في « المحلى »
(٤٦٣/٩) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (٢٥٤/١٠) و (٢٥٨) والمول : زيادة في
سهام المسألة ونقص في مقاديرها .

(٢) الغرة : دية الجنين ؛ وهي عبد أو أمه ، وتقدر بنصف عشر الدية الكاملة ،
والدية الكاملة : مئة من الإبل .

(٣) أخرجه البيهقي في « الكبرى » (١٢٣/٦) .

رسول الله ﷺ ، فقال لَهُنَّ : (يا عدواتِ أنفسهنَّ ، أتَهَبِنِّي ، وَلَا تَهَبِنَ رسولَ الله؟ قلنَّ : أنتَ أفظُّ وأغلظُ) (١) .

وفي عكسِ معنى البيتِ الذي نتكلَّمُ فيه ، يقولُ جريرٌ [في «ديوانه» الاستهزاء بالجان
عندما يهدد
٩١٦ من الكامل] :

زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبَعًا أَبْشُرُ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْبِعُ (٢)
وقال غيره [من الوافر] :

تَوَعَّدَنِي لِتَقْتُلَنِي نُمَيْرٌ مَتَى قَتَلْتَ نُمَيْرٌ مَن هَجَاها؟
وقال [من البسيط] :

قَدْ هَبَّتِ الرِّيحُ طُولَ الدَّهْرِ وَأُخْتَلَفَتْ عَلَى الْجِبَالِ فَمَا نَأَتْ رَوَاسِيهَا
وقال ابنُ أبي عيينة [من الكامل] :

فَدَعَ الوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي أَطِينُ أَجْنَحَةَ الدُّبَابِ يَضِيرُ؟
وكتب معاويةٌ إلى عليٍّ يتهدَّدهُ ، فأجابهُ بما معناه - إنَّ أَخْطَأْتُ
لفظهُ - [في «نهج البلاغة» ٣٣٣] : وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلَا صَحَابِي عِنْدَكَ
إِلَّا السِّيفُ ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارِ (٣) ، مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ
المطلبِ عَنِ الهِجَاءِ نَاكِلِينَ ، وَبِالسِّوْفِ مَخَوِّفِينَ ، لَبَّثْتُ قَلِيلًا يَلْحَقُ

(١) أخرجه عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه البخاري (٣٢٩٤) في بدء الخلق .

(٢) مَرْبِعٌ : لقبُ راويةِ جريرِ المسمَّى (وَعَوَعَةٌ) ، وهو مِنْ بني أبي بكرِ بنِ كلابٍ ، وكانَ نَفَرًا بِأبي الفَرزدقِ وضربهُ ، فيقالُ : إِنَّهُ ماتَ فِي تلكَ العِلَّةِ ، فحلَفَ الفَرزدقُ ليقْتلَهُ .

(٣) الاستعبارُ: البكاءُ .

ألهيجا حَمَلٌ^(١) ، وأنا مُرْقَلٌ^(٢) نحوكَ في جحفلٍ مِنَ المهاجرينَ
والأنصارِ ، قد صَحَبْتَهُمْ ذرِيَّةً بدرِيَّةً ، وسيوفُ هاشميَّةً ، عَرَفْتَ
مواقعَ نصالِهَا في أَخِيكَ وخالكَ وجدَّكَ ، وما هِيَ مِنَ الظالمينَ
ببعيدٍ .

قصة امرئ القيس مع قنلة أبيه
ولمَّا أكثرَ أمرؤُ القيسِ الوعيدَ في قتلِ أبيه . . قَدِمَ عليه قبيصةُ بنُ
نعيمٍ في أشياخِ بني أسدٍ ، يراجعونُهُ في خطبِ أبيه ، فقالَ قبيصةُ لني
« جمهرة خطب العرب » ٣٦/١ و « الأغاني » ١٢٤/٩ :

أَمَّا بعدُ : فَإِنَّكَ مِنَ المَحَلِّ والقدرِ والمعرفةِ بتصاريفِ الدهرِ
بحيثُ لا تَحْتَاجُ إلى تذكيرٍ مذكَّرٍ ، ولا تبصيرٍ مجرَّبٍ ، ولكَ مِنْ
سؤددِ منصبِكَ وشرفِ أعراقِكَ وَكرمِ أصلِكَ . . مَحْتَدٌ^(٣) يَحْمِلُ على
إقالةِ العثرةِ ، وأغتفارِ الزلَّةِ ، وَإِنَّ الهِمَمَ لا تتجاوزُ إلى غايةٍ إِلَّا
رجعتُ إِلَيْكَ ، فوجدتَ عندكَ مِنْ فضيلةِ الرأيِ ، وبصيرةِ الفهمِ ،
وكرمِ الصَّفحِ ، ما يُطوِّلُ رغباتِهَا ، وقد كَانَ ما كَانَ مِنْ الخُطْبِ
الجليلِ ، الذي عمَّتْ مصيبتُهُ العربَ ، ولمْ تُحْصَ بِهِ (كندةُ)
دوننا ؛ للشرفِ البارِعِ كَانَ لحجرٍ ، ولو يُفدئُ هالكٌ بنفسٍ . . لَمَّا
بَخَلَتْ بِهَا كرائمُنَا على مثلهِ ، ولكنْ مضى بِهِ سبيلٌ لا يرجعُ آخرُهُ
على أوَّلِهِ ، وَأحمدُ الحالاتِ أَنْ تطلبنَا في إحدى ثلاثِ خِلالِ :

إمَّا : أَنْ تختارَ مِنْ بني أسدٍ أشرفَهَا بيتاً ، وأبعدَهَا صِيتاً ، فقُدْنَاهُ

- (١) لَبِثٌ قليلاً يلحق الهيجا حمل : مثلٌ عربي ؛ يعني : انتظر حتى يتلاحق الشبان ،
والهيجاء : الحرب ، وحمل : قال في «التاج» : هو ابن سعادة الصحابي ،
وفي «المحكم» : هو ابن بدر . قلت : وفيه نظر . اهـ كلام الزبيدي رحمه الله .
(٢) مُرْقَلٌ ، يقال : أرقَلَ القومُ إلى الحربِ أسرعوا .
(٣) المحتدُ : الأصلُ والطبعُ .

إِلَيْكَ يَنْسَعُو^(١) ، يذهبُ مَعَ شَفَرَاتِ حَسَامِكَ ، وَنَقُولُ : عَظِيمٌ
أَمْتَحِنَ بِمَهْلِكِ عَزِيزِ لَهْ ، فَلَمْ تُسْتَلَّ سَخِيمَةُ صَدْرِهِ إِلَّا بِمَكْتَبِهِ مِنْ
الْإِنْتِقَامِ .

وَأَمَّا : فِدَاءٌ بِمَا يَرُوحُ عَلَيَّ بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَعَمِهَا ، فَهِيَ أُلُوفٌ تَكُونُ
فِدَاءً ، رُجِعَتْ بِهِ الْفَضْبُ إِلَى أَجْفَانِهَا .

وَأَمَّا : أَنْ تَوَادِعَنَا إِلَى أَنْ تَضَعَ الْحَوَامِلُ ، وَتُسَدَّلَ الْأُرُ ، وَتُعَقَّدَ
الْحُمْرُ فَوْقَ الرِّيَابِ .

فَمَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ الْقَيْسِ إِلَّا أَنْ أَطْرَقَ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ،
وَقَالَ : لَقَدْ عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنْ لَا كَفْوَ لِحُجْرٍ بَدَمٍ ، وَأَنْتِي لَنْ أَعْتَاضَ بِهِ
جَمَلًا ، وَلَا نَاقَةً ، فَأَكْتَسَبَ بِهِ سَبَّ الْأَبْدِ ، وَفَتَّ الْعَضِدِ . وَأَمَّا
النَّظْرَةُ : فَقَدْ أَوْجِبَتْهَا الْأَجْنَةُ فِي بَطُونِ الْأُمَّهَاتِ ، وَلَنْ أَكُونَ سَبِيًّا
لِعَطَبِهَا ، وَتَعْرِفُونَ طَلَائِعَ (كَنْدَةَ) بَعْدَ ذَلِكَ ، تَحْمَلُ فِي الْقُلُوبِ
حَقًّا^(٢) ، وَفِي الْأَسِنَّةِ عَلَقًا [مِنْ الْمُتَقَارِبِ] :

إِذَا جَالَتْ الْحَرْبُ فِي مَازِقِ تَصَافِحُ فِيهِ الْمَنَابِيَا الْنُفُوسَا
أَتَقِيمُونَ أَمْ تَنْصَرَفُونَ؟ قَالُوا : بَلِ نَنْصَرِفُ بِأَسْوَأِ الْإِخْتِيَارِ ،
وَأَبْلَى الْإِجْتِرَارِ بِمَكْرُوهِهِ وَأَذْيَتِهِ ، وَحَرْبِ بِلْيَتِهِ ، وَقَالَ قَبِيصَةُ يَتَمَثَّلُ
[مِنَ الطَّوِيلِ] :

لَعَلَّكَ إِنْ تَسْتَوْجِمِ الْوَرْدَ إِنْ عَدَتْ كَتَائِبُنَا فِي مَازِقِ الْحَرْبِ تَمْطَرُ
فَقَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنْ أَسْتَعِذُّهُ ، فَرَوِيدًا يَنْفَرُجُ
لَكَ دُجَاهَا عَنْ فِرْسَانِ (كَنْدَةَ) وَكَتَائِبِ (حِمَيْرِ) ، وَلَقَدْ كَانَ غَيْرُ

(١) النَّسْعُ : حَبْلٌ يُضْفَرُ عَلَى هَيْئَةِ أَعْتَةِ النِّعَالِ تُشَدُّ بِهِ الرَّحَالُ .

(٢) الْحَقُّقُ : شِدَّةُ الْإِغْتِيَاطِ .

هذا أولى بي ؛ إذ كنتُ نازلاً بربيعي ، ولكنتك قلتُ فأوجبتُ .

تعليق المؤلف على
القصة
وفي هذا الكلام من الجزالة والعدوية ما يأخذ بمجامع القلوب
إلى ما يُشَفُّ عنه من أسوددِ الضخم ، والكرمِ الخالص ، والشمائلِ
الراقية ، والهممِ العالية ، والنفوسِ القويّة ، وأحترامِ الأرواحِ
البريئة ، وغير ذلك ، ومن الأعاجيب قولُ الشارح : إنّ البيتَ الذي
نحنُ بسبيله شبيهٌ بقوله [في « المُكَبَّرِي » ١ / ٣٣٥ من الكامل] :

أَبْدَى الْعِدَاءُ بِكَ الشُّرُورَ كَانْتَهُمُ فَرِحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمُقِيمُ الْمُقْعِدُ
وما هو في شيءٍ من ذلك ؛ لأنّه لا يكونُ كذاكَ إلا لو أرادَ المقيمَ
المقْعِدَ مِنَ الْخَوْفِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْمُقِيمَ الْمُقْعِدَ مِنَ الْحَزَنِ ؛ كَمَا
تَشْهَدُ بِهِ فَحْوَى الطَّبَاقِ ، فَهُوَ مِنْ جَنْسِ قَوْلِ سُوَيْدِ بْنِ أَبِي كَاهِلٍ [مَنْ
الزَّمَل] :

وَيُحَيِّنُنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهْ لَحْمِي رَتَعُ
وقولِ سَدِيفٍ [مَنْ الْخَفِيف] :

ذُلُّهَا أَظْهَرَ التَّوَدُّدَ مِنْهَا وَبِهَا مِنْكُمْ كَحَزُّ الْمَوَاسِي
وقولِ المَعْرِيِّ [في « سقط الزند » ٢٣٤ من الوافر] :

وَيُظْهِرُ لِي مَوَدَّتَهُ مَقَالاً وَيُبْغِضُنِي ضَمِيراً وَأَعْتَقَاداً
وقولِ النَاضِمِ [في « المُكَبَّرِي » ١ / ٣٦٣-٣٦٤ من الوافر] :

فَلَا تَغْرُزُكَ أَلْسِنَةُ مَوَالٍ تُقَلِّبُهُنَّ أَفْتِدَةَ أَعَادِي
فَإِنَّ الْمَاءَ يَجْرِي مِنْ جَمَادٍ وَإِنَّ النَّارَ تَخْرُجُ مِنْ زِنَادٍ

* * *

[قال أبو الطيب المتنبي في «العكبري» ١/ ٣١٠ من المنسرح]:

قَدْ أَجْمَعَتْ هَذِهِ الْخَلِيقَةُ لِي أَنْكَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدَهَا
وَأَنْكَ بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُخْتَلِمًا شَيْخَ مَعْدٍ وَأَنْتَ أَمْرُدُهَا

أما البيت الأول : فقلما تجدُ شاعراً إلا يدَّعي لممدوحه التفردَ ، ادعاء التفرد للمدوح
ومنه قوله لشجاع بن محمد الطائي [في «العكبري» ١/ ٣٣٦ من الكامل] :
عند المتنبي

كُنْ حَيْثُ شِئْتَ تَسِرْ إِلَيْكَ رِكَابُنَا فَالْأَرْضُ وَاحِدَةٌ وَأَنْتَ الْأَوْحَدُ
وقوله له [في «العكبري» ٣/ ١٨٤ من الطويل] :

إِلَىٰ وَاحِدِ الدُّنْيَا إِلَىٰ ابْنِ مُحَمَّدٍ شُجَاعِ الَّذِي لَهِ اللهُ ثُمَّ لَهُ الْفَضْلُ
وقوله لبدر بن عمار [في «العكبري» ١/ ٣٧٢ من المتقارب] :

فَأَنْتَ وَحِيدٌ بَيْنِي أَدَمٍ وَلَسْتَ لِفَقْدِ نَظِيرٍ وَحِيدًا
وقوله لعبيد الله بن يحيى [في «العكبري» ٢/ ٣٧٩ من البسيط] :

فَكُنْ كَمَا أَنْتَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ فَكَيْفَ شِئْتَ فَمَا خَلَقَ يُدَانِيكَ
وقوله لابن العميد [في «العكبري» ٢/ ٥١ من الخفيف] :

جَمَعَ الدَّهْرُ حَدَّهُ وَوَدَيْهِ وَنَسَائِي فَاسْتَجْمَعَتْ آحَادُهُ
وقوله له [في «العكبري» ٢/ ١٦٧ من الكامل] :

أَنْتَ الْوَحِيدُ إِذَا أَرَزَكَنْتَ طَرِيقَةً وَمَنْ الرَّدِيفُ إِذَا رَكِبْتَ غَضَنْفَرًا ؟

وقوله لكافور [في «المكبري» ٢٤٦/٤ من الطويل] :

قَضَى اللهُ يَا كَافُورُ أَنَّكَ أَوْلُّ وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانِي

وقوله له [في «المكبري» ٢٧/٢ من الطويل] :

وَمَا زَالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُونَ لِي إِلَيْكَ فَلَمَّا لُحِتَ لِي لَاحَ فَرَدُّهُ

وقوله له [في «المكبري» ١٩٩/١ من الطويل] :

جَرَى الخَلْفُ إِلَّا فِيكَ أَنَّكَ وَاحِدٌ وَأَنَّكَ لَيْتٌ وَالْمَلُوكُ ذُنَابٌ

وقوله لابن كيغلق [في «المكبري» ١٢١-١٢٢/٢ من البسيط] :

مَنْ قَالَ لَسْتَ بِخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَجَهَلُهُ بِكَ عِنْدَ النَّاسِ عَازِرُهُ^(١)
أَوْ شَكَ أَنَّكَ فَرَدُّ فِي زَمَانِهِمْ بِلَا نَظِيرٍ فِي رُوحِي أُخَاطِرُهُ

وقوله في عضد الدولة [في «المكبري» ٢٥٦/٤ من الوافر] :

فَإِنَّ النَّاسَ وَالذُّنْيَا طَرِيقٌ إِلَى مَنْ مَا لَهُ فِي النَّاسِ ثَانِي

وقوله في يوم الأضحى لسيف الدولة [في «المكبري» ٢٨٦/١ من

الطويل] :

فَذَا الْيَوْمِ فِي الْأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي الْوَرَى كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا

وقوله له [في «المكبري» ١١/٤ من الكامل] :

وَإِذَا أَمْتَحَنْتَ تَكَشَّفَتْ عَزَمَاتُهُ عَن أَوْحِدِي النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ

وقوله له في رثاء ولده [في «المكبري» ٥٠/٣ من الطويل] :

وَيَلْقَى كَمَا تَلْقَى مِنَ السَّلْمِ وَالْوَعَى وَيُمْسِي كَمَا تُمْسِي وَحِيدًا بِلَا مِثْلِ

(١) في المخطوط : عَازِرُهُ .

وقوله في بستانٍ لبعضِهِم [في «المكبري» ١١/٢ من مجزوء الكامل] :

وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْحَقِّ نِيتِي فَهِيَ وَاحِدَةٌ لِأَوْحَدٍ

وقوله في فرسٍ بدرٍ بنِ عَمَّارٍ [في «المكبري» ٢٤١/٣ من الكامل] :

فِي سَرْجِ ظَامِيَةِ الْفُصُوصِ طِمْرَةٍ يَأْبَى تَفَرُّدَهَا لَهَا التَّمْنِيلا^(١)

في كثيرٍ من أمثاله ، فكأنما التفرُّدُ حليَّةٌ بيده ، يقلدُها جيِّدٌ كُلُّ مَنْ يُنِيطُ به أمله ، ويُعلِّقُ فيه رجاءه ، وما ذاك إلاَّ لِأَنَّهُ يَكِيلُ المدحَ جُزَافاً ، ويُسرفُ فيه إسرافاً ، ولولا ذلك . . لَمَا احتجَّ إلى مثلِ قولِهِ [في «المكبري» ٢١٣/٤ من البسيط] :

مَدَحْتُ قَوْمًا وَإِنْ عِشْنَا نَظَّمْتُ لَهُمْ قَصَائِدًا مِنْ إِيَّانِكَ الْخَيْلِ وَالْحُصْنِ

ولو أَنَّهُ أَسْتَشْنَى فِي بَعْضِ الْقَوْلِ أَوْ عَلَّقَ . . لَانْحَفَظَ لَهُ خَطُّ الرَجْعَةِ ، وَلِنَكْنَهُ قِطْعَةً عَلَى نَفْسِهِ ، فَقَدْ هَجَا كَافُورًا بَعْدَ قَوْلِهِ لَهُ [في «المكبري» ٢٠٠/١ من الطويل] :

وَإِنَّ مَدِيحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ وَمَدْحُكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابٌ

وقد أثنى ابنُ الخطَّابِ على زهيرِ ابنِ أبي سلمى ، بأنَّهُ لا يُعَاظِلُ^(٢) الكلامَ ، ولا يمدحُ أحداً إلاَّ بما فيه على حدِّ ما يُروى مِنْ قولِهِ [من البسيط] :

(١) الطَّمْرَةُ : الفرسُ الوَثَابِيُّ ، وقيل : المرتفعةُ ، وظَامِيَةُ الفُصُوصِ : عطاشٌ ، ليست برهلةٍ رخوةٍ ، وكذا خيولُ العربِ .

(٢) يُعَاظِلُ ، العِظَالُ فِي القَوَافِي : التَّضْمِينُ . وَرُويَ عَنَ عَمَرَ بْنِ الخَطَّابِ : أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمٍ مِنَ العَرَبِ : (أَشْعَرُ شعرائِكُمْ مَنْ لَمْ يُعَاظِلِ الكلامَ) أَي : لَمْ يَحْمَلْ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِالرَّجِيعِ مِنَ القَوْلِ ، وَلَمْ يَكْرُرِ اللَّفْظَ وَالْمَعْنَى .

وَإِنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقًا

إن من البيان لسحراً
وَمِنْ هُنَا قَضِي لَهُ بِالْتَفْضِيلِ عَلَى الشُّعْرَاءِ أَجْمَعِ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا
تَخَلَّصَ بِهِ عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ ، وَقَدْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يَشْمِزُّ مِنْ تَنَاقُضِ
قَوْلِهِ فِي الزَّبْرَقَانِ بْنِ بَدْرِ ؛ إِذْ مَدَحَهُ بَادِئًا ، ثُمَّ ذَمَّهُ ثَانِيًا ، فَإِنَّهُ قَالَ :
لَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْأَوْلَى ، وَلَمْ أَكْذِبْ فِي الثَّانِيَةِ ، وَلَكِنَّا قَوْمٌ إِذَا
رَضِينَا . . ذَكَرْنَا أَحْسَنَ مَا نَجَدُ ، وَإِذَا غَضِبْنَا . . جِئْنَا بِأَقْبَحِ مَا نَعْلَمُ ،
فَقَالَ ﷺ : « إِنْ مِنْ الْبَيَانِ لِسِحْرًا »^(١) ، أَوْ مَا هَذَا مَعْنَاهُ ، أَوْ مَا
سَبَبُ الْكُذْبِ فِي يَقْرُبُ مِنْهُ ، وَمَنْ لَا حَرَجَ لَهُ مِنَ الَّذِينَ ، وَلَا زِمَامَ عِنْدَهُ مِنَ الْمَرْوَةِ ،
وَلَا رَقِيبَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَضْمِيرِ ، وَكَانَ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى الْمَدْحِ مَجْرَدًا
الْمَدِيحِ
الطَّمْعِ ، أَوْ الْمَلْتِ . . فَلَنْ يَكُونَ مَا يَأْتِي بِهِ إِلَّا كَذِبًا صَرِيحًا ، وَغُلُوبًا
قَبِيحًا ؛ وَلِهَذَا قَالَ أَبُو عَبْدِ السَّلَامِ فِي « قَوَاعِدِهِ »^(٢) ، كَمَا نَقَلَهُ أَبُو

(١) أخرجه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما البخاري (٥١٤٦) في النكاح ،
والقصة كما في «جمهرة خطب العرب» (١/١٦٥):
أن رسول الله ﷺ سأل عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر، فقال عمرو: مطاع
في أذينة، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره.
فقال الزبرقان: والله يا رسول الله... إنه ليعلم مني أكثر مما قال ولكنه حسدني
شرفي.

فقال عمرو: أما والله لئن قال ما قال، فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر، زمن
المروءة، أحق الوالد، لثيم الخال، حديث الغنى.
فلما رأى أنه خالف قوله الآخر قوله الأول، ورأى الإنكار في عيني
رسول الله ﷺ... قال: يا رسول الله.. رضيت فقلت أحسن ما علمت،
وغضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في
الأخرى، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «إن من البيان لسحراً» .
(٢) وتام اسمه: «قواعد الأحكام في مصالح الأنام».

حجرٍ في « تحفته » : لا تكاد تجد مداحاً إلا رذلاً ، ولا هجاءً إلا نذلاً .

وأكبر من ذلك ما أبتلي به ذنابي^(١) أبلاد من إهانة الأدب ، المؤلف وهذا الزمان وبذل المديح لمن لا يستحقه ، وكثيراً ما يعتقد المادح عكس ما يقول ، فتراه يمدح بلسانه من يذمه بقلبه ، ويتلون ألواناً ، ويتخذ لكل حالة وجهاً ولساناً [من الطويل] :

وأقتل شيء رؤية العين ظالماً يسىء ويئلى في المحافل حمده
وإنه ليعجبني ترفع ابن أبي ربيعة وجميل والفرزدق وأضرابهم من إعجابه بأشرف النفوس
أشرف النفوس .

قال يزيد بن المهلب : ما رأيت أشرف نفساً من الفرزدق ، شرف الفرزدق مدحني سؤفة ، وهجاني ملكاً .

وإن المتنبى على ما عنده من البأ^(٢) والزهو ، ومع قوله [في تلون المتنبى «المكبري» ١٤٩/٢ من الطويل] :

إذا أفضل لم يرفعك عن شكر ناقص على هبة فأفضل فيمن له الشكر

.. لكثيراً ما يخضع في القول ، ويئلى الجانب ، ويسف^(٣) إلى أبو تمام يمدح ابن الأرض ، وما ذلك من تناقضه بغريب ، وما كان أحقه في بعض الزيات فيرد مديحه عليه

(١) الذنابي : الأتباع .

(٢) البأ : العظمة والكبر والفخر .

(٣) أسف الطائر والسحابة وغيرهما : دنا من الأرض . والطائر يسف : إذا طار على وجه الأرض .

أطواره بما فعلَ ابنُ الزِّيَّاتِ^(١) معَ حبيبٍ [أبي تمام] ، (فقد أمتدحه
 بقصيدةٍ سائرةٍ بعقبِ ما أمتدحَ بعضَ السَّقَّاطِ ، فوقَّعَ ابنُ الزِّيَّاتِ على
 ظهرِ قصيدةِ حبيبٍ له بهذا [من الطويل] :

رَأَيْتُكَ سَمَحَ الْبَيْعِ سَهْلًا وَإِنَّمَا يُغَالِي إِذَا مَا ضَنَّ بِالشَّيْءِ صَاحِبُهُ
 فَأَمَّا إِذَا هَانَتْ بَضَائِعُ بَيْعِهِ فَيُؤَشِّكُ أَنْ تَبْقَى عَلَيْهِ بَضَائِعُهُ
 هُوَ الْمَاءُ إِنْ أَحْجَمْتَهُ طَابَ وَرِزْدُهُ وَيُفْسِدُ مِنْهُ أَنْ تُبَاحَ مَشَارِعُهُ^(٢)

ويقالُ [في «الأغاني» ٤٦٢/٢٣] : إِنَّ أَبَا تَمَّامٍ أَجَابَهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَصِيدَةٍ
 يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْهِ ، وَيَعْتَذِرُ مِنْ مَدْحِ غَيْرِهِ إِلَيْهِ^(٣) ، منها [في «ديوانه»
 ١٦٥-١٦٤/١ من البسيط] :

أَمَّا الْقَوَافِي فَقَدْ حَصَّنَتْ غُرَّتَهَا فَمَا يُصَابُ دَمٌ مِنْهَا وَلَا سَلْبُ
 مَنَعْتُ إِلَّا مِنْ الْأَكْفَاءِ أَيْمَهَا إِذْ كَانَ مِنْكَ عَلَيْهَا الْعَطْفُ وَالْحَدَبُ^(٤)

(١) ابنُ الزِّيَّاتِ : هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبَانَ ، وَزَيْرُ الْمُعْتَصِمِ وَالْوَائِقِ ،
 قَوِيٌّ ، حَازِمٌ دَاهِيَةٌ .

(٢) أورد الأصبهاني القصة في «الأغاني» (٦٢/٢٣) .

(٣) ولكنَّ الأبياتَ التي قالها أبو تمام لابنِ الزِّيَّاتِ هيَ كما في «الأغاني»
 : (٦٢/٢٣)

أَبَا جَعْفَرَ إِنْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ شَاعِرًا أَسَامِخُ فِي بَيْعِي لَهُ مَنْ أَبَايَعُهُ
 فَقَدْ كُنْتُ قَبْلِي شَاعِرًا تَاجِرًا بِهِ تُسَاهِلُ مَنْ عَادَتْ عَلَيْكَ مَنَافِعُهُ
 فَصِرْتَ وَزَيْرًا وَالسَّوَارَةَ مَكْرَعُ يَغْصَنُ بِهِ بَعْدَ اللَّذَاذَةِ كَارِعُهُ
 وَكَمْ مِنْ وَزِيرٍ قَدْ رَأَيْنَا مُسَلِّطًا فَعَادَ وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ مَطَالِعُهُ
 وَلَهُ قَوْسٌ لَا تَطْلِي شُ سَهَامُهَا وَلِلَّهِ سَيْفٌ لَا تَقْلُ مَقَاطِعُهُ
 (٤) الأيُّمُ : التي لا زوجَ لها . الحَدَبُ : الإشفاقُ .

وَلَوْ عَضَلْتُ وَلَمْ أَنْكُحْ عَقَائِلَهَا وَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِي أَطْهَارِهَا أَرْبُ^(١)

كَانَتْ بَنَاتٍ نُصِيبُ حِينَ ضَمَّ بِهَا عَلَى الْمَوَالِي وَلَمْ تَقْنَعْ بِهَا الْعَرَبُ^(٢)

ولا شك أنه عذرٌ بأَمْ دَوْ ، فقد تموت الحرّة ولا تأكل
بنديتها^(٣) ، وذكرْتُ بهذا - والشيء يُذكرُ بما يشبهه ، ولو من بعيد -

(١) عَضَلُ المرأة عن الزواج : منعها وحبسها عنه . أطهارها - مفردُها طهرت - :

جعل القوافي كالنساء ، فإذا طهرت المرأة أحتجج إليها ، وتعتزل في الحيض .

(٢) نُصِيبُ : شاعرٌ أمويٌّ ، كان أسودَ ، ومولى لآل مروان . وكان له بناتٌ يبخلُ
بهنَّ على الموالي ، ولم تحفلُ بهنَّ العربُ لسوادِ أبيهنَّ .

(٣) مثل عربي ذكره الميداني في « مجمع الأمثال » (١ / ١٢٢) . وقصته : أنَّ

الحارث بن سليل الأسدِي كان حليفاً لعلمقة بن خضفة الطائِي ، فزاره ، فنظرَ

إلى ابنته الزبَاءِ ، وكانت من أجمل أهلِ دهرها ، فأعجبَ بها ، فقالَ له : أتيتك

خاطباً ، وقد يُنكحُ الخاطبُ ، ويُدرِكُ الطالبُ ، ويُمنحُ الراغبُ ، فقالَ له

علمقة : أنت كفاءٌ كريمٌ ، يقبلُ منك الصفوُ ، ويؤخذُ منك العفوُ ، فأقمَ نظرُ

في أمرِك ، ثم انكفأ إلى أمها ، فقالَ : إنَّ الحارثَ بنَ سليلِ سيّدِ قومِ حسباً

ومنصباً وبيتاً ، وقد خطبَ إلينا الزبَاءَ ، فلا ينصرفنَّ إلّا بحاجتِه ، فقالتِ أمرأتهُ

لابنتها : أيُّ الرجالِ أحبُّ إليك ، الكهلُ الجحججُ ، الواصلُ المئاحُ ؟ أم

الفتى الوضاحُ ؟ فقالت : لا بل الفتى الوضاحُ ، قالت : إنَّ الفتى يغيّرُك ، وإنَّ

الشيخَ يميّرُك ، وليس الكهلُ الفاضلُ ، الكثيرُ النائلُ ، كالحديثِ السنِّ ، الكثيرِ

المنِّ ، قالت : يا أمّناهُ :

إِنَّ الْفَتَاةَ تُحِبُّ الْفَتَى كَحُبِّ الرِّعَاءِ أَنْيَقَ الْكَلَا

قالت : أيُّ بُنيّةٍ . إنَّ الفتى شديدُ الحجابِ ، كثيرُ العتابِ ، قالت : إنَّ

الشيخَ يبلي شبابه ، ويدنُّسُ ثيابه ، ويشمّتُ بي أترابي ، فلمَ نزلَ بها أمها حتّى

غلبتها على رأيها ، فتزوَّجها الحارثُ على مئةٍ وخمسينَ من الإبلِ ، وخادمِ

وألفِ درهمٍ ، فأبتنى بها ، ثمَّ رحلَ بها إلى قومه ، فبينا هو ذاتَ يومٍ جالسٌ

بفناءِ قومه ، وهي إلى جانبه . . إذ أقبلَ إليه شبابٌ من بني أسدٍ يعتلجونُ ،

فتفست الصعداءَ ، ثمَّ أرختْ عينها بالبكاءِ ، فقالَ لها : ما يبكيك ؟ قالت =

مديح الشماخ لعبد الله أَنَّ الشَّمَاحَ أَمْتَدَحَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ بِقَوْلِهِ [في «ديوانه» ٤٦٤-٤٦٧ من
بن جعفر
الرَّجَزِ]:

إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ نِعْمَ الْفَتَى وَنِعْمَ مَأْوَى طَارِقٍ إِذَا أَتَى
وَجَارُ ضَيْفٍ طَرَقَ الْحَيَّ سُرَى صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا أَشْتَهَى
إِنَّ الْحَدِيثَ طَرَفٌ مِنَ الْقَرَى

المبالغة في المديح
ترفع المدوح وتضع
المادح
وَأَمْتَدَحَ عُرَابَةَ الْأَوْسِيِّ إِزَاءَ حُمُولَةٍ مِنَ الْتَمْرِ ، بما تحسده الثريا
دُرَّرَ لَفْظِهِ ، وجمال ديباجته ، كقوله [في «الأغاني» ٣٢٨٧/٩-٣٢٨٨ من
الوافر]:

رَأَيْتُ عُرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عُرَابَةٌ بِالْيَمِينِ
وقوله [من البسيط]:

مِنْ بَيْتِ مَأْثَرَةٍ عِزٌّ وَمَكْرُمَةٌ سَبَاقُ غَايَاتِ مَجْدٍ وَأَبْنُ سَبَاقِ
ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ مِثْلَافٌ أَخْزِنَةٌ جَزُلُ الْمَوَاهِبِ ذُو قَبْلِ وَمِضْدَاقِ^(١)
فقد ارتفع عُرَابَةٌ بذلك إلى الدُّرَى ، وأنحطَّ به الشَّمَاحُ - كما
ذَكَرُوهُ - إلى الْحَضِيضِ ، وسعادُ هذا في المجلسِ الحادي عشرِ
غفلةٌ عمَّا هنا .

وما رأيتُ الناظِمَ أَقْلَ حَيَاءٍ ، ولا أَصْفَقَ وَجْهًا^(٢) ، ولا أَصْغَرَ
صغر نفس المتنبّي

= مالي وللشبيوخ الناهضين كالفروخ ؟ فقال لها : ثكلتك أمك ، تجوع الحرّة ولا
تأكل بثديّنها .

(١) الدسيعةُ : العطاءُ الجزيلُ .

(٢) أَصْفَقَ وَجْهًا ، يقالُ : وَجْهٌ صَفِيقٌ بَيْنَ الصَّفَاقَةِ : وَقَعَّ .

نفساً في قوله - مما يتعلق بالموضوع - [في «المكبري» ١١/٤ من الكامل] :
 إِنْ كَانَ مِثْلَكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَاتِنٌ فَبَرِنْتُ حِينَئِذٍ مِنَ الْإِسْلَامِ
 لولا اعتذارهم عنه في ذلك بصباه ، كما سيأتي في موضعه بسنط
 القول فيه إن شاء الله تعالى .

ثم إنَّ التفرد بالكمال على عزته مقرون في الأغلب بالجرمان ، التفرد بالكمال مقرون
 وقلَّ من تقدَّم في أمرٍ إلَّا حُرِّمَ ثمرته وفائدته ، والقول يطول في بالجرمان
 ذلك ، وما أحسن قول الحمدوني [من البسيط] :

إِنَّ الْمُقَدَّمَ فِي حَذْقِ بِنْعَتِهِ أَنَّى تَوَجَّهَ فِيهَا فَهُوَ مَخْرُومٌ
 وقول كشاجم [في ديوانه ٣٨٦ من الكامل] :

مَا كَانَ أَحْوَجَ ذَا الْكَمَالِ إِلَى عَيْبٍ يُوقِيهِ مِنَ الْعَيْنِ

وحدَّث المعافى بنُ زكريَّا : أَنَّهُ لَمَّا بُوِيَعَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ بِالْخِلاَفَةِ . . .
 دخلوا على شيخنا محمد بن جرير الطبري ، فقال : ما الخبر؟ قيل :
 بُوِيَعَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ ، قَالَ : فَمَنْ ذُكِرَ لِلْقَضَاءِ؟ قَالُوا : الْحَسَنُ بْنُ
 الْحَسَنِ بْنِ الْمُثَنَّى ، أَوْ أَبُو الْمُثَنَّى ، قَالَ : فَمَنْ رُشِّحَ لِلوِزَارَةِ؟
 قَالُوا : مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ ، فَقَالَ : هَذَا الْأَمْرُ لَا يَتِمُّ ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ
 مِنْ هَؤُلَاءِ مُتَقَدِّمٌ فِي فَضْلِهِ ، وَالدُّنْيَا مُوَلِّيَةٌ ، فَمَا أَرَاهُ إِلَّا عَائِدًا إِلَى
 الاضمحلال ، فكان كذلك .

وغالبُ ظنِّي أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أُتِيَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ دَاءِ الْكَمَالِ هُوَ أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - فَقَدْ كَانَ أَهْلُ (البصرة)
 يُغِضُونَهُ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ (الكوفة) وَأَهْلِ (المدينة) ، وَأَمَّا أَهْلُ
 (مكة) : فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَكْرَهُونَهُ قَاطِبَةً ، وَكَانَتْ قَرِيشٌ بِأَسْرِهَا عَلَى
 خِلاَفِهِ ، وَكَانَ جَمْهُورُ الْخَلْقِ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَيْهِ .

وروى عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال
[في «شرح نهج البلاغة» ١٠٣/٤] : سمعتُ علياً - عليه السلام - يقول : ما
لقي أحدٌ من الناس ما لقيتُ .

وروى الشعبيُّ عنه - عليه السلام - أنه يقول [في «شرح نهج البلاغة»
١٠٤/٤] : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِدُّنِكَ عَلَى قُرَيْشٍ ؛ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحْمِي ،
وَأَصْغَرُوا إِنَائِي^(١) ، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَيَّ
مَنَازِعَتِي .

وروى أبو عمران النهديُّ قال : سمعتُ عليَّ بنَ الحسينِ يقولُ
[كما في «شرح نهج البلاغة» ١٠٤/٤] : ما بـ (مكَّة) و (المدينة) عِشْرُونَ
رجلاً يحبُّنا .

وللهِ درُّ ابنِ أبي الحديدِ في قوله [كما في «شرح نهج البلاغة» ١١٢/٤] من
الخفيف] :

طَأْمَنْتُ مَجْدَهُ قُرَيْشٍ فَأَعْطَتْهُ إِلَى سِدْرَةِ السَّمَاءِ رُفِيًّا^(٢)
أَخْمَلْتُ صِيْتَهُ فَطَارَ إِلَى أَنْ مَلَأَ الْأَرْضَ ضَجَّةً وَدَوِيًّا
وقال الآخرُ [من الطويل] :

لَقَدْ كَتَمْتَ آثَارَ آلِ مُحَمَّدٍ مُحِبُّوهُمْ خَوْفًا وَأَعْدَاؤُهُمْ بُغْضًا
وَلَكِنْ فَشَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ نَبْذَةٌ بِهَا مَلَأَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَا
ومن كلامه عليه السلام [في «نهج البلاغة» ٣٦] ما معناه : لا تزال
الرعيَّةُ تشكو ظلمَ الملوكِ ، وَلَكِنِّي أَشْتَكِي الظلمَ مِنْ رَعِيَّتِي .

(١) اصغى الإناء : أماله ليفرغ ما فيه .

(٢) طأمنت الأرض : أنخفضت .

وقال لأصحابه [في «نهج البلاغة» ٣٦] : لقد ملأتم قلبي قبحاً ،
 وشحنتم صدري غيظاً ، وجرعثموني نغب التهمام أنفاساً^(١) ، حتى
 قالت قريش : إن ابن أبي طالب رجل شجاع ، ولكن لا علم له
 بالحرب - لله أبوه - وهل أشد لها مراساً مني ؟ لقد دخلت فيها
 دون العشرين ، وهأنذا قد ذرقت فيها على الستين ، ولكن لا رأي
 لمن لا يطاع .

بل إن الأمر أعظم من ذلك ، فسيّد أهل الأرض والسماء ،
 وأفضل من يشرب عذب الماء . . كان مُمتحناً بالمنافقين بشهادة
 سورة ﴿ براءة ﴾ من فاتحتها إلى خاتمتها ، بل لم يسلم مع ذلك
 من التواء فضلاء الصحابة عليه .

ألا ترى أنهم كرهوا لقاء العدو يوم بدر حتى أنزل فيهم :
 ﴿ يَجِدُوكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾
 [الأنفال : ٦] .

وقوله تعالى أيضاً : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ
 وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [الأنفال : ٧] .
 وخالفوا أمره يوم أُحُد ، وأسلموه حتى ألقته فرسه بين القتلى ،
 وأستصرخ فلم يُجبه غير من اشتد به اختصاصه .

وقال الله جلّ شأنه فيهم : ﴿ إِذْ تَضَعُونَ وَلَا تَكُونُ عَلَيَّ
 أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَىكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٣] .
 وعصوا أمره في تبوك أيضاً ، حتى قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَّا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ

(١) نغب : جرعات . التهمام : الهمم . أنفاساً : جرعة بعد جرعة .

أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي
الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوا بِكُم عَدَاوَاتِ الْإِيمَانِ وَسَتَبَدِلَ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿التوبة :

. [٣٩:٣٨

فهذا عتابٌ للمؤمنين ، وشاهدٌ بأنه لم ينجُ من خلافهم عليه ،
وقد أشرنا في الفائدة الثامنة من « بلابل التغريد » إلى تناقلهم ليلة
الخنديق عن استكناه خبر القوم^(١) ، وقد ألحَّ عليهم في ذلك ، وهو
لا يُخالف ما نقرُّه من امتلاء صدورهم بالإيمان ، وتقدُّمهم بالنفوس
المطمئنة إلى شفرات السيوف ؛ لأنه الأكثر من أحوالهم ، ولأنَّ
الامتحانَ يعشقُ الكمالَ ، فأقتضى عليَّ قدره ﷺ أن تلتوي عليه
الأمرُ ، وتغصَّوب^(٢) له الأهوالُ ، وتتكرَّر له الأيامُ ، ويجمع
عليه الزمانُ ؛ ليجاوزَ مدى أولي العزم من أرسلِ ، وتلك الغايةُ
منوطةٌ بالمحنة ؛ ولهذا قال له جلَّ شأنه : ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو
الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] ، وكان يوعكُ كما يوعكُ الاثنانِ من
عُرضِ الناسِ^(٣) ، وكان يقولُ : « أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ، ثُمَّ
الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ »^(٤) .

(١) استكناه خبر القوم : استقضاؤه .

(٢) يعصوبُ ، يقالُ : أعصوبُ اليومُ والشرُّ : أشدُّ وتجمَعُ .

(٣) أخرجه عن ابن مسعود البخاري (٥٦٤٨) في المرضي ، ومسلم (٢٥٧١)
في البر والصلة . ولفظه عنده : «أجل إنِّي أوعكُ كما يوعكُ رجلانِ منكم» .

عُرضُ الناسِ : عامتهم .

(٤) أخرجه عن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه الحاكم في «المستدرک»
(١٠٠/١) .

وللهِ دُرٌّ أَبِي تَمَامٍ فِي قَوْلِهِ [مِنَ الْبَسِيطِ] :

مَا زِلْتُ أَرْمِي بِأَمْالِي مَطَالِبَهَا لَمْ يُخْلِقِ الْعَرِضَ مِنِّي سُوءَ مُطْلَبِي
إِذَا قَصَدْتُ لِشَأْوِ خِلْتُ أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُهُ أَدْرَكْتَنِي حِرْفَةُ الْأَدَبِ^(١)

وَأَخَذَهُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ بَسَامٍ ، فَقَالَ فِي رثاءِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ : [فِي

« دِيوانه » ٢٧ من البسيط] :

لِلَّهِ دُرٌّكَ مِنْ مَلِكٍ بِمَضِيَعَةٍ نَاهِيكَ فِي الْعَقْلِ وَالْأَدَابِ وَالْحَسَبِ^(٢)
مَا فِيهِ لَوْ وَلَا لَيْتُ فَتَنْقِصُهُ وَإِنَّمَا أَدْرَكْتُهُ حِرْفَةُ الْأَدَبِ

وَتَلَاعَبَ بِهِ الشُّعْرَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَيَتَّصَلُ بِالْمَوْضُوعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ

[مِنَ الْكَامِلِ] :

عَابُوا الْجَهَالََةَ وَأَزْدَرَوْا بِحُقُوقِهَا وَتَهَاوَنُوا بِحَدِيثِهَا فِي الْمَجْلِسِ
وَهِيَ الَّتِي يَنْقَادُ فِي يَدِهَا الْغِنَى وَتَجِيئُهَا الدُّنْيَا بِرَغْمِ الْمَغْطِيسِ

وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ [فِي « دِيوانه » ٦٤٥ من الطويل] :

كَفَاكَ عَنِ الدُّنْيَا الدَّمِيمَةَ مُخْبِرًا غِنَى بِأَخْلِيئِهَا وَأَفْتِقَارُ كِرَامِهَا
وَأَنَّ رِجَالَ النَّفْعِ تَحْتَ مَدَاسِهَا وَأَنَّ رِجَالَ الضَّرِّ فَوْقَ سَنَامِهَا

وَقَالَ آخَرُ [مِنَ السَّرِيعِ] :

مَنْ يَزْجُ بِالْفَضْلِ نَوَالًا يَمُتْ جُوعًا وَلَوْ كَانَ بَدِيعَ الزَّمَانِ
وَمَنْ يَقْدُ أَوْ يَتَمَسَّخَرُ يَعِشْ عَيْشًا رَخِيًا فِي ظِلَالِ الْأَمَانِ^(٣)

(١) حِرْفَةُ الْأَدَبِ : الْفَقْرُ .

(٢) مَلِكٍ كَذَا فِي الْمَخْطُوطِ ، وَفِي « الدِّيوانِ » : (مَيْتِ) .

(٣) يَقْدُ : يَعْمَلُ قَوَادًا .

ولابن نباتة السعدي [من الكامل] :

مَا بَالُ طَعْمِ الْعَيْشِ عِنْدَ مَعَاشِرٍ حُلُوٌّ وَعِنْدَ مَعَاشِرٍ كَالْعَلَقِمِ
مَنْ لِي بِعَيْشِ الْأَغْيَاءِ فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ

وقلتُ في «لُزُومِيَّاتِي» [من الطويل] :

أَعَاتِبُ فِي التَّقْصِيرِ نَفْسِي فَلَا أَرَى مَجَالَ عِتَابٍ مُقْتَضٍ لِلتَّنَدُّمِ
وَلَكِنْ شُفُوفِي خَانَ حَظِّي وَهَكَذَا تَرَى خِيَّةَ الْأَمَالِ رَهْنًا التَّقَدُّمِ^(١)
أَتَيْنَا وَدَهْرُ الشَّوْءِ يَمْسِي إِلَى الْوَرَى وَمَبْنَى الْمَعَالِي أَخِذٌ فِي التَّهَدُّمِ

الكمال مقرون بملو
الهمة ولكن الأيام لا
تساعد

وَمِنْ دَوَاعِي تَعَبِ أَهْلِ الْكَمَالِ . . أَنَّهُ مَقْرُونٌ بَعَلُوْهُ الْهَمَّةَ وَكَبَّرَ
النَّفْسِ ، وَالزَّمَانُ مَعَانِدٌ وَالْأَيَّامُ لَا تَسَاعِدُ .

وَإِذَا كَانَتِ النَّفْسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامِ^(٢)

لأنها لا تقف عند غاية ، ولا تفضي إلى نهاية ، وقد قال الله جلَّ
شأنه لأفضل الخلق عليه السلام : ﴿ فَإِذَا فَرَعْتَ فَأَنْصَبْ * وَلِكِ رَيْكَ
فَأَرْغَبْ ﴾ [الانشراح : ٨٧] .

وقال أبو تمام [في «ديوانه» ١٣١/٢ من الكامل] :

حَدَمَ الْعُلَى فَحَدَمْتُهُ وَهِيَ الَّتِي لَا تَخْدُمُ الْأَقْوَامَ مَا لَمْ تُخْدَمْ
فَإِذَا أُرْتَقَى فِي قَلْبِهِ مِنْ سُؤْدَدٍ قَالَتْ لَهُ الْأُخْرَى : بَلَّغْتَ تَقَدُّمِ^(٣)

وقال الناظم [في «المكبري» ٧٢/٤ من الوافر] :

وَلَوْلَمْ يَعْزَلْ إِلَّا ذُو مَحَلٍّ تَعَالَى الْجَيْشُ وَأَنْحَطَّ الْقَتَامُ

(١) الشُّفُوفُ : نحوولُ الْجِسْمِ مِنَ الْهَمِّ وَالْوَجْدِ .

(٢) البيت من الخفيف .

(٣) القُلَّةُ : رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ .

وَلَوْلَمْ يَزْعَ إِلَّا مُسْتَحِقُّ لِرُتْبِهِ أَسَامَهُمُ الْمُسَامُ^(١)

وقال [في «المكبري» ٧٣/٣ من المتقارب] :

وَلَوْ بَشَّمَا عِنْدَ قَدْرِيكُمْ لَبِتَّ وَأَعْلَاكُمْ الْأَسْفَلُ^(٢)

وقال [في «المكبري» ١٠٨/٤ من الطويل] :

وَمَا أَلْجَعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي بِأَضْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا^(٣)

ومعيارُ العمومِ الاستثناءُ ، وقد قال لأبي العشائرِ [في «المكبري»

٣٦٤/٢ من الخفيف] :

لَيْسَ إِلَّا أَبَا الْعَشَائِرِ خَلَقَ سَادَ هَذَا الْأَنَامَ بِأَسْتِحْقَاقِ

أَمَا قَوْلُهُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ [في «المكبري» ٢٧٢/١ من الطويل] :

وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدُ

فَأَصَابَ فِيهِ مِنْ جَهَةِ ، والعادةُ قد تنخرقُ ، وعينُ الدهرِ قد صفات بني حمدان تنامُ ، والطبيعةُ لها فلتاتُ ، وبنو حمدان - كما قال المحققُ التفتازاني^(٤) - ملوكُ ، وجوههم للصباحةِ ، وألستهم للفصاحةِ ، وأيديهم للسماحةِ .

(١) القتام : العجاج . سامتُ السائمةُ : إذا زعتُ ، والمسامُ : الرعيَّةُ .

(٢) المعنى : لو بَشَّمَا - النجم والممدوح - وموضعُ كلِّ واحدٍ منكما على حسب فضلهِ ، ومكانه حيثُ يستحقُّ بقدره . . لَبِتَّ في مواضع النجومِ وياتتُ في موضعك ، تعلوها أنتُ وتسفلُ منك ؛ لشرفِ قدرك على قدرها .

(٣) الجدُّ : الحظُّ والبَحْثُ . الفهمُ : معرفةُ العلومِ .

(٤) التفتازاني : هو مسعود بن عمر بن عبد الله ، سعد الدين ، من أئمة العربية والبيان والمنطق ، له مؤلفات ، توفي سنة : (٧٩٣ هـ) .

أوحده بني حمدان

وَأَخْطَأَ مِنَ الْآخِرَى ؛ فَإِنَّ أَوْحَدَ بَنِي حَمْدَانَ بِلَاغَةٌ وَبِرَاعَةٌ
وَشَجَاعَةٌ . . . إِنَّمَا هُوَ أَبُو فِرَاسٍ ، وَقَدْ أَدْرَكَتْهُ حُرْفَةُ الْأَدَبِ ، وَأَصَابَتْهُ
عَيْنُ الْكَمَالِ ، فَأَسْرَتْهُ الرُّومُ فِي بَعْضِ وَقَائِعِهَا ، فَازْدَادَتْ شَاعِرِيَّتُهُ
رِقَّةً وَلَطَافَةً ، كَمَا سَبَقَ بَعْضُ قَوْلِهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَجْلِسِ ، وَهُوَ
الْقَائِلُ [فِي « دِيوانه » ١٤٤ من الطويل] :

أَسْرَتْ وَمَا قَوْمِي بِعَزَلٍ لَدَى الْوَعَى وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ وَلَا رَبُّهُ غَمْرٌ^(١)
وَلَكِنْ إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ عَلَى أَمْرِيءِ فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِينُهُ وَلَا بَخْرُ

بدء الشعر بملك وختم
بملك

وَقَالَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ [فِي « قِرَى الضَّيْفِ » ٥٧/١] : بُدِيَءَ الشَّعْرُ
بِمَلِكٍ ، وَخُتِمَ بِمَلِكٍ ؛ يَعْنِي : أَمْرًا الْقَيْسِ ، وَأَبَا فِرَاسٍ .
وَمِنْ أَكْبَرِ بَيِّنَاتِهِ أَعْتَرَضَهُ عَلَى النَّاطِمِ يَوْمَ أَنْشَدَ قَصِيدَتَهُ الْمُسْتَهْلَةً
بِقَوْلِهِ [فِي « الْمَكْرَبِيِّ » ٣٦٢/٣ من البسيط] :

وَإِذَا حَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِيهُ [وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمُ]
وَمَلَا حَظَّتْهُ عَلَيْهَا ، وَتَنَبَّيْهُ عَلَى مَوَاضِعِ الْإِخْتِلَاسِ فِيهَا ، بِمَا لَوْ
رَوَى فِيهِ أَمْرٌ . . . لَمَّا دُفِعَ فِي حِدَّةِ الْفَهْمِ ، وَإِصَابَةِ السَّهْمِ ، وَغَزَاوَةِ
الْعِلْمِ ، وَمَعْجَزَاتِ الْإِطْلَاعِ ، كَمَا سَنَفِيضُ فِيهِ عِنْدَمَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ
النُّوبَةُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

عود على شرح البيت
من المطلع

وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي : فَـ (أَنْ) فِيهِ مَخْفَفَةٌ مِنَ الْكَثِيلَةِ ، وَشَرْطُ
أَسْمِهَا أَنْ يَكُونَ ضَمِيرًا مَحذُوفًا ، وَرَبِّمَا ثَبَتَ كَقَوْلِهِ [مَنْ الْبَسِيطُ] :

فَلَوْ أَنَّكَ فِي يَوْمِ الرَّخَاءِ طَلَبْتَنِي طَلَاقَكَ لَمْ أَبْخَلْ وَأَنْتِ صَدِيقُ

(١) الغمْرُ : الذي لَمْ يَجْرُبِ الْأُمُورَ .

وقولِ جنوبِ ترثني أخاها عمراً ذا الكلبِ [من المتقارب] :

بِأَنَّكَ رَيْبِعٌ وَغَيْثٌ مَرِيْعٌ وَأَنَّكَ هُنَاكَ تَكُونُ الْثُمَّالَا^(١)

وهو مختصٌّ بحالِ الضرورةِ على الأصحِّ .

ومعناه^(٢) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا يَنْتَهُ الْخَكْمَ صَبِيحًا ﴾ [مريم : ١٢] ، اقتباس البيت

وقد تلاعب به في « ديوانه » ، فقال [في « المُكْبَرِي » ١٧٠ / ١ من البسيط] : سيادة الصغير العمر

عند المتنبّي
لَيْسَ الْحِدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشُّبَّانِ
تَرْغَرَعَ الْمَلِكُ الْأُسْتَاذُ مُكْتَهَلًا قَبْلَ اكْتِهَالِ أَدِيْبًا قَبْلَ تَأْدِيْبِ

وقال [في « المُكْبَرِي » ١٠ / ٤ من الكامل] :

صَغُرَتْ كُلُّ كَبِيْرَةٍ وَكَبُرَتْ عَنْ لَكَأَنَّهُ وَعَدَدَتْ سِنَّ غُلَامٍ

وقال [في « المُكْبَرِي » ٢٣٢ / ٣ من الرافعي] :

وَأَعْجَبُ مِنْكَ كَيْفَ قَدَرْتَ تَشَا وَقَدْ أُعْطِيتَ فِي الْمَهْدِ الْكَمَالَ

وقال [في « المُكْبَرِي » ٤٥ / ٣ و ٤٩ من الطويل] :

بِمَوْلُوْدِهِمْ صَمْتُ اللِّسَانِ كَغَيْرِهِ وَلَكِنَّ فِي أَعْطَافِهِ مَنْطِقَ الْفَضْلِ
وَقَدْ مَدَّتِ الْخَيْلُ الْعِثَاقَ عُيُونَهَا إِلَى وَقْتِ تَبْدِيْلِ الرِّكَابِ مِنَ النَّعْلِ

وقال [في « المُكْبَرِي » ٨١ / ٢ من البسيط] :

نَفْسٌ تُصَغَّرُ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ كِبَرٍ لَهَا نَهَى كَهْلِهِ فِي سِنَّ أَمْرِهِ

(١) المريع : الخصبُ الذي لا ينقطع . الثُمّالَا : الماءُ القليلُ يبقى في أسفلِ

الحوضِ ، أو في أيِّ إناءٍ كان .

(٢) أي البيت الذي يتكلم عليه .

وقال [في «المكبري» ٨/٢ من الطويل] :

أَرَى الْقَمَرَ ابْنَ الشَّمْسِ قَدْ لَبَسَ الْعَلَا رُوَيْدَكَ حَتَّى يَلْبَسَ الشَّعَرَ الْخَدُّ
وَبَاشَرَ أَبْكَارَ الْمَكَارِمِ أَمْرَدَا وَكَانَ كَذَا آبَاؤُهُ وَهُمْ مُرْدُ

وقال [في «المكبري» ٣٤٥/١ من المتقارب] :

سَعَوْا لِلْمَعَالِي وَهُمْ صَبِيَّةٌ وَسَادُوا وَجَادُوا وَهُمْ فِي الْمُهْزِدِ

وقال [في «المكبري» ٦٤/٤ من المنسرح] :

قَوْمٌ بُلُوغُ الْغُلَامِ عِنْدَهُمْ طَعْنٌ نُحُورِ الْكَمَاةِ لَا الْحَلْمُ

والأخيرُ مُتَنَزَعٌ مِنْ قَوْلِ يَحْيَى بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ
رضوانَ اللهُ عليهم [من الطويل] : بلوغ الغلمان عند
يحيى بن زيد

خَرَجْنَا نَقِيمُ الدِّينِ بَعْدَ أَعْوِجَاجِهِ سَوِيًّا وَلَمْ نَخْرُجْ لِجَمْعِ الدَّرَاهِمِ
إِذَا أَنْقَنَ التَّنْزِيلَ وَالْعِلْمَ طِفْلُنَا فَإِنَّ بُلُوغَ الطِّفْلِ ضَرْبُ الْجَمَاجِمِ

هذا والله الشرف الذي يطاء بأخمصه الكجوم ، ويغلب على
الكفوس عند ذكره الوجود ، ويحاط دين الله منه بالرجوم ، ويعذب
لمن سمعه على الموت الهجوم .

وما زالت الهاشمية نيران الحتوف ، وأرباب الأعلام والسيوف ،
ومصابيح النور ، وهداة العور ، ولئن قل في الأواخر ألباس . .
فسأذكر ما يناسب طهارتهم من الأدناس .

كثيراً ما سمعتُ والدي يقول : كان لآل جديد وآل بصري وآل
علوي ثلاثة ديار ، عليها سورٌ بمدينة (تريم) ، يقال لها :
(الحوطة) ، كانوا يحوطون أولادهم فيها بالنظر ، ويلاحظونهم
تربية الأسياد أولادهم

بالتربية حتى لا يبرحوها ، ولا يطرئ شارب الغلام منهم إلا وقد ورى
 زناؤه ، وتجوهر فؤاده ، وشملت الأسرار ، وأشرقت عليه الأنوار ،
 والتحق بالصالحين الأخيار ، فلا يخافون عليه بعد من مخالطة
 الأغيار .

وكان أصحاب مشورة عمر شبناناً ، وكان يدني عبد الله بن أصحاب مشورة سيدنا
 عباس ، ويدخله مع الأشياخ ، ولما قالوا له : إن لنا أبناء مثله . عمر رضي الله عنه
 قال : إنه من حيث ترون .

ولا جرم ؛ فإن الفارق لما قايست الناس بالفضيلة . . أتبعث لها
 النفوس فارتفع الشأن ، وسعد الزمان .

أما قوله ﷺ : « كَبُرَ كَبْرٌ »^(١) في قضية حويصة وأخيه . . فإنما
 هو لاستوائهم في الفضل ، وبمثلهم قالوا في قوله ﷺ : « ثُمَّ لِيَوْمِكُمْ
 أَكْبَرُكُمْ »^(٢) : فإنهم استووا في الإقامة لتلقي العلم مع أنتفاء
 التفاوت في الأفهام ، فكانوا غير متفاوتين فيما تلقوه من ألفقه ،
 وبقية الأرجحية بالسن ، وقد بحث المحب الطبري تقديم الأسن
 فيما إذا أسلموا معاً ، وأستوا فقهاً ؛ لعموم هذا الحديث ،
 والأكثر على أن لا اعتبار للسن في غير الإسلام ، والظاهر أن
 إسلامهم معاً ، فلعل في الأكبر فضيلة زاد بها عليهم ، فأستحق
 التقديم ، أو لعل المراد بالأكبر الأكبر منزلة وقدرأ ، فيراد منه الأفقه
 حينئذ ، فيندفع من أصله الإشكال .

(١) أخرجه عن سهل بن أبي حنيفة البخاري (٧١٩٢) في الأحكام ، ومسلم
 (١٦٦٩) في القسامة .

(٢) أخرجه عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه البخاري (٦٠٠٨) في الأدب ،
 ومسلم (٦٧٤) في المساجد .

سرعة بديهة يحيى بن أكرم
ولمّا ولي يحيى بنُ أكرمَ قضاءَ (البصرة) . . أرادوا العبثَ به ، فسألوه عَن سِنِّهِ ، ولمّا تجاوزَ العشرينَ ، فقالَ : أنا أكبرُ مِن عَتَّابِ بنِ أسيدٍ^(١) حينَ وجَّهَ بهِ رسولُ الله ﷺ قاضياً على (مَكَّة) يومَ الفتحِ ، وأنا أكبرُ مِن معاذِ بنِ جبلٍ^(٢) حينَ وجَّهَ بهِ النبيُّ ﷺ قاضياً على (اليمنِ) ، وأنا أكبرُ مِن كعبِ بنِ سورٍ^(٣) حينَ وجَّهَ بهِ ابنُ الخطَّابِ قاضياً عليكم ، فأفحَمهم ؛ إذ جعلَ كلامُهُ احتجاجاً وجواباً .

المرء بأصغريه
وقَدِمَ على عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ وفدٌ ، فيهم حَدَثٌ ، رآهُ يشرُّبُ للكلامِ ، فقالَ لَهُ : كَبُرَ كَبْرٌ ، فقالَ : لو كانتَ بالسنِّ . . لكانَ في مجلسِكَ هذا مَنْ هوَ أولىُ منكَ بالخِلافَةِ ، إنَّما المرءُ بأصغريه ، فقالَ لَهُ : تكلِّمْ ، فأجادَ وشفى ، وأفادَ وكفى^(٤) .

سيادة أبي جهل
وسادَ أبو جهلِ ابنُ هشامٍ قبلَ أن يطرَّ عِذارُهُ^(٥) ، وكانتَ مشيخةً قريشٍ تُدخِلُهُ معها دارَ الندوةِ ، ولا تقطعُ أمراً دونَهُ .

- (١) عَتَّابِ بنِ أسيدِ ابنِ أبي العيصِ بنِ أميةِ بنِ عبدِ شمسٍ ، أبو عبدِ الرحمنِ ، وإلِ صحابي قريشي أموي مكِّي ولد سنة : (١٣ ق . هـ) ومات سنة : (١٣ هـ) .
(٢) معاذُ : صحابي خزرجي ، أبو عبدِ الرحمنِ ، ولد سنة : (٢٠ ق . هـ) ومات سنة : (١٨ هـ) كان من أعلم الأمة بالحلال والحرام .
(٣) كعب بن سور بن بكر الأزدي ، تابعيٌّ من الأعيان المقدمين في صدر الإسلام توفي سنة : (٣٦ هـ) .
(٤) في « جهمرة خطب العرب » (٤١٩ / ٢) . فقال عند ذلك أمير المؤمنين [من الطويل] :

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُوَلَّدُ عَالِماً وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
وَإِنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا التَّمَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ
(٥) العِذارُ : ما طلعَ مِنْ وَبَرِ جانبِ لحيتهِ .

وسادَ عمرو بنُ كلثوم - صاحبُ المعلِّقة - لخمسَ عشرةَ سنةً ، ثمَّ سيادة عمرو بن كلثوم
لَمْ يُمْثِ إِلَّا عَنْ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ رِبْعًا ، وَهُوَ الْقَائِلُ [في «ديوانه» ١٠٠ من الوافر]:

إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ

وقالتِ الخنساءُ [في «ديوانها» ١٥ من المتقارب]: سيادة أخ الخنساء

طَوِيلُ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَا دِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدًا^(١)

وقالتِ أختُ طرفةَ بنِ العبدِ في رثائه [كما في «خزانة الأدب» ٤٢٣/٢ من سيادة طرفة بن العبد

الطويل]:

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وَعِشْرِينَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَفَّاهَا اسْتَوَى سَيِّدًا ضَحْمًا

ويروى: أَنَّ الْحِجَّاجَ وَلَّى مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ قِتَالَ الْأَكْرَادِ محمد بن القاسم يبيد

(بـ فارس) ، فَأَبَادَهُمْ ، ثُمَّ وُلَاهُ (السُّنْدَ) وَ(الهِندَ) ، فَأَحْمَدَ الأكراد وعمره سبع
عشرة سنة

أَثْرَهُ ، وَسِنَّهُ إِذْ ذَاكَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فَقَالَ فِيهِ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ لِزِيَادِ

الأعجم كما في «المستطرف» ٤٩٧/١ من الكامل]:

قُدَّتِ الْجُبُوشُ لِسَبْعِ عَشْرَةَ حِجَّةً يَا قُرْبَ ذَلِكَ سُودُودًا مِنْ مَوْلِدِ

وقال جريرُ لعُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ [من الوافر]: الشعراء والسيادة في

الصغر

فَسُدَّتِ النَّاسَ قَبْلَ سِنِّي عَشْرٍ كَذَاكَ أَبُوكَ قَبْلَ الْعَشْرِ سَادًا

وقال الفرزدقُ يمدحُ يزيدَ بنَ المهلبِ [في «ديوانه» ٣٧٨/١ من الكامل]:

مَا زَالَ مُذْ عَقَدْتَ يَدَاهُ إِزَارَهُ وَسَمَا وَأَدْرَكَ حَمْسَةَ الْأَشْبَارِ

يُذْنِي كِتَابَ مِنْ كِتَابَبِ تَلْتَقِي فِي ظِلِّ مُغْتَبِطِ الْغُبَارِ مُثَارِ

(١) النجاد: حمائلُ السيفِ ، وطويلُ النجاد: كنايةٌ عن طولِ القامةِ . رفيع

العماد ، يقال : رجلٌ معمدٌ ؛ أي : طويلٌ .

وَمِمَّا أَصَابَ الْمَحْزَرَ ، وَطَبَّقَ الْمِفْصَلَ ، قَوْلُ الْحَزِينِ الْكِنَانِيِّ فِي
الإمام زيد بن علي^(١) رضوان الله عليهم [من الطويل] :

وَلَمَّا تَرَدَّدَى بِالْحَمَائِلِ وَأَنْشَى يَصُولُ بِأَطْرَافِ الْقَنَا وَالْقَنَابِلِ
تَبَيَّنَتْ الْأَعْدَاءُ أَنَّ سِنَانَهُ يُطِيلُ حَيْنَ الْأُمّهَاتِ الثَّوَاكِلِ
تَبَيَّنَ فِيهِ مَلِمْ الْعِزِّ وَالْتَقَى وَلِيداً يُفَدِّي بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَابِلِ

وقال العلويُّ صاحبُ الزنج [من البسيط] :

إِنِّي وَقَوْمِي فِي أَنْسَابِ قَوْمِهِمْ كَمَسْجِدِ الْخَيْفِ فِي بَخْبُوْحَةِ الْخَيْفِ
مَا عُلِقَ السَّيْفُ مِنَّا بِأَبْنِ عَاشِرَةٍ إِلَّا وَهَمَّتْهُ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ

وَمِنْ خَالِصِ الشَّعْرِ ، وَمَخْتَارِ الْكَلَامِ ، قَوْلُ مِرْوَانَ ابْنِ أَبِي
حفصة^(٢) يمدحُ معن بن زائدة^(٣) [في ديوانه « ٦٤-٦٥ من الطويل] :

نَجِيبٌ مَنَاجِبٍ وَسَيْدُ سَادَةٍ ذُرَى الْمَجْدِ مِنْ فَرْعِي نِزَارٍ تَفْرَعَا
لَبَّانَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ فِيهِ وَأَكْمَلَتْ وَمَا كَمَلْتَ خَمْساً سِنُوهُ وَأَرْبَعَا
لَقَدْ أَصْبَحَتْ فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ بِسَيْفِكَ أَعْنَاقُ الْمُرِينِينَ خُضْعَا
وَطِئْتَ خُدُودَ الْحَضْرَمِيِّينَ وَطَاءَةً بِهَا مَا بَنَوْا مِنْ عِزَّةٍ قَدْ تَضَعُضَعَا
فَأَقَعُوا عَلَى الْأَسْتَاهِ إِقْعَاءَ مَعْشَرٍ يَرُونَ اتِّبَاعَ الدُّلِّ أَوْلَى وَأَنْفَعَا
فَلَوْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الْحَرْبِ كُلِّهَا لَكَفُّوا وَمَا مَدُّوا إِلَى الْحَرْبِ إِصْبَعَا

(١) زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، الإمام، أبو الحسين العلوي الهاشمي القرشي، ويقال له: زيد الشهيد، عدّه الجاحظ من خطباء بني هاشم. توفي سنة: (١٢٢هـ). عن (٤٣) سنة.

(٢) هو مروان بن سليمان ابن أبي حفصة يزيد، شاعر عالي الطبقة توفي سنة: (١٨٢هـ).

(٣) هو أشهر أجداد العرب وشجعانهم الفصحاء توفي سنة: (١٥١هـ).

وما أحسن قول بعضهم [من الوافر] :

إِذَا مَا أَوَّلُ الْخَطِيئِ أَخْطَا فَمَا يُرْجَى لِأَخِيرِهِ أَنْتِصَارُ
وَإِنْ جَاَزَ الْفَتَى عِشْرِينَ عَامًا وَمَا بَلَغَ الْمُرَادَ فَذَاكَ عَارُ

ولكنَّ الإمامَ أبا حنيفةً أمهلهُ إلى خمسةٍ وعشرينَ عاماً ، فمتى
بلغها . . دُفِعَ له مالهُ ، وإنَّ لَمَ يستجمعُ رشدهُ ؛ لليأسِ مِنْ صلاحِهِ ،
ولأنَّ السنَّ المذكورَ غايةً ما ينتهي إليه الاستواءُ .

وقال أبو عبادَةَ وقد أوفى على الإِجَادَةِ [في «ديوانه» ٣/١٤١٤-١٤١٥

من الكامل] :

مُسْتَظْهِرٌ بِذَخِيرَةٍ مِنْ رَأْيِهِ تَمْضِي الْأُمُورَ وَبَخْرُهَا لَمْ يُنْزَفِ
إِلَّا يَكُنْ كَهْلَ السَّنِينَ فَإِنَّهُ كَهْلُ التَّجَارِبِ فِي ضَجَاجِ الْمَوْقِفِ
تَبْدُو مَوَاقِعُ رَأْيِهِ وَكَأَنَّهَا غُرُرُ السَّوَابِقِ مِنْ يَفَاعِ مُشْرِفِ^(١)
وَإِذَا خَطَابُ الْقَوْمِ فِي الْخُطْبِ اعْتَلَى فَصَلَ الْقَضِيَّةَ فِي ثَلَاثَةِ أَحْرَفِ

ومما يعجبني من هذه القصيدة قوله [في «ديوانه» ٣/١٤١٧ من الكامل] :

قَاسَمْتَهُ أَخْلَاقَهُ وَهِيَ الرَّدَى لِلْمُعْتَدِي ، وَهِيَ الْكُدَى لِلْمُعْتَفِي
فَإِذَا جَرَى مِنْ غَايَةٍ وَجَرَيْتَ مِنْ أُخْرَى التَّقَى شَاوَأَكْمَا فِي الْمُنْصَفِ

وما زال الناسُ يُعجبونَ بقولِ ابنِ هانئٍ الأندلسيِّ [من الكامل] :

أَبْنِي الْعَوَالِي السَّمْهَرِيَّةِ وَالْمَوَا ضِي الْمَشْرِفِيَّةِ وَالْعَدِيدِ الْأَكْثَرِ
مَنْ مِنْكُمْ الْمَلِكُ الْمَطَاعُ كَأَنَّهُ تَحْتَ السَّوَابِغِ تُبِعَ فِي حِمِيرِ^(٢)

(١) اليفاعُ : ما ارتفعَ مِنَ الأرضِ .

(٢) السمهريَّةُ : الرماحُ الصلبةُ الشديدةُ . السوابغُ ، يقالُ : سبغَ الشيءُ : طالَ =

حَتَّى وَجَدْتُ بَعْضَ لَفْظِهِ مِنْ قَوْلِ الْبُحْتَرِيِّ [في «ديوانه» ١٠٢٩/٢ من

الكامل] :

وَتَنَاوَلَ الضَّحَّاكَ مِنْ خَلْفِ الْقَنَا وَالْمَشْرِفِيَّةِ وَالْعَدِيدِ الْأَكْثَرِ

وَبَعْضُ الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِهِ فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي نَوَّهْنَا بِهَا [في «ديوانه»

١٤١٣-١٤١٤ من الكامل] :

يَهْدِيهِمُ الْأَسَدُ الْمُطَاعُ كَأَنَّهُ عِنْدَ اجْتِمَاعِ الْجَحْفَلِ الْمُتَضَايِفِ

عَمَرُوا الْقَنَا فِي مَدْحِجِ أَوْ حَاتِمِ فِي طَيِّءٍ أَوْ عَامِرٍ فِي خِنْدِفِ

إِلَّا أَنَّ أَبْنَ هَانِيءَ بَتَنَاسَقَ قَوْلِهِ ، وَجَزَالَةَ لَفْظِهِ ، وَأَطْرَادِ سِيَاقِهِ ،
وَحُسْنِ اتِّبَاعِهِ . . . كَانَ الْأَحَقُّ بِهِ .

وقد ألمَّ الناظم بقول البُحْتَرِيِّ : (فَصَلَ الْقَضِيَّةَ فِي ثَلَاثَةِ

إمام المتنبسي بقول
البحتري

أَحْرَفِ) ، وَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ [في «المكبري» ٢٨٥/٢ من الطويل] :

يَقُومُ مَقَامَ الْجَيْشِ تَقْطِيبُ وَجْهِهِ وَيَسْتَعْرِقُ الْأَلْفَاظَ مِنْ لَفْظِهِ حَرْفٌ

وفي قوله [في «المكبري» ٣٩٧/٣ من الطويل] :

حُرُوفٌ هِجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ : جَوَادٌ وَرُمُحٌ ذَابِلٌ وَحَسَامٌ

وبمناسبة ما سبقَ عَنَ يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ ، وَمَا قِيلَ فِي أَبِيهِ ، وَمَا

تألم المؤلف على ما آل
إليه حال العلويين
ونصح لهم

ذَكَرْتُهُ عَنَ صَاحِبِ الزَنْجِ ، وَمَا سَقْتُهُ فِي كِرَامَةِ آبَائِنَا ، وَكُونَ

الْمَمْدُوحِ فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا عَلَوِيِّ النَّسَبِ . . . أَنْعَى عَلَيَّ

الْعَلَوِيِّينَ أَنْقَسَامَهُمْ وَتَخَاذُلَهُمْ وَأَنْحَطَاتَهُمْ ، حَتَّى لَقَدْ نَهَبَ

= وَأَتَّسَعَ ، وَسَبَغَتِ الدَّرُوعُ : فَهِيَ السَّوَابِغُ .

الصَّيْعَرُ^(١) اثْنَتَيْنِ مِنَ الْإِمَاءِ مَرَّةً ، إِحْدَاهُمَا لَعْلَوِيٌّ ، وَالْأُخْرَى لِدَلَالٍ .
فَأَمَّا الثَّانِي : فَلَمْ يَصِلْ إِلَى (الرِّيْدَةِ) لاسْتِنْقَاذِهَا إِلَّا فِي أَرْبَعِ مِثْقَلٍ مِنْ
أَبْنَاءِ جَنْسِهِ ، جَاؤُوا مَدَدًا لَهْ مِنْ نَوَاحِي (حَضْرَمَوْتِ) . وَأَمَّا الْعَلَوِيُّ :
فَلَمْ يَلْبِثْ أَحَدٌ ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَّا وَحْدَهُ ، فَمَا أَحَقُّهُ بِأَنْ يَتِمَثَّلَ لَهُمْ بِمَا
سَيَاتِي قُبَيْلَ الْمَجْلِسِ السَّابِعِ : وَكَمْ لَهَا مِنْ أَخَوَاتٍ تُعَدُّ بِالْمِثَالِ ، لَمْ
يَجُفَّ بَعْضُهَا بَعْدُ . وَلَوْلَا مَا فِي ذِكْرِهَا مِنْ جَرِحِ الْعَوَاطِفِ بِلَا كَبِيرٍ
فَائِدَةٌ . . لسردنا منها ، فَإِنَّا نَعُدُّهَا مِنْهَا وَلَا نَعُدُّهَا [مَنْ الْبَسِطُ] :

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِلَيَّ بِنُوِّ اللَّقِيْنَةِ مِنْ ذُهْلِ ابْنِ شَيْبَانَ
لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الْخَيْرِ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

وَالْعَجَبُ أَنَّكَ لَا تَرَى أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يَتَكَلَّمُ فِي الْأَخْلَاقِ وَمَدْحِ
الاجْتِمَاعِ مِثْلَهُمْ ، وَمَعَ ذَلِكَ - وَلَا أَحَاشِي - تَجِدُهُمْ مِنْ أَكْثَرِ الْخَلْقِ
نِفَاقًا ، وَأَفْسِدُهُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنَّكَ لَتَجِدُ الْحَاكِمَ وَمَنْ دُونَهُمْ يَفْضُلُونَهُمْ
فِي الْهَيْئَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ بِدَرَجَاتٍ ، فَمَا أَقَلَّ حَيَاءَهُمْ ، وَمَا أَصْفَقَ
وَجُوهَهُمْ ؛ إِذْ يَتَبَجَّحُونَ بِالْإِنْتِسَابِ إِلَى سَادَاتِ الْكُونَ عَلَى بُعْدِ مَا
بَيْنَهُمْ مِنَ الْفَرْقِ وَالْبُؤْنِ ، وَلِلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ [مَنْ الْبَسِطُ] :

لَسْتُمْ بَيْنَهُمْ وَلَسْتُمْ مِنْ سُلَاكَتِهِمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَمْرُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ أَمَّا

وما أحسن قول الناظم [في «العكبري» ١٥٦/١ من الطويل] :

إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ^(٢)

(١) الصيعر: قبيلة من قبائل (حضرموت).

(٢) النواصب - جمع ناصب - : وهم الخوارج الذين نصبوا العداوة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام .

وهو من قول شاعرٍ قبله ، يقولُ لبعضِ العلويينَ [من الطويل] :
 إِذَا الْغَضُّ لَمْ يُبْمَزْ وَإِنْ كَانَ شُعْبَةً مِنْ الْمُثْمِرَاتِ أَعْتَدَهُ النَّاسُ فِي الْحَطَبِ
 وَلَمَّا أَنْحَرَفَتْ سِيرَةُ الْمُوسَوِيِّينَ بِ(بغداد) . . . كَتَبَ لَهُمْ أَحَدُ
 مُحِبِّيهِمْ - بِمَا قَوْمُنَا بِهِ الْآنَ أَحَقُّ مِنْهُمْ - وَهُوَ هَذَا [من الطويل] :

متى يبلغ البيان
 التمام؟!

يَعِزُّ عَلَيَّ أَسْلَافِكُمْ يَا بَنِي الْعُلَا إِذَا نَالَ مِنْ أَعْرَاضِكُمْ شَتْمٌ شَاتِمٌ
 بَنَوْنَا لَكُمْ مَجْدَ الْحَيَاةِ فَمَا لَكُمْ أَسَأْتُمْ إِلَى تِلْكَ الْعِظَامِ الْكَرْمَائِمِ
 إِذَا أَلْفُ بَانَ خَلْفَهُمْ هَادِمٌ كَفَى فَكَيْفَ بَانَ خَلْفَهُ أَلْفُ هَادِمِ

والمعنى موجودٌ في قوله تعالى : ﴿يَنْسَأَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب : ٣٠] ، وقوله : ﴿يسيرًا﴾ ممَّا يحقُّ به للأحزان أن تُشملَ رباطها^(١) ، وللقلوب أن يتقطعَ نياطها^(٢) ، فما لنبيٍّ معه إرادةٌ ، ولا بينه وبين أحدٍ من خلقه هوادهٌ ، فأنى ينجو المقصّرُ ، أو يسعدُ الطالحُ ، وقد قال الله تعالى لنوحٍ عليه السلام : ﴿إِنَّكُمْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّكُمْ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [مرد : ٤٦] ، وما أحسنَ ما قلتُ من قصيدٍ [من الطويل] :

إِذَا لَمْ يَسِرْ نَجُلُ النَّبِيِّ بِسَيْرِهِ فَلَا بَدْعَ إِنْ قَالَ الْعِدَا إِنَّهُ دَعَانِي
 أَيُّ حَقٍّ نَصْرُوهُ ؟ أَيُّ بَاطِلٍ أَنْكَرُوهُ ؟ أَيُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ تَمَعَّرَ
 وَجْهَهُ^(٣) فِي ذَاتِ اللَّهِ ؟ ! مَعَ عَرَضٍ دَعَاوِيهِمْ وَطَوْلِهَا ، وَكَثْرَةِ

- (١) الرباط : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، وهو تشبيهٌ للأحزان بما ذكرنا .
 (٢) نياط القلب : عرقٌ نيط به القلب إلى التوتين .
 (٣) تمعَّر الوجوه : تغيَّره وأعتلاه الصُّفرة عليه من الغيظ .

مواظبتهم وفضلها ، بل أيّ رذيلة بد (حضر موت) و (جاوه) (١) لم
 يقرعوا مروءتها ، ولم يصعدوا ذروتها ؟!

قصيدة للمؤلف في

العلوين

أرؤني أمراً منهم تمعّر عندما تمطى البلاء في قطننا بظلامه
 وقام احتساباً يوم حلت بعقرنا طلائع كفر همها في التهامه
 أبغضني على هذا القذا جفن مسلم يؤمل بالإسلام مخو أنامه ؟
 ويرضى بتخريف الشريعة طامع من الله أن يخطى بحسن ختامه
 ويذهن في ذات الإله ولو عدوا على شاته لم ينحجز عن قيامه
 ويغضب في شروى تقير ويكثُر الضجاج إذا زاد ملح طعامه
 ويخطُر مثل الفحل إن قصر أمرؤ يلائقه في تقيله وأحترامه
 إذا لم يكن يزوجو وإلا فإنه يلائنه من قبل رد سلامه
 فهيات ممن كان ذا وصفه الثقي وإن زاد في تسنيحه وصيامه
 فزي صلاح القوم ما ريت مثله من الشخب إلا خاليات جهامه (٢)

ولا أزال في وجلٍ من مقالة طرقت سمعي في « شرح النهج » هل صحيح أن الإنسان
 الذي يبلغ التمام في أمر يُفقد هذا الأمر من ذريته ؟
 [٤٥/١٢] ، حاصلها : أن سيدنا عمر بن الخطاب أستفرغ عدل
 دُرَيْتِهِ ، فلم يتولّ منهم عادلاً إلا نادراً بطريقة الشذوذ ؛ لأنّ الأمر في
 أسلافنا على مقربة ممّا ذكّر عن ابن الخطّاب في بلوغ الغايات من
 الفضائل ، فنخاف أن يكون السابقون إلى عهد المقدّم (٣) أستفرغوا

(١) جاوه: وتعني (إندونيسية).

(٢) والأبيات من نظم المؤلف - رحمه الله - في « ديوانه » (٣٠٢-٣٠٣) من الطويل.

الجهام: السحاب الذي لا ماء فيه ، وقيل : الذي قد هراق ماءه مع الريح .

(٣) أي: إلى عهد الإمام شيخ الشيوخ الفقيه المقدّم : محمّد بن عليّ الشريف =

مَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْجِهَادِ وَالْكَفَاحِ ، وَمَلَاعِبَةِ الْأَسِنَّةِ وَالصَّفَاحِ ، وَأَنْ
يَكُونَ الْفَقِيهُ وَمَنْ بَعْدَهُ اسْتَفْرغُوا مَا لِأَهْلِ عَصْرِنَا مِنْ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ ،
وَفَوْزٍ وَنَجَاحٍ ، وَتَقْوَى وَعِبَادَةٍ ، وَوَرَعٍ وَزَهَادَةٍ ، وَرُبَّمَا شَهِدَ
الزَّمَانُ ، وَدَلَّلَ الْعِيَانُ .

وَكَمْ سُقْتُ فِي آثَارِهِمْ مِنْ نَصِيحَةٍ وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنَّةَ الْمَتَنِّصِحُ^(١)

ولكنهم قد وصلوا - من سوء الحالة - إلى حد أنهم يعدون
للإنسان ذنباً كماله .

الكمال بين الناقلين
ذنب

ولا بأس أن نختم المجلس - على طوله - بذرو من القصيدة التي
ختمت بها كتابي « صوب الركام » ؛ لأن فيه مناسبة للمقام [في ديوان
المؤلف ١٩٧ من الطويل] :

قصيدة أخرى للمؤلف
في نعي أسلافه وحث
إخوانه

وَقَدْ أَلْجَمَ الْإِذْهَانُ آلَ مُحَمَّدٍ فَمَا رَيْتُ مَنْ لِلَّهِ يَرْضَى وَيَغْضَبُ
كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ عَلِيٍّ وَلَمْ يَمُتْ لَهُمْ فِي قِرَاعِ الْجَوْرِ جَدٌّ وَلَا أَبُ
وَيَا لَيْتَهُمْ كَانُوا كَفَافًا وَلَا جَنِي عَلَى الَّذِينَ مِنْهُمْ كَاشِحُونَ وَأَجْلِبُوا
وَلَوْ لَا أَفْرَاقُ بَيْنَهُمْ عَمَّ شَرُّهُ لِأَوْشَكَ صَدْعُ الْفَطْرِ بِالْجَوْرِ يُشْعَبُ
أَلْحُوا وَلَجُّوا فِي بَعَادٍ وَيَغْضَةَ فَقَدْ نَشَبُوا فِي حَبْلِ غِيٍّ وَأَنْشَبُوا^(٢)
وَفِي شِعْرِ حَدَادِ الْقُلُوبِ نَظِيرُ مَا ذَكَرْتُ فَمَاذَا يُنْكِرُ الْمُتَحَزَّبُ؟^(٣)
وَإِنْ خَاصَ فِي الْإِصْلَاحِ بَعْضُ فَإِنَّهَا أَمَانِيَّ آرَاءَ بِهِمْ تَشْعَبُ

= الحسيني التريمي المتوفى سنة : (٦٥٣ هـ) - (ب) تريم (رحمه الله تعالى .

(١) البيت من الطويل ، الظَّنَّةُ : التهمة .

(٢) نَشَبُوا وَأَنْشَبُوا : تعلقوا بحبل الضلال .

(٣) حداد القلوب : هو الإمام عبد الله الحداد المتوفى سنة (١١٣٢ هـ) رحمه الله

تعالى .

يُرِيدُونَهُ مِنْ غَيْرِ آبَائِهِ وَهَلْ
يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَإِنْ تَسْمَ
سِرَاعٍ إِلَى مَا فِيهِ ضَرْبٌ بِقَدْرِ مَا
فَهُمْ فِي أَضْطِرَابٍ مِنْ عُبَابٍ مَذَاقُهُ
لِسُوقِ الْمَلَاهِي وَالسَّفَاسِفِ بَيْنَهُمْ
وَلَمَّا رَأَوْنِي رَافِعَ الصَّوْتِ بِالذَّعَا
يُقِرُّونَ بِالْإِجْمَاعِ لِي بِتَفَرُّدِي
جَزَاءً قِيَامِي بِالنَّصِيحَةِ أَنَّنِي
يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا بَضِغِينَ نَفْسِهِمْ
وَيَهْوُونَ مَوْتِي وَهُوَ مَوْتُ لِعِزِّهِمْ
يَقُولُونَ لِي : وَارِبُ فَتَابِي أُبْرِي
وَعِرْضُ كَعِينِ الدَّيْكَ مَا فِيهِ نُكْتَةٌ
عَقَافٌ بِهِ فِي النَّاسِ أَعْطَسُ شَامِخًا
عَلَى حِينٍ لَا عِرْضُ بِلَا مَشْتَوِيَّةٍ
وَعَايَتُهُمْ أَنْ يَفْتَرُوا وَمَتَى أَفْتَرُوا

(١) تَسْمَ : تنظر ، من شام البرق إذا نظر إليه . حُلْبٌ : كاذب ، ومنه قولهم : برق حُلْبٌ .

(٢) العبابُ : معظم السيلِ أو موجهُ .

(٣) في الأصل : أموتي ، وهو تصحيف . وَارِبُ : خادعٌ .

(٤) مُشْدَبٌ : مُهْدَبٌ مُصْلَحٌ .

(٥) بِلَا مَشْتَوِيَّةٍ : بلا استثناء .

(٦) في المخطوط و«الديوان» : أَنَسَى ، ولعله قال : أَحْشَى . ولقد تداخل البيت على السيد هنا عَمَّا فِي «الديوان» فأخذ صدرًا من بيتٍ وعجزًا من البيت الذي =

وَذَلِكَ تَارِيخِي نَقِيٌّ وَحُجَّتِي
 وَمَنْ يَكُ فِي شَكِّهَا أَنَا ذَا وَمَا
 إِذَا لَمْ أُجِبْ عَنْ كُلِّ قَوْلٍ بِقَاطِعٍ
 وَمِنْهَا :

بَعُدْتُ بِفَضْلِي عَنْهُمْ قَدَرًا مَا دَنَا
 وَمَا زَالَ لِي بِاللَّهِ جَلٌّ نَسَاؤُهُ
 عَلَاءٌ بِلَا جُنْدٍ وَلَا رِيحِ دَوْلَةٍ
 سَامُضِي بِرَاحًا لَا ضَرَاءَ إِلَى الْعُلَى
 وَلِي قَلَمٌ كَالْمَشْرِفِيِّ وَمَقُولٌ
 رِفَاقُ الْخَنَا وَالشَّكْلِ لِلشَّكْلِ يَجْدُبُ
 عَلَى هَامَةِ الشُّعْرَى خِبَاءً مُطَنَّبٌ (١)
 عَلَى قُلْلِ الكُثْمِ الدَّرِي يَتَوَثَّبُ
 وَفِي نَصْرِ دِينِ اللَّهِ لَا أَنْهَيْبُ (٢)
 يُذِيبُ الصِّفَا أَنَاءَ أُمْلِي وَأَكْتُبُ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ

* * *

= يليه، وهي في «الديوان» :

وَعَايَيْتُهُمْ أَنْ يَكْذِبُوا وَمَتَى أَفْتَرُوا
 يَعْيشُونَنِي غَيْبًا وَفِي كُلِّ مَشْهَدٍ
 أَقُولُ تَعَالَوْا قَابِلُونِي فَيَهْرُبُوا
 أَقَوْمٌ وَلَا أَنْسَى التَّحْدِي وَأَخْطُبُ
 (١) الشُّعْرَى : كوكبٌ نيرٌ يَطْلُعُ عند شِدَّةِ الْحَرِّ . خِبَاءٌ مُطَنَّبٌ : بناءٌ من وبرٍ مشدودٌ
 بِالْحَبَالِ .
 (٢) الْبِرَاحُ : الْجَهْرُ . الضَّرَاءُ : الْإِسْتِخْفَاءُ .

المجلس الرابع

[قال أبو الطيب المتنبّي في «العُكْبَرِيّ» ١٦٠/٣ من الطويل]:

مُجِبِّي قِيَامِي مَا لِدَالِكُمُ النَّصْلِ بَرِيًّا مِنَ الْجَرْحِي سَلِيمًا مِنَ الْقَتْلِ

إِذَا مَا الْكُتَارُ لَمْ تُطْعَمْ ضِرَامًا فَأَوْشِكُ أَنْ تَمُرَّ بِهَا رَمَادًا
وَمَا أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: تَحْبُونُ قِيَامِي عَلَى أَنْ أَبْقَى مَكْتُوفًا، لَا نَكُوصُ أَصْحَابَ
الْمَتَنَبِيِّ عَنْهُ وَتَكْلِيفَهُمْ إِيَّاهُ شَيْئًا لَيْسَ مِنْ شِيمَتِهِ
قَوْلُهُ [في «العُكْبَرِيّ» ١٤٨/٤ مِنَ الْوَافِرِ]:

وَمَا فِي نِطْبِهِ أَنِّي جَوَادٌ أَضَرَ بِجِسْمِهِ طَوْلُ الْجَمَامِ^(١)

وَأَلَّمَ بِهِ الْمَعْرِيّ فِي قَوْلِهِ [في «ديوانه» ٢٣٣ مِنَ الْوَافِرِ]:

إِذَا مَا الْكُتَارُ لَمْ تُطْعَمْ ضِرَامًا فَأَوْشِكُ أَنْ تَمُرَّ بِهَا رَمَادًا

وَمَا أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: كَيْفَ تَحْبُونُ نُهُوضِي بِالْأَمْرِ، وَقِيَامِي
بِالثُّورَةِ، وَالْحَالُ أَنَّ سِيُوفَكُمْ الَّتِي تَعْدُونَهَا لِنُصْرَتِي لَمْ تَتَعَوَّذْ عَلَى
الْجَرْحِ وَالْقَتْلِ.

وَبِهِ تَذَكَّرْتُ تَأَلَّمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَكُوصِ أَصْحَابِهِ عَنِ الْحَرْبِ، تَأَلَّمَ الْإِمَامُ مِنْ نَكُوصِ
الْأَصْحَابِ حَتَّى قَالَ [في «نهج البلاغة» ٣٤]: لَيْتَ مَعَاوِيَةَ صَارَ فَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ
بِالدِّرَاهِمِ، فَأَعْطَيْتُهُ عِشْرِينَ، وَأَخَذْتُ مِنْهُ وَاحِدًا.. وَقَالَ:

(١) الْجَمَامُ: أَنْ يُتْرَكَ الْفَرَسُ فَلَا يُرَكَبُ.

يا أشباه الرجال ، ولا رجال ، حلومُ الأطفالِ ، وعقولُ ربّاتِ
الحِجَالِ ، أَكَلَّمَا قَلْتُ لَكُمْ : أَنْفَرُوا لِقِتَالِ عَدُوِّكُمْ . . قُلْتُمْ : أَمِهَلْنَا
حَتَّى تَنْسَلَخَ عَنَّا حَمَارَةُ الْقَيْظِ ، وَإِنْ أَسْتَنْفَرْتُمْ فِي الشِّتَاءِ . . قُلْتُمْ :
أَمِهَلْنَا حَتَّى تَذَهَبَ عَنَّا صَبَارَةُ الْقَرِّ^(١) ، أَكُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ الْحَرِّ
وَالْقَرِّ !؟ لَأَنْتُمْ - وَاللَّهِ - مِنَ أَلْسِيفِ أَفْرُ .

وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى [فِي «نَهجِ الْبَلَاغَةِ» ٣٣] : لَيْتَ لِي بِكُمْ أَلْفَ رَأْسٍ مِنْ
بَنِي فِرَاسٍ بِنِ غَنَمٍ .

هُنَالِكَ لَوْ دَعَيْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ^(٢)
وَقَالَ أَيْضاً [فِي «نَهجِ الْبَلَاغَةِ» ٦٥] : الدَّلِيلُ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ ، وَالْقَلِيلُ
مَنْ كَثُرْتُمُوهُ ، مَنْ رَمَى بِكُمْ . . فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقٍ نَاصِلِ^(٣) ، إِنَّكُمْ -
وَاللَّهِ - لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ ، قَلِيلٌ تَحْتَ الرِّيَابِ .

فَكُلُّ هَذَا نَوْرِدُهُ بِالْمَعْنَى ؛ لِبُعْدِ الْعَهْدِ ، وَلَعَلُّوْ مَنْالٍ لِهَجَّةِ
الْإِمَامِ ، وَفَصَاحَةِ أَسْلُوبِهِ . . يَنْدَفِعُ الْمَلَامُ .

وَيَشْبَهُ بَعْضُهُ قَوْلَ عُوَيْفِ الْقَوَافِي [مِنَ الطَّوِيلِ] :

وَمَا أُمَّكُمْ تَحْتَ الْخَوَافِي وَالْقَنَا بِثُكْلِي ، وَلَا زَهْرَاءَ مِنْ نِسْوَةِ زُهْرٍ
أَلَسْتُمْ أَقَلَّ النَّاسِ عِنْدَ لِيَوَائِهِمْ وَأَكْثَرَهُمْ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ وَالْقَدْرِ ؟

وَمِثْلُهُ فِي عَكْسِ قَوْلِهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِلْأَنْصَارِ : «إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ
عِنْدَ الْجَزَعِ ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ»^(٤) . . قَوْلُ الْآخِرِ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

البطء عن الضيف
والسرعة إلى الطعام
تستوجب الهجاء

(١) صَبَارَةُ الْقَرِّ : شِدَّةُ الْبَرْدِ .

(٢) الْبَيْتُ مِنَ الْوَافِرِ ، الْأَرْمِيَةُ : السَّحَابُ الشَّدِيدُ الْوَقْعُ . الْحَمِيمُ : مَطَرُ الْقَيْظِ .

(٣) أَفْوَقٍ نَاصِلٍ : مَيْلٌ أَوْ أَنْكَسَارٌ فِي النَّصْلِ ، وَهُوَ السَّهْمُ .

(٤) لَهُ شَهْرَةٌ ، وَلَمْ أَرَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْآنَ .

صِفَارٌ مَقَارِنِهِمْ عِظَامٌ جُعُوزُهُمْ بِطَاءٍ عَنِ الدَّاعِي إِذَا لَمْ يَكُنْ أَكْلًا^(١)

وقول الحماسي [في شرح حماسة أبي تمام] ١٠٥٧/٢ من الطويل] : كثرة كفتاء السيل

وَكَايِزُ بَسْعِدٍ إِنْ سَعِدَا كَثِيرَةٌ وَلَا تَرْجُ مِنْ سَعِدٍ وَفَاءٌ وَلَا نَصْرًا
يَرُوعُكَ مِنْ سَعِدِ بْنِ عَمْرِو جُسُومَهَا وَتَزْهَدُ فِيهَا حِينَ تَقْتُلُهَا حُبْرًا^(٢)

وقول قراد بن حنّيش [في شرح حماسة أبي تمام] ١٠٣٦-١٠٣٥/٢ من الطويل] : البرق الخلي

وَأَنْتُمْ سَمَاءٌ يُعْجِبُ النَّاسَ نَوُؤُهَا وَأَكْذَبُ شَيْءٍ بَرَقُهَا وَرَعُودُهَا^(٣)
فَوَيْلٌ أُمَّهَا خَيْلًا بَهَاءٌ وَشَارَةٌ إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صُدُودُهَا^(٤)

وذكرت هنا ما لا يليق بالأدب ذكره مع كلام الإمام في كتاب
فضلاً عن مجلس واحد لولا سعة العُذْر؛ بأنّ مجالسنا كالكشكول^(٥).

وقد جاء عن السلف الطيّب التّرخيصُ في مثل ذلك ، وهو ما أبو العتاهية يهجو عبد
الله بن معن بن زائدة
وقع من أبي العتاهية مع عبد الله بن معن بن زائدة ، وقوله له [في
ديوانه] من البسيط] :

لَمْ تَنْدُ كَمَاكَ مِنْ بَذْلِ التَّوَالِ كَمَا لَمْ يَنْدُ سَيْفُكَ مُذْ قُلْدَتَهُ بَدَمٍ

(١) مقاربههم - جمعُ مفرأة -: وهي القصعة التي يُقرئ للضيف فيها . جُعُوزُهُمْ -

جمع جاعرة -: وهو حلقة الدبر ، وقصد بذلك كِبَرَهَا عندهم من كثرة أكلهم .

(٢) الحُبَيْرُ : العلمُ بالشيء .

(٣) نوؤها : ضوءها . وقيل عن النوء : إنه سقوط نجم في المغرب وطلوع رقبه من
ساعته في المشرق ، وذلك في كل ثلاثة عشر يوماً .

(٤) المعنى : أنّهم في الكهينة وآلبهائه والمنظر فرسانٌ ، إلّا أنّه لا خيرَ فيهم عند ملاقاتِ
الأعداء .

(٥) الكشكول : وعاء المتسول يجمع فيه رزقه ، واسم كتاب لبهاء الدين العاملي .

وأصل الكلمة آرامية .

وقوله [في «ديوانه» ٦٠٨ من الهزج] :

فَصُغَ مَا كُنْتَ حَلَيْتَ بِهِ سَيْفَكَ خِلْجًا لَآ
فَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قِتَالًا

عبد الله يأمر غلمانه بارتكاب الفاحشة من أبي العتاهية
وما زال يهجوهُ بمثل ذلك ، وبما هو أمض منه .. حتى احتال عليه ، وأظهر له المصافاة ، ودعاه ، فأمر غلمانه أن يرتكبوا منه الفاحشة بمرآه ، وتصالحا بعقب ذلك^(١) .

وفي عكس المعنى يقول السَّمَوَالُ [في «ديوانه» ٤٩-٥٠ من الطويل] :

وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ بِهَا مِنْ قِتَالِ الدَّارِعَيْنِ فُلُؤُ
مُعَوَّدَةٌ أَنْ لَا تُسَلَّ نِصَالُهَا فَتُعْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَتِيلُ

هل عيب السيوف الفلول؟
والأوَّلُ : شبيهة بقول النابغة الذبياني [في «ديوانه» ٦٠ من الطويل] :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُوِّفَهُمْ بِهِنَّ فُلُؤُ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

ويروى [كما في «وفيات الأعيان» ٣/٢٥٧] : أَنَّ عُرْوَةَ بِنَ الزَّبِيرِ قَدِمَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ دُبُرَ مَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ ، فَطَلَبَ سَيْفَ أَخِيهِ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ سَيْفًا كَثِيرَةً فِيهَا سَيْفُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَخَذَ وَاحِدًا مِنْهَا ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : بِمَ عَرَفْتَهُ؟ قَالَ : بِقَوْلِ النَّابِغَةِ ، وَأَنْشَدَ الْبَيْتَ .

لا ينبغي لنبي ليس لامة أن يزعها حتى يقتل
وَأَمَّا الثَّانِي : فَشَبِيهَةٌ بِمَا صَنَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أَحَدٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ رَأْيِهِ أَنْ لَا يَخْرُجَ عَنِ (الْمَدِينَةِ) فِي لِقَاءِ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ بِهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ حَتَّى لَيْسَ لِأُمَّتِهِ^(٢) ، وَلَمَّا ظَنُّوا أَنَّهُمْ أَسْتَكْرَهُوهُ ..

(١) ذكر القصة في «الأغاني» (٢٦/٤) .

(٢) لِأُمَّتِهِ : دِرْعُهُ ، وَقَيْلٌ : سِلَاحُهُ .

سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ، فَقَالُوا لَهُ ، فَقَالَ [ع] : « لَا يَبْنَعِي لِتَبِيِّ لِبَسَ
لَأُمَّتِهِ أَنْ يَنْزِعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَيَبَيِّنَ قَوْمَهُ » (١) .

الشعراء وتلبية المنادي

وقال الفرزدق [في «ديوانه» ١٣٩/١ من الطويل] :

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يُشِيمُوا سُوفَهُمْ وَلَمْ يُكْثِرُوا الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتْ (٢)

وقال بشار [في «ديوانه» ١٦٣/٤ من الطويل] :

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضَرِيَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دِمَا

وقال البحتري [من الوافر] :

فَتَى هَزَّ أَلْقَنَا فَحَوَى سَنَاءَ بِهَا لَا بِالْأَحَاطِي وَالْجُدُودِ

وقال يزيد المهلبي [من الطويل] :

سَعَيْتُمْ فَأَدْرَكْتُمْ بِصَالِحِ سَعِيكُمْ وَأَدْرَكَ قَوْمٌ غَيْرُكُمْ بِالْمَقَادِرِ

وقال الناظم [في «المكبري» ٢٩١/٤ من الطويل] :

وَمَا كُنْتَ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْمُلْكَ بِالْمُنَى وَلَكِنْ بِأَيَّامِ أَشْبَنَ النَّوَاصِيَا

وقال [في «المكبري» ٧١/١ من المنسرح] :

أَحْسَنُ مَا يُخْضَبُ الْحَدِيدُ بِهِ وَخَاصِيئِهِ النَّجِيعُ وَالْغَضَبُ (٣)

وسلمت إحدى حظايا يزيد بن المهلب بالإمارة عليه ، فقال يزيد بن المهلب

والإمارة

متمثلاً بقول بشر بن قطن الأسدي [من الطويل] :

(١) أخرجه عن جابر ابن الجارود في «المنتقى» (٢٦٦) بلفظ : « حَتَّى يُقَاتِلَ » .

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠٧/٦) ، وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢) لم يشيموا : لم يغمدوا .

(٣) النَّجِيعُ : الدَّمُ .

رُؤَيْدِكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي غَمَامَةٌ هَذَا الْعَارِضِ الْمَتَّالِي (١)

مكان الأمور الجسيمة وقال العتّابي [في «الأغاني» ١٣٧/١٣ من الطويل] :

فَإِنَّ جَسِيمَاتِ الْأُمُورِ مَشُوبَةٌ بِمُسْتَوْدَعَاتِ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ

وقال الناظم [في «المكبري» ٢٩٠/٣ من الطويل] :

ذَرِينِي أَنْلَ مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْعُلَا فَصَعْبُ الْعُلَا فِي الصَّعْبِ وَالسَّهْلُ فِي السَّهْلِ

تُرِيدِينَ لِقْيَانَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً وَلَا بَدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ

طعم الموت لا يتغير وقال [في «المكبري» ١١٩/٤-١٢٠ من الرافعي] :

إِذَا غَامَزَتْ فِي شَرَفِ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعُ بِمَا دُونَ التُّجُومِ

فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ حَقِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ عَظِيمِ

وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرْءِ تُغْنِي وَلَا مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ

يَرَى الْجُبْنَ أَنْ الْجُبْنَ حَزْمٌ وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبَعِ اللَّئِيمِ

وقال [في «المكبري» ١١٤/٢ من الطويل] :

إِذَا لَمْ تَجِدْ مَا يَبْتَرُ الْفَقْرَ قَاعِدًا فَقُمْ وَأَطْلُبِ الشَّيْءَ الَّذِي يَبْتَرُ الْعُمْرَا

وقال [في «المكبري» ٢٧٠/١ من الطويل] :

أَهْمُ بِشَيْءٍ وَاللَّيَالِي كَأَنَّهَا تُطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأَطَارِدُ

وَحِيدًا مِنَ الْخُلَّانِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ

ولا يُحصى كثرة ما له في إثارة العزائم ، وتنبية الحفاظ ، وإذكاء

الغيرة ، وإحماء المعاطس .

(١) الخبر مفصلاً في «وفيات الأعيان» (٣٠٣/٦) .

ولمَّا خَرَجَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ . . حَذَّرَهُ بَعْضُ أَبْنَاءِ عَمِّهِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ شِجَاعَةَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ
 أَهْلَ (العراقِ) خَذَلُوا أَبَاءَكَ ، فَهُمْ خَاذِلُونَكَ كَمَا خَذَلُواهُمْ ، فَتَأَهَّبْ
 لِلْمَوْتِ أَوْ دَعْ ، فَقَالَ مَتَمِّلاً [الآيات لعترة كما في «الأغاني» ٢٤٨/٨ من
 الكامل] :

بَكَرَتْ نُحُوفِي الْخُوفَ كَأَنِّي أَصْبَحْتُ عَنْ عَرْضِ الْخُوفِ بِمَغزِلٍ
 فَاجْتَبَيْهَا : إِنَّ الْمَنِيَّةَ مِنْهَلٌ لَا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَاسِ الْمَنْهَلِ
 فَأَقْنِي حَيَاءَكَ لَا أَبَا لَكَ وَأَعْلَمِي أَنِّي أَمْرٌ سَامُوتٌ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ

ولمَّا خَرَجَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبْنُهُ مُوسَى . . عَذَلَهُمْ بَعْضُ
 أَصْحَابِهِمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : مَا تَفْعَلُونَ بِشَيْخِ الْعَرَبِ يَزِيدَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ
 هُبَيْرَةَ فِي فِرْسَانِهِ بِ(العراقِ)؟ فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّقَّاحُ - وَكَانَ
 حَاضِراً - : يَا عَمُّ ، مَنْ أَحَبَّ الْحَيَاةَ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعَشِيِّ [في
 «ديوانه» ٣١٧ من الطويل] :

فَمَا مِثَّةٌ إِنْ مِثَّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ بَعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسُ غَوْلَهَا^(١)
 فَقَالَ دَاوُدُ لِابْنِهِ مُوسَى : صَدَقَ ابْنُ عَمِّكَ ، فَلْنَنْهَضْ مَعَهُ ؛ فَإِمَّا
 أَنْ نَفُوزَ ، وَإِمَّا أَنْ نَمُوتَ كِرَامًا .

وَيُرْوَى [كما في «وفيات الأعيان» ٧٣/٣] : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّبِيرِ دَخَلَ
 عَلَى أُمِّهِ ، وَقَدْ أَضْرَّتْ^(٢) ، فَسَلَّمَ ، وَدَنَا ، فَقَبَّلَ يَدَهَا ، قَالَتْ :
 هَذَا وَدَاعٌ فَلَا يَبْعُدُ ، قَالَ : إِنِّي لَأَرَى هَذَا الْيَوْمَ آخِرَ أَيَّامِي فِي
 الدُّنْيَا ، وَإِذَا قُتِلْتُ . . فَأَعْلَمِي أَنِّي لِحَمِّ وَدَمٍّ ، لَا يَضُرُّنِي مَا عَسَاهُمْ

(١) غَوْلَهَا - بالرفع : ما يغتالها .
 (٢) أَضْرَّتْ : أَصْبَحَتْ عَمِيَاءَ .

بي صانعون ، قالت : صدقت يا بني ، فأقم على بصيرتك ، وأمض
 أمّا في شأنك ، وتنمّر لعدوك ، ولا تمكّن ابن أبي عقيل منك ، ثمّ
 أستدنته لتودّعه ، فدنا منها ، فقبّلته ، وعانقته ، فوجدت مسّ
 الدرع ، فقالت : ما هذا صنيع من يريد الشهادة ، فقال : إنّما لبسته
 لأشدّ منك ، قالت : لا يشدّ مني إلا الثبات على الحقّ ، فودّعها ،
 وخرج يحمل على صفوف الشاميين فيفرّقها ، وأرسلت إليه إحدى
 أزواجه - وقد رأّت تفرّق الناس عنه - أأخرج فأقاتل معك ؟ فقال :
 لا ، وأنشد [من الخفيف] :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الدُّيُولِ

فلما كان الليل . . قام يصلي إلى قريب السّحر ، ثمّ أحتبى^(١)
 بحمائل سيفه ، وأغفى قليلاً ، ثمّ : قام فتوضّأ ، وصلى ، وقرأ :
 ﴿رَبِّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القم : ١] ، ثمّ قال بعد أنقضاء صلاته : من
 كان عني سائلاً . . فإنّي في الرعيّل الأوّل ، ثمّ أنشد [في شرح حماسة
 أبي تمام] ٣٤١/١ من الطويل :

وَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ سَبْبَةٍ وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا

ثمّ حمل حتّى بلغ (الحُجُون) ، فرمى في وجهه ، فلما وجد
 سخونة الدم . . قال [في شرح حماسة أبي تمام] ٣١٦/١ من الطويل :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَغَابِ تَذْمَى كُلُّومًا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا

(١) أحتبى : جلس على ألبته وضمّ فخذه وساقه إلى بطنه بذراعيه ليستند ،
 وأحتبى بالثوب : أداره على ساقه وظهره وهو جالس على نحو ما سبق
 ليستند ، وكذلك الاحتباء بالسيف .

ثُمَّ حَمَلَ عَلَى أَهْلِ (الشَّامِ) ، فغاصَ فِيهِمْ ، فَأَعْتَرَوْهُ بِسَيُوفِهِمْ
 حَتَّى سَقَطَ ، وَجَاءَ الْحَجَّاجُ فَوَقَفَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مَيِّتٌ ، وَمَعَهُ
 طَارِقُ بْنُ عَمْرٍو ، فَقَالَ : مَا وَلَدَتِ الْنِسَاءُ أَذْكَرَ مِنْ هَذَا ! وَكَانَ قَدْ
 أَنْفَضَ مِنْ حَوْلِهِ عَائِمَةٌ أَصْحَابِهِ ، حَتَّى بَعْضُ أَوْلَادِهِ خَرَجُوا إِلَى
 الْحَجَّاجِ فِي الْأَمَانِ ، مِنْهُمْ : حَمْزَةُ وَخُبَيْبٌ ، وَعَزَمَ اللَّهُ لَهُ بِالثَّبَاتِ
 كَمَا شَجَعْتُهُ عَلَيْهِ أُمَّهُ فِي كَلَامِهَا السَّابِقِ بَعْضُهُ . وَإِنَّهَا لِأُمُورٍ تَقْفُ لَهَا
 الشُّعُورُ ، وَتَذَرُفُ لَهَا الْعَيُونَ ، وَتَمْتَلِي بِهَا الْقُلُوبُ .

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ [فِي « الْأَغَانِي » ٢٠٤/١٩] عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ
 الْمَفْضَلِ الضَّبِّيِّ قَالَ : خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ ، فَلَمَّا كَانَ
 بـ (الْمَرْبَدِ) . . . اسْتَسْقَى مَاءً ، فَأَتَى بِهِ ، فَشَرِبَ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِأَبْيَاتِ
 الْحَسَنِ
 مِنْهَا [فِي « دِيوانِ ضَرَارِ بْنِ الْخَطَّابِ » ٧٦٧٥ مِنْ الْمُنْسَرَحِ] :

إِنِّي لِأَنِمِّي إِذَا أُنْتَمَيْتُ إِلَى عَزِّ عَزِيزٍ وَمَغْشَرٍ صُدُقِ (١)
 يَنْضُرُ سِبَاطٍ كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ تَكْحَلُ يَوْمَ الْهَيْجِ بِالْعَلْقِ (٢)

فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذِهِ؟ فَقَالَ : يَقُولُهَا ضَرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ الْفِهْرِيُّ
 يَوْمَ عَبَرَ الْخَنْدَقَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَتَمَثَّلَ بِهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
 يَوْمَ صَفِّينَ ، وَالْحَسَنِ يَوْمَ الطَّفِّ ، وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ يَوْمَ السَّبْحَةِ ،
 وَيَحْيَى بْنُ زَيْدٍ يَوْمَ الْجَوْزِجَانِ ، فَتَطَيَّرْتُ مِنْ تَمَثُّلِهِ بِأَبْيَاتٍ لَمْ يَنْشُدْهَا
 أَحَدٌ إِلَّا قُتِلَ ، ثُمَّ سَرْنَا إِلَى بَاخْمَرِي ، فَأَنَاهُ نَعِيَّ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ، فَتَغَيَّرَ
 لَوْنُهُ ، وَجَرَّضَ بَرِيقَهُ (٣) ، ثُمَّ أَجْهَشَ بَاكِيًا ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ

- (١) أَنِمِي : أَنْتَمِي وَأَنْتَسِبُ .
 (٢) الْعَلْقُ : الدَّمُ الْغَلِيظُ ، وَصَفَّهُمْ بِحَمْرَةِ الْأَعْيُنِ ؛ لِشِدَّةِ الْغَضَبِ فِي الْحَرْبِ .
 (٣) جَرَّضَ بَرِيقَهُ : ابْتَلَعَ رِيْقَهُ عَلَى هَمٍّ وَحَزْنٍ بِالْجَهْدِ .

تَعْلَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا خَرَجَ يَطْلُبُ مَرْضَاتِكَ ، وَيُؤْتِرُ أَنْ تَكُونَ كَلِمَتُكَ
الْعَلِيَا . . فَأَغْفِرْ لَهُ ، وَأَرْحَمَهُ ، وَأَرْضَ عَنْهُ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ [مَنْ الْبَسِطَ] :

اللَّهُ يُعَلِّمُ أَنِّي لَوْ خَشِيتُهُمْ لَأَسَّ الْقَلْبُ مِنْ خَوْفِ لَهُمْ فَرَعَا
لَمْ يَقْتُلُوكَ وَلَمْ أَسْلِمِ أَخِي لَهُمْ حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعًا أَوْ نَمُوتَ مَعَا

قَالَ الْمُفَضَّلُ : فَجَعَلْتُ أُعْزِيهِ ، وَأَعَاتِبِهِ عَلَى مَا أَظْهَرَ مِنْ جِزَعِهِ .
فَقَالَ : إِنِّي - وَاللَّهِ فِي هَذَا - لَكَمَا قَالَ دَرِيدٌ [فِي «دِيوانه» ٦٣-٦٥ مِنْ الطَّوِيلِ] :

يُقُولُ أَلَّا تَبْكِي أَحَاكَ وَقَدْ أَرَى مَكَانَ الْبُكَاءِ لَكِنْ يُبَيْتُ عَلَى الصَّبْرِ
لِمَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ وَالْهَالِكِ الَّذِي عَلَى الشَّرَفِ الْأَعْلَى قَتِيلِ أَبِي بَكْرٍ
فِيمَا تَرَيْنَا لَا تَزَالُ دِمَاؤُنَا لَدَى وَاتِرٍ يَسْعَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ
فَإِنَّا لِلْحُمِّ الْسَّيْفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ وَنَلْحَمُهُ طَوْرًا وَلَيْسَ بِذِي نُكْرٍ
يُغَارُ عَلَيْنَا وَاتِرِينَ فَيُشْتَفَى بِنَا إِنْ أَصَبْنَا أَوْ نُعْزِرُ عَلَى وَتِرٍ (١)
بِذَاكَ قَسَمْنَا الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ

قَالَ الْمُفَضَّلُ : ثُمَّ ظَهَرَتْ لَنَا جِيُوشُ أَبِي جَعْفَرٍ مِثْلَ الْجِرَادِ ،
فَأَنشَدَ إِبْرَاهِيمُ (٢) مِثْمَلًا [فِي «الْأَغَانِي» ١٩/٢٠٤ مِنْ الطَّوِيلِ] :

إِنْ يَقْتُلُونِي لَا تُصِبْ أَرْمَاحُهُمْ ثَأْرِي وَيَسْعَى الْقَوْمُ سَعْيًا جَاهِدًا
يُبْنَتْ أَنْ بَنِي جُدَيْمَةَ أَجْمَعَتْ أَمْرًا تُدَبِّرُهُ لِتَقْتُلَ خَالِدًا
أَرْمِي الطَّرِيقَ وَإِنْ رُصِدَتْ بِضَيْقَةٍ وَأَنازِلُ الْبَطَلِ الْكَمِيِّ الْحَارِدَا (٣)

(١) الوتر : الثأر .

(٢) هو إبراهيم بن عبد الله بن حسن العلوي . «السير» (٦/٢١٨) .

(٣) الكمي : الشجاع المقدام الجريء كان عليه سلاح أو لم يكن . الحارذ :
الغضبان .

فقلت له : لِمَنْ هَذَا يَا أَبْنَ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَ : يَقُولُهُ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ يَوْمَ (شِعْبِ جَبَلَةَ) ، ثُمَّ أَنْعَمَسَ فِي الْحَرْبِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَتَبَاشِرُ الْقِتَالَ بِنَفْسِكَ ، وَإِنَّمَا الْعَسْكَرُ مَنْوُطٌ بِكَ ؟ ! فتمثلَ بِأبياتِ لعوفِ القوافيِّ ، والتحمتِ الحربُ ، فقال : أَحْكِنِي بِشَيْءٍ يَا مَفْضُلُ ، فَذَكَرْتُ أبياتاً لعوفٍ لَمَّا كَانَ هُوَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَدْ ذَكَرَهُ ، فَأَنشَدْتُهُ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

أَبَى كُلَّ حُرٍّ أَنْ يَبِيَّتَ بِوَتْرِهِ وَيُتْنَعَ مِنْهُ النَّوْمُ إِذْ أَنْتَ نَائِمٌ
أَتَوَلُّ لِفَتْيَانِ كِرَامٍ تَرَوُّحُوا عَلَى الْجُرْدِ فِي أَفْوَاهِهِنَّ الشَّكَايِمُ^(١)
فَقُوا وَفَقَّةً مَنْ يَحْيَى لَا يَخْزُ بَعْدَهَا مَنْ يُخْتَرَمَ لَا تَتَّبِعُهُ اللَّوَائِمُ
وَهَلْ أَنْتَ إِنْ بَاعَدْتَ نَفْسَكَ عَنْهُمْ لَتَسْلَمَ فَيَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ سَالِمٌ ؟

فقال : أعدها عليَّ ، فأعدتها ، فتمطى في ركابه ، فقطعهما وحمل ، فغاب في القوم يفرقهم ذات اليمين وذات الشمال ، حتى أتاه سهمٌ عائرٌ^(٢) فقتله رضوانُ الله عليه^(٣) .

وما أحسن قول أبي تمام [في «ديوانه» ٢/ ٣٠٣-٣٠٤ من الطويل] : أبو تمام والشجاعة

وَقَدْ كَانَ فَوْتُ الْمَوْتِ سَهْلًا فَرَدَّهُ إِلَيْهِ الْحِفَاظُ الْمُرُّ وَالْخُلُقُ الْوَعْرُ
وَنَفْسٌ تَعَاثُ الضَّيْمَ حَتَّى كَانَهُ هُوَ الْكُفْرُ يَوْمَ الرَّزْعِ أَوْ دُونَهُ الْكُفْرُ
فَأَبَّتْ فِي مُسْتَنْعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِكَ الْحَشْرُ

(١) الجرْدُ - جمع أجرد - : الحصان . الشكائِمُ : ما يلجم فمَ الفرسِ من الحديدِ .

(٢) سهمٌ عائرٌ : الطائشُ الذي لا يعرفُ راميهِ .

(٣) جاء في «الأغاني» (٢٠٥ / ١٩) .

فَتَى مَاتَ بَيْنَ الطَّغْنِ وَالضَّرْبِ مَبْنَةً تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِنْ فَاتَهُ النَّصْرُ
تَرَدَّى بِيَابِ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا دَجَى لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ

وقال [في «ديوانه» ٤٠٤/١ من الوافر] :

فَتَى النِّكَبَاتِ مَنْ يَأْوِي إِذَا مَا يَطْفَنَ بِهِ إِلَى خُلُقِي وَسَاعِ
يُنِيرُ عَجَاجَةً فِي كُلِّ فَجٍّ يَهِيْمُ بِهَا عَدِيْ بِنُ الرُّقَاعِ^(١)
يَحُوْضُ مَعَ السَّبَاعِ الْمَاءَ حَتَّى لَتَحْسَبُهُ السَّبَاعُ مِنَ السَّبَاعِ
يُلْبِي الْحَزْمَ إِنْ حَاوَلْتَ يَوْمًا بِأَنْ يَسْطِيعَ غَيْرَ الْمُسْتَطَاعِ
فَلَمْ يَرْكَبْ كَنَاجِيَةَ الْمَهَارِي وَلَمْ تُرْكَبْ هُمُومَكَ كَالزَّمَاعِ^(٢)

وقال [في «ديوانه» ٣٩٣-٣٩٤/١ من الخفيف] :

إِنَّ خَيْرًا مِمَّا رَأَيْتُ مِنَ الصَّفِّ حِ عَنِ النَّائِبَاتِ وَالْإِغْمَاضِ
عَزْمَةٌ تَقْتَدِي بِعَزْمَةِ قَيْسِ بَدِ مِنْ زُهَيْرِ وَالْحَارِثِ بِنِ مُضَاضِ^(٣)
غَرَضِي نَكْبَتَيْنِ مَا فَتَلَا رَأَى يَا فَخَافَا عَلَيْهِ نَكْتُ أَنْتَقَاضِ
مَنْ أَبَنَّ الْبَيْوْتَ أَصْبَحَ فِي نَوْ بِ مِنَ الْعَيْشِ لَيْسَ بِالْفَضْفَاضِ^(٤)
وَأَلْفَتِي مَنْ تَعَرَّفَتْهُ اللَّيَالِي وَالْفَيَافِي كَالْحَيَّةِ النَّضْنَاضِ^(٥)

(١) ذكر الاسم لمناسبته للقفية، ولا علاقة له بالموضوع .

(٢) ناجية المهاري : الناقة الكريمة . الزَّمَاعُ : العزم على الرحيل ؛ أي : لم تُضَعِ الرحلُ على شيءٍ يضاهي الناقة الكريمة ، ولم تُركَبْ همومك على دابةٍ مثل عزمك على الرحيل .

(٣) العزمُ : الصبر على الشدائد . وعزمة : خبر (إن) في البيت السابق . وقيسُ بنُ زهير العبسي مشهورٌ ، حاربَ ذبيانَ وانتقلَ في البلادِ كثيراً ، والحارثُ بنُ مضاضٍ ينتسبُ في جُزهمُ ، كانَ رئيساً في (مكة) أيامَ كانَ قومه فيها .

(٤) أبَنَّ : أقامَ .

(٥) الحية النضناضُ : التي لا تثبتُ في مكانها لِشَرَّتِها ونشاطِها .

كُلَّ يَوْمٍ لَهُ بِصَرْفِ اللَّيَالِي فَتَكَّةٌ مِثْلُ فَتَكَةِ الْبَرَّاضِ (١)

وقال أبو عبادَةَ [البُحْتَرِيُّ] في «ديوانه» ١/٦٣٣-٦٣٤ من الخفيف :

تسهيل الصعب بم
يكون؟

يَا نَدِيمِي بِالسَّوَاجِرِ مِنْ شَمِ سِ بْنِ عَمْرٍو وَيُخْتَرِ بْنِ عَتُودِ (٢)
أَطْلَبَا نَالِئاً سِوَايَ فَإِنِّي رَابِعُ الْعَيْنِسِ وَالذُّجَى وَالْيَبِيدِ
لَسْتُ بِالْعَاجِزِ الضَّعِيفِ وَلَا أَلْقَا ثَلِ يَوْمًا : إِنَّ أَلْغَنِي بِالْجُدُودِ (٣)
وَإِذَا اسْتَضَعِبْتَ مَقَادَةَ أَمْرِ سَهَّلْتَهُ أَيْدِي الْمَهَارِي الْقُودِ (٤)

وما أحسن قول الناظم [في «العكبري» ٢/١٤٨-١٤٩ من الطويل] :

المتني والشجاعة

أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ وَحَيْدًا ، وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِي الصَّبْرُ !؟
وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلَّ يَوْمٍ سَلَامَتِي وَمَا نَبَّتْ إِلَّا وَفِي نَفْسِهَا أَمْرُ
تَمَرَسْتُ بِالْأَيَّامِ حَتَّى تَرَكَتْهَا تَقُولُ : أَمَاتَ الْمَوْتُ أَمْ ذُعِرَ الدُّعْرُ (٥) ؟
وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْآتِيِّ كَأَنَّ لِي سِوَى مُهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَتْرُ (٦)
ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ حَظَّهَا قَبْلَ بَيْنِهَا فَمُفْتَرِقُ جَارَانِ دَارُهُمَا أَلْعُمْرُ

(١) البرَّاضُ بن قيس الكناني توفي نحو (٣٥ ق. هـ) ، قتل عروة الرجال ، فاتك جاهلي ، يضرب بفتكه المثل ، كان فجع حرب الفجار التي وقعت بين قيس وكنانة .

(٢) السواجرُ : نهر مشهور من عمل (منبج) - (سوريا) .

(٣) الجدودُ : الحظوظ .

(٤) المهاري - جمع مهريّة - : وهي الناقة التي تسبق الخيل ، نسبة إلى بني مهرة بن حيدان ؛ وهم حي من العرب أشتهروا بإبلهم . القود - جمع قوداء - : وهي الطويلة الأعناق .

(٥) في «العكبري» : (بِالْأَفَاتِ) بدل (بِالْأَيَّامِ) .

(٦) الأبي : السيل المندفع .

وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ زَقَاً وَقَيْنَةً فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتَكَةُ الْبُكْرُ
وَتَضْرِبُ هَامَاتِ الْمُلُوكِ وَأَنْ تُرَى لَكَ الْهَيَوَاتُ الشُّوْدُ وَالْعَسْكَرُ الْمَجْرُ^(١)
وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا تَدَاوَلَ سَمْعَ الْمَرْءِ أَنْمَلُهُ الْعَشْرُ

ابن المقرب والشجاعة

وفي « ديوان ابن المقرب » العث والسمين ؛ فمن سمينه الذي
يذكي الحمية ، ويهيج الغيرة ، ويكاد يقذف بالموثور من سرجه إلى
ساحة الوغى . . . قوله [من الوافر] :

تُحَوِّفُنِي ابْنَةُ الْعَبْدِيِّ فَتَكِي وَإِقْحَامِي الْمَهَالِكِ وَأَفْتِرَاعِي
وَتَعْدِلُنِي عَلَىٰ إِنْفَاقِ مَالِي وَتَزْعُمُ أَنَّهُ لِلْفَقْرِ دَاعِي
فَقُلْتُ لَهَا وَقَدْ أَرَبْتَ وَزَادَتْ رُوَيْدِكَ لَا شُفِينَتْ فَلَنْ تُطَاعِي
أَخْشَى الْفَقْرَ وَالدُّنْيَا مَتَاعٌ وَرَبِّي بِالْكَرَامِ أَبْرُ رَاعِي
وَلَمْ يَخْفِضْ مُضَاعَ الْمَجْدِ شَيْءٌ مِنْ الْأَشْيَاءِ كَالْمَالِ الْمُضَاعِ
ذَرِنِي وَالْمُلُوكَ بِكُلِّ أَرْضٍ أَكَايِلُهَا الرَّدَى صَاعًا بِصَاعِ
فَمَا أَيْمَانُهُمْ تَغْلُو سِمَالِي وَلَا أَبْوَاعُهُمْ تَغْلُو ذِرَاعِي^(٢)
سَأَطْلُبُ حَقَّ آبَائِي وَحَقِّي وَلَوْ مِنْ بَيْنِ أَنْيَابِ الْأَفَاعِي

سرقة الشعراء من
بعضهم

وقوله : (وَلَمْ يَخْفِضْ مُضَاعَ الْمَجْدِ شَيْءٌ . . . الخ) مأخوذ برُمَّتِهِ
مِنْ أَبِي تَمَّامٍ ، وَقَدْ أَخَذَهُ النَّاطِمُ بِمَعْنَاهُ ، فَقَالَ [فِي « الْمَكْبُرِيِّ » ٣ / ١٨٥ مِنْ
الطويل] :

إِلَى رَبِّ مَالٍ كُلَّمَا شَتَّ شَمْلُهُ تَجَمَّعَ فِي تَشْتِيَتِهِ لِلْعُلَا شَمْلُ

(١) الهَيَوَاتُ : الغبار الكثيف . الْمَجْرُ ، يُقَالُ : جِشَّ مَجْرٌ ، كَثِيرٌ جَدًّا .

(٢) أَبْوَاعٌ - جمع باع وبوع : وهو وحدة قياس مقدارها ما بين الكفين حال بسطهما ،
وتعادل : (٢) متراً . وَالذِرَاعُ : وحدة قياس مقدارها ما بين طرف المرفق إلى
طرف الإصبع الوسطى . والبوع أيضاً عظم يلي إبهام الرجل .

وقال [في «المكبري» ٢٦٤/٢ من الكامل] :

أَبْدَأُ يُصَدِّعُ شَعْبَ وَفِرِّ وَافِرٍ وَيَلْمُ شَعْبَ مَكَارِمٍ مُتَّصِدَعًا^(١)
إِلَّا أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَمْدَحَ فِذَمٌ ؛ وَذَلِكَ لِاقْتِضَاءِ كَلَامِهِ تَصَدُّعَ مَكَارِمٍ
ممدوحه .

وقول أبي تمام السابق : (يَخُوضُ مَعَ السَّبَاعِ الْمَاءَ حَتَّى ...
إلخ) مأخوذ من قول عبد الله بن ثعلبة الأزدي [من مجزوء الكامل] :

تَرِدُ السَّبَاعُ مَعِيَ فَتَخُ سَيِّئِي السَّبَاعُ مِنَ السَّبَاعِ

والأشعارُ في التحريضِ على الإِبَاءِ وَالْأَنْفِ مِنْ أَحْتِمَالِ الضِّمِيمِ أَجْمَلُ مَا قِيلَ فِي
التحريضِ على الإِبَاءِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُذَكَّرَ ، وَيَأْتِي فِي هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الْكَثِيرُ الطَّيِّبُ مِنْهَا
بِحَسَبِ الْمُنَاسَبَاتِ ، وَمِنْ أَحْسَنِهَا ، أَوْ أَحْسَنُهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ
عِنْدِي . . قولُ بعضِ الخَوَارِجِ [في «شعر الخوارج» ١١٧-١١٨ من الطويل] :

وَمَنْ يَخْشَ أَظْفَارَ الْمَنَايَا فَإِنَّا لِبِسْنَا لَهُنَّ السَّابِغَاتِ مِنَ الصَّبْرِ
وَإِنَّ كَرِيهَةَ الْمَوْتِ عَذْبٌ مَذَاقُهُ إِذَا مَا مَرَجْنَاهُ بِطَيِّبٍ مِنَ الذِّكْرِ

* * *

(١) الشَّعْبُ : مصدر شَعَبْتُ الشيءَ إِذَا لَأَمْتُهُ . الوَفْرُ : الغنى . والمعنى : يفرق
المال ويجمع المكارم .

[قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ المَتَنَّبِيُّ - فِي « العُكْبَرِيِّ » ١٦٠ / ٣ مِنْ الطَّوِيلِ]:

وَحُضْرَةٌ نُوبِ الْعَيْشِ فِي الْحُضْرَةِ الَّتِي تُرَبِّكَ أَحْمِرَارَ الْمَوْتِ فِي مَدْرَجِ النَّمْلِ

تشبيه المتنبى السيف
شَبَّهَ صَفِيحَةَ السَّيْفِ بِمَدْرَجِ النَّمْلِ ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ آثَارِ الْفِرْنِدِ (١) ،
وَقَالَ : إِنَّ خَفْضَ الْعَيْشِ وَطَبِيبَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي اسْتِعْمَالِ السَّيْفِ الَّذِي
يَمِيلُ صَفَاؤُهُ إِلَى الْحُضْرَةِ ؛ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ السِّيُوفِ ، وَفِي الْمَعْنَى قَوْلُهُ
ﷺ : « وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي » (٢) .

أفضل المكاسب
المغانم
وَصَرَحَ الْفَقْهَاءُ : بِأَنَّ أَفْضَلَ الْمَكَاسِبِ الْمَغَانِمُ ، فَمَا جَاءَ بِهَا
النَّاظِمُ مِنْ كَيْسِهِ ، وَلَا اسْتَنْزَلَهَا مِنْ سَمَائِهِ ، وَلَا يُحْصِي مَنْ أَفْتَخَرَ
مِنَ الْعَرَبِ بِصُفُورَةِ الْيَدِ مِنْ أَلْمَالِ مَعَ الْاِحْتِفَاطِ بِالسَّلَاحِ .

تمادح الشعراء بصفورة
اليدين من عدة القتال
قَالَ أَبُو الْأَبْيَضِ الْعَنْسِيُّ [فِي « دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ » ١٧٩ / ١ مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَمَا لِي مَالٌ غَيْرَ دِرْعٍ وَمِغْفَرٍ وَأَيْبُضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلِ
وَأَسْمَرَ خَطِيئِ الْفَنَاءِ مُتَّقِفٍ وَأَجْرَدَ عُزْيَانِ السَّرَاةِ طَوِيلِ (٣)

(١) الْفِرْنِدُ : مَا يُرَى فِي السَّيْفِ مِنْ تَمُوجَاتِ الضَّوْرِ . وَمَدْرَجُ النَّمْلِ : طَرِيقُهُ الَّذِي
يَمْشِي فِيهِ .

(٢) طَرَفُ الْحَدِيثِ أَوْرَدَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي « مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ » (٢٦٧ / ٥) وَقَالَ : رَوَاهُ
الطَّبْرَانِيُّ ، وَفِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَثِقَةُ ابْنِ الْمَدِينِيِّ وَأَبُو حَاتِمٍ وَغَيْرُهُمَا ،
وَضَعَفَهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ .

(٣) الْأَسْمَرُ الْمُتَّقِفُ : الرُّمْحُ الْمَسْوِيُّ . السَّرَاةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : أَعْلَاهُ ، وَسَرَاةُ الْفَرَسِ
أَعْلَى مَتْنِهِ .

وقال حاتمُ [في «ديوانه» ٤٧ من الطويل] :

مَتَى مَا يَجِيءُ يَوْمًا إِلَى الْمَالِ وَارْتِي يَجِدُ جَمَعَ كَفَّ غَيْرَ مَلَأَى وَلَا صِفْرٍ
يَجِدُ فَرَسًا مِثْلَ الْعَنَانِ وَصَارِمًا حُسَامًا إِذَا مَا هَزَّ لَمْ يَزُضَ بِالْهَبْرِ (١)
وَأَسْمَرَ خَطِيئًا كَأَنَّ كُعُوبَهُ نَوَى الْقَسْبَ قَدْ أَرَبَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ (٢)

هذا ما يقول أخو طيِّ ، أمَّا صاحبنا : فقد شاءَ مِنْ ولعه بِالغَلْوِ
أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ [في «المكبري» ٢٩٢/٤ من الطويل] :

وَأَسْمَرَ ذِي عِشْرِينَ تَرْضَاهُ وَارِدًا وَيَرْضَاكَ فِي إِزَادِهِ الْخَيْلَ سَاقِيَا
وقال المجرُّ بنُ جُوَيْنٍ يمدحُ عمرو بنَ معديكربَ الزُّبَيْدِيِّ حينما
أَطْلَقَهُ مِنَ الْأَسْرِ [من الطويل] :

فَتَى جُلُّ مَا يَخُونُهُ زَغْفٌ مَفَاضَةٌ وَطَرْفُ جَوَادٍ وَالرُّؤْيِيَّةُ السُّمْرُ (٣)
وقال عبدُ الله بنُ عَنَمَةَ الضُّبَيْيُّ [من البسيط] :

وَقَدْ أَرُوحُ أَمَامَ الْحَيِّ يَفْذِفُنِي صَافِي الْأَدِيمِ كَمَيْتُ اللَّوْنِ مَكْسُوبُ
مُجَنَّبٌ مِثْلُ شَاطِئِ الرَّمْلِ مُخْتَقَرٌ بِالْعَقْرَتَيْنِ عَلَى أَوْلَاهُ مَضْبُوبُ
فَذَاكَ ذُخْرِي إِذَا مَا خَيْلُهُمْ رَكَضَتْ إِلَى الْمُنُونِ هَفَا لِلرُّوْعِ سَرْحُوبُ (٤)

(١) الهبرُ : قِطْعُ اللَّحْمِ .

(٢) القَسْبُ : نَوْعٌ مِنَ التَّمُورِ .

(٣) زَغْفٌ مَفَاضَةٌ : دَرْعٌ وَاسِعَةٌ . الرُّؤْيِيَّةُ : الرَّمَاحُ ، وَاسْمٌ بِذَلِكَ ؛ نِسْبَةٌ إِلَى
امْرَأَةٍ كَانَتْ تَسْوِي الرَّمَاحَ .

(٤) السَّرْحُوبُ : الطَّوِيلُ الْحَسَنُ الْجَسْمِ ، وَفَرَسٌ سَرْحُوبٌ : طَوِيلَةٌ عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ .

وقال عمرو بن براق الهمداني [في «الأغاني» ١٧٥/٢١-١٧٦ من الطويل]:

وكيف ينام اللئيل من جُلِّ ماله حُسامٌ كلونِ المِلحِ أبيضُ صارمٌ
كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مُراغمةً ما دامَ للسيفِ قائمٌ
ومن يطلب المالَ الممنوعَ بالقنا يعيشُ ماجداً^(١) أو تخترمه الخوارمُ

الحجر الذي لا يعجبك
يشجك

وذكر الزبير بن بكار: أنَّ نُهَيْكَ بنَ أسافِ الحارثيَّ أفتقرَ ، فقدم
على مصعبِ بنِ الزبيرِ ، حينَ بلغه أنَّ أهلَ (الراذانِ) قد خلعوه ،
فندبَ الناسَ مراراً ، فلم يندبْ له إلاَّ نُهَيْكُ ، قامَ محتزماً بحبلٍ ،
وعلى رأسه سَمَلٌ^(٢) عمامةٌ مُتَنَكِّباً قوساً عربيَّةً ، فقالَ : أنا لهمُ ،
قالَ : ومنَ أنتَ؟ فانتسبَ له ، فقالَ : أجلسُ ، وكأنَّه أزدراه ، ثمَّ
أعادَ القولَ فلم يقمَ غيرهُ ، فعَلَ ذلكَ مراراً ، فقالَ له مصعبُ : ما
عندك؟ قالَ : عزمٌ إذا أبصرتُ ، ومشاورةٌ إذا شككتُ ، قالَ : أنتَ
لها ، وعقدَ له عليها ، وقالَ له : إنَّ أظفركَ اللهُ بها . . أطعمتُكها
سنةً ، فخرجَ وظفرَ ، وبعثَ إلى أمِّه إبلاً مُحمَّلةً ، وكتبَ إليها يقولُ
[من الطويل]:

أأمُّ نُهَيْكِ إِرْفَعِي الظَّنَّ صَاعِداً وَلَا تِنَاسِي أَنْ يُثْرِي الدَّهْرَ آيسُ
سَأَكْسِبُ مَالاً أَوْ تَبِينَنَّ لَيْلَةً بِصَدْرِكَ مِنْ هَمِّ عَلِيٍّ وَسَاوِسُ
وَقَدْ عَلِمْتَ خَيْلُ بَرَاذَانَ أَنِّي شَدَذْتُ وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْقَوْمِ قَارِسُ
وَمَنْ يَطْلُبِ الْمَالَ الْمُمْنَعِ بِالْقَنَا يَعِشُ مُثْرِيّاً أَوْ يُودَ فَيَمَارِسُ^(٣)

(١) في «الأغاني»: يعيش ذا غنى.

(٢) السَمَلُ: الخلقُ مِنَ الثيابِ .

(٣) الأبيات في «الأغاني» (١٤/٢٤) لعبد الله ابن أبي معقلٍ في غير هذا الموضوع .

وقال غلامٌ من قيسٍ [من مجزوء الرمل] :

اقْدِفِ السَّرَجَ عَلَى الْمُهْرِ رِ وَقَرَطُهُ اللَّجَامَا
ثُمَّ صَبَّ الدُّزْعَ فِي رَأْسِي سِي وَتَاوَلِنِي الْحُسَامَا
فَمَتَّى أَطْلُبُ إِنْ لَمْ أَطْلُبِ الرَّزْقَ غُلَامَا
سَأَجُوبُ الْأَرْضَ أَبْغِيهِ هِ حَلَالًا أَوْ حَرَامَا
فَلَعَلَّ الظُّغْنَ يَنْفِي الْ فَقَرَّ أَوْ يُذْنِي الْجَمَامَا

وقال أيوبُ بنُ خولةَ يرثي هذبةَ اليشكريِّ ، وهو من الخوارجِ في رثاء هذبة اليشكري

أيامِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ [في « شعر الخوارجِ » ٧١ من الطويل] :

فَيَا هُذْبَ لِلْهَيْجَا وَيَا هُذْبَ لِلْفِدَا وَيَا هُذْبَ لِلْحَضْمِ الْأَلَدِّ تَحَارِبُهُ
تَزَوَّدْتَ مِنْ دُنْيَاكَ دِرْعًا وَمِغْفَرًا وَعَضْبًا حُسَامًا لَمْ تَخُنْكَ مَضَارِبُهُ
وَأَجْرَدَ مَخْبُوكِ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ إِذَا أَنْقَضَ وَافِي الرَّيْشِ حُمْشٌ مَخَالِبُهُ^(١)

وقال القطاميُّ [في « ديوانه » ٧٦ من الوافر] :

فَمَنْ تَكُنِ الْحَضَارَةُ أَعَجِبْتُهُ فَأَيَّ رَجَالٍ بَادِيَةٍ تَرَانَا ؟
وَمَنْ رَبَطَ الْجِحَاشَ فَإِنَّ فِينَا قَنًا صُلْبًا وَأَفْرَاسًا حِسَانَا

وقالت ليلى بنتُ طريفٍ ترثي أختها الوليدَ [في « وفيات الأعيان » رثاء الوليد بن طريف

٣٢/٦ من الطويل] :

فَنَى لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ الثَّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَا وَسُيُوفِ
وَلَا الذُّخْرَ إِلَّا كُلَّ جَزْدَاءِ صِلْدِمِ مُعَاوِدَةٍ لِلْكَرِّ بَيْنَ صُفُوفِ^(٢)

(١) وافي الريش : الجراح الذي كثر ريشه وتم . حُمْشٌ : شديدة .

(٢) جزداء : قصيرة الشعر ، وهو من علامات العتاق والكرام في الخيل . الصلدمُ :

الشديد الحافر .

المعري والمال المكتسب في الحروب الوافر] :
وقد أغارَ على أولهما المعري في قوله [في «سقط الزند» ١٢٥ من

رَأَيْتَكَ سَاخِطاً مَا جَاءَ عَفْوَاً وَلَوْ جَادَتْكَ بِالذَّهَبِ الْعِهَادُ^(١)
فَمَا تَعْتَدُ مَالاً غَيْرَ مَالِ حَبَاكَ بِهِ طِعَانٌ أَوْ جِلَادُ^(٢)

فقراء بني النطاح وقال بكر بن النطاح [من الطويل] :

وَمَنْ يَفْتَقِرُ مِنَّا يَعْشُ بِحُسَامِهِ وَمَنْ يَفْتَقِرُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ يَسْأَلُ

صورة رائعة من شجاعة بكر بن النطاح
فيروى [كما في «الأغانى» ١١٦/١٩] : أَنَّهُ وَفَدَ عَلَى أَبِي دُلْفِ الْعِجْلِيِّ ، فَقَالَ لَهُ : أَرَأَيْتَ تَتَظَاهَرُ بِالشَّجَاعَةِ فِي أَشْعَارِكَ ، وَمَا

رَأَيْتُ لَهَا أَثْراً فِي أَفْعَالِكَ ، فَقَالَ : وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ شَيْخٍ رَاجِلٍ أَعَزَلَ ، فَقَلَّدَهُ سَيْفاً ، وَأَعْطَاهُ فَرْساً ، فَخَرَجَ لَوَجْهِهِ ، وَجَمَعَ مِنَ الذُّؤْبَانِ^(٣) وَالصَّعَالِكِ مَا أَلْفَ بِهِ جَمَاعَةً ، ثُمَّ عَرَضَ لِقَافِلَةٍ مِنْ قَوَافِلِ الْأَمِيرِ فَاسْتَاقَهَا ، وَقَتَلَ مَنْ فِيهَا ، وَأَغَدَّ السَّيْرَ حَتَّى سَبَقَ الطَّلَبَ ، فَقَالَ أَبُو دُلْفِ : أَنَا الَّذِي هَيْجَتُهُ ، ثُمَّ اسْتَدَعَاهُ ، وَسَوَّغَهُ مَا أَخَذَ .

رواية أخرى للقصة
ويروى : أَنَّ الْقِصَّةَ إِثْمًا كَانَتْ مَعَ بَعْضِ بَنِي بَكْرِ لَا مَعَهُ ، وَأَنَّ أَبَا دُلْفِ قَالَ لَهُ : أَتَسْتَمِيحُ وَأَبُوكَ الْقَائِلُ^(٤) ؟ ! فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ أَوْدَعْتَهَا

(١) الْعِهَادُ : الْمَطْرُ .

(٢) الطِعَانُ وَالْجِلَادُ : الْقِتَالُ وَالنَّبَاتُ فِي مِقَارَعَةِ الْأَعْدَاءِ .

(٣) الذُّؤْبَانُ : لِلصَّوْصُ ؛ وَسَمُوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَالذُّؤْبَانِ ، وَأَصْلُهُ بِالْهَمْزِ لَكِنَّهُ خَفِيَ فَاثْقَلَتْ وَأَوَّأَ .

(٤) أَي : أَحَدُ أَوْلَادِ بَكْرِ بْنِ النَّطَّاحِ ، وَقَدْ قَالَ أَبُوهُ : وَمَنْ يَفْتَقِرُ مِنَّا . . .

أُذْنَا وَاِعِيَّةَ ، ثُمَّ فَعَلَ فِعْلَتُهُ الَّتِي فَعَلَ ، وَهُوَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ
أَيُّ ذَلِكَ كَانَ ، فَالرواياتُ تَخْتَلَفُ .

مديح بشار

وَقَالَ بَشَّارٌ يَمْدَحُ [في «ديوانه» ١٠٥/٤ مِنْ الطويل] :

إِذَا خَزَنَ الْمَالَ الْبَخِيلُ فَإِنَّمَا خَزَائِنُهُ خَطِيئَةٌ وَدُرُوعٌ^(١)
وَيَبِيضُ بِهَا مِنْكَ لِمَسِّ أَكْفِهِمْ عَلَى أَنَّهَا رِيحُ الدِّمَاءِ تَضُوعٌ^(٢)

وهو معنى جليلٌ حسدهُ عليه ابنُ المعتزِّ ، فأحسنَ أتباعه حيثُ اقتداء ابن المعتز به

يقولُ [في «ديوانه» ١٠٥/١ مِنْ الطويل] :

مُلُوكٌ إِذَا خَاضُوا الْوَعْيَ فَسَيُؤْفَهُمْ مَقَابِضُهَا مِنْكَ وَسَائِرُهَا دَمٌ

إجادة المديح عند

المعري

عَلَى أَنَّهُ قَدْ يُؤْخَذُ عَلَى بَشَّارٍ أَنَّ الرَّائِحَةَ الْمَسْكِيَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِدِمَاءٍ
الشهداءِ ، فَكَيْفَ يَثْنِي عَلَى مَمْدُوحِهِ بِحَرْبِهِمْ؟ وَإِنَّمَا أَصَابَ كِبَدَ الْمَعْنَى

الْأَعْمَى الثَّانِي فِي قَوْلِهِ [أَيُّ الْمَعْرِيِّ فِي «سِقَطِ الزَّيْدِ» ١٦١ مِنْ الْبسيط] :

كَأَنَّمَا الضَّرْبُ يَفْرِي مِنْ كُلِّهِمْ أَكْبَادَ سِرْبِ رَعِينِ النَّوْرِ فِي الْكُنْسِ^(٣)
سَأَلَتْ تَضُوعٌ حَتَّى ظَنَّ جَارِحُهُمْ قَسِيمَةَ الْمِسْكِ جُرْحَ الْفَارِسِ النَّدْسِ^(٤)

الرشاء والمديح عند

الشعراء

وَقَالَ مروانُ ابنُ أَبِي حفصَةَ يرثي مَعْنًا فيما نحنُ بسبيله [في «ديوانه»

٨٠ مِنْ الْوافر] :

وَلَمْ يَكْ كَنْزُهُ ذَهَبًا وَلَكِنْ حَدِيدَ الْهِنْدِ وَالْحَلَقَ الْمُدَّالَا^(٥)

(١) خَطِيئَةٌ : رِمَاحٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَى بِلْدَةِ (حَطِّ) ، وَهُوَ مَوْضِعٌ بِالْيَمَامَةِ .

(٢) تَضُوعٌ : تَنْتَشِرُ وَتَفُوحٌ .

(٣) النَّوْرُ : الزَّهْرُ . الْكُنْسُ - جَمْعُ كُنَّاسٍ - : وَهُوَ مَاوِيُّ الظَّيْبِ .

(٤) النَّدْسُ : الْحَاذِقُ بِالطَّعْنِ .

(٥) الْحَلَقُ الْمُدَّالُ : الدَّرْعُ الْمَصْنُوعُ صِنَاعَةً جَيِّدَةً مُحْكَمَةً .

وقال البُحترقي [في «ديوانه» ٢/ ٨٨٠ من الطويل] :

قَلِيلُ فُضُولِ الزَّادِ إِلَّا صَوَاهِلًا ظَهَارِيٌّ طَعْنٍ أَوْ حَدِيدًا يُظَاهِرُهُ^(١)

وقال الناظم [في «المكبري» ٢/ ٢٧٠-٢٧١ من الكامل] :

كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ذَهَباً فَمَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلَقَعُ
وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ^(٢)

وقال أبو المنيع قرواش معتمد الدولة [في «وفيات الأعيان» ٥/ ٢٦٤ من

الكامل] :

مَنْ كَانَ يَخْمَدُ أَوْ يَذُمُّ مُورَثًا لِلْمَالِ مِنْ آبَائِهِ وَجُدُودِهِ
فَأَنَا أَمْرُؤُ لِلَّهِ أَشْكُرُ وَخَدَهُ شُكْرًا كَثِيرًا جَالِبًا لِمَزِيدِهِ
لِي أَشَقَرُّ مِلءُ الْعِنَانِ مُغَاوِرُ يُعْطِيكَ مَا يُرْضِيكَ مِنْ مَجْهُودِهِ
وَمُهَنْدٌ عَضْبٌ إِذَا جَرَّدْتُهُ خِلْتَ الْبُرُوقَ تَمُوجُ فِي تَجْرِيدِهِ
وَمُتَّقِفٌ لَذُنُ السِّنَانِ كَأَنَّمَا أُمُّ الْمَنَائِي رُكِبَتْ فِي عُدْدِهِ^(٣)
فِيذًا حَوَيْثُ الْمَالِ إِلَّا أَنِّي سَلَطْتُ جُودَ يَدِي عَلَى تَبْدِيدِهِ

وَأَمَّا الاعتدادُ بالسلاحِ والكُراعِ ومجردُ وصفه : فأكثرُ وأكثرُ ،

الاعتداد بالسلاح
ووصفه عند الشعراء

قال الشداخ [من الطويل] :

أَبِينَا فَلَا نُعْطِي مَلِيكَاً ظِلَامَةً وَلَا سُوقَةً إِلَّا الْوَشِيحَ الْمَقْوَمَا
وَالْأَحْسَامَا يُبْهِرُ الْعَيْنَ لَمَحُهُ كَصَاعِقَةٍ فِي عَارِضٍ قَدْ تَبَسَّمَا

(١) الظهاري - جمع ظهري - : وهو البعير القوي الظهير ، المُعدُّ لوقتِ الحاجة .

(٢) راجع معنى الخيل الأعوجية آخر هذا المجلس .

(٣) اللذُن : اللين من كل شيء ، من عودٍ أو جبلٍ أو رمح .

وقال مالكُ بنُ حَزِيمِ الهمدانيُّ [من الطويل] :

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْتُهُمْ فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَا آلَ هَمْدَانَ ظَالِمٌ ؟
مَتَى تَجْمَعُ الْقَلْبَ الذِّكْيَ وَصَارِمًا وَأَنَا حَمِيمًا تَجَنَّبَكَ الْمَظَالِمُ

وقال يحيى بن منصور الحنفيُّ [من الطويل] :

وَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا أَنْخَنَا مُخَالَفَنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ
فَمَا أَسْلَمْتَنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَلَا نَحْنُ أَغْضَيْنَا الْجُفُونَ عَلَى وَتْرِ

وقال عمرو بن معديكرب الزبيديُّ لسعدِ ابنِ أبي وقاصٍ [في

ديوانه] « ١٣٨ من الطويل » :

أَيُّوَعِدُنِي سَعْدٌ وَفِي الْكَفِّ صَارِمٌ سَيَمْنَعُ مِنِّي أَنْ أَدِلَّ وَأَخْضَعَا
فَوَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ لَجَلَلْتُهُ الصَّمْصَامَ أَوْ يَنْقَطَعَا^(١)

وقال دريدُ بنُ الصَّمَّةِ الجشميُّ [في « ديوانه » ٦٠ من الوافر] :

أَعَاذِلُ إِنَّمَا أَفْسَى شَبَابِي رُكُوبِي فِي الصَّبَاحِ إِلَى الْمُنَادِي
مَعَ الْفَتَيَانِ حَتَّى سَلَّ جِسْمِي وَأَقْرَحَ عَاتِقِي حَمْلُ النَّجَادِ
أَعَاذِلُ إِنَّهُ مَالٌ طَرِيفٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَالِ تِلَادِ
أَعَاذِلُ عُدَّتِي بِزَيِّ وَسَرْجِي وَكُلُّ مَقْلَصٍ سَلِسِ الْقِيَادِ
وَيَبْقَى بَعْدَ حِلْمِ الْقَوْمِ حِلْمِي وَيَفْنَى قَبْلَ زَادِ الْقَوْمِ زَادِي

وقال عمرو القيسِ يصفُ رُمحاً ، وهو من أبلغِ الكلامِ ، ويستشهدُ

به أهلُ البيانِ على تفصيلِ التشبيهِ [في « ديوانه » ٢١٧ من الطويل] :

حَمَلْتُ رُدَيْنِيَا كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

(١) جَلَلْتُهُ الصَّمْصَامَ : علوته بسيفي . الصمصامُ : السيفُ الصارمُ .

وقال أبو الهول الحميري يصف سيفاً [من الخفيف] :

مَا يُبَالِي إِذَا الضَّرِيْبَةُ حَانَتْ أَشْمَالٌ سَطَّتْ بِهِ أَمَّ يَمِينُ
وَكَأَنَّ الْفِرْنَدَ وَالرَّوْنَقَ الْجَا رِي عَلَى صَفْحَتَيْهِ مَاءٌ مَعِينُ
نَعْمَ مِحْرَاقُ ذِي الْحَفِيْظَةِ فِي الْهَيْدِ جَاءَ يَسْطُوْبِهِ وَنَعْمَ الْمُعِينُ

وقال ابن المعتز [في «ديوانه» ٦٣/٢ من الطويل] :

وَلِي صَارِمٌ فِيهِ الْمَنَايَا كَوَامِنُ فَمَا يُتَنَضَّى إِلَّا لِسْفِكَ دِمَاءِ
تَرَى فَوْقَ مَتْنِيهِ الْفِرْنَدَ كَأَنَّهُ بَقِيَّةُ غَيْمٍ رَقٌّ دُونَ سَمَاءِ

وقال أبو تمام يصف رماحاً [في «ديوانه» ٤٢٠/١ من البسيط] :

مُثَقَّفَاتٍ سَلْبَنَ الرُّوْمَ زُرْقَتَهَا وَالْعُرْبَ أَدْمَتَهَا وَالْعَاشِقَ الْقَضَفَا^(١)

وقال مزرد [من الطويل] :

وَمُطَّرِدٌ لَدُنِ الْكُعُوبِ كَأَنَّمَا تَعَشَّاهُ مِنْبَاعٌ مِنَ الزَّرِيْتِ سَائِلُ^(٢)
أَصَمٌّ إِذَا مَا هَزَّ مَارَتْ سِرَاتُهُ كَمَا مَارَ تُعْبَانُ الرَّمَالِ الْمَوَائِلُ^(٣)
لَهُ رَائِدٌ مَاضٍ الْفِرَارِ كَأَنَّهُ هِلَالٌ بَدَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ نَاحِلُ

وقال البُحْتَرِيُّ يصف سيفاً [في «ديوانه» ١٧٤٧-١٧٤٨ من الكامل] :

مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُنْمِضِهِ يَدُ فَارِسٍ بَطَلٍ وَمَصْقُوقٍ وَإِنْ لَمْ يُضْقَلِ

(١) المثقفاتُ : الرماح المقومات ، ثم وصفهن بقوله : سلبن زرقاً عيون الروم لأستهن الزرق ، وسمره العرب لأعوادهن ، وأخذن من العاشق قضافته : أي لطافته .

(٢) المُطَّرِدُ : الفرس . لذن الكعوب : لئين المفاصل ، شبهه بالرمح لئين العقيد .

(٣) مَارَ : تحرك وتدافع . السراة من الفرس : أعلى ظهره . الموائل : الذاهب إلى ملجئه .

يَغْشَى الْوَعَى فَالْتَزَسُ لَيْسَ بِجُنَّةٍ مِنْ حَدِّهِ وَالْدَّرْعُ لَيْسَ بِمَعْقِلٍ
مُضْعٌ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى فَإِذَا مَضَى لَمْ يَلْتَفِتْ وَإِذَا قَضَى لَمْ يَعْدِلِ
مُتَوَقِّدٌ يَفْرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ مَا أَدْرَكَتْ وَلَوْ أَنَّهَا فِي يَدْبِلِ^(١)
وَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ وَإِذَا أُصِيبَ فَمَا لَهُ مِنْ مَقْتَلِ

وقوله: (ماضٍ وإن لم تمضيه . . . إلى آخره) غلو لا يقبل ، وقد
ألم به المعريُّ فأحسنه بالمقاربة إذ قال [في «سقط الزند» ١٠٠ من الرافر]:

تَكَادُ قِسِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ رَامٍ تُمَكِّنُ فِي قُلُوبِهِمُ الْنَبَالَ
تَكَادُ سَيْوْفُهُ مِنْ غَيْرِ سَلٍّ تُجِدُّ إِلَى رِقَابِهِمْ أَنْسِلَالًا

وقال ابن هانئ الأندلسي ، وفيه مناسبة لما سبق من خُصرة
السيِّفِ [في «ديوانه» ١٦١ من الكامل]:

فُتِّقَتْ لَكُمْ رِيحُ الْجِلَادِ بِغَيْرِ وَأَمَدَّكُمْ فَلَقُ الصَّبَاحِ الْمُسْنِفِرِ^(٢)
وَجَنَيْتُمْ ثَمَرَ الْوَقَائِعِ يَانِعًا بِالنَّصْرِ مِنْ وَرَقِ الْحَدِيدِ الْأَخْضَرِ^(٣)

وقوله: (فُتِّقَتْ لَكُمْ . . . إلى آخره) يقرب من قول الناظم [في
«المكبري» ٢٢٨/٤ من البسيط]:

كَأَنَّهُمْ يَرِدُونَ الْمَوْتَ مِنْ ظَمًا أَوْ يَنْشَقُونَ مِنَ الْخَطِيئِ رِيحَانًا

وقال الشريف الرضي [في «ديوانه» ١/٣٨٠ من الكامل]:

وَأَسْتَنْزَلُوا أَرْزَاقَهُمْ بِسَيْوْفِهِمْ فَعَنَوْا بِغَيْرِ مَذَلَّةٍ وَصَغَارِ

(١) يذبل: اسم جبل في (نجد).

(٢) فُتِّقَ الْمَسْكُ: اسْتُخْرِجَتْ رَائِحَتُهُ. الْجِلَادُ: الْحَرْبُ.

(٣) وَرَقُ الْحَدِيدِ: السَيْوْفُ.

نَزَلُوا بِقَارِعَةٍ تَشَابَهَ عِنْدَهَا ذُلُّ الْعَيْنِ وَعِزَّةُ الْأَخْرَارِ

والبيت الذي نتكلم فيه مكرّر المعنى في « ديوانه » ، منه قوله [في

« العُكْبَرِيُّ » ٢٢٢/٢ من البسيط] :

الاعتداد بالسلاح عند
المتنبي معنى متكرر

أَطْرَحُ الْمَجْدَ عَنْ كِنْفِي وَأَطْلُبُهُ وَأَتْرُكُ الْغَيْثَ فِي غَمْدِي وَأَنْتَجِعُ^(١)
وَالْمَشْرِفِيَّةُ - مَا زَالَتْ مُشْرِفَةً - دَوَاءُ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْ هِيَ الْوَجَعُ

وقوله [في « العُكْبَرِيُّ » ١٦٠/٤ من البسيط] :

مَنْ اقْتَضَى بِسِوَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنِ هَلِ بِلَمٍ^(٢)

وقوله [في « العُكْبَرِيُّ » ١٧٣/١ من البسيط] :

وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أَذْخَرُهُ مَا فِي السَّوَابِقِ مِنْ جَزِيٍّ وَتَقْرِبِ

وقوله [في « العُكْبَرِيُّ » ٧٨/٣ من البسيط] :

لَا أَكْسِبُ الذِّكْرَ إِلَّا مِنْ مَضَارِبِهِ أَوْ مِنْ سِنَانِ أَصَمِّ الْكَعْبِ مُعْتَدِلٍ

وقوله [في « العُكْبَرِيُّ » ١٠٨/٤ من الطويل] :

وَلَكِنِّي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْغَشْمَا^(٣)

وقوله [في « العُكْبَرِيُّ » ٣٧٣/٢ من المنسرح] :

كُنْ لُجَّةً أَيُّهَا السَّمَاحُ فَقَدْ أَمَنَهُ سَيْفُهُ مِنْ الْغَرَقِ

(١) الانتجاعُ في الأصل: طلبُ الكلا ، ثم صارَ كلُّ طلبٍ أنتجاعاً .

(٢) المعنى كما قاله الواحدي: من طلب حاجته بغير السيف . . أجاب سائله عن

قوله: هل أدركت حاجتك؟ بقوله: لم أدرك .

(٣) ذبابُ السيفِ: طرفُهُ . الغشمُ: الظلمُ .

وقال [في «العكبري» ٢٢/٤ من البسيط] :

هِنْدِيَّةٌ إِنْ تُصَغَّرَ مَعْشَرًا . . صَغُرُوا بِحَدِّهَا أَوْ تُعْظَمُ مَعْشَرًا . . عَظُمُوا

وقال [في «العكبري» ٢٥/٤ من البسيط] :

مُقَلِّدًا فَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ ذَا شُطْبٍ لَا تُسْتَدَامُ بِأَمْضَىٰ مِنْهُمَا النَّعَمُ

وَأَمَّا تَشْبِيهُ جَوْهَرِ السِّيفِ بِمَدْرَجِ النَّمْلِ : فَإِنَّهُ شَائِعٌ فِي تَشْبِيهِ جَوْهَرِ السِّيفِ
بِمَدْرَجِ النَّمْلِ عِنْدَ الشُّعْرَاءِ ، مِنْهُ قَوْلُ أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ [في «ديوانه» ٨٥ من الطويل] :

كَأَنَّ مَدَبَ النَّمْلِ يَتَّبِعُ الرَّبِيَّ وَمَدْرَجَ ذَرِّ خِلْنٍ بَزْدًا فَأَسْهَلًا
عَلَىٰ صَفْحَتَيْهِ بَعْدَ حِينٍ جِلَائِهِ كَفَىٰ بِالَّذِي أُبْلِيَّ وَأَنْعَتُ مُنْضَلًا^(١)

وقولُ ابنِ دريدٍ [من الرجز] :

وَصَاحِبَايَ صَارِمٌ فِي مَثْنِهِ مِثْلُ مَدَبِ النَّمْلِ يَغْلُو فِي الرَّبِيِّ

وقال أبو العلاء المعرِّيُّ يصفُ سيفًا [في «سقط الزند» ١٥٣ من

الطويل] :

كَأَنَّ الْمَنَائِيَا جَيْشُ ذَرِّ عَرْمَرَمٍ تَخِذْنَ إِلَى الْأَزْوَاجِ فِيهِ مَسَارًا

وقال أيضًا [في «سقط الزند» ١٠٥ من الوافر] :

سَلِيلُ النَّارِ دَقٌّ وَرَقٌّ حَتَّىٰ كَأَنَّ أَبَاهُ أَوْزَنَهُ السَّلَالَا^(٢)
مُحَلَّىٰ الْبُرْدِ تَخَسَّبُهُ تَرَدَّىٰ نُجُومَ اللَّيْلِ وَأَنْتَعَلَ الْهَلَالَا

(١) فأسهل : أتى السهل ، أي : أن النمل ترك أعلى الوادي وأتى السهل لشدة البرد . الجلاء : الصقل . المنضل : السيف .

(٢) سليل النار : السيف الذي رق من النار . الشلال : داء السل .

مُتَيْنِمُ التَّنْصِلِ فِي طَرْفِي نَقِيضٍ يَكُونُ تَبَايُنٌ مِنْهُ أَشْتِكَالًا^(١)
تَبَيَّنُ فَوْقَهُ ضَخْضَاحَ مَاءٍ وَتُبْصِرُ فِيهِ لِلنَّارِ أَشْتِعَالًا
غَرَارَاهُ لِسَانًا مَشْرِفِي يَقُولُ غَرَائِبَ الْمَوْتِ أَرْتَجَالًا
إِذَا بَصَرَ الْأَمِيرُ وَقَدْ نَضَاهُ بِأَعْلَى الْجَوْ ظَنًّا عَلَيْهِ آلًا^(٢)
وَدَبَّتْ فَوْقَهُ حُمْرُ الْمَنَايَا وَلَكِنْ بَعْدَمَا مُسِخَتْ نِمَالًا

وهذا موضعُ الشاهدِ ، وقد نظرَ فيه إلى البيتِ الذي نتكلَّمُ فيه ،

وقال [في «سقط الزند» ١١٠ من البسيط] :

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ جَفْنَا قَبْلَ مَسْكِنِهِ فِي الْجَفْنِ يُطَوَّى عَلَى نَارٍ وَلَا نَهْرٍ^(٣)
وَلَا ظَنَنْتُ صِغَارَ النَّمْلِ يُمَكِّنُهَا مَشِيَّ عَلَى اللَّجِّ أَوْ سَعِيَّ عَلَى الشُّعْرِ^(٤)

ومتى سُوِّيَ السيفُ بـ (الهند) . . فهو مُهَنْدٌ وهنديٌّ وهندوانيٌّ ،
وإذا عُمِلَ بـ (المشارفِ) ، وهي قرىٌ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ تَدْنُو مِنْ
الرَّيْفِ . . فهو مَشْرِفِيٌّ .

تسمية السيف بالهندي
أو المشرفي

* * *

(١) طرفي نقيض : الماء والنار .

(٢) آلا : بزقا .

(٣) الجفن : غمدُ السيفِ .

(٤) صغارُ النملِ : كنايةٌ عن تموجات الضوء على صفحة السيف . اللج : الماء .

الشعر : النار المشتعلة .

[قال أبو الطيب المتنبي في «العكبري» ١٦١/٣ من الطويل]:

أَمِطَ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَانَهُ فَمَا أَحَدٌ فَوْقِي وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي

يقول: لا تُشَبِّهني بأحد، ولا تقل كأنه فلان، أو ما أشبهه
بفلان، وهي حماقة فاحشة، وغرورٌ مستهجنٌ، ومثله قوله [في عند المتنبي
«العكبري» ١٠٧/٤ من الطويل]:

تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا

وقوله [في «العكبري» ٣٢٣/١ من الخفيف]:

إِنْ أَكُنْ مُعْجَبًا فَغَيْرُ عَجِيبٍ لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدٍ

ويشبهه بعضه قول أبي جهل ابن هشام: وهل فوق رجلٍ قتلتموه^(١). تعظم أبي جهل

وذكرت بهذا مقالة كتبتها يومَ تعالم الناسُ بتأميرِ شوقي غيبَ
فشلِ مؤتمرِ الخلافةِ، وذكرتُ أنَّ الميزانَ العادلَ في استحقاقهِ التأميرِ
عدمه.. هو ما سيقوله في ذلك الحفل؛ لأنه سيتأنقُ له بطبيعة
الحال، فلم تأتِ الأهرام^(٢) إلا بقصيدة تُستهلُّ بقوله [في «ديوانه»
٥٨٥/١ من الخفيف]:

مَرْحَبًا بِالرَّيْنَعِ فِي رَيْعَانِهِ وَيَأْنُوَارِهِ وَطَيْبِ زَمَانِهِ

(١) قالها أبو جهل أثناء مصرعه في بدرٍ عندما سأله ابنا عفرأ: أنت أبو جهل؟

فقالها ليدل على أنه لا رجل فوقه.

(٢) الأهرام: صحيفةٌ مصريةٌ مشهورةٌ.

أحصينا عليها بباديء النظر جملة ملاحظات لا يتسع لها
الموضوع ، منها : عدم التناسب ، ومنها : أنه شبه الربيع يمشي في
السهل بالأمير في البستان .

فإنني بعد أن طرذت نظري في مسارج التشبيه . . لم يظهر لي غير
أنه أراد تشبيه الربيع بما لا غاية بعده ، فلم يجد أكبر من نفسه يتمشى
في بستانه ، فكأنه شبه الربيع بنفسه ، وهو حيثئذ من قول الناظم
السابق لم يجد فوق نفسه من مزيد .

وبعث بتلك المقالة أحد رفاقنا لبعض الأصحف ، فضاقت عنها .

وطالما تكرر معنى البيت الذي بين أيدينا في «ديوان الناظم» منه
قوله يفتخر [في «المكبري» ١٤٣/٢ من الطويل] :

الفخر متكرر عند
المتنبى

وَنَفْسٍ لَا تُجِيبُ إِلَىٰ خَسِينِ وَعَيْنٍ لَا تُدَارُ عَلَىٰ نَظِيرِ
وقوله [في «المكبري» ١٠/٤ من الكامل] :

صَغَرَتْ كُلُّ كَبِيرَةٍ وَكَبُرَتْ عَن لِّكَأَنَّهُ وَعَدَدَتْ سِنَّ غُلَامٍ^(١)
وقوله [في «المكبري» ٨٤/٤ من الطويل] :

يَجِلُّ عَنِ التَّشْبِيهِ لَا الْكَفَّ لُجَّةٌ وَلَا هُوَ ضِرْغَامٌ، وَلَا الرَّأْيُ مِخْذَمٌ^(٢)
وقوله [في «المكبري» ١١٦/٤ من الطويل] :

وَلَوْلَا أَحْتِقَارُ الْأَسَدِ شَبَهَتْهَا بِهِمْ وَلَكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِي الْبَهَائِمِ

(١) عَدَدَتْ سِنَّ غُلَامٍ : قصد أنه لا زال في سن الشباب .

(٢) المِخْذَمُ : السيفُ القاطعُ . والمعنى : أنه أعظم من أن يشبه كفه بالبحر ،
ونفسه بالأسد ، ورأيه بالسيف القاطع ؛ لأن ذلك كله دونه .

وقوله [في «المكبري» ٢٢٦/٣] من الوافر :

بِلاَ مِثْلِ وَإِنْ أَبْصَرْتَ فِيهِ لِكُلِّ مُغَيَّبٍ حَسَنِ مِثَالاً

وقوله [في «المكبري» ١٢٧/٢] من الطويل :

بِمَنْ أَضْرَبُ الْأَمْثَالَ أَمْ مَنْ أَقْبَسُهُ إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَاللَّهْرُ ؟

وقوله [في «المكبري» ٣٧٩/٢] من البسيط :

فَكُنْ كَمَا أَنْتَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ أَوْ كَيْفَ شِئْتَ فَمَا خَلَقْتُ يَدَايِنِكَ

وقوله [في «المكبري» ١٣٣/٣] من الخفيف :

فَإِذَا مَا أَشْتَهَى حَيَاتِكَ دَاعٍ قَالَ لَا زُلْتَ أَوْ تَرَى لَكَ مِثَالاً

وقوله [في «المكبري» ٢٧٩/٣] من البسيط :

كَفَاتِكَ وَدُخُولِ الْكَافِ مَنَقَصَهُ كَالشَّمْسِ قُلْتُ : وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ

وقوله [في «المكبري» ٢٢٠/٣] من المنسرح :

مِثْلِكَ يَا بَدْرُ لَا يَكُونُ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِمِثْلِكَ الْدَوَلُ

وقوله [في «المكبري» ٢١٧/١] من السريع :

وَلَمْ أَقْلِ مِثْلَكَ أَغْنِي بِي سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلاَ مُشْبِهٍ

وقوله [في «المكبري» ١٧٧/٢] من الخفيف :

وَتَمَنِّيْتُ مِثْلَهُ فَكَأَنِّي طَالِبُ لَابِنِ صَالِحٍ مَنْ يُوَارِي

وقوله [في «المكبري» ٢٢٩/٣] من الوافر :

جَوَابُ مُسَائِلِي أَلَهُ نَظِيرٌ وَلَا لَكَ فِي سُؤْلِكَ لَا ، أَلَا لَا (١)

(١) المعنى : إذا سألتني سائل ، فقال : هل له نظير ؟ فجوابه لا ، ولا لك نظير في =

وأصل البيت الذي نحن بسبيله من قول الأول [من الطويل] :
تَعَالَيْنَ عَن وَضْفٍ فَلَسْتُ بِذَاكِرٍ (كَأَنَّ) لَدَى تَشْبِيهِهَا وَ (كَأَنَّمَا)
وَمِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ [في «ديوانه» من الطويل] :
خُلِقْتَ بَدِينَعًا لَا يُقَالُ كَأَنَّهُ تَعَالَى وَلَا يَسْمَعُ بِمِثْلِكَ سَامِعٌ

وقال البُحْتَرِيُّ [في «ديوانه» ١٦٥٩/٣ من الكامل] :
لَا تَطْلُبُنَّ لَهُ الشَّيْبَةَ فَإِنَّهُ قَمَرُ التَّائِثِلِ مُزْنَةُ التَّامِيلِ (١)
وجلها دعاوي مكذوبة ، ومبالغات مردودة ، فإن الذي في
السماء عرشه ، وفي الأرض بطشه . . يُقَرَّبُ المَنَالِ ، ويضرب لنفسه
الأمثال ، وما أحسن قول حبيب [في «ديوانه» ٣٦٩/١ من الكامل] :

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَن دُونَهُ مَثَلًا شَرُّوْدَا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمِسْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ (٢)
ومن محاسن الجاحظ قوله في هذه الآية : أنها مثل ضربه الله
جل شأنه لنبيه ﷺ ، فإن تقاسيم وجهه ، وأسارير جبينه . . تنطق
بنبوته ، وتشهد بصدق رسالته ، فما أصدق فيه قول عبد الله بن
رواحة [في «ديوانه» ٩٥ من البسيط] :

لَوْ لَمْ تَكُن فِيهِ آيَاتٌ مُّبَيَّنَةٌ لَكَانَ مَنظَرُهُ يُنْبِئُكَ بِالْخَبْرِ

تكذيب المؤلف لهذه
الأشعار

تفسير: ﴿الله نور
السموات والأرض﴾
عند الجاحظ

- = سؤالك عن هذا ؛ لأن أحدا لا يجهل هذا غيرك ، فأنت في جهلك بلا نظير ، وكوّر
النفي بقوله : (ألا ، لا) إشارة إلى أن جهل هذا السائل يوجب إعادة الجواب عليه .
(١) المُرْنَةُ : السحابة البيضاء .
(٢) والمثل قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كِشْفُورٍ فِيهَا وَمِصْبَاحٌ
الْمِصْبَاحُ فِي نِجَاجَةِ الرَّجَاةِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ﴾ [النور : ٣٥] .

تفسير: «ليس كمثل»

شيء»

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] :

فَأَمَّا : أَنْ يُجْعَلَ (الْمِثْلُ) فِيهِ بِمَعْنَى الْنَفْسِ وَالذَّاتِ وَهُوَ شَائِعٌ

فِي لِسَانِ الْعَرَبِ . قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ [مِنْ مُخَلَعِ الْبَسِيطِ] :

لَيْسَ كَمِثْلِ الْفَتَى زُهَيْرٍ خَلَقَ يَوَازِيهِ فِي الْفَضَائِلِ

وَمَنْهُ مَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِ النَّازِمِ : (وَلَمْ أَقُلْ مِثْلَكَ أَغْنِي بِيهِ

سِوَاكَ . . . إِلَى آخِرِهِ) .

فَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . . . نَظِيرُ (لَيْسَ كَذَاتِهِ شَيْءٌ) إِلَّا أَنَّهَا لَا تَوْجَدُ

فِي الثَّانِي مَبَالِغَةَ النَّفْيِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْأَوَّلِ ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْكِنَايَةِ الَّتِي

لَا يُجْهَلُ مَكَانُهَا فِي حُسْنِ الْكَلَامِ ، وَكَثِيرًا مَا تَقُولُ الْعَرَبُ : (مِثْلُكَ

لَا يَبْخَلُ) ؛ لِتَمَكِينِ انْتِفَاءِ الْبُخْلِ عَنْهُ مِنْ نَفْسِ السَّامِعِ ، فَإِنَّ تِلْكَ

الْجُمْلَةَ تَفِيدُ مَا لَا يَفِيدُهُ قَوْلُهُمْ : (أَنْتَ لَا تَبْخَلُ) .

وَأَمَّا : أَنْ يُجْعَلَ (الْمِثْلُ) بِمَعْنَى الصِّفَةِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ وَإِنْ

وُصِفَ جَلًّا شَأْنُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ بِمَا يُوصَفُ بِهِ الْبَشَرُ مِنْ نَحْوِ :

السَّمْعِ وَالْبَصْرِ وَالْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . . . فَلَيْسَتْ صِفَاتُهُ عَزًّا

وَجَلًّا كَمِثْلِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ إِلَّا فِي مَجْرَدِ الْأَسْمَاءِ ، وَإِلَّا . . .

فَالْبُؤْسُ بَعِيدٌ ، وَالْفَرْقُ عَظِيمٌ .

وَلِلْبَازِيِ وَلِلزُّبُورِ أَيْضًا لَدَى الطَّيْرَانِ أَجْنِحَةٌ وَخَفَقُ

وَلَكِنْ بَيْنَ مَا يَضْطَادُ بَازٍ وَمَا يَضْطَادُهُ الزُّبُورُ فَرْقٌ^(١)

وَأَمَّا : أَنْ يُجْعَلَ (الْمِثْلُ) بِمَعْنَى الذَّاتِ وَالصِّفَةِ ، فَيَكُونُ

أَسْتِعْمَالُهُ فِيهِمَا مِنْ بَابِ أَسْتِعْمَالِ الْمَشْتَرِكِ فِي مَعْنِيهِ إِنْ قُلْنَا إِنَّ الْمِثْلَ

(١) البيتان من الوافر .

حقيقةً في كلِّ مِنَ الذَّاتِ والصفةِ ، أو مِنَ أَسْتَعْمَالِهِ في حقيقتهِ
ومجازهِ إِنْ قلنا إِنَّه حقيقَةٌ في أَحَدِهِمَا مَجَازٌ في الآخرِ ، فيستجِبُ حيثُ
أَنَّهُ لا يماثلُهُ شيءٌ مطلقاً لا في الذاتِ ولا في الصفاتِ ولا في
الأفعالِ .

أَمَّا القَوْلُ بزيادةِ الكافِ لتأكيدِ التشبيهِ في نفيِ المثليةِ كما في قولِ
الشاعرِ [مَنْ الرَجَزُ] :

بِالْأَمْسِ كَانُوا فِي رِخَاءِ مَأْمُونٍ فَأَصْبَحَتْ مِثْلَ كَعَصْفٍ مَا كُونُ
فِإِنَّهُ دَاخِلٌ فِي الاحْتِمَالِ الأوَّلِ .

وقال الغزاليُّ في معنى « إِنْ اللهُ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ » (١) :

تفسير الغزالي ل: إن
الله خلق آدم على
صورته

(١) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه البخاري (٢٥٥٩) مقتصراً على الشطر
الأول في الاستئذان ، وأحمد (٢/٢٤٤) ، ومسلم (٢٦١٢) (١١٥) في البر
والصلة ، ولفظ مسلم: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم
على صورته» .

وأورد شطر الحديث الآخر الغزالي في «الإحياء» (١٦٦/٢) فقال: وهجر
المحاسبي أبا ثور في تأويل هذا الحديث، وهذا أمر يختلف باختلاف النية،
وتختلف النية باختلاف الحال... إلخ، وفي (٢٣/٤) قال: وهو من المثال
الذي لا يعقله إلا العالمون... تعالى الله علواً كبيراً، ثم قال عن الحديث:
فإنه لا يفهم من الصورة إلا اللون والشكل والهيئة، فثبت لله تعالى مثل ذلك،
تعالى الله عن قوله علواً كبيراً، ومن هنا زلّ من زلّ في صفات إلهية...

قال القرطبي في «المفهم» (٦/٥٩٨-٥٩٧) في تفسير الحديث: أي على
صورة وجه المضروب، فكأن اللاطم في وجه أحد ولد آدم لطم وجه أبيه آدم.
وعلى هذا فيحرم لطم الوجه من المسلم والكافر...

وإنما مقصود الحديث: إكرام وجه المؤمن لحرمة، لأننا نقول مسلم...
وهذا الذي ذكرناه هو ظاهر الحديث، ولا يكون في الحديث إشكال يوهم في
حقّ الله تعالى تشبيهاً، وإنما أشكل ذلك على من أعاد الضمير في صورته =

المراد بالصورة المعنوية ، كما يُقال : صورة المسألة كذا ، وآدمُ بهذا الاعتبار على صورة ربِّه في الذاتِ والأفعالِ والصفاتِ :
 أما في الذاتِ : فلأنَّ الروحَ ليست بجسم ، ولا عَرَضٍ ، ولا جوهرٍ متخيَّرٍ ، ولا تحلُّ المكانَ والجهةَ ، ولا هي متَّصلةٌ بالبدنِ والعالمِ ، ولا منفصلةٌ عنهما ، وكذلك ذاتُ الباري عزَّ وجلَّ^(١) .

= على الله تعالى ، وذلك ينبغي ألا يصار إليه شرعاً ولا عقلاً ، أما العقل فيحيل الصورة الجسمية على الله تعالى ، وأما الشرع فلم ينصَّ على ذلك نصّاً قاطعاً ، ومحال أن يكون ذلك ، فإن النصَّ القاطع صادق ، والصادق لا يقول المحال فيتعيَّن عود الضمير على المضروب لأنه هو الذي سبق الكلام لبيان حكمه .
 وقد أعادت المشبهةُ هذا الضمير على الله تعالى ، فالتزموا القول بالتحجيم ، وذلك نتيجة العقل السقيم والجهل الصميم ، وقد بينا جهلهم وحققنا كفرهم فيما تقدم ، ولو سلمنا أن الضمير عائد على الله تعالى . . . فلتأويل وجه صحيح ، وهو أن الصورة قد تطلق بمعنى الصفة كما يقال : صورة المسألة كذا أي صفتها . . . الخ .

وقال الإمام النواوي في «المنهاج» في شرح الحديث : هذا تصريح بالنهي عن ضرب الوجه ؛ لأنه لطيف يجمع المحاسن ، وأعضاؤه نفيسة لطيفة وأكثر الإدراك بها . . . وهو من أحاديث الصفات ، وأن من العلماء من يمسك عن تأويلها ويقول : نؤمن بأنها حقٌّ ، وأن ظاهرها غير مراد ولها معنى يليق بها ، وهو مذهب جمهور السلف ، وهو أحوط وأسلم ، . . . إلى أن قال : واختلف العلماء في تأويله ، فقالت طائفة : الضمير في صورته عائد على الأخ المضروب ، وهذا ظاهر رواية مسلم ، وقالت طائفة : يعود إلى آدم وفيه ضعف ، وقالت طائفة يعود إلى الله تعالى ، ويكون المراد إضافة تشريف واختصاص كقوله : ﴿ ناقة الله ﴾ [الشمس : ١٣] وكما يقال عن الكعبة بيت الله ونظائره ، والله أعلم .

(١) تعالى عن مشابهته للحوادث من مخلوقاته علواً كبيراً ؛ لأن كلَّ ما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك وكما يُعلم أنه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] .

وأما الصفاتُ : فلأنَّهُ حيٌّ عالمٌ ، قادرٌ مريدٌ ، سميعٌ بصيرٌ متكلِّمٌ ، واللهُ تعالى كذلك .

وأما في الأفعالِ : فإنَّ الإنسانَ إذا أرادَ الكتابةَ في غرضٍ . . فأوَّلُ فعلِهِ إرادةٌ يظهرُ أثرُها في القلبِ ، ثُمَّ يصعدُ إلى الدماغِ ، ثُمَّ إلى الأعصابِ ، ثُمَّ إلى الأصابعِ ، وبها يتحرَّكُ القلمُ بما أرتمسَ في خِزانةِ الخيالِ . فالقلبُ كالعرشِ ، والدماغُ كالكرسيِ ، والحواسُّ كالملائكةِ ، والأعصابُ كالسماواتِ ، والقدرةُ في الأصابعِ كالطبيعةِ المركوزةِ في الأجسامِ ، والقرطاسُ والقلمُ والمِدادُ كالعناصرِ ، ومرآةُ التخيلِ كاللوحِ المحفوظِ .

ومن هذه الموازنةِ تعرِفُ أنَّ اللهَ خلقَ آدمَ على صورتهِ ، ولولا المضاهاةُ المذكورةُ لَمْ يقدرِ الإنسانُ على الترقِّي من معرفةِ نفسه إلى معرفةِ ربِّه ، كما قالَ عليه السلامُ : « مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ . . فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ »^(١) كذا رأيتُهُ في سياقِ لهُ ، ومثلهُ في ذهني عن « مفاتيحِ الغيبِ » للإمامِ الرازي ، وقد قفَّ شعري^(٢) ، وضاقَ صدري منهُ باديةِ الأمرِ إلاَّ أَنَّهُ يهونُ الخطبُ بما قرَّرناه في الاحتمالِ الثاني ، وأستشهدنا عليه بما بينَ البازي والزنبورِ مِنَ الفرقِ الكبيرِ^(٣) ،

(١) أورده السخاوي في « المقاصد الحسنة » (١١٤٩) فقال : قال أبو المظفر السمعاني في الكلام على التحسين والتقيح العقلي : من القواطع أنه لم يعرف مرفوعاً ، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله ، وكذا قال النواوي : إنه ليس بثابت ، وقيل في تأويله : من عرف نفسه بالحدوث . . عرف ربه بالقدم ، ومن عرف نفسه بالفناء . . عرف ربه بالبقاء .

(٢) قفَّ الشعرُ : قامَ من الفزع .

(٣) بل لا يتصور التشابه بين الخالق والمخلوق ، ولا بين القديم والحادث .

والعهدة عليهم ، ولولا جلالته مقاديرهم . . لما تجاسرتُ على
حكايتهم عنهم ، وأولى ما يكون بالقبول في الموضوع الذي نتحدثُ
فيه قولُ شاعرٍ (المعرّة) [من الوافر] :

ضَرَيْبِكَ فِي بَيْنِي الدُّنْيَا كَثِيرٌ وَعَزَّ اللَّهُ رَبُّكَ مِنْ ضَرَيْبِ
وَمَا الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَلَاءُ إِلَّا قَرِيبٌ مِنْ قَرِيبٍ مِنْ قَرِيبٍ

* * *

[قال أبو الطيب المتنبي في «العكبري» ١٦٢/٣ من الطويل]:

وَذَرْنِي وَإِيَّاهُ وَطِرْفِي وَذَابِلِي نَكُنْ وَاحِدًا نَلَقَ الْوَرَى وَأَنْظُرُنْ فِعْلِي

ادعاء المتنبي الشجاعة
الطَرْفُ : الفرسُ الكريمُ ، والدَّابِلُ : ما لانَ وأهتزَّ مِنَ الرِّمَاحِ ،
يقولُ : دعني وهذا السيفَ وفرسي ورمحي نجتمعُ ، فنكونَ واحداً
في رأيِ العينِ . يلقيُ الوري : أي يحاربُهم ثُمَّ أنظرُ إلى ما أفعلهُ
فيهم .

من أين أخذ المتنبي بيته
قالَ ابنُ جَنِّي وقد لاذَ في هذا البيتِ بقولِ ذي الرِّمَّةِ [في «ديوانه»
١١٠٩-١١٠٨ من الطويل]:

وَلَيْلِ كَجَلْبَابِ الْعَرُوسِ أَدْرَعْتُهُ بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ
أَحْمُ غَدَافِي وَأَبْيَضُ صَارِمٌ وَأَعْيَسُ مَهْرِي وَأَزْوَعُ مَاجِدُ^(١)

أقولُ : ومثله قولُ السلامي [في «خزانة الأدب» ٢٩٥/٢ من الطويل]:

فَكُنْتُ وَعَزَمِي فِي الظَّلَامِ وَصَارِمِي ثَلَاثَةَ أَشْبَاحٍ كَمَا اجْتَمَعَ النَّسْرُ

شجاعة الإمام
وقوله : (يلقيُ الوري) ناظرٌ إلى قولِ أميرِ المؤمنين [في «نهج
البلاغة» ٣٥٩]: (والله لو تظاهرتِ العربُ بأسرها على قتالي .. لما
ولَّيتُ عنها ، وأنا من رسولِ الله كالصُّنُورِ مِنَ الصُّنُورِ ، والدُّرَاعِ مِنَ
العُضْدِ) .

(١) الأحمُ الغدافي : الفرسُ الشديدُ السوادِ . أروغُ ماجدٌ : فارسٌ شجاعٌ من خيرة
الناسِ .

والناظم كثيراً ما يزعم غير ما شئبه ، ويحطب في حبل غيره ، تعليق المؤلف على
وقلت في عكس قول ذي الرمة من قصيدة أصف بها فرسي [من المتنب
الطويل] :

إِذَا أُعْتَرِضْتُ بِنِي قَالَ قَوْمٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا نَمَّ غَيْرِي لَكِنَّ الذَّبِيلُ وَالرَّاسُ

وَتَجِدُ أَنْ لَا مَخَالَفَةَ عِنْدَ إِمْعَانِ النَّظْرِ ؛ لِأَنِّي أَصَفُ فَرَسِي
مُعْتَرِضَةً ، وَهُوَ يَصِفُ بَعِيرَهُ مَقْبَلًا أَوْ مَدْبِرًا ، وَقَدْ قَالَ فِي نَظِيرِهِ
الناظم [في «المكبري» ٢١٤/٣ من المنسرح] :

الفرس والفرس
والسلاح قطعة واحدة
عند الشعراء

إِنْ أَذْبَرْتُ قُلْتُ : لَا تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلْتُ قُلْتُ : مَا لَهَا كَفَلٌ (١)

وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِ الْخَيْلِ قَوْلُ أَمْرِيءِ الْقَيْسِ [في «ديوانه»
١٥٣-١٥٥ من الطويل] :

وَقَدْ أَغْتَدَيْتِ وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ (٢)
مَكْرٌ مَفْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطُّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ (٣)
لَهُ أَيُّطَلَا ظَنِّي وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَنْفُلٍ (٤)

- (١) التليل : العتق . الكفل : الردف ، كما مر سابقاً .
(٢) وكُنَاتِهَا : أوكارها . المنجرد : الفرس القصير الشعر . الأوابد : الوحوش .
وقَيْدُهَا : إمساكها بقوة ، فكأنها لم تبرح مكانها . الهَيْكَلُ : الفرس الطويل
المتين الخلق .
(٣) الجلمود : الصخر الأصم . مِنْ عَلٍ : مِنْ مَكَانٍ عَالٍ .
(٤) أَيُّطَلَا ظَنِّي : خَاصَرْنَا ظَنِّي ؛ لَضَمُورِهِمَا . وَسَاقَا نَعَامَةٍ : شَبَّهَ سَاقِيَهُ بِسَاقِيِ
النَعَامَةِ ؛ لِصَلَابَتَيْهِمَا وَقَصْرِهِمَا . وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ : سَرَعَةُ ذَنْبٍ فِي لِينٍ .
وَتَقْرِيْبُ تَنْفُلٍ : وَجَرِي تَنْفُلٍ ؛ وَهُوَ وَلَدُ الذَّنْبِ .

أول من جعل الحصان
قيداً للأوابد

وكادَ الإجماعُ ينعقدُ على أنَّه السابقُ إلى جعلهِ الحصانَ قيداً
للأوابدِ ، وعندِي أنَّه مخالفتُ لقولهم : إِنَّ (زَادَ الرَّكْبِ) فرسٌ
معروفٌ مِنَ الخيلِ التي وصفَهَا اللهُ بِ: ﴿الْصَّافِنَتُ الْيَادُ﴾ [ص: ٣١] ،
سُمِّيَ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَلْحَقُ الصَّيْدَ ، فَكَانَ الْوَفْدُ إِذَا نَزَلُوا . .
رَكْبُهُ أَحَدُهُمْ ، فَصَادَ لَهُمْ مَا يَكْفِيهِمْ ، وَهُوَ مِنْ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، أَعْطَاهُ لِلأَزْدِ^(١) لَمَّا وَفَدُوا عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ أَمْرُ الْقَيْسِ
السَّابِقِ إِلَيْهِ مَعَ هَذَا ؟ ! وَلَكِنَّهُ تَنَوَّعَ فِيهِ وَأَفْرَعُهُ فِي عِدَّةِ قَوَالِبَ ، مِنْهَا
قَوْلُهُ [في «ديوانه» ٥٣ من الطويل] :

إِذَا مَا رَكِبْنَا قَالَ وُلْدَانُ أَهْلِنَا تَعَالَوْا إِلَيْنَا يَا تِنَّا الصَّيْدُ نَحْطِبُ^(٢)

وقال عمارة بن عقيل [في «خزانة الأدب» ١٥٨/١ من الخفيف] :

الشعراء جعلهم
الحصان قيدا للوحوش

وَأَرَى الْوَحْشَ فِي يَمِينِي إِذَا مَا كَانَ يَوْمًا عِنَانُهُ بِشِمَالِي
وقال ابن مقبل [من البسيط] :

لَا يَنْفَعُ الْوَحْشَ مِنْهُ أَنْ تَحَدَّرَهُ كَأَنَّهُ مُعَلَّقٌ مِنْهَا بِحُطَافٍ^(٣)

وقال الناظم [في «العكبري» ٢٩٤/٣ من الطويل] :

وَخَيْلٍ إِذَا مَرَّتْ بِمَرْجٍ وَرَوْضَةٍ أَبَتْ رَغِيهَا إِلَّا وَمَرْجَلُنَا يَغْلِي^(٤)

(١) الأزدُ : قبيلةٌ مِنَ (اليمن) .

(٢) نَحْطِبُ : نَجْمَعُ الحَطْبَ ؛ للشَّوَاءِ والطَّبِيخِ .

(٣) الحُطَافُ - بضم الخاء - : هو الحديدَةُ المَعْوِجَةُ .

(٤) في «العكبري» : (بِوَحْشٍ) بدل (بِمَرْجٍ) . المرجلُ : القِدْرُ ؛ أَي : وَخَيْلُنَا
الكَرِيمَةُ تَأْبَى أَنْ تَرْتَعَ فِي الرِّيَاضِ وَالْكَلا إِذَا رَأَتْ الْوَحْشَ ، حَتَّى تَجْعَلَ قَدُورَنَا
تَغْلِي ، وَنَأْكُلَ مِنْ لَحْمِهَا .

وقال [في «العكبري» ٤/ ١٧٩ من الكامل] :

مُتَفَيِّينَ ظِلَالَ كُلِّ مُطَهَّمٍ أَجَلِ الظُّلِيمِ وَرِبْقَةِ السَّرْحَانِ^(١)

وقال البُحْتُريُّ - وكان وَصَافاً للخيل - [في «ديوانه» ٣/ ٢٠٢٧-٢٠٢٨ من وصف البحري للخيل

الوافر] :

أَرَا جِعْتِي بِدَاكَ بِأَعْوَجِي كَفِذِ النَّبِيعِ فِي الرَّيْشِ اللُّوَامِ؟^(٢)
بِأَذْهِمَ كَالظَّلَامِ أَغْرًا يَجْلُو بِغُرَّتِهِ دِيَا جِنِيرَ الظَّلَامِ
تَرَى أَحْجَالَهُ يَصْعَدْنَ فِيهِ صُعُودَ البَرْقِ فِي جَوْنِ العَمَامِ^(٣)

وقال [في «ديوانه» ٣/ ١٩٨٥-١٩٨٨ من الكامل] :

أَمَّا الْجَوَادُ فَقَدْ بَلَوْنَا يَوْمَهُ وَكَفَى بِيَوْمٍ مُخْبِرًا عَنِ عَامِهِ
جَارِي الْجِيَادِ فَطَارَ عَنِ أَوْهَامِهَا سَبَقًا وَكَادَ يَطِيرُ عَنِ أَوْهَامِهِ
جَدْلَانٌ تَلْطُمُهُ جَوَانِبُ غُرَّةٍ جَاءَتْ مَجِيءَ البُدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ^(٤)
وَأَسْوَدٌ ثُمَّ صَفَتْ لِعَيْنِي نَاطِرٍ جَنَابَتُهُ فَأَضَاءَ فِي إِظْلَامِهِ
مَالَتْ جَوَانِبُ عُرْفِهِ وَكَانَتْهَا عَذَبَاتُ أَثْلِ مَالٍ تَحْتَ حَمَامِهِ^(٥)

- (١) في «العكبري»: (يَتَقَلَّبُونَ) بدل (مُتَفَيِّينَ). المُطَهَّمُ : الفرسُ التامُّ ، كُلُّ شيءٍ منه على حدِّثِهِ . والظُّلِيمُ : ذكْرُ النعام . والرَّبْقَةُ : ما يكونُ في رقبَةِ الشاةِ ، تحبسُها مِنَ التصرفِ . السَّرْحَانُ : الذئبُ .
- (٢) القدحُ : السهمُ قبلَ أَنْ ينصلَ ويراشَ . النَّبِيعُ : شجرٌ تتخذُ منه السهامُ والقسيُّ . اللُّوَامُ ، يقالُ : سهمٌ لَأَمٌ ؛ أي عليه ريشٌ .
- (٣) الأحجالُ : بياضُ في قوائمِ الفرسِ . الجَوْنُ : الأسودُ .
- (٤) جدلان : فرحان .
- (٥) العذبةُ : طرفُ الشيءِ . الأثْلُ : شجرٌ كثيرُ الأغصانِ .

وَكَاَنَّ فَارِسَهُ وَرَاءَ قَذَالِهِ
لَأَنْتَ مَعَاطِفُهُ فَتَحَسَبُ أَنَّهُ
فِي شُعْلَةٍ كَالشَّيْبِ لَاحَ بِمَفْرِقِي
وَكَأَنَّ صَهْلَتَهُ إِذَا اسْتَعْلَى بِهَا
مِثْلُ الْغُرَابِ مَشَى يُبَارِي صَحْبَهُ

وقال [في ديوانه ٣ / ١٧٤٠-١٧٤٤ من الكامل] :

وَأَغْرَ فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ مُحَجَّلٍ
كَالْهَيْكَلِ الْمَيْنِيِّ إِلَّا أَنَّهُ
ذَنْبٌ كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَن
جَذْلَانَ يَنْفُضُ عُذْرَةَ فِي غُرَّةِ
تَسْوَهُمُ الْجُوزَاءِ فِي أَرْسَاغِهِ
فَكَأَنَّمَا نَفَضَتْ عَلَيْهِ صِبْغَهَا
وَتَخَالَهُ كَسِيَّ الْخُدُودِ نَوَاعِمَا
وَتَرَاهُ يَسْطَعُ فِي الْعُبَارِ لَهَيْئُهُ
هَزْجُ الصَّهْلِ كَأَنَّ فِي نَعْمَاتِهِ

قَدْ رُحْتُ مِنْهُ عَلَى أَغْرٍ مُحَجَّلٍ
فِي الْحُسْنِ جَاءَ كَصُورَةٍ فِي هَيْكَلِ
عُرْفِ ، وَعُرْفٌ كَالْقِنَاعِ الْمُسْبَلِ
يَقِي تَسِيلُ حُجُولَهَا فِي جَنْدَلٍ (١)
وَالْبَذْرَ غُرَّةً وَجْهَهُ الْمُتَهَلِّلِ
صَهْبَاءُ لِلْبَرْدَانِ أَوْ قَطْرَبُلٍ (٢)
مَهْمَا تَوَاصِلَهَا بِلِخْطِ تَخَجَّلِ
لَوْنًا وَشَدَاً كَالْحَرِيقِ الْمُشْعَلِ
نَبْرَاتٍ مَعْبَدٍ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ (٣)

(١) قذال الفرس : مَعْقِدُ سَيْرِي اللجام ، خلف الناصية .

(٢) العُذْرَةُ : الشَّعْرُ عَلَى كَاهِلِ الْفَرَسِ . الْيَقْوُ : شِدَّةُ الْبِيَاضِ . جَنْدَلٌ : مَكَانٌ فِي مَجْرَى النَّهْرِ يَشْتَدُّ فِيهِ التِّيَّارُ .

(٣) قَطْرَبُلٌ : اسْمُ قَرْيَةٍ بَيْنَ (بَغْدَادَ) وَ(عَكْبَرِي) يَنْسَبُ إِلَيْهَا الْخَمْرُ ، وَمَا زَالَتْ مَمْتَرَهَا لِلْبَطَالِينِ وَحَانَةِ لِلخَمَارِينَ ، وَقَدْ أَكْثَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ ذِكْرِهَا . الْبَرْدَانُ : اسْمُ بَلَدٍ قَرْيَةٍ مِنْ (عَكْبَرِي) وَ(قَطْرَبُلِ) وَ(بَغْدَادَ) .

(٤) مَعْبَدٌ : رَجُلٌ مِنْ أُمَّةِ الْغَنَاءِ . الثَّقِيلُ الْأَوَّلُ : ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْإِبْقَاعِ يَبْحَثُ فِي عِلْمِ الْمَوْسِيقَى .

مَلَكَ الْعُيُونِ إِذَا بَدَا أَعْطَيْنَهُ نَظَرَ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْمُقْبِلِ

وقال حبيب [في «ديوانه» ٣٨٠/١٤ من السريع] : وصف أبي تمام للخيل

إِنْ زَارَ مَيْدَانًا سَبَى أَهْلَهُ أَوْ نَادِيًا قَامَ إِلَيْهِ الْجُلُوسُ
نَرَى رِزَانَ الْقَوْمِ قَدْ أَسْمَحَتْ عُيُونُهُمْ فِي حُسْنِهِ وَهِيَ سُوسُ^(١)
كَأَنَّهَا لَاحَ لَهُمْ بَارِقُ فِي الْمَخْلِ أَوْ زُفْتُ إِلَيْهِمْ عَرُوسُ
عَوْدَهُ الْحَاسِدُ ظَنًّا بِهِ وَرَفَرَفَتْ خَوْفًا عَلَيْهِ الْكُفُوسُ

وقال ابن المعتز [في «ديوانه» ٥١/١٤ من الكامل] : وصف ابن المعتز

وَلَقَدْ يَشُقُّ بِي الْكَتِيبَةَ قَارِحُ حَتَّى أَخْضَبَ بِالْذَّمَاءِ سِلَاحِي
ذُو غُرَّةٍ فِي دَهْمَةٍ فَكَانَهُ لَيْلٌ تَبْرَقَعُ وَجْهَهُ بِصَبَاحِ
للخيل

وقال الناظم [في «المكبري» ١٧٩-١٨٠ من الطويل] : وصف المتنبّي للخيل

وَعَيْنِي إِلَى أذْنِي أَغْرَّ كَانَهُ مِنْ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكَبُ
لَهُ فَضْلَةٌ عَنِ جِسْمِهِ فِي إِمَابِهِ تَجِيءُ عَلَى صَدْرٍ رَحِيبٍ وَتَذْهَبُ
شَقَقْتُ بِهِ الظُّلْمَاءَ أذْنِي عِنَانَهُ فَيَطْعَى وَأُزْخِيهِ مِرَارًا فَيَلْعَبُ
وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ فَقَيْتُهُ بِهِ وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ
وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلُهُ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يُجْرَبُ

وقوله : (وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ . . . إِلَى آخِرِهِ) مِنْ قَوْلِ أَمْرِيءِ

القيس [في «ديوانه» ١٥٦ من الطويل] :

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ وَعَادَ فَلَمْ يَنْصَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ

(١) أَسْمَحَتْ : ذَلَّتْ وَأَنْقَادَتْ . الْأَسُوسُ : الَّذِي يَنْظُرُ بِطَرْفِ عَيْنِهِ تَكْبِيرًا .

قضاء زوجة امرئ القيس لعلقمة
 وحديث امرئ القيس ، وما قضت عليه فيه زوجته لعلقمة الفحل
 مشهور (١) .

وصف المعري للخيل وقال المعري [في «سقط الزند» ٢٣٠ من الطويل] :

وقد اغتدي والليل يبكي تاشفاً
 على نفسه والنجم في الغرب ماثل
 برنج أغيرت حافراً من زمرّد
 لها التبرّ جسمم واللجين خلاخل^(٢)
 كأد الصبا ألفت إليّ عنانها
 تحبّ بسرّجني تارة وتناقل^(٣)
 إذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت
 عن الماء فاشتاقت إليها المناهل

الشعراء والخيل ويُعجبي قول بعضهم [من الكامل] :

فكأنما لطم الصباح جبينه
 فأغتاظ منه فداس في أحشائه

وقال مهذب الدين [من البسيط] :

سودّ حوافرها بيض جحافلها
 صبغ تولد بين الصبح والغسق
 من طول ما وطئت ظهر الدجى خبياً
 وطول ما كرعت من منهل الفلق^(٤)

وها هنا وقفه؛ فإنّ امرأ القيس يقول عن فرسه [في معلقته من الطويل] :

كملت إذا استدبرته سدّ فرجه
 بضاف فويق الأرض ليس بأغزل

(١) وقصة علقمة: أنّه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له على امرئ القيس بأنّه أشعر منه في صفة فرسه، فطلّقها امرؤ القيس، فخالفه عليها، وما زالت العرب تسميه بالفعل لذلك . «الأغاني» (٢٠٦/١٠) .

(٢) الحافر من زمرّد: أي حافر أخضر صلب، التبرّ: الذهب . اللجين: الفضة .

(٣) تحبّ: من الخيب؛ وهو من ضروب السير . النقال: من المناقلة؛ وهي المشي اللين الرقيق .

(٤) الفلق: الصبح .

ويقول [في «ديوانه» من المتقارب] :

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعَرُوسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرِ

والطَّرِمَاحُ يَقُولُ فِي صِفَةِ فَرَسٍ لَهُ ذَيْلٌ^(١) [كما في «ديوانه» ٥٣٣ من الوافر]:

فَسَدُّ بِمَضْرَحِيَّيِ اللَّوْنِ جَنَلٍ خَوَايَةَ فَرْجٍ مِقْلَاتٍ دَهِينِ^(٢)

وكُلُّهُ مُشْكَلٌ ؛ لِأَنَّ الْمَحْمُودَ فِي الْخَيْلِ إِنَّمَا هُوَ أَنْ تَشْوَلَ الْمَحْمُودِ مِنَ الْخَيْلِ
بَأَذَانِهَا ، وَتُبَالِغَ فِي رَفْعِ رُؤُوسِهَا ، حَتَّى تُظَنَّ ثَلَاثَةً إِذَا أُعْتَرِضَتْ
بِالرَّاكِبِ ، كَمَا سَبَقَ فِي قَوْلِي عَنْ فَرَسِي ، وَكَمَا قَالَ بِشَّارٌ [في «ديوانه»
٢٤/٤ من الكامل] :

وَالْخَيْلُ شَائِلَةٌ تَشُقُّ عُبَابَهَا مِثْلَ الْعَقَارِبِ رَفَعَتْ أَذْنَابَهَا

وَكَمَا قَالَ النَّاطِمُ فِي غَارَتِهِ عَلَيْهِ [في «المكبري» ٩٩/٣ من الطويل] :

سَوَائِلَ تَشْوَالِ الْعَقَارِبِ بِالْقَنَا لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِمْ وَصَهِيلٌ

وقد سبقت العرب إلى ذلك ، فقال أحد بني تميم الله بن ثعلبة [في

«ديوان الحماسة» ٣٥/١ من الكامل] :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْخَيْلَ سُلْنَ عَلَيْكُمْ شَوْلَ الْمَخَاضِ أَبَتْ عَلَى الْمُتَغَبِّرِ^(٣)

(١) ذَيْلٌ : هُوَ الْفَرَسُ الطَّوِيلُ الْجِسْمِ الطَّوِيلُ الذَّيْلُ . فَإِنْ كَانَ قَصِيرَ الْجِسْمِ طَوِيلَ
الذَّيْلِ قِيلَ لَهُ : ذَائِلٌ ، أَوْ ذَيْلٌ الذَّنْبِ ، فَيَذْكُرُونَ الذَّنْبَ .

(٢) مَضْرَحِيَّيِ اللَّوْنِ : الْأَبْيَضُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . الْجَنَلُ : الْكَثِيرُ الشَّعْرِ ، الطَّوِيلُ
الْمَلْتَضُ . الْخَوَايَةُ : الْفَرْجَةُ بَيْنَ فَخْذِي النَّاقَةِ الَّتِي يَسُدُّهَا ذَنْبُهَا . الْمِقْلَاتُ :
النَّاقَةُ الَّتِي تَلِدُ وَاحِدًا ثُمَّ لَا تَحْمِلُ ؛ وَذَلِكَ أَقْوَى لَهَا . الدَّهِينُ : النَّاقَةُ الْقَلِيلَةُ
اللبن ؛ وَهِيَ أَقْوَى لَهَا أَيْضًا .

(٣) سُلْنَ عَلَيْكُمْ : مِنْ شَالَ الْفَرَسُ بِذَنْبِهِ يَشْوَلُ شَوْلًا ؛ أَي : رَفَعَهُ عِنْدَ الْجَرِيِّ . =

وقال غنيُّ بنُ مالكٍ [من الوافر] :

دَفَعْنَا الْخَيْلَ سَائِلَةً عَلَيْهِمْ وَقُلْنَا بِالضُّحَىٰ فَيَحَىٰ فَيَبَاحُ^(١)

وقال الحطيئة [في «ديوانه» ١٥٣ من الطويل] :

عَوَاسِرَ بَيْنَ الطَّلْحِ يَزْجُمْنَ بِالْقَنَا خُرُوجَ الطَّبَاءِ مِنْ حِرَاجِ قَطَانَ

إذ العواسيرُ هي التي ترفعُ أذنانها لقوتها ، شبه الخيلَ بالطباءِ الخوارجِ مِنَ الحِرَاجِ ، جمعُ حَرَجةٍ ؛ وهي ما التفتَ من الشجرِ ، وقَطَانَ : موضعٌ معروفٌ ، إلا أن يقالَ : إنَّ الأوَّلِينَ أرادوا وصفها قائمةً في مرابطها ، فقد يكونُ على شيءٍ فيه من البعدِ ، ثمَّ إنَّ قولَ التَّيْمِيِّ : (سَوَّلَ المَخَاضِ) ، وقولَ بشارِ ، والناظمِ : مثلَ العقاربِ . . لا يخلو مِنَ الملاحظةِ ؛ لأنَّ المحمودَ في الخيلِ إنما هو أن ترفعَ أذنانها ثم تردُّها إلى الوراءِ ، كهيئةِ الرسومِ الواقعةِ بالدنانيرِ^(٢) الإنكليزيةِ ، لا أن تبالغَ في رفعها إلى ما ذكره أولئك ، غيرَ أنَّه يمكنُ أن يردَّ إليه ما سبقَ عن الطَّرِمَّاحِ ، وعن أمرىءِ القيسِ ، ولا سيَّما ما كانَ في بيتهِ الثاني ؛ إذ لا يبعدُ أن يكونَ المرادُ : أنَّها تشوُّلُ بها ، ثمَّ تردُّها حتَّى تسدَّ به فروجها ، فيجتمعُ حيثدُ المدحُ بالطولِ والشولانِ .

= المَخَاضُ : النوقُ الحواملُ . الغبِرُ : البقيةُ مِنَ اللبنِ في الضَّرْعِ . والمعنى : لقد رأيتُكم منزهمين والخيلُ تعدو عليكم رافعةً أذنانها رفعَ النوقِ الحواملِ لها إذا طَلَبَ حلبٌ غيرَ لبنها .

(١) فيحَى فَيَبَاحُ : أنتشري وأتسعي أيُّها الغارةُ .

(٢) المراد الليرة الذهبية الإنكليزية المعروفة الآن .

ذَنْبٌ كَمَا سُحِبَ الرَّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ عُرْفٍ وَعُرْفٌ كَالْقِنَاعِ الْمُسْبَلِ
فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَصْفُهُ قَائِماً ، وَإِلَّا . . . كَانَ فِيهِ عَيْبٌ الْإِرْحَاءِ وَعَيْبُ
التَّخْرِيكِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُحْمَدُ مِنَ الْخَيْلِ ، وَإِنَّمَا يُحْمَدُ مِنَ الْإِبِلِ ، كَمَا
قال أبو نُوَاسٍ [في «ديوانه» ٢٩٧ من الكامل]:

تَنَبَّيَ عَلَى الْحَاذِينَ ذَا خُصَلٍ تَعْمَالُهُ الشَّدْرَانُ وَالْخَطَرُ (١)
أَمَّا إِذَا رَفَعْتَهُ شَامِذَةً فَتَقُولُ : رَنَقَ فَوْقَهَا نَسْرُ (٢)
أَمَّا إِذَا وَضَعْتَهُ خَافِضَةً فَتَقُولُ : أَرْحِي دُونَهَا سَنْرُ

والكلامُ في الخيلِ يطولُ ، وسنسيرُ عليه في الفُصُولِ ، كُلِّمَا
سَنَحَتْ فِرْصَةً . . . نَذَكُرُ مِنْهُ حِصَّةً ، وَهِيَ مِمَّا أُفْرِدَتْ بِالتَّالِيفِ
العديدة ، وَمِنْ أَشْهَرِهَا (الأَعْوَجِيَّةُ) مَنْسُوبَةٌ لِفَحْلِ كَرِيمٍ كَانَ
لِكِنْدَةَ ، ثُمَّ أَخَذَتْهُ سُلَيْمٌ ، ثُمَّ صَارَ لِبْنِي عَامِرٍ ، ثُمَّ لِبْنِي هَلَالٍ ، رُكِبَ
رَطْباً ، فَأَعْوَجَتْ أَرْسَاغُهُ ، قِيلَ لِصَاحِبِهِ : مَا رَأَيْتَ مِنْ شِدَّةِ عَدْوِهِ ؟
قال : عَطَشْتُ فِي الْفَلَاةِ ، وَلَا أَعْرِفُ مِنْهَلَاً ، فَمَا كَانَ بِأَسْرَعٍ مِنْ
سَرْبِ قَطَا وَارِدٍ ، فَأَجْرِيئُهُ فِي إِثْرِهِ ، فَوَافِينَا الْمَاءَ مَعاً ، وَكُنْتُ أَغْضُ
مِنْ عِنَانِهِ .

- (١) الحاذان - مثني الحاذي - : وهو ظاهرُ الفخذِ . ذَا خُصَلٍ : يريدُ به ذَنْبُ الناقةِ .
التَّعْمَالُ : الاضطرابُ . الشَّدْرَانُ : جمعُ الناقةِ قُطْرِيهَا وَرَفَعُهَا ذَنْبُهَا . الْخَطَرُ :
أَنْ تَضْرِبَ الناقةُ بِذَيْلِهَا يَمِيناً وَيساراً .
(٢) الشامذة : الناقةُ التي تشيلُ ذَنْبَهَا نشاطاً .

وفيه مبالغات ؛ لأنَّ القطا مِنْ أَشَدِّ الطيرِ طيراناً ، وإذا أرادَ
الماءَ . . أشتدَّ ، وما كفاهُ ذلكَ حتَّى قالَ : أغضُّ مِنْ لجامِهِ .

أول من ركب الخيل أول من ركب الخيل : إسماعيلُ - عليه السلامُ - وكانت قبلَ
ذلكَ وحشيَّةً ، كما سيأتي بيانهُ في غيرِ هذا المجلسِ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ

* * *

المجلس الخامس

[قال أبو الطيب المتنبي في «العكبري» ٢٩/٤ من الكامل]:

غُضِنُ عَلَى نَقْوَا فَلَآةٍ نَابِتُ شَمْسُ النَّهَارِ نُقْلٌ لَيْلًا مُظْلِمًا

يصفُ حبيبتَهُ فيقولُ : هي (غُضِنُ) يعني : قامتَهَا . (نَابِتُ) وصف المتنبى لحبيته على كَثيبي رَمَلٍ - يعني : رَدْفِهَا . ووجهُهَا شمسٌ تحملُ لَيْلًا مُظْلِمًا - يعني : فرعَهَا . و(نَقْوَا) - تثنيةُ نَقَا - وهو : الكَثيبُ مِنَ الرَّمَلِ . و(الفَلَآةُ) : المَفَازَةُ ، وتشبيهُ الكَفَلِ بالنَّقَا شائعٌ ذائعٌ مرميٌّ في مدارجِ الطَّرُقِ ، غيرَ أَنَّ التَّثْنِيَةَ قد تُخْرِجُهُ عَنِ الْإِبْتِدَالِ ، وَالْمَرْأَةُ لَهَا مَأْكُمَتَانِ ، فَشَبَّهَ كُلَّ وَاحِدَةٍ بِنَقَا مِنَ الرَّمَلِ نَابِتٌ عَلَيْهِمَا غُضِنُ الْقَامَةِ ، وَذَكَرُ الْفَلَآةِ مِنَ الْفُضُولِ ؛ إِذْ لَا مَعْنَى لَهُ غَيْرَ الْإِسْتِرْفَادِ ، مَا لَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ أَعْرَابِيَّةً ، فَيَكُونُ مِنْ بَيَانِ الْوَاقِعِ . وَقَوْلُهُ : (نَابِتُ) مِنْ الْحَشْوِ أَيْضًا ؛ إِذْ لَا يَزِيدُ شَيْئًا عَلَى قَوْلِهِ : (غُضِنُ عَلَى نَقْوَا) ، وَتَشْبِيهُ الْمَأْكَمِ بِكُثْبَانِ الرَّمَلِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَشْيُوعِ .

ومما جاء مُحْكَمًا فِيهِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ [في «ديوانه» ١٠٣/١ مِنَ الْبَسِيطِ] : تَشْبِيهُ الْمَأْكَمِ بِكُثْبَانِ الرَّمَلِ عِنْدَ الشَّعْرَاءِ كَمَ أَحْرَزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ - مُضَلَّتَهُ نَهْتَزُ - مِنْ قُضْبٍ نَهْتَزُ مِنْ كُثْبٍ (١)

(١) الْقُضْبُ - مفردُها قُضْبِيٌّ - : وهو السيفُ اللطيفُ القَطَاعُ . مُضَلَّتَهُ : مسلولَةٌ ؛ =

وقولُ البُحترِيِّ [في «ديوانه» ١٩٥٤/٣ من الكامل] :

أَيْنَ الْغَزَالِ الْمُسْتَعْبِرُ مِنَ النَّقَا كَفَلًا، وَمِنْ نَوْرِ الْأَقَاحِي مَبْسِمًا (١) ؟

ومرَّ كثيرٌ ممَّا يتَّصلُ بهِ في المجلسِ الثاني عندَ قوله [في «المكبري» ٢٩٧/١] : (بَانُوا بِخُرْعُوْبَةٍ لَهَا كَفَلٌ . . .) ، ولكنَّ الإِجَادَةَ كُلَّ الإِجَادَةِ ما فَعَلَ ذُو الرُّمَّةِ مِنْ عَكْسِهِ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ [في «ديوانه» ١١٣١/٢ مِنَ الطَّوِيلِ] :

وَرَمَلٍ كَأَوْرَاكِ الْعَذَارَى قَطَعْتُهُ وَقَدْ جَلَلْتُهُ الْمُظْلِمَاتُ الْحَنَادِسُ (٢)

وكذلك تشبيهُ الوجهِ بالشَّمْسِ والبدرِ ، والفرعِ بالليلِ (٣) ، فإنَّه ممَّا أَذَالَهُ الْإِبْتِدَالُ ، فَلَمْ يَعُدْ يَحْسُنُ إِلَّا مَعَ تَطْرِيفٍ يُغْرِبُهُ فَيَخْرِجُهُ عَنِ الْإِمْتِهَانِ ؛ كَقَوْلِ طَرْفَةَ [في «ديوانه» ١١٢ مِنَ الطَّوِيلِ] :

وَوَجْهٌ كَانَ الشَّمْسَ حَلَّتْ رِدَاءَهَا عَلَيْهِ نَقِيَّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَّخِذْ (٤)

وقولِ قيسِ [مِنَ الْكَامِلِ] :

لَوْ أَنَّ لَيْلَى حَاكَمَتْ شَمْسَ الصُّحَى فِي الْحُسْنِ عِنْدَ مُوقِفِي . . . لَقَضَى لَهَا

وقولِ البُحترِيِّ [في «ديوانه» ٢٤١٠/٤ مِنَ الْبَسِيطِ] :

فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ شَيْءٌ مِنْ مَلَاخَتِهَا وَلِلْقَضِيْبِ نَصِيْبٌ مِنْ تَشْبِيْهَا

= والمعنى : أَنَّ تَلَكَ السُّيُوفَ الْهِنْدِيَّةَ إِذَا أَهْتَرَتْ . . . سَبَبَتْ الذَّرَارِي ، وَأَحْرَزَتْ

النِّسَاءَ اللَّاتِي تَهْتَرُ كَالْقَضِيْبَانِ فِي كُتْبَانِ الرَّمْلِ .

(١) النقا : الرمل . والأقاحي - جمع أفرحان - : وهو نبتٌ طيبُ الريح ، حواليه

ورق أبيض ، ووسطه أصفر ، وهو البابونج .

(٢) الحنادسُ : ثلاثُ ليالٍ مِنَ الشَّهْرِ لَطَلَمْتَهُنَّ .

(٣) الفرعُ : الشَّعْرُ .

(٤) الوجهُ المتخدُّدُ : المتجعَّدُ .

وقول الآخر [من الطويل] :

تراءى ومِراة السماءِ صقيلةً فأثرَ فيها وجهه صُورةَ البدرِ

وقول بعض قدماء المولدين^(١) [من البسيط] :

قد قلت للبدرِ وأستعبرتُ حينَ بدا ما فيكَ يا بدرُ لي من وجهها خلفُ
تُبدي لنا كلِّما شئتَا محاسنها وأنتَ تنقصُ أحياناً وتنخسفُ

وقول حبيب [في «ديوانه» من الطويل] :

فردتْ علينا الشمسُ والليلُ مظلمٌ بشمسٍ لهم من جانبِ الخدرِ تطلعُ
فوالله ما أدري أحلامُ نائمٍ ألمت بنا، أم كان في الركبِ يوشع^(٢)

وإلى مثله يشيرُ أبو العلاء في قوله [من الوافر] :

ويوشعُ ردُّ يوماً بعضَ يومٍ وأنتَ متى سَفرتَ رددتَ يوحا^(٣)
وما أحسنَ قوله [من الطويل] :

وقد حلفتُ أن تسألَ الشمسَ حاجةً وإن سألتك اليُسْرَ برتَ يمينها

(١) المولدين : المحدثين ، والمولّد لغة : المحدث من كلِّ شيء ، وأصطلاحاً : هو العربيُّ غيرَ المحض ، وُلدَ عند العربِ ، ونشأ مع أولادِهِم ، وتأدّبَ بأدابِهِم ، فهو مولّدٌ وليسَ بعربيٍّ صريحٍ .

(٢) والمعنى : شبّة سفورَ محبوبتيه ليلاً كأنها شمسُ النهارِ عادت ليلاً ، ثم يستغربُ ويشكُّك فيما رأى فيظنُّه تارةً حُلماً وتارةً يظنُّ أنَّ يوشعَ بنَ نونٍ مع الركبِ ، حيثُ إنَّ يوشعَ استوقفَ الشمسَ عندما كان يقاتلُ الجبارينَ يومَ الجُمعةِ ، فلما أدبرتِ الشمسُ . . . خاف أن تغيبَ قبلَ أن يفرغَ من القتالِ ويدخلَ السبتُ ، فلا يحلُّ له القتالُ ، فدعا الله فردّ له الشمسَ حتّى فرغَ من قتالِهِم .

(٣) سفرت : برزت من غيرِ حجابٍ . يوحا : أسمٌ من أسماءِ الشمسِ .

وقوله [في « سقط الزند » ١٦١ من البسيط] :

أَرَى جَبِينَكَ هَذَا الشَّمْسُ خَالَفَهَا وَقَدْ أَنْارَتْ بِنُورٍ عَنْهُ مُنْعَكِسِ

وقول بديع الزمان [في « ديوانه » ٣٤ من البسيط] :

يَكَادُ يَخْبِكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَلَقَ الْمُحْيَا يُنْطِرُ الدَّهْبَا
وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخُنْ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَاللَّيْتُ لَوْ لَمْ يُصَدِّ وَالْبَحْرُ لَوْ عَدَبَا

وقول ابن المعتز [في « ديوانه » ١٥١/٢ من الطويل] :

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرَهَا شَبِيهَةً خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ
فَأَمْسَيْتُ فِي لَيْلَيْنِ فِي الشَّعْرِ وَالذُّجَى وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَمْرِ وَخَدِّ حَيْبِ

ويروى [كما في « الأغاني » ١٧٤/١٤] : أَنَّ شَيْخًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ قَامَ فِي
مَجْلِسِ الرَّشِيدِ لِلْمِظَالِمِ بِرُقْعَةٍ ، فَأَمَرَ بِأَخْذِهَا ، فَقَالَ الشَّيْخُ : إِنْ
رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يَأْذَنَ لِي بِقِرَاءَتِهَا ؛ فَإِنِّي أَعْرِفُ بِخَطِّي ، قَالَ :
أَقْرَأ ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً [مِنْ الْكَامِلِ] مِنْهَا :

الرشيد وعلي بن
الخليل

لَمَّا رَأَيْتَكَ الشَّمْسُ طَالِعَةً سَجَدْتُ لَوَجْهِكَ طَلَعَةَ الشَّمْسِ
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَنْتَ كُلُّهُمْ فِي يَوْمِكَ الْغَادِي وَفِي أَمْسِ
لِلَّهِ يَا هَارُونَ مِنْ مَلِكِ عَفَّ السَّرِيرَةَ طَاهِرِ النَّفْسِ

حَتَّى أَتَى عَلِيٌّ آخِرَهَا . قَالَ الرَّشِيدُ : مَنْ الشَّيْخُ؟ قَالَ : عَلِيُّ بْنُ
الْخَلِيلِ ، الَّذِي يُقَالُ إِنَّهُ زَنْدِيقٌ ، قَالَ : أَنْتَ أَمِنْ ، وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِ
مِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ (١) .

(١) وجاء في « الأغاني » : أَنَّهُ أَعْطَاهُ خَمْسَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

وما أكثرَ في «ديوانِ النَّاطِمِ» مِنْ أَسْتَعَارَةِ الشَّمْسِ بِتَنْكِيتِ^(١) المتبني وإغرابه في
التشبيه تارة ، وبدونه أخرى .

مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ [في «المكبري» ١٢٣/٢ مِنْ الطَّوِيلِ] :

رَأَتْ وَجَهَ مَنْ أَهْوَى بِلَيْلٍ عَوَاذِلِي فَقُلْنَ : نَرَى شَمْسًا وَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ

وقولُهُ [في «المكبري» ٣١/١ مِنْ الْكَامِلِ] :

لَمْ تَلْقَ هَذَا أَلْوَجَهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بِوَجْهِ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءُ

وقولُهُ [في «المكبري» ١٣٠/١ مِنْ الْكَامِلِ] :

كَالشَّمْسِ فِي كِبِدِ السَّمَاءِ وَضَوْوِهَا يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

وقولُهُ [في «المكبري» ٨٢/٤ مِنْ الطَّوِيلِ] :

بَفَرْعِ يُرَيْكَ اللَّيْلَ وَالصُّبْحُ بَيْرُ وَوَجْهِ يُعْبِدُ الصُّبْحَ وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ^(٢)

وقولُهُ [في «المكبري» ١١٣/١ مِنْ الْبَسِيطِ] :

بِيَاضُ وَجْهِ يُرَيْكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً وَدُرُّ لَفْظِ يُرَيْكَ الْدُرُّ مَخْشَلَبًا^(٣)

وقولُهُ [في «المكبري» ٨١/٢ مِنْ الْبَسِيطِ] :

شَمْسٌ إِذَا الشَّمْسُ لَاقَتْهُ عَلَى فَرْسٍ تَرَدَّدَ الثُّورُ فِيهَا مِنْ تَرَدُّدِهِ

(١) النكتة : المسألة العلمية الدقيقة ، يتوصل إليها بدقة وإنعام فكر .

(٢) الباء في قوله : (بفَرْع) متعلقة بمحذوف تقديره : تقبل .

والمعنى : قد جُمِعَتْ فِيهَا الْأَضْدَادُ ، فَهِيَ تَجْمَعُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، تُرَيْكَ
النَّهَارَ لَيْلًا بِشَعْرَهَا ، وَاللَّيْلَ نَهَارًا بِوَجْهِهَا .

(٣) الْمَخْشَلَبُ وَالْمَخْشَلَبُ : لُغْتَانِ ، وَليستا عربيَّتين ، وَإِنَّمَا هُمَا لُغْتَانِ لِلنَّبْطِ ،
وهو : خَرَزٌ مِنْ حِجَارَةِ الْبَحْرِ ، وَليْسَ بَدْرٌ .

وقوله [في «المكبري» ٩٩/٢٠ من البسيط] :

تَكَسَّبُ الشَّمْسُ مِنْكَ التُّورَ طَالِعَةً كَمَا تَكَسَّبَ مِنْهَا نُورُهُ الْقَمَرُ

وقوله [في «المكبري» ١١٠/٢٠ من الوافر] :

كَأَنَّ شِعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ فَنِي أَبْصَارِنَا عَنْهُ أَنْكَسَارُ

وقوله [في «المكبري» ٤/٤٤ من الطويل] :

فَلَا زَالَتِ الشَّمْسُ الَّتِي فِي سَمَائِهِ مُطَالِعَةً الشَّمْسِ الَّتِي فِي لِنَائِهِ
وَلَا زَالَ تَجْتَازُ الْبُدُورَ بِوَجْهِهِ تَعَجُّبٌ مِنْ نُقْصَانِهَا وَتَمَامِهِ

وأفضل ما في الموضوع : ما أخرجه الحاكم [في «المستدرک»

وصف السيدة فاطمة
الزهراء

[١٧٦/٣] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : سَأَلْتُ أُمِّي عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : كَانَتْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، أَوِ الشَّمْسِ إِذَا خَرَجَتْ
مِنَ السَّحَابِ ؛ بِيضَاءَ مَشْرَبَةٍ حُمْرَةً ، لَهَا شَعْرٌ أَسْوَدٌ ، مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ
شَبْهًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، هِيَ - وَاللَّهِ - كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ [مِنَ الْكَامِلِ] :

بِيضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ شَعْرَهَا وَتَغِيْبُ فِيهِ وَهوَ جَنَلٌ أَسْحَمُ^(١)
فَكَانَهَا فِيهِ نَهَارٌ مُشْرِقٌ وَكَانَهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ

وقال كعب بن زهير يمدح سيّد المرسلين ﷺ [من البسيط] :

وصف سيد الأنام ﷺ

تَجْرِي بِهِ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبَدْرِ جَلِي لَيْلَةَ الظُّلَمِ^(٢)

وهو تشبيه بليغ مع وجود الأداة ، وعدم الإغراب ، وقلة
الكلمات ، وما وقع من القبول بما هو عليه إلا من حيث إنه صادق

(١) الجنل : الكثير الملتفت . أسحم : أسود .

(٢) الأدماء : السوداء .

محله ، وكان قبل ابتدال المعنى إلى جزالة تركيب ، وفخامة لفظ ،
وتناسق سبك ، واتفاق جناس ، وسلاسة تعبير ، ولا كذلك بيت
النَّاطِمِ الَّذِي نتكلم فيه ؛ لخلوه من الإغراب الذي لا يزال يتصيدُه ،
وبيت كعب هذا أحد بيتين أجمع أهل العلم بالصناعة على
تقديمهما ، وقد شطرتُهما بما أمتزج بهما أمتزاج الماء بالراح ،
وأختلط بهما اختلاط الأجسام بالأرواح ، فقلت [من البسيط] :

تشطير المؤلف لقصيدة
كعب بن زهير

تَجْرِي بِهِ النَّاقَةُ الْأَذْمَاءُ مُعْتَجِرًا فِي الْغَزْوِ مَخْضُوبَةٌ أَخْفَافُهَا بِدَمٍ
وَالْيَوْمُ بِالنَّقْعِ لَيْلٌ وَهُوَ مُشْحٍ بِالْبُرْدِ كَالْبُدْرِ جَلَى لَيْلَةَ الظُّلَمِ
وَفِي عَطَافِهِ أَوْ أُنْأَاءِ رِنَطِهِ جَلَالَةُ الْوُحْيِ فِي مُسْتَحْسَنِ الشُّبَمِ (١)
وَيَسِّنَ جَنِيهِ قَلْبٌ مِلءٌ حَبِيهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمِنْ كَرَمِ

وقد ألمَّ النَّاطِمُ بِالْأَخِيرِ فِي قَوْلِهِ [في «المكبري» ١/ ٣٤٠ من الكامل] :
يَفْنَى الْكَلَامُ وَلَا يُحِينُ بِوَضْفِكُمْ التوغل والاستغراق في
المديح عند المتنبّي

أَيُحِينُ مَا يَفْنَى بِمَا لَا يَنْفَدُ ؟ !

وقوله [في «المكبري» ١/ ٣٥٢ من البسيط] :

لَمْ أُجِرْ غَايَةَ فِكْرِي مِنْكَ فِي صِفَةٍ إِلَّا وَجَدْتُ مَدَاهَا غَايَةَ الْأَبْدِ

وقوله [في «المكبري» ١/ ٣٣٣ من الكامل] :

وَتَحَيَّرْتُ فِيهِ الْأَصْفَاتُ لِأَنَّهَا أَلْفَتْ طَرَائِقَهُ عَلَيْهَا تَبَعُدُ

وقوله [في «المكبري» ٢/ ٢٨٧ من الطويل] :

وَمَا حَارَتْ الْأَفْهَامُ فِي عَظَمِ شَأْنِهِ بِأَكْثَرِ مِمَّا حَارَ فِي حُسْنِهِ الطَّرْفُ

(١) الرّيطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين .

وقوله - وقد أساء الأدب - [في «المكبري» ٤/ ٢٠١ من الكامل] :

تَنْقَاصُ الْأَفْهَامِ عَنِ إِذْرَاكِهِ مِثْلُ الَّذِي الْأَفْلَاكُ فِيهِ وَالذَّنَا^(١)

وقال بعضهم [من الكوافر] :

مُرَامٌ شَطٌّ مَرَمَى الْوَضْفِ فِيهِ فَدُونَ مَدَاهُ يَبْدُ لَا تَبِيدُ^(٢)

وقال أبو هانئ [في «ديوانه» ٩١ من البسيط] :

أَتَبَعْتُهُ فِكْرَتِي حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ غَايَاتِهَا بَيْنَ تَصْوِيبٍ وَتَضْعِيدٍ
أَبْصَرْتُ مَوْضِعَ بُرْهَانٍ يَلُوحُ وَمَا أَبْصَرْتُ مَوْضِعَ تَكْيِيفٍ وَتَخْدِيدٍ

وما أليقَ هذا بالجنابِ الأقدسِ ، غيرَ أنَّ هؤلَاءِ لَا يوزَعُونَ^(٣)
عَنِ الْغُلُوفِ فِي الْمَخْلُوقِينَ .

وقال العجاجُ فيما يُشبهه قولُ كعبِ [في «ديوانه» ٣٩٧ من الرجز] :

يَخْمِلْنَ كُلَّ سُودِدٍ وَفَخِرٍ يَخْمِلْنَ مَا نَدْرِي وَمَا لَا نَدْرِي

قال الأصمعي - وأصله قولُ الحارثِ بنِ حِلْزَةَ - [من الخفيف] :

وَفَعَلْنَا كَمَا عَلَّمَ اللَّهُ وَمَا إِنَّا لِلْخَائِنِينَ ذَمَاءُ^(٤)

وقالت الخنساءُ [في «ديوانها» ٢٩ من الطويل] :

أَلَا نَكَلْتُ أُمَّ الَّذِينَ مَضَوْا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ مَاذَا يَخْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ ۱٩

(١) مثلُ : الروايةُ الصحيحةُ بالرفعِ ، ويكونُ على تقديرٍ : هوَ مثلُ ؛ يعني : أنَّ

الأفهامُ تنقاصُ عن هذا الممدوحِ في معرفة حقيقتهِ ، فهو مثلُ علمِ الله تعالى .

(٢) مُرَامٌ : مقصودٌ .

(٣) لا يوزعونَ : لا يرتدونَ .

(٤) الذمَاءُ : بقيَّةُ الروحِ في المذبوحِ ، أو قوَّةُ قلبه .

وفي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ مِنْهُ الْكَثِيرُ الطَّيِّبُ ، كَقَوْلِهِ جَلَّ أَسْمُهُ :
﴿ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [طه : ٧٨] ، وقوله : ﴿ إِذْ يَفْشَى السَّيْدَرَةَ مَا
يَفْشَى ﴾ [النجم : ١٦] ، وقوله : ﴿ وَقَعَلَتْ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنْ
الْكَافِرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٩] .

وَأْتَفَقَ أَنْ حَضَرْنَا مَجْلِساً جَرَى فِيهِ ذِكْرُ قَوْلِ الْبُوصَيْرِيِّ [في « بردته » المؤلف ومفاضلته بين
بيت للبوصيري وبيت
لابن الفارض في أحد
المجالس
١٦ مِنَ الْبَسِيطِ] :

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
فقلتُ : ما زالت الأدباءُ تفاضلُ بينهُ وبينَ قولِ ابنِ الفارضِ [في
« ديوانه » ١٥٤ من الكامل] :

وَعَلَى تَقْنِنٍ وَاصِفِيهِ بِوَضْفِهِ يَفْنَى الزَّمَانُ وَفِيهِ مَا لَمْ يُوصَفِ
ومنهم من يرجحُ الأوَّلَ ؛ لاقتضائه أنَّ العلمَ لا يصلُ كُنْهَ صِفَتِهِ
عليه السَّلَامُ ؛ إذ صارَ كأنَّهُ استجمعَ فضيلةَ كلِّ فاضلٍ ، وزادَ .
والحالُ : أنَّ ذِكْرَ فضلِ سائرِ الفضلاءِ بلبه الزيادةِ عليه لا يُحصيُ
في أزمنةٍ ، فضلاً عنِ الزَّمانِ الواحدِ ، فالأمرُ أكثرُ من قولِ النَّاطِمِ [في
« العُكْبَرِيِّ » ٢٦٧/٢ من الكامل] :

لَوْ نِيَطَتْ الدُّنْيَا بِأُخْرَى مِثْلِهَا لَعَمَمْنَهَا وَخَشِينَ أَنْ لَا تَقْنَعَا^(١)

ويحكونَ فيه مناماً ، حاصلُهُ : أنَّ البوصيريَّ وقفَ بعدَ الشَّطرِ إتمامه ﷺ بيتاً لابن
الْفَارُضِ فِي الْمَنَامِ ، ولم يدرِ ما يقولُ ، فرأى النَّبِيَّ ﷺ يُتَمُّهُ لَهُ كَمَا
هُوَ ، ولكنَّ بيتَ ابنِ الفارضِ أفخمُ ، وأملأُ للضمِّ ، وأرقُّ ديباجةً ،

(١) لَعَمَمْنَهَا : أي هَمَّتْكَ وعزمتُكَ وسعةُ صدركَ .

وَأَلْطَفُ حَاشِيَةً ، وَأَجْمَلُ سَبْكَاً ، وَلَا سِيَّماً مِنْ شَطْرِ بَيْتِ الْبُوصَيْرِيِّ
 الْأَخِيرِ ، عَلَى أَنَّ (أَل) فِي الْمَفْرَدِ مِنْ صَيْغِ الْعَمُومِ ، فَيَسَاوِي بَيْتَ
 الْبُوصَيْرِيِّ حَيْثُذِي فِي الْمَعْنَى ، وَيَبْقَى لَهُ الْكُتْرُودُ بِفَصَاحَةِ الْأَلْفَاظِ ،
 وَهِيَ الَّتِي لَا تَتَفَاوَتْ الدَّرَجَاتُ وَتَتَمَايَزُ الْمَقَادِيرُ إِلَّا بِهَا .

المعاني موجودة حتى
 عند العامة ولكن
 الفضل في نظمها

أَمَّا الْمَعَانِي : فَقَدْ تَجَدَّدَ فِي كَلَامِ الْعَامَّةِ مَا لَا تَجَدُّ مِثْلَهُ مِنْهَا فِي
 أَشْعَارِ الْفُحُولِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ أَبُو تَمَّامٍ : لَمَّا نَظَّمْتُ قَصِيدَتِي الْمُسْتَهْلَةَ
 بِقَوْلِي [فِي «دِيوانه» ١٤٨/١ - ١٤٩ مِنْ الطُّوِيلِ] : (عَلَيَّ مِثْلَهَا مِنْ أَرْبَعِ
 وَمَلَايِبِ) ، وَوَصَلْتُ إِلَيَّ قَوْلِي مِنْهَا :

يَرَى أَقْبَحَ الْأَشْيَاءِ أَوْبَةَ أَمِيلٍ كَسَتْهُ يَدُ الْمَأْمُولِ حُلَّةَ خَائِبِ

(وَأَحْسَنُ مِنْ نُورٍ يُفْتَحُهُ الصَّبَا) . . تَبَلَّدَتْ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى شَيْءٍ ،
 حَتَّى قَامَ سَائِلٌ بِالْبَابِ يَقُولُ : مِنْ بِيَاضِ عَطَايَاكُمْ فِي سَوَادِ مَطَالِنَا ،
 فَاتَمَمْتُ الْبَيْتَ هَكَذَا : (بِيَاضُ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ) .

عَلَى أَنَّ الشَّيْخَ أَبْنَ الْفَارِضِ لَمَّا فَتَحَ عَلَيْهِ بِالْبَيْتِ الْمَذْكُورِ . .
 رَقَصَ طَوِيلًا ، وَتَوَاجَدَ وَجَدًّا عَظِيمًا ، وَتَحَدَّرَ مِنْهُ عَرَقٌ كَثِيرٌ ، حَتَّى
 سَالَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، وَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ ، وَأَضْطَرَبَ كَمَا يَضْطَرِبُ
 الْعَصْفُورُ ، قَالَ وَلَدُهُ : ثُمَّ سَكَنَ حَالُهُ ، وَسَجَدَ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَقَالَ :
 فُتِحَ عَلَيَّ بِمَعْنَى لَمْ يَفْتَحْ عَلَيَّ بِمِثْلِهِ ، وَأَنْشَدَ الْبَيْتَ . . . هَذَا مَا قَلْتُهُ
 بِمَعْنَاهُ إِنْ تَعَدَّرَ لَفْظُهُ .

وَفِي الْمَجْلِسِ بَعْضُ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ فَأَعَادَ بَعْضَ كَلَامِي عَنْ بَيْتِ
 الْبُوصَيْرِيِّ بِعِبَارَةٍ عَامِيَّةٍ مُبْتَدَلَةٍ ، وَقَضَى لَهُ ، وَقَالَ : كَيْفَ لَا يَكُونُ
 أَبْلَغَ مِنْ بَيْتِ أَبْنِ الْفَارِضِ ، وَقَدْ أَمْلَأَهُ عَلَيْهِ سَيِّدُ الْبَشَرِ؟! قُلْتُ لَهُ :
 ذَلِكَ أَدْنَى لِتَفْضِيلِ بَيْتِ أَبْنِ الْفَارِضِ عَلَيْهِ ؛ فَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَقُولُ :

اعتراض بعض
 الحاضرين على
 المؤلف ورد المؤلف
 عليه

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ [يس : ٦٩] .

وَمِنْ هُنَا نَجِدُ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ أَمْلَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
ضِعْفًا يَزِيدُنَا إِيمَانًا وَطَمَآنِينَةً بِصِدْقِ رِسَالَتِهِ ، وَحَقِيقَةِ وَحْيِهِ ، فَانْقَطَعَ
الرَّجُلُ عَنِ الْحِجَّةِ غَيْرَ أَنَّهُ لَجَّ فِي الْمَكَابِرِ ، وَأَبَى لَهُ أَصْحَابُهُ إِلَّا
الْغَلَبَ ، وَإِلَى النَّاطِرِينَ الْحُكْمَ فِيمَا شَجَرَ ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ نَظَرَ بَعِينِ
الْمَعْدَلَةِ ، وَتَكَلَّمَ بِلِسَانِ الْإِنصَافِ .

ثُمَّ ذَكَرْتُ : أَنَّ الْأَخْطَلَ كَمَا فِي « مَعَاهِدِ التَّنصِيصِ » يَقُولُ لِمَنْ

الطُّولِ] :

رَأَيْنَا بِيَاضًا فِي سَوَادٍ كَأَنَّهُ بِيَاضُ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ
فَغَلَبَ عَلَيَّ الظَّنُّ أَنَّ الطَّائِيَّ^(١) إِنَّمَا أَنْتَحَلَ حَدِيثَ السَّائِلِ لِيَوَارِي
مِنْ سَوَاتِهِ ، وَيُعَقِّي عَلَيَّ سِرْقَتِهِ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ

* * *

(١) هو الشاعر المعروف ، أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي .

[قال أبو الطيب المتنبي في «المكبري» ٢٩/٤ من الكامل] :

لَمْ تَجْمَعِ الْأَضْدَادَ فِي مُتَشَابِهِ إِلَّا لِتَجْعَلَنِي لِعُرْمِي مَغْنَمًا

يقول : إِنَّ مَا لَزِمَهُ مِنْ عَشْقِ الْحَبِيبَةِ بِمِثَابَةِ الدِّينِ الثَّابِتِ ، وَهِيَ
لم تجمع الأوصاف الضدية في شخصها المتمثل حسناً إلا لتجعلني
غنيمة للمغرم الذي لزميني من هواها .

تشبيه المتنبي ما يلزم
من العشق بالدين

قَالَ الشَّارِحُ : أَي لِتَسْتَعْبِدَنِي وَتَرْتَهَنَ قَلْبِي ، وَأَقُولُ : إِنَّ
الْأَوْلَى : لِتَقْتُلَنِي إِذَا غَلِقَ رَهْنُ قَلْبِي بِمَا فِيهِ ؛ لِأَنَّهُ الْأَقْرَبُ الْمَتَبَادِرُ
مِنْ لَفْظِ الْبَيْتِ .

شرح البيت

و(أَنْ) فِي الْأَضْدَادِ لِلْعَهْدِ الْمَذْكُورِ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ مِنَ الْهَيْفِ فِي
الْقَدِّ ، وَالضَّخَامَةِ فِي الْكِفْلِ ، وَالضِّيَاءِ فِي الْوَجْهِ ، وَالظَّلَامِ فِي
الْفِرْعِ .

والتشابه ؛ وهو : التساوي ، وقد يراد به الرمزي للالتباس ،
ومنه قوله تعالى : ﴿ تَشَبَّهتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة : ١١٨] ، وقوله جل ذكره
عن بني إسرائيل : ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَّهَ عَلَيْنَا ﴾ [البقرة : ٧٠] وقوله تقدست
أسماءه : ﴿ مُشْتَبِهًا وَفَيْرَ مُتَشَبِّهًا ﴾ [الأنعام : ٩٩] ، ويدخل في التشابه
التشبيه المعكوس ، وهو : أَنْ يُشَبَّهَ كُلُّ مِنَ الشَّيْئِينَ بِالْآخَرِ ، كقول
الصَّاحِبِ [في «ديوانه» ١٧٦ من الكامل] :

معنى التشابه

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَاقَتِ الْخَمْرُ فَتَشَابَهَا وَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدْحٌ وَكَأَنَّمَا قَدْحٌ وَلَا خَمْرٌ

والمراد من التشابه هنا - كما أسلفنا الإشارة إليه - : التساوي
 في الحُسن والجمال والتناسب فيه ؛ إذ لكل عضوٍ من الأعضاء
 جمالٌ يخصُّه حسبما هو مشروحٌ في مواضعه ، ولكنها لا تغلو
 قيمة ذلك الجمال في العضو إلا إذا ناسبته الأعضاء بأسرها ،
 وذلك هو الجمال المتناصف الممدوح ، بخلاف المتفاوت ، فإنه
 مذموم ؛ ولذا قال جلُّ شأنه :

﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ ﴾ [الملك : ٣] .

ولقد ذكّر عن بعض العرب^(١) : أَنَّهُ خَرَجَ يَمْتَارُ^(٢) لِأَهْلِهِ عَلَى
 حَمَارِينَ ، فَرَأَىٰ أَمْرًا مَبْرَقَةً أَسْتَهْوَتْهُ بَعِينِيهَا النَّجْلَاوِينَ ، فَتَدَلَّه ،
 وَوَلَّهَهُ حَسْنُهَا ، حَتَّىٰ أَنْفَلَتْ عَلَيْهِ الْحَمَارَانِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ ، فَلَمَّا
 سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا . . رَأَاهَا فَوْهَاءَ لَا يَتَنَاسَبُ سِحْرُ عَيْنِيهَا بِسَعَةِ
 فِيهَا ، فَأَفَاقَ مِنْ غَشِيَتِهِ وَأَتَبَهُ مِنْ حَيْرَتِهِ ، وَقَالَ : ذَكَرَنِي فَوْهَا . .
 حَمَارِي أَهْلِي ، وَقَالَ [مِنَ الْكَامِلِ] :

لَيْتَ النَّقَابَ عَلَىٰ النِّسَاءِ مُحَرَّمٌ كَيْ لَا تَغُرَّ قَبِيحَةَ إِنْسَانَا

ولو كانت تلك السعة في غير ذلك الوجه المفرط الجمال . .
 لاحتملت ، ولم تشنه إلى تلك الغاية .

وقد أشكل على بعضهم معابة سعة الفم ، مع ما جاء في
 وصفه ﷺ بأنه كَانَ وَاسِعَ الْفَمِ ، يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتَمُهُ بِأَشْدَاقِهِ ،
 والجواب : أَنَّ سَعَتَهُ مِنَ الرُّجَالِ مَمْدُوحَةٌ ؛ لدلالاتها على اللِّسَنِ
 في سعة الفم ممدوحة في الرجال لا النساء

(١) الخبر في « مجمع الأمثال » (٢٧٥ / ١) .

(٢) يمتار : يشتري الطعام .

وجهارة الصَّوتِ ، بخلافها في النِّساءِ ، فإنَّها مذمومةٌ ؛ لأنَّها تدلُّ على سعةٍ أُخرى لا تُحمدُ^(١) .

الجمال يكون بسواد أربعة
ثمَّ إنَّ جمالَ المرأةِ بسوادٍ أربعةٍ ، هي : شعرُ الرَّأسِ ،
والحاجبينِ ، والأشْفارِ ، والحدقتينِ .

وبياض أربعة
وبياضٍ أربعةٍ ، هي : اللُّونُ ، وبياضُ العينينِ ، والثُّغْرِ ،
والظُّفْرِ .

وحمرة أربعة
وحُمْرةٌ أربعةٍ ، هي : ألوججتانِ ، والشفتانِ ، واللثةُ ،
واللسانُ .

وكبر أربعة
وكِبَرٌ أربعةٍ ، هي : الشَّديانِ ، والركبتانِ ، والعجيزةُ ،
والرَّكْبُ .

وصغر أربعة
وصِغَرٌ أربعةٍ ، هي : الأذنانِ ، وأليدانِ ، والرَّجْلانِ ، وألفمُ .
وسعة أربعة
وسعةٌ أربعةٍ ، هي : الكجيبُ ، والعينانِ ، والشَّرةُ ، وأصولُ
الشَّديينِ .

وضيق أربعة
وضيقٌ أربعةٍ ، وهي : المِنْخرانِ ، والأذنانِ ، وألْخَصْرُ ،
والفرجُ .

ولكلِّ واحدٍ ما يخصُّهُ من كلامِ العربِ ، ولا بدَّ من الإلمامِ بهِ
مجموعاً في غيرِ هذا المجلسِ .

المراد من حمرة الشفة
وليسَ المرادُ بحُمْرةِ الشِّفَةِ حقيقةَ الحُمْرةِ ، إنَّما المرادُ :
السُّمْرَةُ ؛ لأنَّها المحمودَةُ في الشِّفاهِ ، ويقالُ لها : اللَّعْسُ ، كما في
قولِ النَّاطِمِ [في «المكبري» ١٨٧/٢ من ألبسيط] :

(١) كبداء الألفاظ واستطالنها .

صَرِنَعَ مُفْلِتَهَا سَأَلَ دِمْتِيهَا قَتِيلَ تَكْسِيرِ ذَاكَ الْجَفْنِ وَاللَّعْسِ (١)

وقال أحيحة بن الجلاح [من الوافر] :

وَلَا عَيْنِي عَلَى الْأَنْمَاطِ لُعْسٌ عَلَى أَفْوَاهِهِنَّ الزَّنَجِيلُ (٢)

وقال ذو الرمة [في ديوانه] ٣٢/١ من البسيط :

لَمَيَاءُ فِي شَفْتَيْهَا حُوَّةٌ لُعْسٌ وَفِي اللَّثَاتِ وَفِي أُنْيَابِهَا شَنْبُ (٣)

واللَّمْيُ والحُوَّةُ واللُّعْسُ شيءٌ واحدٌ ، وهو : الحمرة في

الشفة .

وقال بعضهم : إنَّ تساوي الأعضاء وتشابهها في الجمال هو الملاحه والخلاف فيها

الملاحه .

وقال آخرون : إنَّما الملاحه أثر ذلك التَّنَاسِبِ لآ نَفْسُهُ ، فهِيَ

فِيهِ : إِمَّا حَقِيقَةٌ ، وَإِمَّا مَجَازٌ .

ويتحصّل منه : أَنَّ كُلَّ مَلِيحٍ جَمِيلٌ ، وَلَا عَكْسَ .

وقيل : إنَّ الجميل الذي يأخذ ببصرِكَ على البعدِ ، والمليح : الفرق بين المليح

والجميل والخلاف فيه

الذي يأخذ بقلبك على القربِ .

وقيل : إنَّ الجميلة التي تعجبك بعيدةً ، فإذا دنث . . لم تكن

عندَ ذاك ، والمليحة : التي تأخذ بمجامعِ القلوبِ على الحالين ،

وفي القربِ أكثرُ .

(١) الدِمنَةُ : آثار الديار .

(٢) الأنمَاط - جمع نَمَط - وهو ضربٌ مِنَ البُسُطِ ، لَهُ خَمَلٌ رَقِيقٌ .

(٣) الشَّنْبُ : هو بردٌ وعدوبَةٌ في الأَسنانِ ، وقيل : تحديدهُ الأُنْيَابِ ودَقَّتْهَا ، والأوَّلُ

أَجوَدُ .

مواضع الحُسن وقال قومٌ : الحسنُ في الوجهِ صِباحَةٌ ، وفي البَشرةِ وَضاءَةٌ ،
وفي الأنفِ جمالٌ ، وفي العينينِ حلاوةٌ ، وفي الفمِ مَلاحَةٌ ، وفي
اللِّسانِ ظَرَفٌ ، وفي القَدْرِ شاقَةٌ ، وفي الشَّمائلِ لباقةٌ .
وقد يتوسَّعونَ في إطلاقِ بعضها على بعضٍ .

الجمال عند العرب وقال آخرون : الجمالُ عندَ العربِ في اعتدالِ القامةِ ، وطولِ
الجبِّ ، وبروزِ النَّهْدِ ، وذبولِ العيونِ الشُّودِ ، وأحمرارِ الخدودِ ،
وأبيضاضِ الصُّدورِ ، وثِقَلِ الرِّوادِفِ ، ونحولِ الخصورِ .

الحُسن عند علي بن عبيد وقال عليُّ بنُ عبيدِ الرِّيحانيِّ : الحُسنُ تناسُبُ الصُّورةِ ، وزينتهُ
اعتدالُ الحركَةِ ، ثُمَّ ما لا يُحسِنُ اللِّسانُ التَّرجمةَ عنهُ مِنْ خَفَّةِ الرُّوحِ
والقَبولِ ، وبمقدارِ هذا يتمكَّنُ مِنَ القلوبِ ، ويستحكمُ سلطانُ
الهُوى على العقولِ ، وأحسَنُهُ ما لَمْ يُجَلِّبْ بتزيينِ وتضييقِ ، وتحليةِ
الحسن عند المتنبّي وتزويقي ؛ ولهذا قال الناظمُ [في «المكبريِّ» ١٦٨/١ مِنْ البسيطِ] :

حُسْنُ الحَضارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيقَةٍ وَفِي البَدَاةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ
وقال [في «المكبريِّ» ١١١/١ مِنْ البسيطِ] :

هَامَ الفَرادُ بِأَعْرابِيَّةٍ سَكَنْتَ بَيْناً مِنَ القَلْبِ لَمْ تَمُدُّ لَهُ طُنْباً^(١)
وقال [في «المكبريِّ» ٣٢٩/١ مِنْ الكاملِ] :

عَدَوِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا سَلَبُ القُفوسِ وَنارُ حَرْبِ تُوقَدُ
وقال [في «المكبريِّ» ٣٠٠-٣٠١/٣ مِنْ الكاملِ] :

الحُسْنُ يَرْحَلُ كُلِّما رَحَلُوا مَعَهُمْ وَيَنْزِلُ حَيْثُما نَزَلُوا

(١) الطنْبُ : الحبلُ الذي تشدُّ به الخيمةُ .

فِي مُقَلَّتِي رَشَاءً تُدِيرُهُمَا بَدْوِيَّةٌ فُنِنَتْ بِهَا الْحُلَلُ^(١)

ولمَّا أَرْسَلَ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو - مَلِكُ (كِنْدَةَ) - أَمْرًا مِنْ قَوْمِهِ ؛
لِتَخْبِرَ لَهُ جَمَالَ ابْنَةِ عَوْفِ بْنِ مَحَلِّمِ الشَّيْبَانِيِّ وَلِبَاقَتِهَا . . رَجَعَتْ
إِلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا عَصَامُ ؟ - فَذَهَبَتْ مِثْلًا - فَقَالَتْ : صَرَّحَ
الْمَخْضُ عَنِ الرَّيْدِ ، رَأَيْتُ جَبْهَةً كَالْمِرَاةِ الْمَصْقُولَةِ ، يَزِينُهَا شَعْرٌ
حَالِكٌ ، إِنْ أَرْسَلْتَهُ . . خِلْتَهُ السَّلَاسِلَ ، وَإِنْ مَشَطْتَهُ . . قَلْتُ :
العِنَايْدُ جَلَّاهَا الْوَابِلُ^(٢) ، وَحَاجِبِينَ كَأَنَّمَا خَطَّ بِالْقَلَمِ الْأَسْوَدِ ،
تَقَوَّسًا عَلَى مِثْلِ عَيُونِ الظُّبَيْبَةِ ، بَيْنَهُمَا أَنْفٌ فِي حَدِّ السِّيفِ ، حُفَّتْ بِهِ
وَجَنَاتٌ كَالْأَرْجَوَانِ^(٣) ، فِي وَجْهِهِ كَالْبَدْرِ ، شُقٌّ فِيهِ فَمٌّ كَالْخَائِمِ ،
لَذِيذُ الْمَبْسَمِ ، فِيهِ الْكُنَايَا الْغُرُّ ، يَزِينُهَا الْأَشْرُ^(٤) ، تَقَلَّبَ فِيهِ لِسَانُ ذُو
فِصَاحَةٍ وَبَيَانٍ ، بِعَقْلِ وَافِرٍ ، وَجَوَابٍ حَاضِرٍ ، تَلْتَقِي فِيهِ شِفَتَانِ
حَمْرَاوَانِ ، تَتَحَلَّبَانِ رِيقًا كَالشَّهْدِ ، فِي جِيدٍ كَابْرِيقِ الْفِضَّةِ ، رُكِبَتْ
فَوْقَ صَدْرِهِ كَأَنَّهُ تَمَثَّلُ دَمِيَّةٌ ، وَعُضْدَيْنِ مَدْمَجِينَ ، يَتَّصِلُ بِهِمَا
ذِرَاعَانِ ، لَيْسَ فِيهِمَا عَظْمٌ يُمَسُّ ، وَلَا عِرْقٌ يُجَسُّ ، رُكِبَتْ فِيهِمَا
كَفَّانِ ، دَقِيقٌ قَصْبُهُمَا ، لَيْنٌ عَصْبُهُمَا ، تَكَادُ تُعَقِّدُ مِنْهُمَا الْأَنَامِلُ ،
فِي ذَلِكَ الصَّدْرِ ثِدْيَانِ كَالرُّمَّانَتَيْنِ يَخْرَقَانِ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا ، تَحْتَ ذَلِكَ
بَطْنٌ طُوبَى طَيِّ الْقِبَاطِيِّ الْمَدْمَجَةِ^(٥) ، يَتَكَسَّرُ عُنَّا^(٦) كَالْقِرَاطِيِّسِ

(١) الرشاء : ولدُ الظبية الصغير . الحُللُ - جمعُ حُلَّةٍ - : وهي القومُ المجمعون في

بيوتٍ مجتمعَةٍ للتزولِ .

(٢) جَلَّاهَا الْوَابِلُ : بَلَّلَهَا الْمَطْرُ .

(٣) الْأَرْجَوَانُ : شَجَرٌ لَهُ زَهْرٌ شَدِيدُ الْحَمْرَةِ ، حَسُنُ الْمَنْظَرِ ، لَيْسَتْ لَهُ رَائِحَةٌ .

(٤) الْأَشْرُ : هُوَ تَحْرِيزُ الْأَسْنَانِ .

(٥) الْقِبَاطِيُّ الْمَدْمَجَةُ : ثِيَابٌ مِنْ كِتَانٍ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْقِبَطِ .

(٦) الْعُنَّا : مَا أَنْطَوِيَ وَتَشَتَّى مِنْ لَحْمِ الْبَطْنِ سِمْنَا .

المدرجة ، تحيطُ بها سرّةُ كالمُذهُنِ^(١) المجلو ، خلفَ ذلكَ ظهرٌ فيه مثلُ الجدولِ ، ينتهي إلى خصرٍ لولا رحمةُ الله . . لا نبتَرَ ، لها كَفَلٌ يُقَعِدُها إذا نهَضتْ ، ويُنهَضُها إذا قعدتْ ، كأنَّهُ دِعْصُ الرَّمْلِ^(٢) لِبَدَّهُ سَقِيظُ الطَّلِ^(٣) ، يَحْمِلُهُ فِخْذَانِ كَأَنَّمَا قُلِبَا عَلَى نَصِيدِ جُمَانِ^(٤) ، تحتها ساقانِ خَدَلْتَانِ^(٥) ، يَحْمِلْنَ قَدَمَيْنِ كَحذوِ اللِّسَانِ ، فتبارك اللهُ معَ صغَرِهما كيفَ يطيقانِ حملَ ما فوقَهما^(٦) .

(١) المُذهُنُ : آلةُ الدَّهْنِ .

(٢) دِعْصُ الرَّمْلِ : كَثِيهِ المَجْتَمِعِ .

(٣) لِبَدُهُ سَقِيظُ الطَّلِ : لَزِقَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ هَطُولُ المَطْرِ .

(٤) نَصِيدُ الجُمَانِ : اللُّؤْلُؤُ فِي سَلِكِهِ .

(٥) خَدَلْتَانِ : مِمْتَلَتَانِ .

(٦) وَعَلَى عَادَةِ كِتَابِ الأَدَبِ الَّتِي تُعْنَى بِالأَسْطَرَادِ وَالأَنْتِقَالِ مِنْ زَهْرَةٍ إِلَى زَهْرَةٍ ، نُتِمُّ القِصَّةَ لِلْفَائِدَةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا ، وَتَمَامُهَا :

أَنَّ المَلِكَ أَرْسَلَ إِلَى أَبِيهَا فَخَطَبَهَا ، فزَوَّجَهُ إِثَّاها ، وَبَعَثَ بِصَدَاقِها فَجَهَّزَتْ ، فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَحْمِلُوها إِلَى زَوْجِها . . قَالَتْ لَهَا أُمُّها :

(أَيُّ بِنْتِي : إِنَّ الوَصِيَّةَ لَو تُرِكَتْ لِفَضْلِ أَدبٍ . . تُرِكَتْ لِدَلِكِ مِنكِ ، وَلَكِنها تَذَكْرَةٌ لِلعَاقِلِ ، وَمَعُونَةٌ لِلعَاقِلِ ، وَلَوْ أَنَّ أَمْرَأَةً أَسْتَغْنَتْ عَنِ الزَّوْجِ لِعَنَى أَبُوها وَشِدَّةَ حَاجَتِها إِلَيْها . . كُنْتِ أَغْنَى النَّاسِ عَنْهُ ، وَلَكِنِّي النِّسَاءَ لِلرِّجَالِ خُلِقْنَ ، وَلِهِنَّ خَلَقَ الرِّجَالُ .

أَيُّ بِنْتِي : إِنَّكِ فَارَقْتِ الحُجْرَةَ الَّتِي مِنْهُ خَرَجْتِ ، وَخَلَفْتِ العِشَّ الَّذِي فِيهِ دَرَجْتِ ، إِلَى وَكَرِهْتِ لِمَ تَعْرِفِيهِ ، وَقَرِينِ لِمَ تَأَلْفِيهِ ، فَأَصْبَحَ بِمِلْكِهِ عَلَيْكَ رَقِيباً وَمَلِيكاً ، فَكُونِي لَهُ أَمَةً . . يَكُنْ لَكَ عَبْدًا .

يَا بِنْتِي : أَحْمَلِي عَنِّي عَشْرَةَ خِصَالٍ تُكُنْ لَكَ ذُخْرًا وَذِكْرًا :

الصَّحْبَةُ بِالقَنَاعَةِ ، وَالمَعاشِرَةُ بِحَسَنِ السَّمْعِ وَالمِطَاعَةِ ، وَالتَّعَهُدُ لِمَوْعِدِ عَيْنِهِ ، وَالتَّقَلُّدُ لِمَوْضِعِ أَنْفِهِ ، فَلَا تَقْعُ عَيْنُهُ مِنْكَ عَلَى قَبِيحٍ ، وَلَا يَسْمُ مِنْكَ إِلَّا أَطِيبَ رِيحٍ - وَالكَحْلُ أَحْسَنُ الحَسَنِ ، وَالمَاءُ أَطِيبُ الطَّيِّبِ المَفْقُودِ - وَالتَّعَهُدُ =

وحكى أبو الفرج الأصفهاني [كما في «الآغاني» ١١/١٨٢] : أنَّ عزة الميلاء تخطب
 ومُصعبَ بنِ الزُّبيرِ لَمَّا عزمَ على زواجِ عائشةَ بنتِ طلحةَ . . جاءَ هوَ
 وعبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمنِ ابنِ أبي بكرِ الصديقِ ، وسعيدُ بنُ العاصِ
 إلى عزةَ الميلاءِ - وكانت من أظرفِ الناسِ وأعلمهم بأُمورِ النساءِ ،
 وكانت تألفُها الأشرافُ - فقالوا لها : إنَّا خَطَبْنَا فأنظري لنا ، فقالت
 لمصعبِ : يا ابنَ أبي عبدِ اللهِ ومنَ خطبتَ ؟ قالَ : عائشةُ بنتُ
 طلحةَ ، قالتَ : فأنتَ يا ابنَ أحيحةَ ؟ قالَ : عائشةُ بنتُ عثمانَ ،
 قالتَ : فأنتَ يا ابنَ الصديقِ ؟ قالَ : أمُّ الهيثمِ بنتُ زكريَّا بنِ
 طلحةَ ، فقالتَ : يا جاريةُ ، هاتي منقلبي - تعني : خُفَّيها -
 فلبستُهما ، وخرجتُ ، ومعها خادمٌ لها ، فبدأتُ بعائشةَ بنتِ

= لوقتِ طعامِهِ ، والهدوءِ عنهُ عندَ منامِهِ ؛ فإنَّ حرارةَ الجوعِ ملهَبَةٌ ، وتَنفِيسَ النومِ
 مَبْغُضَةٌ ، والاحتفاظُ ببيتِهِ ومالِهِ ، والإرعاءُ علىِ نفسِهِ وحشمِهِ وعبائِهِ ، فإنَّ
 الاحتفاظَ بالمالِ حسنُ التقديرِ ، والإرعاءُ علىِ العيالِ والحشمِ جميلُ حسنِ
 التدبيرِ ، ولا تُفْشِي لَهُ سِرًّا ، ولا تعصي لَهُ أمرًا ؛ فإنَّكَ إنْ أفضيتَ سرَّهُ . . لم
 تأمنِي غدْرَهُ ، وإنْ عصيتَ أمرَهُ . . أوغرتِ صدرَهُ .

ثمَّ أتقِي معَ ذلكَ الفرحَ إنْ كانَ ترحًا ، والاكْتئابَ عندَهُ إنْ كانَ فرحًا ؛ فإنَّ
 الخصلةَ الأولى مِنَ التَّقْصِيرِ ، والثانيةُ مِنَ التَّكْذِيبِ ، وَكونِي أشدَّ ما تكونينَ لَهُ
 إعظامًا . . يَكُنْ أشدَّ ما يكونُ لكِ إكرامًا ، وأشدَّ ما تكونينَ لَهُ موافقَةً . . يَكُنْ
 أطولَ ما تكونينَ لَهُ مرافقَةً ، وأعلمي أَنَّكَ لا تصلينَ إلى ما تحبينَ حتَّى تُؤثِّرِي
 رضاهُ علىِ رضاكِ ، وهواهُ علىِ هوائِكَ فيما أَحْبَبْتَ وَكرهتِ ، واللهُ يُخيرُ لِكَ .
 فحِلمتِ إليه ، فسَلِّمْتِ إليه ، فَعَظَمَ موقِعُها منه ، وَوَلَدَتْ لَهُ الملوكةَ السبعةَ
 الذينَ ملكوا بعدهُ (اليمن) .

والقصَّةُ فِي «جمهرةِ خطبِ العربِ» (١/١٤٢) و«مجمعِ الأمثالِ»
 . (٢٦٣/٢)

طلحة ، فقالت : فديتك ، كنا في مأذبة - أو ماتم - لقريش ،
 فتذاكروا جمال النساء ، فذكرتك فلم أدر كيف أصفك ، فديتك ،
 فألقي ثيابك ، ففعلت ، وأقبلت وأدبرت ، فأرتج منها كل شيء ،
 فقالت لها عزة : خذي ثوبك ، فقالت : قد قضيت حاجتك ،
 وبقيت حاجتي ، قالت عزة : وما هي فديتك ؟ قالت : تغنيني
 صوتاً ، فأندفعت تغني لحنها لجميل بن عبد الله بن معمر العذري لني
 « ديوانه » ١٧١-١٧٢ من الطويل :

خِلْيَئِي عَوْجَا بِالْمَحَلَّةِ مِنْ جُمَلِ وَأَتْرَابَهَا بَيْنَ الْأَصْفِيرِ وَالْحَبْلِ (١)
 نَقَفَ بِمَعَانٍ قَدْ مَحَا رَسْمَهَا الْبَلَى تَعَاقَبَهَا الْأَيَّامُ بِالرَّيْحِ وَالْوَبْلِ
 فَلَوْ دَرَجَ النَّمْلُ الصَّغَارُ بِجِلْدِهَا لِأَنْدَبَ أَعْلَى جِلْدِهَا مَذْرَجُ النَّمْلِ (٢)
 وَأَحْسَنُ خَلَقِ اللَّهِ جِيداً وَمُقَلَّةً تُشَبَّهُ فِي النَّسْوَانِ بِالشَّادِنِ الطُّفْلِ (٣)

فقبلت عائشة ما بين عينيها ، ودعت لها بأثواب وطرائف من
 الفضة ، فدفعته إلى مولاتها ، وأتت النسوة على مثل ذلك تقول
 لهن ، ثم عادت إلى القوم ، فقالوا : ما صنعتي ؟ فقالت : يا ابن
 أبي عبد الله ، أمّا عائشة - فلا والله - ما رأيت مثلها مقبلة ، ولا
 مذبرة ، محطوطة المتنين ، عظيمة العجيزة ، ممتلئة الترائب ، نقيّة
 الثغر وشفحة الوجه ، فرعاء الشعر ، ممتلئة الصدر ، خميصة
 البطن ، ذات عكن ، ضخمة السرّة ، مسرولة الساق ، يرتج ما بين
 أعلاها إلى قدميها ، وفيها عيبان ، يوارى أحدهما الخمار ، ويستر

- (١) الأصفير - لعلّه تصغير أصفر - وهو موضع . الحبل : الرمل المستطيل .
 (٢) أندب : ترك ندوباً ، أي آثار جراح .
 (٣) الشادن : ولد الظبية . الطفل : الناعم .

ثانيهما الخف ؛ كبرِ الأذنِ والقدم ، وكانت عائشة بنتُ طلحةَ كذلك .

وأما أنت يا ابنَ أحيحةَ : فإنِّي - والله - ما رأيتُ مثلَ خلقي عائشةَ بنتِ عثمانَ لامرأةٍ قطُّ ، ليسَ فيها عيبٌ ، ولكأنما أفرغتُ إفراغاً ، إلاَّ أنَّ في الوجهِ ردةً^(١) ، وإنَّ أستشرتني . . أشرتُ عليك ، قالَ : هاتِ ، قالتَ : عليك بوجهٍ تستأنسُ به .

وأما أنت يا ابنَ الصديقِ - فوالله - ما رأيتُ مثلَ أمِّ الهيثمِ ، كأنها خُوطٌ بانيةٌ^(٢) تتشنى ، أو كأنها خشفٌ^(٣) ينسابُ على الرملِ ، لو شئتُ أنْ تعقدَ أطرافها . . لفعلتُ ، ولكأنها شخنةٌ^(٤) الصدرِ ، وأنتِ عريضُ الصدرِ ، فإذا كانَ كذلك . . كانَ قبيحاً ، لا - والله - حتَّى يملأَ كلُّ شيءٍ مثلهُ ، قالَ : فوصلها الرجالُ والنساءُ ، وتزوجوهنَّ .

وأقولُ : إنَّ عندي في القصةِ نظراً ؛ لأنَّ أبا الفرجِ نفسه روى لني تشكك المؤلف في
«الأغاني» ١١/١٨٦ : أنَّ عائشةَ بنتَ طلحةَ لم تتزوجْ مصعباً إلاَّ بعدَ
القصة
عبدِ الله بنِ عبدِ الرحمنِ ابنِ أبي بكرٍ ، وأنه^(٥) ماتَ وهي عندهُ ،
اللَّهمَّ إلاَّ أنْ يكونَ مصعبٌ خطبها قبلَ ذلك فتزوجتْ بعبدِ الله
وتركتهُ .

- (١) وجهٌ رديدٌ : فيه قبيحٌ .
- (٢) خوطٌ بانيةٌ : الخوطُ هو الغصنُ الناعمُ ، والبانُ : شجرٌ معروفٌ ، واحدةٌ بانيةٌ ، وامرأةٌ خوطٌ بانيةٌ : مشبهةٌ بالخوطِ .
- (٣) الخشفُ : الظبيُّ ساعةً ولادتهُ .
- (٤) الشخنةُ : نحيفةُ الجسمِ ، دقيقتهُ .
- (٥) أي : عبدُ الله .

وكيفما كان.. فألقصه لا تلتئم ، وألاستطراد لا يحتاج إلى
إمعان النظر ، ومعاودة البحث .

والبيت الذي نتكلم فيه لا يبعد عن قول امرئ القيس [في ديوانه ،
١٤٨ من الطويل] :

فَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبَنِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَغْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ^(١)

* * *

(١) أغشأ القلب : أجزأه .

[قال أبو الطيب المتنبي في «العكبري» ٢٩/٤ من الكامل] :

كصِفَاتِ مَوْلَانَا أَبِي الْفَضْلِ النَّبِيِّ بَهَّرَتْ فَأَنْطَقَ وَاصِفِيهِ وَأَفْحَمًا^(١)

(بَهَّرَ) : غلبَ ، ومنه : الشمسُ تبهرُ النجومَ ، يقولُ : إِنَّ
جمع الأضداد في
الصفات يستهوي
المتنبي
حبيبتَهُ أَسْتَبْتَهُ بما جمعتَ مِنْ تَنَاسُبِ الأضدادِ فِي جَمَالِهَا ، وكذلك
مولاهُ أَبُو الْفَضْلِ أَسْتَهَوَاهُ بما جَمَعَ مِنْهَا فِي الشَّرَفِ ؛ فقد كانَ حُلُومًا
للأولياءِ ، مُرًّا للأعداءِ ، هَشًّا للضيوفِ ، عَبُوسًا إِذَا أَشْتَجَرَتِ السُّيُوفُ^(٢) ،
ومِمَّا يُشْبِهُ ذَلِكَ ما ذَكَرَهُ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ [في «العكبري» ٧٨/٤ مِنْ الأوفْرِ] :

نُصِرُّهُمْ بِأَعْيُنِنَا حَيَاءً وَتَنْبُو عَنْ وُجُوهِهِمُ السَّهَامُ^(٣)

وقوله [في «العكبري» ١١٦/٤ مِنْ الطَّوِيلِ] :

حَيْثُونَ إِلَّا أَنَّهُمْ فِي نِزَالِهِمْ أَقْلُ حَيَاءً مِنْ شِفَارِ الصَّوَارِمِ

وقوله [في «العكبري» ١٨٩/٢ مِنْ البَسِيطِ] :

دَانٍ بَعِيدٍ مُحِبِّ مُبْغِضٍ بِهِجٍ أَغْرَّ حُلُومِ مُمِرِّ لَيْلِي شَرِسِ

وقوله [في «العكبري» ٢٠١/٣ مِنْ الخَفِيفِ] :

أَنْتَ طَوْرًا أَمْرٌ مِنْ نَاقِعِ الكُفِّ مَّ وَطَوْرًا أَحْلَى مِنْ الكَسَلِ^(٤)

(١) في «العكبري» : (أَوْحَدْنَا) بدل (مَوْلَانَا) .

(٢) اشْتَجَرَتِ السُّيُوفُ : تداخلت وقتَ الطَّعَانِ .

(٣) نُصِرُّهُمْ : يريدُ : صرعناهم ؛ أَي : قَدَرنا عليهم . تنبو : ترتفعُ ولا تصيب .

(٤) الكَسَلُ : الماءُ العذبُ الذي يتسلسلُ فِي الحلقِ .

وقوله [في «المكبري» ١١٥/١ من البسيط] :

تَخْلُو مَذَاقَهُ حَتَّى إِذَا غَضِبَا حَالَتْ فَلَوْ قَطَرَتْ فِي الْبَحْرِ مَا شَرِبَا^(١)

وقوله [في «المكبري» ١٤٢/١ من الوافر] :

قَسَا فَأَلْأَسَدُ تَفْرَعُ مِنْ قَوَاهُ وَرَقٌّ فَتَحْنُ نَخْشَى أَنْ يَدُوبَا

وقوله [في «المكبري» ٥٥/٤ من الطويل] :

لَهُ رَحْمَةٌ تُخِي الْعِظَامَ وَغَضِبَةً بِهَا فَضْلَةٌ لِلْجُزْمِ عَنْ صَاحِبِ الْجُزْمِ

وقوله [في «المكبري» ٢٥/١ من الكامل] :

مُتَّفَرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقَوَى فَكَأَنَّهُ السَّرَاءُ وَالضَّرَاءُ

فالمعنى متكرر عنده ، وهو عند غيره أكثر ، قال لبيد [في «ديوانه»

الشعراء وجمع الأضداد

١٩٧ من الرمل] :

مُنْقَرٌ مُرٌّ عَلَى أَعْدَائِهِ وَعَلَى الْأَذْنَيْنِ حُلُوٌّ كَالْعَسَلِ^(٢)

وقال النابغة الجعدي [في «ديوانه» ١٨٨ من الطويل] :

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعَادِيَا

وقال المرار الفقعسي [من الطويل] :

فَإِنِّي إِذَا أَحْلَوْلَيْتُ حُلُوَّ مَذَاقَتِي وَمُرٌّ إِذَا مَا رَامَ دُوَّ إِحْنَةٍ هَضْمِي^(٣)

(١) البحرُ : المكانُ الواسع ، ومنه سمي البحر بحراً ، وأراد بالبحر هنا العذب منه ؛ لقوله تعالى : ﴿ مَجَّ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ [الرحمن : ١٩] ؛ يريد الملح والعذب ، وأهل (مصر) يسمون النيل بحراً .

(٢) أمقر الشيءُ فهو مُمَقَّرٌ إذا كَانَ مُرّاً ؛ أي : شديدٌ على أعدائه ، رحيمٌ عطوفٌ على أقاربه .

(٣) أَحْنٌ عليه : حقد عليه .

وقال قيسُ بنُ الخطيمِ [في «ديوانه» ١٠٨ من الطويل] :

أمرٌ علىِ الباغِي وَيَغْلُظُ جانِبِي وَذُو الْقَصْدِ أَخْلَوْلِي لَهُ وَالْيَنُ^(١)

وفي سيرةِ ابنِ الخطَّابِ - رضوانُ اللهِ عليه - أنَّه كانَ يقولُ : لأنَّ
قلبي حتَّى هو أَلينُ مِنَ الزُّبْدِ ، وَخَشَنَ حتَّى لَهُوَ أَشَدُّ مِنَ الْحِجَارَةِ .

وقال أبو تمامٍ [في «ديوانه» ٢١٢/١ من الخفيف] :

فَدِ بِنْتُكُمْ غَرَسَ الْمَوَدَّةِ وَالشَّخْ سَاءَ فِي قَلْبِ كُلِّ قَارٍ وَبَادِي^(٢)

أَبْغَضُوا عِرْزَكُمْ وَوَدُّوا نَدَاكُمْ فِقِرَاكُمْ مِنْ بَغْضَةِ وَوَدَادِ

لَا عَدِمْتُمْ غَرِيبَ مَجْدٍ رَبَّقْتُمْ فِي عُرَاهِ نَوَافِرِ الْأَضْدَادِ^(٣)

وقال أبو نُوَاسٍ [من الكامل] :

حَذَرَ أَمْرِيءِ نُصِرْتَ يَدَاهُ عَلَى الْعِدَا كَالدَّهْرِ فِيهِ شَرَّاسَةٌ وَلَيَانُ

فذكرَ بعضهم : أنَّه أستاذنَّ علىِ أبي تمامٍ ، وكانَ لا يستترُّ عنه ، أبو تمامٍ يتكلفُ تأليفَ

فألفاهُ في بيتٍ مُصْهَرَجٍ^(٤) ، يتقلَّبُ شمالاً ويَمِيناً في الماءِ ، فقالَ بيت من الشعر

لَهُ : بَلِغْ بِكَ الْحَرُّ مَبْلَغاً شَدِيداً ؟ قَالَ : لا ، وَلَكِنْ غَيْرُهُ ، وَمَكْثُ

سَاعَةً كَذَلِكَ ، ثُمَّ قَامَ كَأَنَّمَا أُطْلِقَ مِنْ عِقَالٍ ، فَقَالَ : الْآنَ بَلِغْتُ مَا

أَرَدْتُ ، وَكَتَبْتُ شَيْئاً ، ثُمَّ قَالَ : تَدْرِي مَا كُنْتُ فِيهِ مُدَّ الْآنَ ؟ قُلْتُ :

لا ، قَالَ قَوْلَ أَبِي نُوَاسٍ : (كَالدَّهْرِ فِيهِ شَرَّاسَةٌ وَلَيَانُ) ، فَقَدْ أَرَدْتُ

(١) أمرٌ : أصيرُ مرّاً .

(٢) القاري : الناظرُ القرى . البادي : الناظرُ البادية .

(٣) ربَّقْتُمْ : شدَّدْتُمْ .

(٤) المصْهَرَجُ : حوضٌ يجتمعُ فيه الماءُ .

معناه ، فشمس علي^(١) ، فلم أزل على تلك الحال حتى أمكنتني الله
منه ، فقلت [من البسيط] :

شَرَسَتْ بِلَ لِنَتْ بِلَ قَانَيْتَ ذَاكَ بِذَا فَأَنْتَ لَا شَكَ فَيْكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
ولعمري إنه لبيت ساقط ، ينادي على نفسه بالخذلان ، لو
تجسّم . . لكان معولاً لتكسير الحجاره ، وهذا هو الشعر المتكلف
البارد .

استهزاء المؤلف به

وقال سلم الخاسر - كما رأيته في « المحاسن والمساوي »
لليهقي معزواً إليه [من الكامل] - : عودة إلى جمع
الأضداد عند الشعراء

شُدَّتْ مَنَاقِبُ مُلْكِهِمْ بِخَلِيفَةِ كَالذَّهْرِ يَخْلِطُ لِنْتَهُ بِشِمَاسِ
وسيعاد هذا البيت أوائل المجلس الرابع عشر .

وقال أبو الشيبس الخزاعي [في « ديوانه » ١٠٤ من الطويل] :

وَكَالسَيْفِ إِنْ لَايَنْتَهُ لَأَنَّ مَنْتَهُ وَحَدَاهُ إِنْ خَاشَتْهُ خَشِنَانِ

وقال أبو عبادة [في « ديوانه » ٣ / ١٨٣٧ من الكامل] :

أَخَكَمْتَ مَا دَبَّرْتَ بِالتَّقْرِيبِ وَآلِ تَبَعِيدِ وَالتَّضَعِيبِ وَالتَّسْهِيلِ
لَوْلَا الْكَبَائِرُ فِي الطَّبَائِعِ لَمْ يَقُمْ بُيَانُ هَذَا الْعَالَمِ الْمَجْبُولِ
قَوْلٌ يُتْرَجِمُهُ الْفَعَالُ وَإِنَّمَا يُتَفَهَّمُ التَّنْزِيلُ بِالتَّأْوِيلِ^(٢)
مَاذَا نَقُولُ وَقَدْ جَمَعْتَ شَتَائِنَا وَأَتَيْنَا بِالْعَدْلِ وَالتَّعْدِيلِ ؟

(١) شمس علي : استغلق ، وتأني .

(٢) الفعّال : قال الليث : الفعّال اسم للفعل الحسن . التنزيل : يقصد به كتاب الله عز وجل .

وقال الشريف الرضي : ما زلت أستخرجُ العجبَ مِنَ الإخوانِ
 بكلامِ الإمامِ في الزهدِ ؛ لأنَّ مَنْ سَمِعَهُ لا يظنُّهُ إلاَّ كلامَ منقطعٍ في
 سفحِ جبلٍ ، أو قابعٍ في كِسْرِ بيتٍ ، ولا يحسبُ أَنَّهُ كلامٌ مَنْ يَنغمسُ
 في الحروبِ ، وينثني وسيفُهُ يسيلُ دماً ، ويقطرُ مُهَجاً ، أو ما يُشبهُ
 هذا ، وكنْتُ معجباً به إلى حدِّ الافتتانِ . . حتَّى تبيَّنتُ سَبَقَ الذِّكْرِ
 الحكيمِ إلى هذا المعنى الشريفِ في كثيرٍ مِنَ الآياتِ منها قوله جلَّ
 ذكرُهُ : ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضُوا عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، وقوله :
 ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكٰفِرِينَ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَابًا رُكَّاءًا سٰجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
 سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وَكَمْ فِيهِ مِنْ آيَاتِ
 الزهدِ التي تسيلُ رِقَّةً حتَّى لتكادُ تذوبُ لها الحجارَةُ ، ومن آيَاتِ
 الحربِ التي تأخذُ بأنوفِ الجُبَّانِ إلى عنانِ السَّمَاءِ .

ويعجبني قولُ عكرشةَ بنِ أربدَ في ولدهِ [مِنَ الطُّرَيْلِ] :

رَأَيْتُ رِياطًا حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ وَوَلَّى شَبَابِي لَيْسَ فِي بَرِّهِ عَتْبُ
 إِذَا كَانَ أَوْلَادُ الرَّجَالِ حَرَارَةً فَأَنْتَ الزَّلَّالُ الْخُلُوْ وَالْبَارِدُ الْعُدْبُ
 لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ شَدِيدٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ مُنْتَبِعٌ صَعْبُ (١)
 وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ الْمَكَارِمِ نَشْوَةٌ كَمَا أَهْتَزُّ تَحْتَ الْبَارِحِ الْفُصْنُ الرُّطْبُ (٢)

وفي عكسِ هذا المعنى يقولُ الحصينُ بنُ المنذرِ - أحدُ بني
 عمرو بنِ شيبانِ الذهليِّ وكانَ صاحبَ الرايةِ معَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ (صَفِيْنٌ) -
 في ولدهِ غَيَّاطًا [مِنَ الطُّرَيْلِ] :

- (١) دميثٌ ، يقالُ : دَمِثَ دَمْتًا ، فهو دَمِثٌ وَدَمِيثٌ ، لأنَّ وَسَهْلٌ .
 (٢) البارحُ - جمعهُ بوارحٌ - وهي الرياحُ الشدائدُ التي تحملُ الترابَ في شدَّةِ
 الهبواتِ ، وقيلَ : هي الرياحُ الحارَّةُ في الصيفِ .

نَسِيٍّ لِمَا أَوْلَيْتُ مِنْ صَالِحِ مَضَى
تَلِينُ لِأَهْلِ الْغِلِّ وَالْغَمَزُ مِنْهُمْ
وَأَنْتَ لِتَأْدِيبِ عَلِيٍّ حَفِيزُ
وَأَنْتَ عَلَى أَهْلِ الصَّفَاءِ غَلِيزُ
عَدُوًّا وَلَكِنْ لِلصِّدِّيقِ تَغِيظُ
وَلَا وَهِيَ فِي الْأَزْوَاجِ حِينَ تَغِيظُ
يُرَى مِنْكَ مِنْ غَيْظِ عَلَيْكَ كَطِيظُ^(١)

انت ومالك لايبك

وأخرج البيهقي في «الدلائل»، والطبراني في «الأوسط» [٣٤٠/٦] و«الصغير» [٩٤٨] بسند فيه من لا يعرف عن جابر، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن أبي أخذ مالي، فقال له: اذهب فأتني بأبيك، فنزل جبريل، فقال إن الله عز وجل يقرئك السلام، ويقول: إذا جاءك الشيخ.. فسأله عما قاله في نفسه، ولم تسمعه أذناه، فلما جاء.. قال له النبي ﷺ: «ما بال ابنك يشكوك، تأخذ ماله؟» قال: سألته هل أنفقته إلا على عماته وخالاته، أو على نفسي؟ فقال: «أخبرني عن شيء قلت في نفسك وما سمعته أذنك؟» فقال الشيخ: والله ما يزال الله يزيدنا بك يقيناً، لقد قلت في نفسي شيئاً ما سمعته أذني، فقال: «ما هو؟» فقال: قلت [من الطويل]:

عَدُوْتُكَ مَوْلُودًا وَمُتُّكَ يَافِعًا
إِذَا لَيْلَةٌ صَافَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبْتَ
تَعَلُّ بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ^(٢)
لِسُقْمِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلَّمُ
طُرِقْتَ بِهِ دُونِي فَعَيْنَايَ تَهْمَلُ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي

(١) الكظيظ: الممتليء غيظاً.

(٢) متنتك: كفتيك مؤنتك وحاجتك.

تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَا
فَلَمَّا بَلَغْتَ الْسِنَّ وَالْغَايَةَ النَّبِيَّ
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفِطَاظَةً
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَزَعْ حَقَّ أُبُوتِي
تَرَاهُ مُعِدًّا لِلْخِلَافِ كَأَنَّهُ
لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُؤَجَّلٌ
إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيهَا أَوْمَلُ
كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمَتَّفِضِلُ
فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ
بِرَدِّ عَلَى أَهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ

قَالَ : فحينئذ أخذ النبي ﷺ بتلابيبِ ابنه ، وقال : « أَنْتَ وَمَالُكَ
لَأَبْنِكَ » (١) . وهذا الحديث موجودٌ في سورة الإسراءِ مِنْ
« الْكُشَافِ » ، ويلفظ يقربُ منه ، والقصةُ باطلةٌ مِنْ حيثُ الروايةُ كما
علمتْ ؛ وَلَمَّا جَاءَ أَنَّ الشَّعْرَ لِأُمَيَّةَ ابْنِ أَبِي الصَّلْتِ .

بطلان قصة الحديث

ومن حيثُ الطَّبِيعَةُ ؛ إِذْ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَقُولَ الشَّاعِرُ شَيْئاً فَيَصْبِرَ عَنْ
أَنْ يَتَغْنَى بِهِ ذَاتَ الْمَرَّاتِ .

أَمَّا قَوْلُ الرَّجُلِ لِغَيْرِهِ : (يَا مَوْلَايَ) .. ففِيهِ لِلْفُقَهَاءِ كَلَامٌ :
قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْنَّحَّاسُ : لَا نَعْلَمُ خِلَافاً بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي
أَنْ يُقَالَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ (مَوْلَايَ) .

هل يجوز قول الرجل
لغيره: يا مولاي؟

وقال ابن حجر : مَرَّ جَوَازُ إِطْلَاقِ (مَوْلَايَ) .

ولا مخالفةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَا ، فَإِنَّ النَّحَّاسَ تَكَلَّمَ فِي الْمَوْلَى
بِالْأَلْفِ وَالْأَلَامِ . وَلِذَا قَالَ النَّحَّاسُ : يُقَالُ : سَيِّدٌ لِغَيْرِ الْفَاسِقِ ، الْقَوْلُ فِي التَّسْيِيدِ

(١) بل أخرج الحديث فقط عن عائشة ابن حبان في « الإحسان » (٤٢٦٢) بإسناد
صحيح ، وكذا عن جابر أخرجه ابن ماجه (٢٢٩١) في التجارات ،
والطحاوي في « معاني الآثار » (١٥٨ / ٤) في القضاء . قال عنه البوصيري :
هذا إسناد صحيح .

ولا يقال : السَّيِّدُ ، لغيرِ اللهِ تعالى . والأظهرُ : أَنَّهُ لا بأسَ بإطلاقِ المولى والسَّيِّدِ بالألفِ والألامِ بشرطِهِ السَّابِقِ . أنتهى كلامُهُ .

وما أشارَ إلى مروره : هو ما ساقَهُ عَنِ النّواويِّ لفي «الذّكار» ص [٥٧٣] - في الجمعِ بينَ الأحاديثِ الواردةِ في التَّسْيِيدِ وما صحَّ مِنْ قولِهِ ﷺ : « لا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ سَيِّدًا . . فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ »^(١) - مِنْ قولِهِ : لا بأسَ بإطلاقِ (فلانُ) سيِّدٌ ، ويا سيِّدي ونحو ذلك (إذا كانَ المُسَوِّدُ فاضلاً خيراً لعلمِ أو صلاحِ أو غيرِهِما ، وإن كانَ نحوُ فاسقٍ أو متهمٍ في دينِهِ . . كَرِهَ أَنْ يُقالَ لَهُ سَيِّدٌ^(٢) . أنتهى .

ولا شكَّ أَنَّ سيِّدي أو السَّيِّدَ أشدُّ كراهةً ، ومما عمَّ الابتلاءُ بِهِ أَنَّ الجُهَّالَ وأهلَ المَلَمَةِ لا يتورعونَ أَنْ يُطلقوا الأوصافَ الإلهيَّةَ على مَنْ يدَّعونَ له الولايةَ أو يُعظِّمونَ مِنْ أبناءِ الدُّنيا .

شهادة شاعر ويعجبني قولُ عليِّ بنِ محمَّدِ الكوفيِّ مِنْ قصيدةٍ [مِن الطَّويلِ] :

كَأَنَّ نَذِيرَ الشَّمْسِ يَحْكِي بِبِشْرِهِ عَلِيَّ بْنَ دَاوُدَ أَحْسَنِي وَنَسِينِي
وَلَوْلَا اتِّقَائِي عَتْبَهُ قُلْتُ سَيِّدِي وَلَكِنْ يَرَاهَا مِنْ أَجَلِّ ذُنُوبِي

(١) أخرجه عن بريدة أبو داود (٤٩٧٧) ، والنسائي في «الكبرى» (٧٠/٦) بنحوه ، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٧/١) بنحوه .

(٢) وعقب بقوله : وقد روينا عن الإمام أبي سليمان الخطابي في «معالم السنن» في الجمع بينهما نحو ذلك .

ثم أورد أيضاً خبر أبي هريرة عند البخاري (٢٥٥٢) ، ومسلم (٢٢٤٩) عن النبي ﷺ قال : « لا يقل أحدكم : أطعم ريك ، وضئ ريك ، اسق ريك ، وليقل : سيدي ومولاي ، ولا يقل أحدكم : عبي أمي ، وليقل : فتاي وفتاتي وغلامي » .

نَسِيبُ إِخَاءٍ وَهُوَ غَيْرُ مُنَاسِبٍ قَرِيبُ صَفَاءٍ وَهُوَ غَيْرُ قَرِيبٍ

ومما يلاحظ على شيخنا ابن شهاب خضوعه في بعض القول خضوع البض
لممدوحيه ؛ فقد قال من قصيدة هي في الاعتبار الأول من الفصاحة
والبلاغة وجمال الديباجة ورقة الانسجام ، للأمير أحمد فضل
العبدلي [من الطويل] :

فَيَا أَيُّهَا الْمَوْلَى وَمَا غَيْرُكَ أَمْرٌ نُسَمِيهِ مِنْ بَعْدِ الْوَصِيِّ بِمَوْلَانَا^(١)
ثُمَّ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ ذَلِكَ ، بَلْ حَنَثَ فِي قَوْلِهِ ، وَخَاطَبَ بَعْدَ ذَلِكَ
غَيْرَهُ بِمِثْلِهِ .

ولو أنني أخذت بيت شيخنا لمخاطبة الحضرة المتوكّلية . . لكنت
أحقّ به ؛ لأنني لم أسمح بذلك لأحد ممن عاصرته سواه وسوى
سيدي الأستاذ الأبر عيروس بن عمر المتوفى من نحو سبع وثلاثين
عاماً ، ويأتي ماله تعلق بهذا قبيل المجلس الحادي عشر .

وأما قوله : (فَأَنْطَقَ وَاصِفِيهِ) . . فإنه متكرّر عنده ، منه قوله [في
الممدوح هي التي تنظم
نفسها شعراً عند المتنبّي

« الْمُكَبَّرِيُّ » ٨١/٣ مِنْ الْبَسِيطِ] :

وَقَدْ وَجَدْتُ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَإِنْ وَجَدْتُ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلْ

وقوله [في « المُكَبَّرِيُّ » ١٤٦/٢ مِنْ الْخَفِيفِ] :

إِنَّمَا أَحْفَظُ الْمَدِينَةَ بِعَيْنِي لَا بِقَلْبِي لِمَا أَرَى فِي الْأَمِيرِ
مِنْ خِصَالٍ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظَمْتُ لِي غَرَائِبَ الْمَشْهُورِ

(١) الوصي : لعل المراد سيّدنا الإمام الهمام ، عليّ ابن أبي طالب عليه
السلام .

وقوله [في «المكبري» ٦٨/٤ من المنسرح] :

أَبَا الْحُسَيْنِ أَسْتَمِعُ فَمَدْحُكُمْ فِي الذُّهْنِ قَبْلَ الْكَلَامِ يَنْتَظِمُ^(١)

وقوله [في «المكبري» ١٨١/١ من الطويل] :

وَأَخْلَاقٌ كَأَفْوَرٍ إِذَا شِئْتُ مَدَحَهُ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ تُمَلِّ عَلَىِّ وَأَكْتُبُ

وقوله [في «المكبري» ١٥٨/٢ من الطويل] :

وَمَا أَنَا وَخَلِيدِي قُلْتُ ذَا الشُّعْرِ كُلَّهُ وَلَكِنْ لِشِعْرِي فَبِكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرُ

وقوله [في «المكبري» ٣٩١/٣ من الطويل] :

لَكَ الْحَمْدُ فِي الدَّرِّ الَّذِي لِي لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّي نَاطِمٌ

وقوله [في «المكبري» ٥٥/٢ من الخفيف] :

غَمَّرْتَنِي فَوَائِدُ شَاءَ فِيهَا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِمَّا أَفَادَهُ

وقوله [في «المكبري» ٢٧٥/٤ من المنسرح] :

تَقْوُدُ مُسْتَخْسَنَ الْكَلَامِ لَنَا كَمَا تَقْوُدُ السَّحَابَ عُظْمَاهَا

وقال أبو تمام [في «ديوانه» ٧ من البسيط] :

تَغَايَرَ الشُّعْرُ فِيهِ إِذْ أَرَقْتُ لَهُ حَتَّى تَكَادَ قَوَائِمِهِ سَتَقْتَبِلُ

وقال ابن الرومي [في «ديوانه» ٢٢٩٣/٦ من الوافر] :

وَدُونِكَ مِنْ أَقَاوِيلِي مَدِينِحَا غَدَا لَكَ دُرُّهُ وَلِي النَّظَامُ

وقال [من الكامل] :

خُذْ مِنْ فَوَائِدِكَ الَّتِي أَعْطَيْتَنِي فَالِدُرُّ دُرُّكَ وَالنُّظَامُ نِظَامِي

(١) في «المكبري» : (ألفعل) بدل (الذهن) .

وقال [في «ديوانه» ٦٠٢/٢ من الطويل] :

كُرُمْتُمْ فَجَاشَ الْمُفْحَمُونَ بِمَدْحِكُمْ إِذَا رَجَزُوا فِيكُمْ أَيُّتُمْ فَفَصَدُوا^(١)
كَمَا أَزْهَرَتْ جَنَاتُ عَدْنٍ وَأَثْمَرَتْ فَأَصْحَتْ وَعُجِمَ الطَّيْرُ فِيهَا تُغْرَدُ

وقال أحمد بن أبي طاهر [من الطويل] :

إِذَا نَحْنُ حُكْنَا الشُّعْرَ فِينِكَ تَسَهَّلَتْ عَلَيْنَا مَعَانِيهِ وَذَلَّتْ صِعَابُهَا

وقال أحمد بن إسماعيل [من الطويل] :

وَإِنِّي وَإِنْ أَحْسَنْتُ فِي الْقَوْلِ مَرَّةً فَمِنْكَ وَمِنْ إِحْسَانِكَ أَمْتَارَهَا لَقَطِي^(٢)

وقال آخر [من الخفيف] :

مَا لَقِينَا مِنْ جُودِ فَضْلِ بْنِ يَحْيَى تَرَكَ النَّاسَ كُلَّهُمْ شِعْرَاءَ

وأصل المعنى قول عمرو بن معديكرب [في «ديوانه» ٧٣ من الطويل] :

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجْرَتِ

وقال ابن الفارض [في «ديوانه» ١٤٢ من الطويل] :

مَحَاسِنُ تَهْدِي الْمَادِحِينَ لَوْصِفَهَا فَيَحْسُنُ فِيهَا مِنْهُمْ الْكُثْرُ وَالنَّظْمُ

وقال أيضاً [في «ديوانه» ١٢٦ من الكامل] :

تَفْدِيهِ مُهَجَّتِي الَّتِي تَلَفْتُ وَلَا مَنْ عَلَيْهِ لَأَنْهَا مِنْ مَالِهِ

وهو من قول الناظم [من الكامل] :

كَالْبَحْرِ يُنْمِطُهُ السَّحَابُ وَمَا لَهُ مَنْ عَلَيْهِ لَأَنْهَا مِنْ مَائِهِ

(١) المفحّم: العبيء الذي لا يقول الشعر.

(٢) أمتارها: أجتلبها.

وقال ابن طباطبا [من الكامل] :

لَا تَنْكِرُنْ إِهْدَاءَنَا لَكَ مَنْطِقًا مِنْكَ أَسْتَفَدْنَا حُسْنَهُ وَنِظَامَهُ

وهو من بابٍ شبيه بقول الحسن بن محمد ابن علي ابن أبي الضوء العلوي الحسيني ، نقيب مشهد باب التين ، المتوفى (بغداد) سنة : (٥٣٧ هـ) ، أو شاعر آخر من معاصري البحتري ، يقال له : أبو العباس الخنعمي علي اختلاف في الرواية [من الخفيف] :

إِذْهَبَا بِي إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَقْفٌ رُّ إِلَى جَنْبِ قَبْرِهِ فَأَعْقِرَانِي (١)
وَأَنْضَحَا مِنْ دَمِي عَلَيْهِ فَقَدْ كَا نَ دَمِي مِنْ نَدَاهُ لَوْ تَعْلَمَانِ

وهما أصل معنى قول الزمخشري في رثاء شيخه أبي مضر [من الطويل] :

وَقَائِلَةٌ مَا هَذِهِ الدُّرُّ الَّتِي تَسَاقَطَهَا عَيْنَاكَ سِنَطِينِ سِنَطِينِ (٢)
فَقُلْتُ لَهَا الدُّرُّ الَّذِي كَانَ قَدْ حَسَا أَبُو مُضَرَ أُذُنِي تَسَاقَطَ مِنْ عَيْنِي

وقال القاضي الأرجاني - وأبدع وألطف ما شاء - [في ديوانه ٤٠/٢ :

من الكامل] :

لَمْ يُبَكِّنِي إِلَّا حَدِيثُ فِرَاقِكُمْ لَمَّا أَسْرَبَ بِهِ إِلَيَّ مُودَعِي
هُوَ ذَلِكَ الدُّرُّ الَّذِي أَوْدَعْتُمْ فِي مَسْمَعِي الْقَيْتَهُ مِنْ مَدْمَعِي

(١) الجمل العقير : المنحور .

(٢) السمط : هو الخيط ما دام اللؤلؤ فيه منظوماً ، فإذا كان فارغاً . سمي سلكاً ، شبه الشاعر دموعه التي تُدرَف من عينه متواصلةً . باللؤلؤ المنظوم المتواصل .

وقال المَعْرِيّ [في «سقط الزند» ١٩٨ من الطويل] :

وَأَلْقَيْتَنِي لِي دُرّاً فَلَمَّا عَدَدْتُهُ غِنَى مَسَخْتُهُ شِقْوَةَ الْحَظِّ أَدْمَعِي (١)

وقال بعضهم [من الطويل] :

تَعَلَّمْتُ مِمَّا قُلْتَهُ وَفَعَلْتَهُ فَأَهْدَيْتُ حُلُوءاً مِنْ جَنَائِي لِفَارِسِ

وقال آخر [من البسيط] :

إِنْ رَاقَ مَعْنَى فَمِنْ جَدَوَاهُ مُتَّصِرٌ أَوْ رَقَّ لَفْظاً فَمِنْ عَلَيَاهُ مُهْتَصِرٌ (٢)

وأما قوله : (وَأَفْحَمًا) .. فَمِنْ قَوْلِ أَشْجَعِ [في «ديوانه» ٢٤٨ من تعجز لغة الكلام عن

التعير في كثير من
الأحيان

الوافر] :

مَدَحْنَاهُمْ فَلَمْ نُذْرِكْ بِمَدْحِ مَأْثَرِهِمْ وَلَمْ نَتْرُكْ مَقَالاً

وقوله [في «ديوانه» ١٨٨ من الطويل] :

جَهَدْتُ فَلَمْ أَبْلُغْ مَدَاكَ بِمَدْحِهِ وَلَيْسَ عَلَيَّ مَنْ كَانَ مُجْتَهِداً عَتَبُ

وقد اختلسته ألكاكي فقال [من الطويل] :

جَهَدْتُ وَلَمْ أَبْلُغْ مَدَاكَ بِمَدْحِهِ وَلَيْسَ مَعَ التَّقْصِيرِ عِنْدِي سِوَى الْعُذْرِ

وقال ابنُ الحجاج [من الطويل] :

هُوَ الْبَحْرُ إِنْ حَدَّثْتُ عَنْ مُعْجَزَاتِهِ ضَعُفْتُ عَنِ اسْتِغْرَاقِ تِلْكَ الْعَجَائِبِ

وَإِنْ رَامَ شِعْرِي أَنْ يُحِيطَ بِوَضْفِهِ أَحَاطَ بِشِعْرِي الْعُجْزُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

(١) يقول : إن تلك الخيالات لما طرقته في النوم . . أعطيتة عقوداً أو درّاً ، فأنتبه من نومه فرحاً ، لكنه لم ير شيئاً ، فنافت دموعه حسرة على ما فاتته ، وأول الدرّ بالدمع الذي تناثر من عينيه عند البكاء .

(٢) الهضُرُ : الجذب والإمالة ، تقولُ : هَضَرْتُ الغصنَ إِذَا أَمَلْتَهُ إِلَيْكَ .

إنحام أبي نواس
للشعراء والخطباء

وفي يوم إهلاك^(١) الرضا بأبنة المأمون قامت الشعراء والخطباء ،
وأبو نواس ساكت ، فعوتب ، فألقى الأبيات الآتية - التي كانت
بمثابة عصا موسى عليه السلام ، تلقت ما كانوا يصنعون - وهي [من
الخفيف] :

قيل لي : أنت أفصح الناس طراً في المعاني وفي الكلام النبيه
لك من جيد القرئض مديح ينثر الدر من يدي مجتنيه
فليماذا لم تمتدح نجل موسى والأصفاة التي تحكمن فيه
قلت : لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه

شدة القرب حجاب

وقد نظر الناظم إلى قول الأعرابي [من الوافر] :

تكاثرت الطبأء على خدائش فما يذري خدائش ما يصيد
ومن شدة الظهور الخفاء ، ومنه أحجم فحول الشعراء عن
مدحه ﷺ ؛ لأنه لا يستطيع ؛ إذ هو فوق كل كلام ، ومن وراء كل
عبارة ، وكل مدح فيه تقصير .

ارتفاع بعض
المدوحين فوق مرتبة
المدح

وما أحسن ما يروى للناظم في غير « الديوان » حينما عوتب على
ترك امتداح أهل البيت وهو قوله [من الكامل] :

وتركت مدحي للوصي تعمداً إذ كان نوراً مستطيلاً شاملاً
وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً
وقال [في « المكبري » ٢ / ٢٣٢ من البسيط] :

من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضع

(١) الإهلاك : الترويح .

وقال [في «المكبري» ٢٥٩/٣ من الكامل] :

وَلَقَدْ عَلَوْتَ فَمَا تُبَالِي بَعْدَ مَا عَرَفُوا أَيَحْمَدُ أَمْ يَدُّمُ الْقَائِلُ
أُنْبِيَّ عَلَيْكَ وَلَوْ تَشَاءُ... لَقُلْتُ لِي: فَصَرْتَ فَأَلَامَسَاكَ عَنِّي نَائِلُ

وقال [في «المكبري» ٣٧٩/٢ من البسيط] :

وَعَظْمُ قَدْرِكَ فِي الْأَفَاقِ أَوْهَمَنِي أَنِّي بِقِلَّةِ مَا أَتَيْتُ أَهْجُوكَا

وقال [في «المكبري» ١٩٤/١ من الطويل] :

تَجَاوَزَ قَدْرَ الْمَدْحِ حَتَّى كَانَهُ بِأَبْلَغِ مَا يُنْسَى عَلَيْهِ يُعَابُ

وهو من قول البحتري [في «ديوانه» ١٥ من الخفيف] :

جَلَّ عَن مَذْهَبِ الْمَدِيحِ فَقَدْ كَانُ يَكُونُ الْمَدِيحُ فِيهِ هِجَاءً

ولله درُّ البوصيري في قوله [من البسيط] :

مَاذَا عَسَى الشُّعْرَاءُ الْيَوْمَ قَائِلَةً مِنْ بَعْدِ مَا مَدَحَتْ (حاميمُ تنزِيلُ)

* * *

[قال أبو الطيّب المتنبّي في «العكبريّ» ٣٢/٤ من الكامل]:

كَبَرَ الْعِيَانُ عَلَيَّ حَتَّى إِنَّهُ صَارَ الْعِيَانُ مِنَ الْيَقِينِ نَوَهُمَا

يقول: إنَّ شأنَ الممدوحِ عظيمٌ ، لم يستقلَّ على عقله ثبوته ؛ لاستعظامه إيَّاهُ ، فكَبَرَ عليه حتَّى تشكَّك فيه من كِبَرِهِ مع المشاهدة ، وهو معنى شريفٌ ، يجلُّه من نفسه كلُّ مَنْ فوجىءَ بِنعمةٍ عظمى ، أو مصيبةٍ كُبرى ، وينحلُّ به إشكالٌ ما يورهمُ تشكُّكُ النَّبيِّ ﷺ فيما فاجأه من أمرٍ ألوحى لأوَّلِ وهلةٍ ، كما قرَّرنَاهُ ، وأكثرنا من مثله في كتابنا « بلابلُ التفريدِ » ، وهو وإن كان مغروراً في النفوسِ ، متداولاً بين الشعراءِ ، جارياً في الخطابِ ما بين الطبقاتِ . . فللناظمِ على الإطلاقِ فضيلةُ التَّوضيحِ ؛ إذ جلاهُ في أجملِ صورةٍ ، وأفرغهُ في أبدعِ قالبٍ ، وأكثرَ منه ، ولكن لا في مثلِ تنقيحه من هذا البيتِ ، فقال [في «العكبريّ» ٣٦٦/١ من المتقارب]:

أَحْلَمَا نَرَى أَمَ زَمَانًا جَدِيدًا أَمَ الْخَلْقِ فِي شَخْصٍ حَيٍّ أَعِينًا

وقال [في «العكبريّ» ٣٤٩/٣ من الكامل]:

وَمِنَ اخْتِقَارِكَ كُلِّ مَا تَخْبُو بِهِ فِيمَا الْأَحِظُهُ بَعَيْنِي نَائِمًا^(١)

(١) المعنى: أنتَ عظيمُ القدرِ ، تحتقرُ الأشياءَ العظيمةَ ، فإذا رأيتُ كثرةَ مواهبك التي تحتقرها . . ظننتُ أنّي في نومٍ ؛ لأن العادة لم تجرِ بذلك في البقطة .

قول الشعراء في هذا

وقال أبو نؤاس [في «ديوانه» ٤٩٢ من الطويل] :

أَلَا لَا أَرَى مِثْلِي أَمْتَرَى الْيَوْمَ فِي رَسْمٍ تَعَصُّ بِهِ عَيْنِي وَيَلْفِظُهُ وَهَمِي (١) المعنى

وقال أبو عبادة [في «ديوانه» ١٥٣٠-١٥٣١ من الطويل] :

وَزَوْرٍ أَتَانِي طَارِقاً فَحَسِبْتُهُ أَقْسَمُ فِيهِ الظَّنُّ طَوْرًا مُكْذَبًا
أَخَافُ وَأَرْجُو بَطْلَ ظَنِّي وَصِدْقَهُ
وَقَدْ ضَمَّنَا وَشَكَ التَّلَاقِي وَلَقْنَا
فَلَمْ تَرَ إِلَّا مُخْبِرًا عَن صَبَابِهِ
فَأَحْسِنِ بِنَا وَاللِّدْمُعُ بِاللِّدْمَعِ وَاشِجْ
خَيَالًا أَتَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرُقُ
بِهِ أَنَّهُ حَقٌّ وَطَوْرًا أَصْدَقُ
فَلِلَّهِ شَكِّي حِينَ أَرْجُو وَأَفْرُقُ (٢)
عِنَاقٌ عَلَيَّ أَغْنَانَا نَمَّ ضَيِّقُ
بِشَكْوَى وَإِلَّا عَبْرَةٌ تَتَرَقَّرُ
تَمَارُجُهُ وَالْحَدُّ بِالْحَدِّ مُلْصَقُ

وقال [من المنسرح] :

فَرِحْتُ حَتَّى اسْتَحَفَّنِي فَرِحِي
أَمْسَحُ عَيْنِي مُسْتَشْتَبَا نَظْرِي
فَشِبْتُ عَيْنَ الْيَقِينِ بِالْوَهْمِ
أَخَالِنِي حَالِمًا وَلَمْ أَنَمْ

وقال [في «ديوانه» ١٠٥٢ من الطويل] :

حَبِيبُ سَرَى فِي خُفْيَةٍ وَعَلَى ذَعْرِ
تَشَكُّكَ فِيهِ مِنْ سُرُورٍ وَخَلْتُهُ
يَجُوبُ الدُّجَى حَتَّى التَّقِينَا عَلَى قَدْرِ
خَيَالًا أَتَى فِي النَّوْمِ مِنْ طَيْفِهِ يَسْرِي

وقال العلامة أبو الممقري [من الكامل] :

أَعْطَى فَظَنُّ الْوَافِدُونَ بِأَنْهَا
وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَنْتُمْ
رُؤْيَا فَظَلُّوا يَمْسَحُونَ الْأَعْيُنَا
يَقْطُيْ ، وَهَذَا كُلُّهُ هِبَةٌ لَنَا

(١) امترى : شك .

(٢) أفرق : أجزع ويشند خوفي .

ويقرب منه - وليس به - قول أبي تمام [من الطويل] :
تَجَاوَزُ غَايَاتِ الْعُقُولِ رَغَائِبُ تَكَادُ بِهَا لَوْلَا الْعِيَانُ تُصَدِّقُ

وقول البُحترِّي [في «ديوانه» ١٣١٦/٢ من الكامل] :
وَحَدِيثُ مَجْدٍ عَنكَ أَطْرَبَ حُسْنُهُ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ مَوْضُوعُ
وقول النَّاطِمِ^(١) [من الكامل] :

لَمَّا كَرُمْتَ أَتَيْتُ فِينِكَ بِمَنْطِقٍ صِدْقٍ فَلَمْ أَكْذِبْ وَلَمْ أَتَحَوَّبِ
وَلَوْ أَمْتَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتَى يَضِقُ عَنِّي لَهُ صِدْقُ الْمَقَالَةِ أَكْذِبِ
وقوله [في «العكبري» ١٢٦/١ من الكامل] :

كَرَمًا فَلَوْ حَدَّثْتُهُ عَن نَفْسِهِ بَعْظِيمٍ مَا صَنَعْتَ لظَنِّكَ كَاذِبًا
وقول البديع [الهمداني في «ديوانه» ١٢٠ من الطويل] :

مَحَاسِنُ يُبْدِيهَا الْعِيَانُ كَمَا تَرَى وَإِنْ نَحْنُ حَدَّثْنَا بِهَا دَفَعَ الْعَقْلُ
وهو من قصيدة خالصة يهيج أشجاني منها قوله عن أبيه :

إِذَا وَرَدَ الرَّكْبَانُ وَافَى رِكَابَهُمْ بِفَوَارَتِي دَمَعُ هُمَا السَّجْلُ وَالنَّجْلُ^(٢)
يُسَائِلُهُمْ أَيْنَ أَبْنُهُ، أَيْنَ دَارُهُ، إِلَامَ أَنْتَهَى، لِمَ لَمْ يَعُدْ، هَلْ لَهُ شُغْلُ؟!

وهو لا يشبه شيئاً من مذاهب اللاأدرية^(٣) المنادي بإنكار حقائق الأشياء، الذي وضع فيه صالح بن عبد القدوس كتاب «الشكوك»،
الحديث عن كتاب
الشكوك

- (١) بل هو من قول أبي تمام في «ديوانه» .
- (٢) السَّجْلُ : الدَّلْوُ الْعَظِيمُ . النَّجْلُ : الْمَاءُ السَّائِلُ .
- (٣) وهم : طائفة من الفلاسفة يترددون بين إثبات حقائق الأشياء وإنكارها ، وهم : فريق من السفسطائيين ، ولهم اسم آخر : (الشُّكَاكُونَ) .

ثُمَّ مَاتَ عَلَيْهِ وَلَدٌ ، فَحَزَنَ عَلَيْهِ حَزْناً شَدِيداً ، وَقَالَ لِأَبِي الْكَهْدِيلِ
 الْغَلَّافِ : إِنَّهُ لَمْ يَشْتَدَّ وَجْدِي عَلَيْهِ إِلَّا لِأَنِّي أَقْرَأْتُهُ كِتَابَ « الشُّكُوكِ »
 فَأَتَقَنُهُ ، قَالَ لَهُ : وَمَا كِتَابُ « الشُّكُوكِ » ؟ قَالَ : مَنْ قَرَأَهُ .. يَشْكُ
 فِي الْمَوْجُودِ حَتَّى كَأَنَّهُ مَعْدُومٌ ، وَفِي الْمَعْدُومِ حَتَّى كَأَنَّهُ مَوْجُودٌ ،
 قَالَ لَهُ : الْخَطْبُ هَيْئًا إِذْنًا ، فَشُكَّ فِي وَلَدِكَ أَنَّهُ لَمْ يَمُتْ ، فَأَنْقَطَعَ .

وما يجده أهل الإيمان من الوسوسة مع التصميم وصحة عقود
 القلوب لورث آخر - أيضاً - منه : ما جاء في « مصابيح البغوي » عن
 جابر قال : جاء ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ إلى النبي ،
 فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، قال :
 « أَوْ قَدْ وَجَدْتُمُوهُ ؟ » ، قالوا : نعم ، قال : « ذَلِكَ صَرِيحُ
 الْإِيمَانِ » (١) .

إِذْ الْأَكْثَرُ عَلَى أَنَّ الْمَدْحَ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ جِهَةِ تَعَاظِمِهِمْ لَهُ ، لَا مِنْ
 حَيْثُ وَجُودُهُ .

والله أعلم

* * *

(١) أخرجه عن جابر مسلم (١٨٨) في الإيمان ، وأبو داود (٤٤٤٧) .

المجلس السادس

[قال أبو الطيّب المتنبّي في «العُكْبَرِيّ» ٣٣ / ٤ مِنْ الطَّوِيلِ]:

إِلَى أَيِّ حِينٍ أَنْتَ فِي زِيٍّ مُحْرِمٍ؟ وَحَتَّى مَتَى فِي شِقْوَةٍ وَإِلَى كَمْ؟

يقول: إلى متى وأنتِ صفرٌ من المالِ، في زِيٍّ المُحْرِمِ المتجرّدِ متى يبسم الدهر؟
عَنِ اللَّبَاسِ؟ وَحَتَّى مَتَى هَذَا الشَّقَاءُ بِالْفَقْرِ؟ وَإِلَى أَيِّ أَمَدٍ مِنَ الزَّمَانِ
يَنْجَلِي الْبُؤْسُ وَيَبْتَسِمُ الدَّهْرُ الْعَبُوسُ؟
ويمكنُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ: إِلَى مَتَى وَأَنْتَ مِثْلُ الْمُحْرِمِ لَا تَقْتُلُ وَلَا
نَصِيدُ؟

وهذا أحلى موقعا .

وكانَ ﷺ يستعيدُ مِنَ الْفَقْرِ، ويقولُ: «كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ الْكُفْرَ قَرِينِ الْفَقْرِ
كُفْرًا»^(١).

(١) أخرجه عن أنس القضاعي في «مسند الشهاب» (٣٤٢/١)، وأبو نعيم في
«الحلية» (٥٣/٣ و١٠٩)، والمقيلي في «الضعفاء» (٢٠٦/٤)، وابن
الجوزي في «العلل المتناهية» (٣٢٠/٢)، وأورد العجلوني في «كشف
الخفاء» (١٩١٩)، وزاد في نسبه إلى أحمد بن منيع، وابن السكن في =

استعاذته ﷺ من الدين
والفقر

وَمِنْ دَعَائِهِ بِاللَّيْلِ - كَمَا عِنْدَ «مُسْلِمٍ» [٢٧١٣] فِي الذِّكْرِ وَالِدَعَاءِ
وغيره - : «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ ، وَرَبَّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، مُنَزَّلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالْقُرْآنَ ،
فَالِقِ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ
بِنَاصِيئِهِ ، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ أَحَدٌ قَبْلَكَ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ أَحَدٌ
بَعْدَكَ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ أَحَدٌ فَوْقَكَ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ أَحَدٌ
دُونَكَ ، أَقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» (١) .

اصول النعم وقالوا : أصول النعم أربعة : الإيمان ، والأمان ، والغنى ،
والعافية .

وقال سفيان : كَانَ مِنْ دَعَائِهِمْ : اللَّهُمَّ زَهِّدْنَا فِي الدُّنْيَا ،
فِي أَيْدِينَا لَا فِي قُلُوبِنَا
ووسّعها علينا ، ولا تَذُدْهَا عَنَّا ، وَتُرْعَبْنَا فِيهَا .

ويروى عنه ﷺ : أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : «أَرْحَمُوا ثَلَاثَةً : عَزِيزَ قَوْمٍ
ذَلَّ ، وَعَنِيَّ قَوْمٍ أَفْتَقَرُوا ، وَعَالِمًا بَيْنَ جُهَاالِ» (٢) .

= «مصنفه» والبيهقي في «الشعب» وابن عدي في «الكامل» وقال : في سنده
يزيد الرقاشي ضعيف .

(١) وأخرجه من حديث أبي هريرة أيضاً أبو داود (٥٠٥١) ، والترمذي
(٣٤٠٠) ، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧٩٠) ، وابن ماجه
(٢٨٧٣) . وفي بعض رواياته : شيء بدل أحد ، وبدل عتاً : عني ، وبدل
أغنتا : أغنتي .

(٢) أخرجه عن ابن مسعود القضاعي في «مسند الشهاب» (٤٢٧/١) بالفاظ
مقاربة .

وقيل : جَهْدُ الْبَلَاءِ أَنْ تَزُولَ النِّعْمَةُ ، وَتَبْقَى الْعَالَةُ ، ثُمَّ لَا تَعْدَمُ جَهْدَ الْبَلَاءِ صَدِيقًا مُؤْتَبًا ، وَعَدُوًّا شَامِتًا .

الفقر مجمع العيوب

وَكَانَ يُقَالُ : الْفَقْرُ مَجْمَعُ الْعُيُوبِ .

قَالَ حَسَّانُ [فِي « دِيْوَانِهِ » ٤٠] مِنْ الْخَفِيفِ :

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ ، وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ

وَقَالَ عَرُوةٌ [فِي « دِيْوَانِهِ » ٩١] مِنَ الْوَافِرِ :

ذَرَيْتُنِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ

وَقَالَ جَرِيرٌ [فِي « دِيْوَانِهِ » ٢٦] مِنَ الطَّرِيفِ :

تَرَادَفَهُمْ فَقْرٌ قَدِيمٌ وَذِلَّةٌ وَشَرُّ الْرَدِيفَاتِ الْمَذَلَّةُ وَالْفَقْرُ

وَمَا مِنْ خَصَلَةٍ تَكُونُ لِلْغِنَى مَدْحًا . . إِلَّا كَانَتْ لِلْفَقِيرِ ذَمًّا ، فَإِنَّ الصِّفَةَ الْوَاحِدَةَ لِلْغِنَى

كَانَ حَلِيمًا . . قِيلَ : بَلِيدٌ ، أَوْ شَجَاعًا . . قِيلَ : أَهْوَجُ ، أَوْ لَسِنًا . . مَدْحٌ وَالْفَقِيرُ ذَمٌّ

قِيلَ : مِهْذَارٌ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

وقيل لبعض أهل الحجا : كم لك من صديق؟ قال : لا أدري ؛ كم لك من الأصدقاء؟

لأنَّ الدُّنْيَا مَقْبَلَةٌ ، وَالْأَمْوَالَ عِنْدِي مَوْجُودَةٌ ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ ذَلِكَ لَوْ

وَلَّتْ . أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ طَرِيحٍ ؟! [مِنَ الْكَامِلِ] :

وَالنَّاسُ أَعْدَاءٌ لِكُلِّ مُدَقِّعٍ صِفْرِ الْيَدَيْنِ وَإِخْوَةٌ لِلْمُكْثِرِ

وَلَمَّا اسْتَوَزَرَ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى ، وَرَأَى اجْتِمَاعَ النَّاسِ حَوْلَهُ . . النَّاسُ مَعَ صَاحِبِ الدُّنْيَا

تَمَثَّلَ بِقَوْلِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ [فِي « دِيْوَانِهِ » ٢٢] مِنَ الْبَسِيطِ :

مَا النَّاسُ إِلَّا مَعَ الدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا فَكَيْفَمَا انْقَلَبْتَ يَوْمًا بِهِ انْقَلَبُوا

يُعْظَمُونَ أَخَا الدُّنْيَا فَإِنْ وَتَبَتْ يَوْمًا عَلَيْهِ بِمَا لَا يَشْتَهِي وَتَبُوا
وقديماً قيل : إذا أيسزت . . فكلُّ رحلٍ رحلك ، وإذا
أعسزت . . أنكرت حتى أهلك .

ما أكثر الإخوان حين
تعدهم
وكان في الجاهلية رجلٌ حسنُ الحالِ ، يختلفُ إليه إخوانه وبنو
عمه ، فيعطونهم ، ويواسونهم ، ثم أختلَّ أمره ، فجفوه ، فعاد إلى
منزله كئيباً ، فقالت له امرأته : ما شأنك ؟ فقال : دعيني عنك ،
وأنشأ يقول [الآيات في المستطرف ، ٩٦/٢ من الطويل] :

دَعِيَ عَنكَ عَذْلِي مَا مِنَ الْعُدْلِ أَعْجَبُ وَلَا بُدَّ حَالٍ بَعْدَ حَالٍ تَقَلُّبُ
وَكَانَ بَنُو عَمِّي يَقُولُونَ : مَرْحَبًا فَلَمَّا رَأَوْنِي مُقْتِرًا مَاتَ مَرْحَبُ
كَأَنَّ مُقْلًا حِينَ يَغْدُو لِحَاجَةٍ إِلَى كُلِّ مَنْ يَلْقَى مِنَ النَّاسِ مُذْنِبُ

همية ذي المال
ومرَّ رجلٌ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ بِرَجُلٍ مِنَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَتَحَرَّكَ لَهُ ،
وَأَكْرَمَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : هَلْ كَانَتْ لَكَ إِلَيْهِ حَاجَةٌ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ ذَا
الْمَالِ مَهِينُ ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

أَرَى كُلَّ ذِي مَالٍ يُجَلُّ لِمَالِهِ وَمَنْ لَيْسَ ذَا مَالٍ يُهَانَ وَيُحْقَرُ
وَيَخْذُلُهُ الْإِخْوَانُ ، إِنْ زَارَهُمْ جَفَوْا وَلَمْ يَسْأَلُوا إِنْ غَابَ بَلْ هُوَ يُهَجَرُ
سَأَفْنَعُ بِالْمَالِ الْقَلِيلِ تَكْرُمًا لِأَعْنَى بِهِ عَمَّا لَدَيْهِمْ وَأَصْبِرُ

خسة العالم الذي
يتواضع لغني
وهذا العالم لا شك أنه من صغار الثموس ، وزمناء المروءة^(١) ،
وضعفاء الدين ، وإلَّا . . فقد كان الأغنياء يتمنون أن لو كانوا فقراء

(١) زمناء المروءة : أصاب مروءتهم المرض .

في مجلسِ سفِيانِ الثَّورِيِّ ؛ لِمَا يرونَ مِنْ إِيثارِهِ إِيَّاهُمْ ، وذلكَ هَدْيِ
رسولِ اللَّهِ ﷺ ، لا يُنزلُ النَّاسَ إِلَّا عِنْدَ مواضعِهِمْ في الفضلِ
والدِّينِ ، وحديثُ عمرَ معَ صفوانِ بنِ أميَّةَ وسهيلِ بنِ عمرو ،
وتأخيرُهُ مجالسَهُمْ لرفعِ المهاجرينَ الأوَّلِينَ عليهم . . معروفٌ .

وفي وصفِ الإمامِ عليٍّ - كَرَّمَ اللَّهُ وجهَهُ - أَنَّهُ يحبُّ المساكينَ ، الإمامَ يحبُّ المساكينَ ،
ويُقَدِّمُ أهلَ الدِّينِ .

وما زالَ الحالُ في بلادِنَا - حرسها اللَّهُ - على ما كانَ عليه السَّلَفُ إكرامَ العلماءِ عندَ أهلِ
الصَّالحِ مِنْ إِيثارِ أهلِ الدِّينِ ، حتَّى لقد أخبرني الثَّقَةُ عَمَّنْ حضرَ
اجتماعَ الأعيانِ بمحضرِ الإمامِ حسنِ بنِ صالحِ البحرِ للمُشاورةِ في
غرضٍ مِنَ الأغراضِ : أَنَّ السَّيِّدَ الجليلَ أحمدَ الجنيدَ - وكانَ
بصيراً^(١) - سبقَ إلى مجلسِ يقربُ مِنَ الصِّدرِ ، فأقامَهُ الشَّهْمُ ألهمامُ
السَّيِّدُ حسينُ بنُ سهلٍ ، وقالَ لَهُ : إِنَّمَا الصِّدرُ للصدورِ مِنْ أهلِ
العلمِ ، وأمَّا مجلسي وإيَّاكَ وَمَنْ لَقَّنَا مِنْ أهلِ الثَّروةِ فَإِنَّمَا يكونُ في
الأخرياتِ ، نعمَ واللهِ ما زالَ عندنا الأمرُ كذلكَ حتَّى هدمَ شرفَ
الدِّينِ بُناتُهُ ، وأضاعَهُ حُماتُهُ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

والكلامُ في الغنى والفقيرِ معروفٌ ، والمفاضلةُ بينَ الفقيرِ
الصابِرِ ، والغنيِّ الشَّاكرِ طويلةُ الدَّليلِ ، وعامةُ الصُّوفِيَّةِ على تفضيلِ
الأوَّلِ ، وآياتُ القرآنِ أكثرُ دلالةً عليه ، ولو لم يكنْ مِنْها إِلَّا قولُهُ
تقدَّستْ أسماؤُهُ : ﴿ وَلَوْ لَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَجِدَّةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ

(١) قصد أنه أعمى ، وهو من قبيل تسمية الشيء بضده تفاضلاً .

بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضْلِهِ وَمَعَارِجَ عَلَيَّهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِيُؤْتِيَهُمْ آتُونًا
 وَسُرْرًا عَلَيَّهَا يَتَّكِفُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ [الزخرف : ٣٣-٣٥] .

وصف الإمام للنبي ﷺ ومما ينسبُ لأمير المؤمنين - كرمَ اللهُ وجهَهُ - في وصفهِ ﷺ قوله
 [في « نهج البلاغة » ١٨٧] : وقد زُوِيَتْ (١) عنه أطرافُها (٢) - ووُطِئَتْ لغيرهِ
 مِنَ العجَابرةِ أكنافُها (٣) - فليَنظُرْ ناظِرٌ بعقلِهِ ، هل أكرمَ اللهُ مُحَمَّدًا
 بِذَلِكَ أَوْ أهَانَهُ ؟ فَإِنْ قَالَ : أهَانَهُ .. فقد جاءَ بِالإفْكِ العَظِيمِ ، وَإِنْ
 قَالَ : أكرمَهُ .. فليعلمْ أَنَّ اللهُ أهَانَ غيرَهُ مَمَّنْ بسَطَ الدُّنْيَا لَهُ .

تواضعه ﷺ وقال ﷺ لعمرَ حينَ لَمْ يملكِ عينَهُ ، وقد رأى أثرَ الحَصِيرِ في جَنبِهِ ،
 وَلَمْ يَرَ ما يَرِدُ الطَّرْفَ في بيتهِ غيرَ القَرَطِ (٤) والأُهْبِ ، وذكرَ حالَ كسرى
 وقيصَرَ : «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟» (٥) .

تفضيل أهل الحديث وقال أهل الحديث : بتفضيل الثاني (٦) ؛ لِأَنَّهُ الْآخِرُ مِنْ
 أَحْوَالِهِ ﷺ ، وَلِمَا سَبَقَ مِنْ اسْتِعَاذَتِهِ مِنَ الْفَقْرِ ، وَقَرْنِهِ إِثَابَهُ بِالْكَفْرِ ،
 وَلَا يُشْكَلُ هَذَا بِمَوْتِهِ وَدَرْعُهُ مَرهُونَةٌ ؛ فَإِنَّ الْبِلَادَ قَدْ أَفْتُتَحَتْ ،

- (١) زُوِيَتْ : نُحِيَتْ ، وَوُوعِدَتْ .
- (٢) شيءٌ طريفٌ : طيبٌ ، والمعنى : أَنَّ اللهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى أَبَعَدَ نَبِيِّهِ ﷺ عَن
 طَيِّبَاتِ الدُّنْيَا ؛ لِيَدْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ .
- (٣) أكنافُها : نواحيها وجوانبُها .
- (٤) القَرَطُ : ورق شجر يدبغ به الأُهْبُ وهي الجلود .
- (٥) أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما البخاري (٤٩١٣) في التفسير ، وأحمد
 في « مسنده » (١٣٩/٣) .
- (٦) أي : الغني .

وَأَغْنَى الْأَرْضِ - وهي (الْيَمَنُ) - تَجِبُ إِلَيْهِ ، إِلَّا أَنَّ دَابَّةَ الْإِبْثَارِ ،
فَلَا بَأْسَ أَنْ يَحْصَلَ ذَلِكَ مَعَ اتِّصَافِهِ بِالْغِنَى بِلا تَغَايِرٍ .

وَمِنْ خِصَائِصِهِ : أَنَّهُ لَا يَبِيتُ عِنْدَهُ دِرْهَمٌ ، إِلَّا دِرْهَمٌ يَرِصِدُهُ
لِدِينٍ ، وَفِي « الصَّحِيحِ » [البخاري ١٢٢١] : أَنَّهُ أَنْصَرَفَ وَقَدْ أُقِيمَتِ
الْصَّلَاةُ ؛ لِتَدَكُّرِهِ تَبَرَّأَ فِي بَيْتِهِ ، وَلَمْ يَعُدْ حَتَّى تَبَرَّأَ مِنْهُ إِلَى مَنْ
يَسْتَحِقُّهُ ، فَهُوَ الْأَحَقُّ بِقَوْلِ جُوبَةَ بْنِ النَّضْرِ [مِنَ الْبَسِيطِ] :

إِنَّا إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا دَرَاهِمُنَا ظَلَّتْ إِلَى طُرُقِ الْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ
لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ صُرَّتَنَا لَكِنْ يُمِرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ
وَالْأَى . فَأَيُّ غِنَى يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَهُ ؟ : « مَنْ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا . .
فَلِوَرَثَتِهِ ، وَمَنْ مَاتَ وَتَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا . . فَعَلَيْنَا » (١) .

وَالكَلَامُ فِي ذَلِكَ يَسْتَدْعِي طَوْلًا ، وَمَعَ اخْتِلَافِهِمْ فِيمَا ذَكَرَ ، فَقَدْ
أَتَّفَقُوا عَلَى تَفْضِيلِ الْكِفَافِ ، وَلِهَذَا سَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَهْلِ بَيْتِهِ ،
فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوْتًا » (٢) .

وَفِيهِ إِشْكَالٌ ؛ لِأَنَّ الْمُشَاهَدَ مِنْ آلِ الْبَيْتِ أَنَّهُمْ كَسَائِرِ النَّاسِ ، اسْتِشْكَالَ حَدِيثِ :
«اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»
فِيهِمُ الْغِنَى وَالْفَقِيرُ وَالْمَسْكِينُ وَالْمَتَوَسِّطُ الْحَالِ ، حَتَّى لَقَدْ ذَهَبَ بِهَا
الْقَطْبُ الْحَدَّادُ - مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ ، وَغِزَارَةِ عِلْمِهِ ، وَبُعْدِ نَظَرِهِ -
عَرِيضَةً ، فَتَشَكَّكَ فِي نَسَبِ مَنْ يُثْرِي مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَيَلْزِمُهُ نَظِيرُهُ

(١) أَخْرَجَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ (١٦١٩) فِي الْفَرَاغِ بِالْفَاظِ
مُقَارَبَةً . الضَّيَاعُ : كُلُّ مَنْ تَلْزِمُهُ نَفَقَتُهُمْ وَيَضِيعُونَ بِضِيَاعِهِ وَفَقَدَهُ .
(٢) أَخْرَجَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ (١٧٤٧) فِي الزَّكَاةِ .

فِيَمَنْ يُعِدُّمُ ، وَأَحْسَنُ الْأَجْوِبَةِ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ الْأَمْرَادَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي
الْحَدِيثِ : إِنَّمَا هُمْ الْمَوْجُودُونَ إِذْ ذَاكَ ، لَا سَائِرُهُمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ .

وَالْأَجَاءُ مَا قَالَهُ الْحَدَّادُ ، أَوْ تَبَيَّنَ عَدَمُ قَبُولِ الدُّعَاءِ ، وَيَدْخُلُ فِي
الْمَوْضُوعِ كُلِّ مَا جَاءَ فِي ذِمِّ الدُّنْيَا وَمَدْحِهَا ، وَفِي ذَلِكَ إِشْكَالٌ عَظِيمٌ ،
يَأْتِي حَلُّهُ فِي الْمَجْلِسِ الثَّلَاثِ عَشَرَ بِمَا يَشْفِي وَيَكْفِي ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وقال أوس بن حارثة : خيرُ الغنى الكُنُوعُ ، وشرُّ الفقرِ الخُصُوعُ خير الغنى

وقال سالم بن وابصة [من الطويل] : الشعراء والغنى والفقر

غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ حَاجَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ الْغِنَى فَقَرًّا

وقال الأصبط بن قريع [من المنسرح] :

إِزْضَ مِنْ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفَعَهُ

وقال الجُرهمي [من البسيط] :

الْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا قَنَعَتْ بِهِ قَدْ يَكْثُرُ الْمَالُ وَالْإِنْسَانُ مُنْقَطِرٌ

وَأَلَمَ بِهِ النَّاطِمُ فِي قَوْلِهِ [في «العكبري» ١٥٠/٢ من الطويل] :

وَمَنْ أَنْفَقَ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ

وَأَنشَدَ الْأَصمعي [من البسيط] :

فَالَهُمْ فَضْلٌ وَطُولُ الْعَيْشِ مُنْقَطِعٌ وَالرِّزْقُ آتٍ وَفَضْلُ اللَّهِ مُنْتَظَرٌ

وَمِمَّا يُرْوَى لِلشَّافِعِيِّ [من البسيط] :

لِكِسْرَةٍ مِنْ جَرِيشِ الْخُبْزِ تُشْبِعُنِي وَنَهْلَةً مِنْ زُلَالِ الْمَاءِ تُزَوِّنُنِي

وَقِطْعَةٌ مِنْ غَلِيظِ الْقُطْنِ تَسْتُرُنِي حَيًّا وَإِنْ مِتُّ تَكْفِينِي لِتَكْفِينِي (١)

ويُروى له [مِنَ الْخَفِيفِ] :

أَمْطِرِي لَوْلَا جَبَالَ سَرَنْدِيدِ سَبَّ وَفِيضِي جِبَالَ تَكْرُورَ تَبْرَا
أَنَا إِنْ عِشْتُ لَسْتُ أَعْدَمُ قُوْتًا وَإِذَا مِتُّ لَسْتُ أَعْدَمُ قَبْرًا

وكان القاضي يحيى بن أكرم كثيراً ما ينشد [مِنَ الْبَسِيطِ] :

حَتَّى مَتَى أَنَا فِي حَطٍّ وَتَرْحَالٍ وَطُؤُلٍ سَعْيٍ وَإِذْبَارٍ وَإِقْبَالٍ
وَلَوْ قَعَدْتُ أَنَانِي الرُّزْقُ فِي دَعَاةٍ إِنَّ الْقُنُوعَ الْغِنَى لَا كَثْرَةَ الْمَالِ

وكان بعض أصحابه ينال من فضل معروفه ، غير أنه يلقى عنتاً في الوصول إليه ، وذلاً في الوقوف ببابه ، فأخذهُ الأتف من ذلك ، وأنجم في بيته ، فعاتبته امرأته ، فقال [مِنَ الطُّوِيلِ] :

تُكَلِّفُنِي إِذْذَالَ نَفْسِي لِعِزِّهَا وَهَانَ عَلَيْهَا أَنْ أَهَانَ لِتُكْرَمًا
تَقُولُ: سَلِ الْمَعْرُوفَ يَخِيَّ بْنَ أَكْرَمِ فَقُلْتُ: سَلِيهِ رَبِّ يَخِيَّ بْنَ أَكْرَمًا

وقال بعضهم [مِنَ السَّرِيعِ] :

مَنْ كَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَلَمْ يَقْنَعْ فَذَلِكَ الْمُوَسِّرُ الْمُوَسِّرُ
الْفَقْرُ فِي النَّفْسِ وَفِيهَا الْغِنَى وَفِي غِنَى النَّفْسِ الْغِنَى الْأَكْبَرُ

ويُروى عن الحسن في قوله تعالى : ﴿ فَلَنَحْيِيَنَّاهُ حَيوةً طَيِّبَةً ﴾ القناعة هي الحياة الطيبة

[النحل : ٩٧] : إِنَّهَا الْقِنَاعَةُ .

(١) أي : للوقت الذي ألبس فيه الكفن .

كيف تصيح ملكاً؟ وقيل لمحمد بن واسع : أوصني ، فقال : كُنْ ملكاً في الدنيا وفي الآخرة ، فقيل له : وكيف ؟ قال : أزهذ في الدنيا ، وأقنع .

أخذ بعضه الطَّعْرَائِيَّ فقال [من البسيط] :

مُلْكُ الْقَنَاعَةِ لَا يُخْشَى عَلَيْهِ وَلَا يُخْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْأَنْصَارِ وَالْخَوَالِ

القليل الكافي خير من الكثير الملهي
وصحَّ من حديث أبي الدرداء مرفوعاً : « مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ إِلَّا بُعِثَ بِجَنَبَتَيْهَا مَلَكَانِ يَتَادِيَانِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلُمُّوا إِلَيَّ رَبِّكُمْ ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى ، خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَيَّ » (١) .

الغنى غنى القلب
وصحَّ من حديث أبي ذرَّ يرفعه : « إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ ، وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ » (٢) .

عودة إلى الشعراء
وقال أبو فراس الحمداني [في «ديوانه» ٢٤٨ من الهزج] :

غِنَى النَّفْسِ لِمَنْ يَغْفَى — لُ خَيْرٌ مِنْ غِنَى الْمَالِ
وَفَضْلُ النَّاسِ فِي الْأَنْفَى — سِ لَيْسَ الْفَضْلُ فِي الْمَالِ

(١) أخرجه عن أبي الدرداء أحمد في «مسنده» (١٩٧/٥) ، والحاكم في «المستدرک» (٣٦٦٢) .

وتمام الحديث : « ولا آبت شمس قط إلا بعث بجنبتيهما ملكان يتاديان ، يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين : اللهم .. أعط منفقاً خلفاً ، وأعط ممسكاً ملاً تلقاً » .

(٢) أخرجه عن أبي ذر الحاكم في «المستدرک» (٣٦٣/٤) ، وابن حبان في «الإحسان» مطولاً (٦٨٥) بإسناد صحيح .

وقال نابغة ذبيان [في «ديوانه» ٢٣٢ من الوافر] :

وَلَسْتُ بِخَابِيٍّ لِعَدِ طَعَامٍ حَذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدِ طَعَامٍ

وقال قيس بن الخطيم [في «ديوانه» ١٠١ من الوافر] :

غَنَاءُ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غَنَاءً وَفَقْرُ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ شَقَاءً

وجهة نظر الخليل
الفراهيدي إلى الغنى
والفقر

وقال النضر بن شميل : أقام الخليل في حُصٍّ من أخصاصِ
(البصرة) ، لا يقدر على فلسٍ ، وأصحابه يكسبون بعلمه الأموالَ ،
ولقد سمعته يقول : إني لأغلقُ عليَّ بابي ، فما يجاوزهُ همِّي ، وكتبَ
إليه سليمانُ بنُ حبيبِ بنِ المهلبِ ، وهو والي (الأهوازِ)
(و فارسَ) ، يستدعيه ، فكتبَ الخليلُ في جوابِهِ [مِن البسيط] :

أَبْلَغُ سُلَيْمَانَ أَنِّي عَنْهُ فِي سَعَةٍ وَفِي غِنَى غَيْرِ أَنِّي لَسْتُ ذَا مَالٍ
شُحًا بِنَفْسِي أَنِّي لَا أَرَى أَحَدًا يَمُوتُ هُزْلًا وَلَا يَبْقَى عَلَى حَالٍ
وَالرِّزْقُ عَن قَدْرِ لَا الضَّعْفُ يَنْقِصُهُ وَلَا يَزِيدُكَ فِيهِ حَوْلٌ مُخْتَالٍ
وَالْفَقْرُ فِي النَّفْسِ لَا فِي الْمَالِ تَعْرِفُهُ وَمِثْلُ ذَاكَ الْغِنَى فِي النَّفْسِ لَا الْمَالِ

خير الرزق ما كان
مياومة

وأغارَ البحتريُّ على بيتِ النابغةِ السَّابِقِ فقال [مِن الوافر] :

إِذَا مَا كَانَ عِنْدِي قُوْتُ يَوْمٍ طَرَحْتُ أَلْهَمَ عَنِّي يَا سَعِيدُ
وَلَمْ تَخْطُرْ هُمُومُ غَدٍ بِيَالِي لِأَنَّ غَدًا لَهُ رِزْقٌ جَدِيدُ

وقال آخرُ [مِن البسيط] :

مَنْ كَانَ لَمْ يُعْطَ عِلْمًا فِي بَقَاءِ غَدٍ مَاذَا تَفَكَّرُهُ فِي رِزْقِ بَعْدَ غَدٍ

وقال غيره [من البسيط] :

لأضبرنَّ على عُسْرِي وَمَيْسَرَتِي يوماً بيومٍ كما تجبني العَصَافِرُ^(١)
وصحَّ أنه عليه السَّلامُ قال : « عَلَيْكَ بِالْإِيَّاسِ مِمَّا فِي أَيْدِي
النَّاسِ ، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعِ ؛ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ ، وَصَلُّ صَلَاتِكَ وَأَنْتَ
مُودَعٌ ، وَإِيَّاكَ وَمَا تَعْتَدِرُ مِنْهُ »^(٢) .

الطمع هو الفقر
والقناعة هي الغنى

وقال أبو العتاهية [في ديوانه] ١٤١ من الوافر :

أَطَعْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَدْتَنِي وَلَوْ أَنِّي قَنِعْتُ لَكُنْتُ حُرًّا
وقد سبق في غير هذا المجلس تعريض أبي فراسٍ بالنَّاطِمِ في قوله
[من البسيط] :

لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرْبِي وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِفْلَاحِ مِنْ شِيَمِي
وقال المعري [في ديوانه] ١٢٣ من الوافر :

أَخْمَلُ وَالنَّبَاهَةُ فِي لَفْظٍ وَأَقْتَرُ وَالْقَنَاعَةُ لِي عَتَادُ
وقال [في ديوانه] ٢٢٥ من الطويل :

وَإِنِّي لَمُشْرِ يَا أَبْنَ آخِرِ لَيْلَةٍ وَإِنْ قَلَّ مَالٌ فَالْقَنُوعُ ثَرَاءُ^(٣)

(١) لما أخرجه عن الخليفة الراشدي عمر رضي الله عنه ابن حبان في « الإحسان »
(٧٣٠) بإسناد جيد وغيره ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو أنكم
توكلون على الله حقَّ توكلِهِ ؛ لَرَزَقَكُمْ كما يَرزُقُ الطيرَ تغدو خماصاً وتروح
بطاناً . خماصاً : جياً . وتروح بطاناً : ترجع شباعاً ممتلئة البطون .

(٢) أخرجه عن سعد ابن أبي وقاص مالك رضي الله عنه الحاكم في « المستدرک »
(٣٦٢/٤) ، وفي الباب :

عن جابر رضي الله عنه رواه بنحوه الطبراني في « الأوسط » (٣٧٠/٧) .

(٣) ابن آخِرِ لَيْلَةٍ : هو الذي حملت به أمُّه في آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ طُهرِها ، وفي اعتقاد =

وقال [في «ديوانه» ١٩٠ من الطويل] :

وإِنَّ الْغِنَى وَالْفَقْرَ فِي مَذْهَبِ اللَّهِ
لَسَيَّانٍ بَلْ أَعْفَى مِنَ الثَّرْوَةِ الْعُدْمُ
فَمَا نِلْتُ مَالاً قَطُّ إِلَّا وَمَالَ بَنِي
وَلَا دِرْهَمًا إِلَّا وَدَرَّ بِي اللَّهُمَّ

وقال [في «ديوانه» ٢١١ من البسيط] :

وَالْمَوْتُ أَحْسَنُ بِالنَّفْسِ الَّتِي أَلْفَتْ
عِزَّ الْقِنَاعَةِ مِنْ أَنْ تَسْأَلَ الْقَوَاتَا

وقال [في «ديوانه» ٢٥٢ من الوافر] :

وَمَا يَنْفَكُ ذُو مَالٍ عَيْنِي
فَتَى جَعَلَ الْقُنُوعَ لَهُ عَتَادَا

وقال [في «ديوانه» ٢٦٩ من الطويل] :

سَيْطَلْبِي رِزْقِي الَّذِي لَوْ طَلَبْتُهُ
لَمَا زَادَ وَالْدُنْيَا حُظُوظٌ وَإِقْبَالُ

وهو من قول عروة بن أذينة [من البسيط] :

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي

وقال المعري أيضاً [من الطويل] :

وَهَلْ يَذْخَرُ الضَّرْعَامُ قَوَاتًا لِيَوْمِهِ
إِذَا أَدْخَرَ التَّمْلُ الطَّعَامَ لِعَامِهِ

وفي هذا يطول الكلام، وقد وثقناه حقاً من التفصيل في كتابنا «بلابل

التفريد» .

وأزمع ابن ميادة الكوفادة على المنصور ؛ ليمدحه بقصيدته التي علم ابن ميادة أن عنده

ناقة حلوباً فاستغنى عن

الملوك

يقول فيها [في «شعره» ١٠ من الكامل] :

قَوْمٌ إِذَا جَلِبَ الثَّنَاءُ إِلَيْهِمْ
يَبِيعُ الثَّنَاءُ هُنَاكَ بِالْأَرْبَاحِ

= العرب أآ الولد الذي حمل به على هذا النحو ولد ذميم .

فَأَرَا حَ عَلَيْهِ خَادِمُهُ بَلْبَنَ لَقْحَةٍ لَهُ^(١) ، فَشَرِبَ حَتَّى رُمِيَ الرَّيُّ يَخْرُجُ
مِنْ أَظْفَارِهِ ، وَصَارَتْ بَطْنُهُ مِثْلَ الْقَدْحِ ، فَقَالَ : أَيُوجَدُ مَعَنَا هَذَا كُلُّ
يَوْمٍ ؟ قَالَ لَهُ : نَعَمْ ، فَتَنَى عِزْمَهُ ، وَحَلَّ رِحْلَهُ .

ويعجبني قول مهيار [في «ديوانه» ١٣٨/٣ من الكامل] :

البخيل يبخل بالمال
فابخل بماء وجهك

يُلْحِي عَلَيَّ الْبُخْلُ الشَّحِيحُ بِمَالِهِ أَفَلَا تَكُونُ بِمَاءِ وَجْهِكَ أَبْخَلَ ۱٩
أَكْرِمُ يَدَيْكَ عَنِ السُّؤَالِ فَإِنَّمَا قَدَرُ الْحَيَاةِ أَقَلُّ مِنْ أَنْ تُسْأَلَ
وَلَقَدْ أَضْمُ إِلَيَّ فَضْلَ قَنَاعَتِي وَأَيُّتُ مُشْتَمِلًا بِهَا مُتَزَمِلًا
وَأُرِي الْعَدُوَّ عَلَيَّ الْخِصَاصَةَ حَالَةً تَصِفُ الْغِنَى فَيَخَالِنِي مَتَمَوْلًا
وَإِذَا أَمْرُو أَفْنَى اللَّيَالِي حَسْرَةً وَأَمَانِيًا . . أَفَيُتْهَنَنَّ تَوَكُّلًا

غَيْرَ أَنَّ الْقَوْلَ الْجَامِعَ قَوْلُهُ ﷺ : « لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَيَّ اللَّهُ حَقَّ
تَوَكُّلِهِ . . لَرَزَقْتُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا^(٢) وَتَرُوحُ
بِطَانًا^(٣) ، فَلَمْ يُثْنِ عَلَيَّ الْقَعُودِ وَلِزُومِ الْبُيُوتِ ، وَإِنَّمَا أَشَارَ
بِالْعَمَلِ ، وَنَهَى عَنِ الْاَلْتِفَاتِ إِلَيْهِ ، وَحَثَّ عَلَيَّ الْأَسْبَابِ ، وَأَمَرَ
بِالْاعْتِمَادِ عَلَيَّ مَسْبِيهَا .

الإخلاص في التوكل

ويعجبني ما ذكر ابن السبكي [في «طبقاته» ٢٣١/٤] عَنِ الْإِصْطَخَرِيِّ :

صدق رسول الله ﷺ إن
من الشعر لحكمة

أَنَّ أَبَا إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيَّ أَنْشَدَهُ ، وَلَمْ يُسَمِّ قَائِلًا ، وَهُوَ [مِنَ الطُّوِيلِ] :

صَبَرْتُ عَلَيَّ بَعْضِ الْأَذَى خَوْفَ كُلِّهِ وَالزَّمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَقْرَبَتْ

(١) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

(٢) تغدو خِمَاصاً : تخرج في الصباح ضامرة البطون .

(٣) أخرجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحاكم في «المستدرک»

(٤/٣٥٤) ، وسلف في التعليق .

وَجَرَّعْتُهَا الْمَكْرُوزَةَ حَتَّى تَدْرَبَتْ
 فَيَا رَبِّ عِزُّ جَرٍّ لِلنَّفْسِ ذِلَّةٌ
 وَمَا الْعِزُّ إِلَّا خَيْفَةُ اللَّهِ وَحَدَهُ
 سَأُضِدُّ نَفْسِي إِنْ فِي الصَّدَقِ حِكْمَةٌ
 وَأَهْجُرُ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ فَإِنِّي
 إِذَا مَا مَدَدْتُ الْكَفَّ التَّمِيسُ الْغِنَى
 إِذَا طَرَقْتَنِي النَّائِبَاتُ بِنَكْبَةٍ
 وَمَا نَكْبَةٌ إِلَّا وَاللَّهِ مِنْهُ
 تَبَارَكَ رِزَاقُ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
 فَكَمْ عَاقِلٍ لَا يَسْتَبِيْتُ وَجَاهِلٍ
 وَكَمْ مِنْ جَلِيلٍ لَا يُرَامُ حِجَابُهُ
 تَشُوبُ الْقَدَى بِالصَّفْوِ وَالصَّفْوُ بِالْقَدَى
 وَلَوْ حُمِّلْتُهُ جُمْلَةً لَأَشْمَأَزَتْ
 وَيَا رَبِّ نَفْسٍ بِالتَّذَلُّلِ عَزَتْ
 فَمَنْ خَافَ مِنْهُ خَافَهُ مَا أَقَلَّتِ
 وَأَرْضَى بِدُنْيَايَ وَإِنْ هِيَ قَلَّتِ
 أَرَى الْحِرْصَ جَلَابًا لِكُلِّ مَذَلَّةٍ
 إِلَى غَيْرِ مَنْ قَالَ أَسْأَلُونِي فَسَلَّتِ
 تَذَكَّرْتُ مَا عُوْفِيْتُ مِنْهُ فَقَلَّتِ
 إِذَا قَابَلْتَهَا أَدْبَرْتُ وَأَضْمَحَلَّتِ
 عَلَيَّ مَا أَرَادَ لَا عَلَيَّ مَا اسْتَحَقَّتِ
 تَرَقَّتْ بِهِ أَحْوَالُهُ وَتَعَلَّتِ (١)
 بِدَارِ غُرُورٍ أَدْبَرْتُ وَتَوَلَّتِ
 وَلَوْ أَحْسَنْتَ فِي كُلِّ مَالٍ لَمَلَّتِ

* * *

(١) لا يستبيط : أي ليس له بيت ليلة ، والبيت : القوت .

[قال أبو الطيب المتنبي في «العكبري» ٣٤/٤ من الطويل]:

وإلا نمت تحت السيف مكرماً نمت ونفاسي الدل غير مكرم

حث المتنبي على الإقدام
يحث على الإقدام ؛ لطلب العز ، ويقول : إن الموت لا بد منه ، فإما : تحت بارقة السيف على الشرف ، وإما : حتف الأنف على الدل والمهانة .

الشعراء تشجع الجبان وتحث على الإقدام
وما زالت الشعراء تشجع الجبان بمثل هذا ، وأحسن الخلق قولاً فيه الخوارج .

قال قطري بن الفجاءة [كما في «حياته وشعره» ٦٨ من الوافر]:

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لا تراعي^(١)
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حي وداعينه لأهل الأرض داع
وما للمرء خير في حياة إذا ما عد من سقط المتاع

وقال [في «ديوانه» ٦٩-٧٠ من الكامل]:

لا يركنن أحد إلى الإحجام يوم الوغى متخوفاً لحمام^(٢)

(١) طارت شعاعاً : تفرقت وانتشرت من الخوف .

(٢) يركنن : يميل . الإحجام : النكوص والرجوع .

فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرَّمَاكِ دَرِيَّةً مِنْ عَن يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي (١)
 حَتَّى خَضِبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي سَرْجِي وَسَائِرَ شِكْتِي وَلِجَامِي (٢)
 وَرَجَعْتُ مَوْفُورَ الْكِرَامَةِ فَائِزاً جَذَعَ الْبَصِيرَةَ قَارِحَ الْأَقْدَامِ (٣)

وقدم أحد العرب على معاوية في يوم حفله ، فقال : لي عندك لي عندك يد يا أمير المؤمنين
 يد يا أمير المؤمنين ، قال : وما هي ، قال : أما تذكر بـ (صقن)
 يوم أنتفخ سحرُك (٤) ، وأحولت عينك ، ووضعت رجلك في
 الركاب ؛ لتفرّ ، وقد لاح الظفرُ لأهل (العراق) ، فأخذت بيدك ،
 وقلت لك : إن العرب أعطتك قيادها ، وقلدتك أزمئتها ، وأعطتك
 من أنفسها شهرين ، فأعطها من نفسك ساعة ، ووالله لو كانت هند
 بنت عتبة مكانك . . ما فرّث ، ولا اختارت أن تموت كريمة ، فقلت
 لي : أخفض صوتك لا أم لك ، فتماسكت ، وتراجعت إليك
 نفسك ، وتمثلت بشعر أحفظ منه [من الوافر] :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَاشَتْ وَجَاشَتْ مَكَانَكَ تُخَمِدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي (٥)

فقال معاوية : صدقت ، ولوددت أنك الآن خفضت من صوتك ،
 يا غلام ، أعطه خمسين ألف درهم ، ولو كنت أحسنت الأدب . .
 لكننا أحسننا في الزيادة . والرواية بالمعنى ، واللفظ يزيد وينقص (٦) .

-
- (١) الدرية : العلامة التي توضع للرماة ؛ ليتدربوا على الرماية ، وتسمى أيضاً : درية .
 (٢) شكتي : سلاحي . في الديوان : أكتاف سرجي أو عنان لجامي .
 (٣) الجذع : القوي الكفتي . قارح الأقدام : مجروحها .
 (٤) انتفخ سحرُك : تعبير استخدمته العرب لمن ملأ الخوف جوفه .
 (٥) جاشت نفسه : ارتفعت من حزن أو فزع . جاشت نفسه : همت بالفرار .
 (٦) في الطريقة التي روى بها المؤلف رحمه الله القصة غض من مقام سيدنا معاوية =

ثلاثة من الفرسان جزعوا ثم صبروا
وقال عبد الملك بن مروان : جزع ثلاثة من فرسان العرب ثم صبروا ، وهم :

عمرو بن معد يكرب في قوله [من الطويل] :
فجاشت إليّ النفس أول مرة فردّت عليّ مكرؤها فاستقرت
وأبن الأطنابة في قوله [من الرافعي] :
وقولي كلما جاشت . . . [البيت السابق] .
وعتتر في قوله [في ديوانه ، ٢٩ من الكامل] :

إذ يتقون بي الأسنة لم أحم عنها ولكنني تضايق مُقدمي^(١)

= رضي الله عنه وعن كافة الصحابة أجمعين .
بل القصة كما جاءت في « المزهرة » (٢ / ٢٦٦) ، و « المستطرف »
(١ / ١٣٩) من كتب الأدب على النحو التالي :

قال ثعلب في « أماليه » : أخبرنا عبد الله بن شبيب قال : حدثني ثابت بن عبد الرحمن قال : كتب معاوية ابن أبي سفيان إلى زياد : إذا جاءك كتابي . . فأوفد إليّ ابنك عبيد الله ، فأوفده عليه ، فما سأله عن شيء إلا أنفذه له ، حتى سأله عن الشعر فلم يعرف منه شيئاً ، قال : فما منعك من روايته ؟ قال : كرهت أن أجمع كلام الله وكلام الشيطان في صدري ، فكتب إلى أبيه : بارك الله لك في ابنك ، فأروه الشعر فقد وجدته كاملاً ، وإنني سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : أرووا الشعر ؛ فإنه يدلُّ على محاسن الأخلاق ، ويقي مساوئها ، وتعلموا الأنساب ، فرب رحم مجهولة قد وصفتُ بعريان النسب ، وتعلموا من النجوم ما يدلُّكم على سُبُلِكُمْ في البرِّ والبحرِ .
ولقد هممتُ بالهرب يوم صقّين فما بئسني إلا قولُ ابن الأطنابة :

وقولي كلما جاشت وجاشت مكانك تخمديني أو تستريجي
(١) الخيم : الجين .

وثلاثة لم يجزعوا أصلاً

وَأَمَّا ثَلَاثَةٌ . . فَلَمْ يَجْزِعُوا أَصْلًا ، وَهَم :

قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ فِي قَوْلِهِ [فِي « دِيوانِهِ » ١٠٠ مِنْ الطُّوَيْلِ] :

وَإِنِّي فِي الْحَرْبِ الضَّرُّوسِ مُوَكَّلٌ بِإِقْدَامِ نَفْسِي مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا

وَعَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ فِي قَوْلِهِ [فِي « حَيَاتِهِ وَشِعْرِهِ » ٩٩ مِنْ الطُّوَيْلِ] :

أَقُولُ لِنَفْسِي مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا أَقْلِي أَخْتِرَاسًا إِنِّي غَيْرُ مُذَبِّرٍ

وَالْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ فِي قَوْلِهِ [مِنْ الْوَأْفِرِ] :

أَشُدُّ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لِأَبَائِي أَخْتَصِي كَانَ فِيهَا أُمَّ سِوَاهَا

وَمَتَا يُرَوَى لِلْأَعْوَرِ السَّلْمِيِّ ، قَالَ فِي (صَفَيْنَ) [مِنْ الطُّوَيْلِ] :

إِذَا مَا فَرَزْنَا كَانَ شَرٌّ فِرَارِنَا صُدُودَ خُدُودِ وَالْتِوَاءِ مَنَابِ
نُشِيحُ قَلِيلًا وَالْقَنَا مُشَاجِرٌ وَلَا تَبْرُحُ الْأَقْدَامُ عِنْدَ التَّنْضَارِبِ^(١)

وَقَدْ سَبَقَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَجْلِسِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ [فِي « دِيوانِهِ » ٣٠٣/٢

مِنْ الطُّوَيْلِ] :

وَقَدْ كَانَ فَوْتُ الْمَوْتِ سَهْلًا فَرَدَّهُ إِلَيْهِ الْحِفَاطُ الْمُرُّ وَالْحُلُقُ الْوَعْرُ^(٢)

وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْأَعْرَابِيَّةِ [مِنْ الطُّوَيْلِ] :

أَبَوْا أَنْ يَفِرُّوا وَالْقَنَا فِي نُحُورِهِمْ وَلَمْ يَتَنَفَّعُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سَلَمًا
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعَزَّةً وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا

(١) أشاح بوجهه : أماله .

(٢) الحِفَاطُ الْمُرُّ : الدُّبُّ الشَّدِيدُ عَنِ الْمَحَارِمِ . الْحُلُقُ الْوَعْرُ : الشَّدَّةُ عِنْدَ الْمَنَازَعَةِ .

مكتوب على ذي الفقار ويروى بضعفٍ : أَنَّهُ كَانَ مَكْتُوبٌ عَلَى ذِي الْفَقَارِ (١) هَذَا الْبَيْتُ
[مِنَ الْبَسِيطِ] :

فِي الْجُبْنِ عَارٌ وَفِي الْإِقْدَامِ مَكْرُمَةٌ وَالْمَرْءُ بِالْجُبْنِ لَا يَنْجُو مِنَ الْقَدْرِ
قصة الحصين بن
الحمّام وبني جوشن

وَسَبِيهُ : أَنَّ بَنِي جَوْشَنَ - مِنْ غَطْفَانَ - قَتَلَتْ جَاراً لِبَنِي سَهْمٍ ،
رَهْطَ الْحَصِينِ وَعَقِيلِ بْنِ عُلْقَمَةَ ، وَكَانَ عَقِيلٌ غَائِباً ، فَبَعَثَ بِأَبْيَاتٍ
يَحْرِضُ أَمَاثِلَ (٢) بَنِي سَهْمٍ عَلَى غَسْلِ الْعَارِ بِالدَّمِ ، فَقَالَ الْحَصِينُ :
إِيَّايَ عَنَى ، وَبِي نَوْةٌ ، وَامْتَشَقَ الْحُسَامُ ، وَأَبْلَى أَحْسَنَ الْبَلَاءِ ،
وَقَالَ الْبَيْتَ السَّابِقَ ، مِنْ قَصِيدَةٍ سَبَقَ بَعْضُ أَبِيَاتِهَا فِي خِلَالِ
الْمَجَالِسِ ، وَمِنْهَا فِي «شَرْحِ الْحِمَاسَةِ» ٣١٦/١ - ٣٤٠ - ٣٤١ مِنَ الطُّوِيلِ :

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَذْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَعْقَابِنَا تَقَطَّرُ الدِّمَاءُ
نُفَلِّقُ هَاماً مِنْ كِرَامٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا
وَلَمَّا رَأَيْنَا الصَّبْرَ قَدْ حِيلَ دُونَهُ وَقَدْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبِ مُظْلِمَا
صَبْرُنَا وَكَانَ الصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةً بِأَسْيَافِنَا يَفْطَعْنَ كَفًّا وَمِعْصَمَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْوُدَّ لَيْسَ بِنَافِعِي عَمَدْتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمَا
فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبَبِهِ وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمَا

(١) ذُو الْفَقَارِ : أَسْمُ سَيْفِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ لظَهْرِهِ مِثْلَ فِقَارِ
الظَّهْرِ .

(٢) الْأَمَاثِلُ : الْأَخْيَارُ .

وقيل للمهلبِ ابنِ أبي صفرةَ : إِنَّكَ لَتُلْقِي نَفْسَكَ فِي الْمَهَالِكِ ، الموت آت على كل
 فقالَ : إِنْ لَمْ آتِ الْمَوْتَ مُسْتَرَسِلاً . . . أَتَانِي مُسْتَعْجِلاً ، إِنْني لستُ ^{حال}
 آتِي الْمَوْتَ مِنْ حُبِّهِ ، وَلَكِنِّي آتِيهِ مِنْ بُغْضِهِ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ
 الْحَصِينِ :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ . . . الْبَيْتُ

وما زالتِ الْعَرَبُ تَمَادِحُ بِالْقَتْلِ ، وتتهاجى بِالْمَوْتِ عَلَى المدح بالقتل
 الْفَرَاشِ ، فتقولُ : فلانُ ماتَ عَبْطَةً ^(١) ، وماتَ حتفَ أنفه .

وقالَ الْأَسْمَوَالُ [في «ديوانه» ٤٦ - ٤٧ مِنَ الطَّوِيلِ] :

لا يموت السيد في
 فراشه

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ وَلَا طَلٌّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ ^(٢)
 نَسِيلٌ عَلَى حَدِّ الطُّبَّاتِ نَفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الطُّبَّاتِ نَسِيلٌ ^(٣)

وقد أنفَ عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ أَنْ يَمُوتَ عَلَى فِرَاشِهِ ، فركبَ ظَهَرَ دَابَّتِهِ .

وتوجَّعَ خالِدُ بنُ الْوَلِيدِ مِنْ مَوْتِهِ عَلَى الْفَرَاشِ ، وما مِنْ مَوْضِعٍ
 أَرْبَعَةَ أَصَابِعٍ مِنْ بَدَنِهِ إِلَّا فِيهِ طَعْنَةٌ بِرِمْحٍ ، أو ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ ، وقالَ :
 وَيْلٌ لِلْجَبْنَاءِ !

وذكرَ الْأَصْفَهَانِيُّ [كما في «الأغاني» ١٩ / ١٤٠] : أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ نَعْيُ
 الْمُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ إِلَى (مَكَّةَ) . . . أَضْرَبَ عَبْدُ اللَّهِ أَيَّاماً عَنِ الْكَلَامِ ،
 حَتَّى تُحَدِّثَ بِهِ فِي الطَّرَقَاتِ ، فصعدَ الْمَنْبَرَ ، وجلسَ مَلِيّاً

(١) الْعَبْطَةُ : الصَّحِيحُ الشَّابُّ .

(٢) الْمَعْنَى : لم يموت منا سيّد دون أن يأخذَ بثأره . وطلٌّ دمُ فلانٍ : هدرَ ولم يُثأَرَ
 لَهُ .

(٣) الطُّبَّاتُ - جمعُ طَبَّيَّةٍ - : وهي الشُّيُوفُ .

لا يتكلمُ ، والكأبة عليه باديةٌ ، والعرقُ يترشُّحُ من جبينه ، فقال
واحدٌ لآخرَ : ما له لا يتكلمُ ، وهو والله الخطيبُ المِصْقَعُ^(١) .

قال الآخرُ : أراه يريدُ أن يذكرَ سيّدَ العربِ المِصْعَبَ ، فهو
يتصعّدُ به^(٢) ، حتّى قال :

الحمدُ لله ، الذي له الخلقُ والأمرُ ، ملكِ الدنيا والآخرة ، يُعزُّ^١
من يشاءُ ، ويؤدُّ من يشاءُ ، ألا وإنّه لا يذلُّ من كان الحقُّ معه وإن
كانَ ضعيفاً مفرداً ، ولا يعزُّ من كانَ على الباطلِ وإن استظهرَ عدّةً
وعدداً ، ألا وإنّه أتانا خبرٌ من (العراقِ) فساءنا وسرّنا . أتانا أنّ
مصعباً قُتل ، فأما الذي أحزننا . . فإنَّ لفراقِ الحميمِ لذعةً ولوعةً ،
يجدُها حميمُهُ عندَ المصيبةِ ، ثمَّ يرعوي أولو الرأْيِ إلى الصّبرِ ،
وأما الذي سرّنا منه . . فإنَّ قتله كانَ له شهادةً ، وإنَّ اللهَ جاعلٌ لنا وله
في ذلكِ الخيرةَ ، ألا وإنَّ أهلَ (العراقِ) أهلُ الغدرِ والشقاقِ ،
باعوه بأقلِّ الأثمانِ وأخسرها ، وأسلموه إسلامَ النّعمِ المُخْطِمةِ^(٣) ،
حتّى قُتل ، ولئن قُتل . . فقد قُتلَ أبوه وعمُّه وأخوه ، وكانوا الخيارَ
الصّالحينَ ، وإنّا واللهِ ما نموتُ حتفَ أنافنا ، ولكنَّ قِصصاً^(٤)
بالرّماحِ ، وضرباً بالشُّيُوفِ ، لا كما تموتُ بنو مروانَ ، واللهِ ما قُتلَ
منهم رجلٌ في جاهليّةٍ ولا إسلامٍ ، وإنّما الدنيا عاريةٌ من المَلِكِ
الجبارِ الذي لا يزولُ سلطانهُ ، ولا يبيدُ ملكُهُ ، فإنَّ تُقبِلِ الدنيا

(١) المِصْقَعُ : البليغُ .

(٢) يتصعّدُ به - أي ذكّرَ مصعب - : يتعب تعباً شديداً .

(٣) المُخْطِمةُ : التي وضع في أنفها الزمام أو المُلجِمةُ .

(٤) قِصصاً : طعنًا ، ووردت في المخطوط : قصصاً ، وهو تصحيف .

عليّ . . لا آخذها أخذ اللّثيم البطر ، وإن تدبر عني . . لا أبكي عليها
بكاء الحرف المهتر^(١) ، ثم نزل .

وقد قال ابن دريد : أعرق الناس في القتل آل الزبير ، فقد قتل آل الزبير أعرق الناس
عمارة بن حمزة وأبوه بـ (قديد) ، وقتل عبد الله بـ (مكة) ، وقتل في القتل
مصعب وأبنته بـ (العراق) ، وقتل الزبير بـ (وادي السباع) ، وقتل
العوام في يوم الفجار ، وقتل خويلد بن أسد في حرب خزاعة ، عدا
من قتل من أبنائهم وأحفادهم ، وكان قتل عمرو بن الزبير على يد
أخيه عبد الله ، كانوا يضربونه ، وألقيح ينضح من ظهره وأكتافه ، ثم
أرسلوا عليه الجعلان^(٢) ، فأكل منه ، وهو مقيّد مغلول ، يستغيث
فلا يغاث ، حتى مات على تلك الحالة .

فبحق ما يقول عبد الله ، وما يقول فيهم الشاعر ، ونصه [من
المتقارب] :

وَأَلَّ الزُّبَيْرِ بَنُو حُرَّةٍ مَرَوْا بِالسُّيُوفِ صُدُوراً حِنَاقاً^(٣)
يَمُوتُونَ وَالْقَتْلُ دَاءٌ لَهُمْ يُغِيثُونَ يَوْمَ السَّبَاقِ السَّبَاقَا
إِذَا فَرَجَ الْقَتْلُ مِنْ عَيْنِهِمْ أَبِي ذَلِكَ الْعَيْصُ إِلَّا أَنْفَاقاً^(٤)

فما كان أحقهم بقول السموأل [في ديوانه ٤٦١ من الطويل] :

يَقْرَبُ حُبَّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكَرَّهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ

(١) المهتر : المخطيء في كلامه .

(٢) الجعلان : دابة سوداء من دواب الأرض .

(٣) مروا بالسيوف : زيناوا .

(٤) عيص الرجل : منبت أصله ، والمعنى : كلما حاول القتل تشتيت شملهم . .
التأموا .

وللهِ دُرٌّ أبني تَمَامٍ في قولهِ [كما في «ديوانه» ٣٠٧/٢ من البسيط] :

فِيمَ الشَّمَاتَةِ إِغْلَانًا بِأَسَدٍ وَعَنَى أَفْنَاهُمُ الصَّبْرُ إِذْ أَبْقَاكُمْ الْجَزَعُ

ولمَّا أَتَدَبَ لِخِطْبَةِ مَاوِيَةَ ، حَاتِمٌ ، وَأَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ لَامٍ ،
وَزَيْدُ الْخَيْلِ . . قَالَتْ لَزَيْدٍ : أَمَّا أَنْتَ يَا زَيْدُ ، فَقَدْ وَتَرْتَ الْعَرَبَ
بِأَسْرِهَا ، وَبِقَاوِكَ مَعَ الْخُرَّةِ قَلِيلٌ^(١) ، فَيَا بَرْدَ ذَلِكَ الْكَلَامِ عَلَى
قَلْبِهِ ، وَمَا أَرْفَعَهُ لِرَأْسِهِ ، وَأَشْمَخَهُ لِأَنْفِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ رُدُّهُ ، وَفِي
الْقِصَّةِ طَوْنٌ ، وَلَوْلَا خَشْيَةُ الْإِمْلَالِ . . كُنْتُ أَمَلْتُهَا بِحَذَافِيرِهَا ؛
فَإِنَّهَا مِنْ طَرَائِفِ الْأَخْبَارِ ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي «أَمَالِي الزَّجَّاجِيِّ» [ص/

. [١٠٩-١٠٦]

وَقَالَ الطَّرِمَّاحُ [في «ديوانه» ٣٣٣-٣٣٥ من الطويل] :

وَإِنِّي لَقِيَّادُ جَوَادِي فَقَاذِفٌ بِهِ وَبِنَفْسِي الْيَوْمَ إِحْدَى الْمَتَالِفِ
لَأَكْسَبَ مَالًا أَوْ أُؤْوَبَ إِلَى غِنَى مِنْ اللَّهِ يَكْفِينِي أَمْتِنَانَ الْخَلَائِفِ
فَيَا رَبِّ إِنْ حَانَتْ وَقَاتِي فَلَا تَكُنْ عَلَيَّ شَرْجِعٌ يُكْسِي بِخُضْرِ الْمَطَارِفِ^(٢)
وَلَكِنَّ قَبْرِي بَطْنُ دَوْ مَقِيلُهُ بِجَوْ سَمَاءٍ فِي نُسُورِ عَوَائِفِ^(٣)

قصيدة للطرماح يتمنى
فيها أن يموت أفضل
مينة

(١) وتَمَامٌ قولها : وأما أنت يا أوس فرجلٌ ذو ضرائرَ ، والصبر عليهن شديد ، وأما
أنت يا حاتم فمرضِيُ الخلائق ، محمود الشيم ، كريم النفس وقد زوجتك
نفسِي .

(٢) الشَّرْجِعُ : السريرُ يحملُ عليه الميثُ ، وهو النعشُ . المطَارِفُ - جمعُ مُطْرِفٍ
- وهو ثوبٌ مربعٌ من خَزْ .

(٣) الدَّوُّ : الفلاةُ الواسعةُ . النُّسُورُ العوائِفُ : التي تدورُ حول الشيءِ تريدُ الوقوعَ
عليه .

وَأَمْسِي سَهَيْدًا نَائِبًا فِي عِصَابِي يُصَابُونَ فِي فَجٍّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفٍ (١)
فَوَارِسُ أَشْتَاتٍ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُمْ هُدَى اللَّهِ نَزَّالُونَ عِنْدَ الْمَوَاقِفِ

قال ابن شبرمة : بينا أنا في بعض شوارع (الكوفة) . . إذا جنازة لم يتحقق حلمه ومات عليها مطرف خز أخضر ، فسألت عن صاحبها ، فقيل : الطرماح ، فعلمت أن الله تعالى لم يستجب له .

وقالت أم معدان الأعرابية عن بينها [من البسيط] : الشعراء والشجاعة

كَانَتْ لَهُمْ هَمٌّ فَرَقَنَ بَيْنَهُمْ إِذَا الْقَعَادِيدُ عَنْ أَمْثَالِهَا قَعَدُوا (٢)
فَعُلُّ الْجَمِيلِ وَتَفْرِيجُ الْجَلِيلِ وَإِسْدَاءُ الْجَزِيلِ الَّذِي لَمْ يُسَدِّهِ أَحَدٌ

وقال عنترب [في ديوانه ١١٤ من الطويل] :

فَيَا رَبَّ لَا تَجْعَلْ حَيَاتِي دَنِيَّةً وَلَا مِيتِي يَا رَبَّ بَيْنَ النَّوَاحِ
وَلَكِنْ صَرِيحًا بَيْنَ أَرْمَاحِ فِتْيَةٍ طَوَالِ الْقَنَا مِنْ فَوْقِ أَجْرَدِ سَابِحِ

وقد سبق قول أبي تمام في غير هذا المجلس (فتى مات بين الضرب والطعن . . .) إلى آخر الأبيات .

وقال [في ديوانه ٢٤٤ من البسيط] :

فَلُّوا وَلَكِنَّهُمْ طَابُوا فَأَنْجَدَهُمْ جَيْشٌ مِنَ الصَّبْرِ لَا يُحْصَى لَهُ عَدْدُ
إِذَا رَأَوْا لِلْمَنَائِي عَارِضًا لَبَسُوا مِنَ الْيَقِينِ دُرُوعًا مَا لَهَا زَرْدٌ (٣)
نَاوَا عَنِ الْمُضْرِحِ الْأَذْنَى فَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا السُّيُوفَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ مَدَدٌ (٤)

(١) طريق خائف : أي مخيف يخيف الناس .

(٢) القعاديد من الرجال : الجبناء القاعدون عن الحرب والمكارم .

(٣) العارض : ما أترض في الأفق فسده . الزرد : حلق المغفر والدرع .

(٤) المضريح : المغيث .

وقال أبو عبادَةَ [في «ديوانه» ٣/ ١٩٤١-١٩٤٤ من الطويل] :

أَبَا غَانِمِ أزدَى بَيْنِكَ أَعْتِقَادُهُمْ بِأَنَّ الرَّدَى فِي الْحَرْبِ أَكْبَرُ مَعْنَمِ
مَضُوا يَسْتَلِدُونَ الْمَنَايَا حَفِظَةَ وَحِفْظًا لِذَاكَ السُّؤْدُدِ الْمُتَقَدِّمِ
وَمَا طَعَنُوا إِلَّا بِرُمَحِ مُوَصَّلِ وَلَا ضَرَبُوا إِلَّا بِسَيْفِ مُثَلِّمِ
دَعَتْهُمْ آفَاتِنُ الرَّدَى فَتَتَابَعُوا تَتَابَعِ مُنْبِتِ الْفَرِيدِ الْمُنْظَمِ^(١)
سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْخَلَائِقِ إِنَّهَا مُنْزَهَةٌ مِنْ كُلِّ عَارٍ وَمَأْتَمِ
مَسَاعِ عِظَامٍ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُهَا وَإِنْ بَلِيَتْ مِنْهَا رَمَائِمُ أَعْظَمِ
أَحَبُّ بَنُوكَ الْمَكْرُمَاتِ فَفَرَّقَتْ جَمَاعَتَهُمْ فِي كُلِّ ذَهْيَاءِ صَيْلَمِ^(٢)
تَدَانَتْ مَنَايَاهُمْ بِهِمْ وَتَبَاعَدَتْ مَضَاجِعُهُمْ عَنِ تَرْبِكَ الْمُتَنَسِّمِ
فَكُلُّ لَهْ قَبْرِ غَرِيبٍ يَبْلُدُهُ فَمِنْ مُنْجِدِ نَائِي الضَّرِيحِ وَمُنْهِمِ^(٣)
قُبُورٍ بِأَطْرَافِ الْبِلَادِ كَأَنَّمَا مَوَاقِعُهَا مِنْهَا مَوَاقِعُ أَنْجَمِ

وقال بعض شعراء الحماسة [في «شرح الحماسة» ١٢/ ١١٣-١١٥ من

الطويل] :

سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبًا عَلَيَّ قَضَاءُ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبَا
وَأَذْهَلُ عَن دَارِي وَأَجْعَلُ هَذْمَهَا عِزِّي مِنْ بَاقِي الْمَذَلَّةِ حَاجِبَا
وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا أَتَيْتُ يَمِينِي بِإِذْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبَا^(٤)

(١) الفريدُ : اللؤلؤ المنظوم . المنبتُ : الذي أنقطع . والمعنى : أنهم يتتابعون

كما هو حال المقدِّم إذا أنقطع ، وهو كناية عن شدَّة سرعتهم إلى ما رموا إليه .

(٢) الدهيَاءُ : ما يصيب الإنسان من نوائب الدهر . الصَيْلَمُ : الأمر الشديد .

(٣) المنجِدُ : الذي قبره بـ (نجيد) . مُنْهِمٌ : من قبره بـ (تهامة) .

(٤) التِّلَادُ : المال القديم .

فَإِنْ تَهْدِمُوا بِالْغَدْرِ دَارِي فَإِنَّهَا
أَحْيِي عَزَمَاتٍ لَا يُطِيعُ عَلَى الدِّي
إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ
إِذَا هَمَّ لَمْ تُزْدَعْ عَزِيمَةُ هَمِّهِ
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي شَأْنِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ
تُرَاثُ كَرِيمٍ لَا يُبَالِي الْعَوَاقِبَا
يَهُمُّ بِهِ مِنْ هَائِلِ الْأَمْرِ عَاتِبَا
وَنَكَّبَ عَنِ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا
وَلَمْ يَأْتِ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ هَائِبَا
وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا

وقال ابن هانيء الأندلسي [في «ديوانه» ١٤٤ من الطويل] :

وَلَمْ أَجِدِ الْإِنْسَانَ إِلَّا ابْنَ سَعِيهِ
وَبِالْهِمَّةِ الْعُلَيَاءِ تَزَقَى إِلَى الْعُلَا
وَلَمْ يَتَأَخَّرْ مَنْ أَرَادَ تَقَدُّمًا
فَمَنْ كَانَ أَسْعَى كَانَ بِالْمَجْدِ أَجْدَرَا
فَمَنْ كَانَ أَعْلَى هِمَّةً كَانَ أَظْهَرَا
وَلَمْ يَتَقَدَّمْ مَنْ أَرَادَ تَأَخَّرَا

وقال أبو نصر ابن نباتة [من الطويل] :

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ
تَعَدَّدَتِ الْأَسْبَابُ وَالْمَوْتُ وَاحِدُ

وقال أبو فراس [في «ديوانه» ٢٩٢ من الوافر] :

مَتَى مَا يَذُنُ مِنْ أَجَلِي كِتَابِي
أُمْتُ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ وَالْأَعِنَّةِ

وقال الموسوي [من الطويل] :

وَيَسْتَقْبِحُونَ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ رَاحَةٌ
وَأَتَعَبُ مَيِّتٍ مَنْ يَمُوتُ بِدَاءِ

وقال بكر بن عبد العزيز [من الخفيف] :

إِنَّ مَوْتَ الْفِرَاشِ ذُلٌّ وَعَارٌ
وَهُوَ تَحْتَ الشُّيُوفِ فَضْلٌ شَرِيفٌ

وهنا ذكرت قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الشُّهَدَاءِ أَحْيَاءَ
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

أمنية الشهيد وقوله ﷺ : «لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ» (١) .

شجاعة الإمام وقول ابن أبي طالب - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ [في «نهج البلاغة» ١٤٢] - :
(وَاللَّهُ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفَرَاشِ) .

تقديم النبي ﷺ آل بيته في القتال عند إحجام الشجعان وقوله - رضوانُ الله عليه - [في «نهج البلاغة» ٣١٤] : (وَكَانَ ﷺ إِذَا اشْتَدَّ الْبَأْسُ ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ . . قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ ، فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ الْأَسْنَةِ وَالسُّيُوفِ ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ [بِابْنِ الْحَارِثِ] يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقُتِلَ جَعْفَرُ يَوْمَ مُوتَةَ ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ . . ذَكَرْتُ أَسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ ، غَيْرَ أَنَّ مَنَائِمَهُمْ عَجَلَتْ ، وَمِيتَتُهُ أُجَلَّتْ) .

والمراد بالناس في قوله عليه السلام : (وَأَحْجَمَ النَّاسُ) هم مراجيح الأبطال ، ولهاميم الرجال ، فأهل البيت حيثنذ كما قال أبو تمام [من الطويل] :

فَتَى كُلَّمَا أَرْتَادَ الشُّجَاعُ مِنَ الرَّدَى مَفْرَأً غَدَاةَ الْمَأْرِقِ أَرْتَادَ مَصْرَعًا
وفيهم أقول [كما في «ديوان المؤلف» ٨٨ من الطويل] :

مَسَاعِيرُ لَا يَقْضُونَ حَنْفَ أَنْوْفِهِمْ وَلَكِنْ كِرَامًا فِي مَجَالِ الْوَعَى جُزْرًا
ويروى : أَنَّ زَيْنَ الْعَابِدِينَ السَّجَّادَ كَانَ لَا تَرَقُّ لَهُ دَمْعَةٌ (٢) ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : كَيْفَ ؟! وَقَدْ رَأَيْتُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْ آبَائِي

(١) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه البخاري (٣٦) في الإيمان ، ومسلم (١٨٧٦) في الإمارة .
(٢) لا ترقأ : لا تهدأ .

وإخواني يُنحرونَ كما تُنحرُ الإبِلُ في غداةٍ واحدةٍ ، وهو هاضمٌ
 لنفسه في مقاتلته ، وإلا... فالمعروفُ من حاله في كثرة بكائه الخشيئةُ
 من الباري عزَّ وجلَّ ؛ ولهذا كانَ يصفرُّ كلما دخلَ في الصَّلَاةِ ،
 ويُغشى عليه عندما يشرعُ في التَّلبيةِ ، ومع ذلكَ فالبكاءُ على نجومِ
 الأرضِ داخلٌ في البكاءِ من خشيتِهِ تعالى ؛ لأنَّ مصائبَهُم ثلومُ
 الإسلامِ [من الطويل] :

عَلَى مِثْلِهِمْ فَلْتَلْطِمِ الْعَيْنُ حَدَّهَا بِسَبْعِ مِنَ الْخُمْرِ الْقَوَانِي عَلَى سَبْعِ
 وقد رخصَ النَّبِيُّ ﷺ فيما كانَ من دمعِ العينِ ، وحرزَ
 القلبِ (١) ، والسَّجَّادُ لا محالةَ واقفٌ عندَ ما رسمَ له جدُّه من ذلكَ ؛
 لأنَّهُ من القومِ الذين يقولُ فيهم ابنُ أوسٍ [من الطويل] :

فَلَمَّا دُعُوا لِلْمَوْتِ لَمْ تَبْكْ مِنْهُمْ عَلَى حَادِثِ الدَّهْرِ الْعُيُونُ الدَّوَامُ
 وقد قالَ الملكُ الضَّليلُ [من الطويل] :

ربما يكون البكاء دواء
 عند الشعراء

وإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ لَوْ سَفَحْتُهَا وَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعْوَلٍ ؟
 وقالتِ الخنساءُ [من مجزوء الكامل] :

إِنَّ الْبُكَاءَ هُوَ الشِّفَا ءُ مِنْ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ

(١) وذلك في الحديث الذي رواه عن أنسٍ رضي الله عنه البخاري (١٣٠٣) في
 الجنائز ، قال : دخلنا مع رسولِ الله ﷺ على أبي سيفٍ القيني ، وكانَ ظفراً
 لإبراهيمَ عليه السلامُ ، فأخذَ رسولُ الله ﷺ إبراهيمَ فقبَلَهُ وشَمَّهُ ، ثمَّ دخلنا عليه
 بعدَ ذلكَ ، وإبراهيمُ يحدوُ بنفسه ، فجعلتُ عينا رسولِ الله ﷺ تذرِفانِ ، فقالَ له
 عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ رضي الله عنه : وأنتَ يا رسولَ الله ؟ فقالَ : « يا ابنَ
 عوفٍ ، إنها رحمةٌ » . ثمَّ أتبعها بأخرى ، فقالَ ﷺ : « إِنَّ الْعَيْنَ تدمعُ ، والقلبُ
 يحزنُ ، ولا نقولُ إلا ما يرضى ربُّنا ، وإنَّا بفراقِكَ - يا إبراهيمَ - لمحزونونَ » .

وقال ذو الرِّمَّة [في «ديوانه» ٢/ ٣٣٣ من الطويل] :

لَعَلَّ أَنْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنْ التَّوَجِدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ

وقال أبو عبادة [من الطويل] :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْضَخِ جَوَاكِ بِعَبْرَةٍ غَلَا فِي التَّمَادِي أَوْ قَضَى فِي التَّسْعِرِ

وقال [من الوافر] :

تَعَوَّدُ عَوَائِدُ الدَّمْعِ الْمُرَاقِ عَلَى مَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ أَحْتِرَاقِ

وقال [في «ديوانه» ٣/ ١٧٦٣ من الخفيف] :

عَلَّ مَاءَ الدَّمْعِ يُخِمِدُ نَاراً مِنْ جَوَى الْقَلْبِ أَوْ يَبُلُّ غَلِيلاً

وقال [في «ديوانه» ١/ ١٩٠ من الطويل] :

فَإِنْ أَبُكَ لَا أَشْفِ الْغَلِيلَ وَإِنْ أَدَغَ أَدَغَ حُرْقَةً فِي الصَّدْرِ ذَاتَ تَلْهَبِ

وبعض ما يناسب هذا مع الإحالة على ما هنا ، أوائل المجلس الثاني ، ثمَّ إنَّها تداخلت علينا الشواهد في الموضوع ، وكلما خرجنا عن مبحث .. رجعنا إليه بحكم تداعي الأفكار ، ولا معابة مع اتحاد الجنس في اضطراب الفروع ؛ إذ كلها تندون حول الأنفة والإباء ، والابتعاد عن مواقع الذلِّ ، ومرامي الهوان ، وجُلُّ «ديوان الناظم» من هذا القبيل منه قوله [في «المكبري» ١/ ٢٦١ من المنسرح] :

الأنفة والإباء عند
المتنبي

يَأْنَفُ مِنْ مَيْتَةِ الْفِرَاشِ وَقَدْ حَلَّ بِهِ أَصْدَقُ الْمَوَاعِيدِ
وَمِثْلُهُ أَنْكَرَ الْمَمَاتِ عَلَى غَيْرِ سُرُوجِ السَّوَابِحِ الْقُوْدِ^(١)

(١) السَّوَابِحُ - جمعُ سابح - وهو الشديدُ الجري ، كأنه يسبحُ في جريهِ . الْقُوْدُ : الطوالُ مِنَ الخيلِ ، وفرسٌ أقودٌ ؛ أي : طويلُ الظهرِ والعنقِ .

وقوله [في «المكبري» ٤٤/٢٤١ من الخفيف] :

وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبَقَى لِحَيٍّ لَعَدَدْنَا أَضْلَانَا الشُّجْعَانَا
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدًّا فَمِنَ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا
وقوله [في «المكبري» ٤٤/٢٤٣ من الطويل] :

فَنَالَ حَيَاةً يَشْتَهِيهَا عَدُوُّهُ وَمَوْتًا يُشْهِي الْمَوْتَ كُلَّ جَبَانِ
وقوله [في «المكبري» ٤٤/٢١٣ من البسيط] :

كَمْ مَخْلَصٍ وَعَلَا فِي خَوْضِ مَهْلَكَةٍ وَقَتْلَةٍ قَرِنَتْ بِالذَّمِّ فِي الْجُبْنِ
وقوله [في «المكبري» ٤٤/١١٩-١٢٠ من الوافر] :

فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ صَغِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ
يَرَى الْجُبْنَ أَنْ الْعَجْزَ عَقْلٌ وَتِلْكَ حَدِيثَةُ الطَّبَعِ اللَّئِيمِ
وقوله [في «المكبري» ١/٢٧١ من الطويل] :

وَأُورِدُ نَفْسِي وَالْمُهَنْدُ فِي يَدِي مَوَارِدَ لَا يُصْدِرْنَ مَنْ لَا يُجَالِدُ
وقوله [في «المكبري» ١/٣٢١-٣٢٢ من الخفيف] :

عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتً وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ
أَطْلُبُ الْعِزَّ فِي لَطْفِ وَدَعِ الدُّنْ لَوْ كَانَ فِي جِنَانِ الْخُلُودِ
والأخيرُ من قولِ عنترة [في «ديوانه» ١٩٨ من الكامل] :

مَاءُ الْحَيَاةِ بِذِلَّةِ كَجَهَنَّمَ وَجَهَنَّمَ بِالْعِزِّ أَطِيبُ مَنْزِلِ

وهو من فاحش الغلط ، لولا جهل الأول ، وجاهلية الثاني ؛ إذ لا عز في طريق النار ولا ذل في طريق الجنة ، ولا عز في طريق النار ﴿ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ وَلِرَسُولِهِ ﴾ ولا ذل في طريق الجنة ﴿ وَاللَّمُومِيْنَ ﴾ [المنافقون : ٨] ، وما هذا إلا من أمتحان الإسلام بمن

لا يفهم أسرارَهُ ، وإلاً فهو دينُ العزِّ والكشْفِ ، ودينُ المجدِ
والأنفِ ، لقد حَظَرَ على الإنسانِ أن يذلَّ نفسه ، وجعلهُ حرّاً في سائرِ
أطواره ، مع الاعترافِ بالعبوديّةِ لخالقه بأداءِ الفرضِ ، ومع التلزمِ
بقانونه المُفْضِي إلى سعادةِ الدارينِ ، وعمارةِ الأرضِ ، وسيأتي ما
يتعلّقُ به في محلّه من الكلامِ على البيتِ المذكورِ .

* * *

[قال أبو الطيب المتنبي في «العكبري» ٣٤ / ٤ من الطويل] :

فَسِبْ وَإِنْفَأْ بِاللَّهِ وَثُبَّةَ مَا جِدِ بَرَى الْمَوْتَ فِي الْهَيْبَا جَنَى النَّخْلِ فِي الْفَمِ

يقول لصاحبه أو لنفسه على سبيل التجريد : قم مبادراً للحرب تحريض المتنبي على مبادرة كريم شريف ، يجد في طعم الموت حلاوة العسل ، وكثيراً القتال ما يدعي الثأظم ذلك لنفسه ، ولعسكره الخيالي ، كما في قوله [في «العكبري» ٣٧٤ / ١ من الطويل] :

إِذَا شِئْتُ حَقَّتْ بِي عَلَى كُلِّ سَابِحِ رِجَالٌ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي فَمِهَا شَهْدُ

وهذه الدعوى الضخمة لا نعرف صدقها إلا لعليّ ابن أبي طالب شجاعة الإمام عليه السلام - كرم الله وجهه - إذ قام بورده من الصلاة (ليلة الهرير) (١) ، والسهام كالمطر حافية (٢) ، حتى عدله في ذلك أحد الحسنين ، فقال له : لا يبالي أبوك وقع على الموت ، أو وقع الموت عليه ، فهو الذي له في قتله أرب ، وهو الذي يرى قتاله أفضل القرب ، وهو الأولى بقول الحماسي [حارثة بن بدر الغداني في «شرح الحماسة» ٤٢٢ / ١ من الطويل] :

وإِنَّا لَتَسْتَحْلِي الْمَنَايَا نَفُوسَنَا وَنَتْرُكُ أُخْرَى مَرَّةً مَا نَذُوقُهَا

- (١) ليلة الهرير : أسم واقعة حدثت بين سيدنا علي ومعاوية بظاهر (الكوفة) وسميت بالهرير ؛ لأنهم لما عجزوا عن القتال صار بعضهم يهرّ على بعض .
(٢) حافية : محيطة من كل جانب .

وقول الآخر [من الوافر] :

رَخِيصٌ عِنْدَهُ مَهْجُ الْعَوَالِي كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي فَكِّهِ شَهْدُ

وقول المزيني [من الوافر] :

دَعَوْتُ بَيْتِي قُحَافَةً فَاسْتَجَابُوا فَقُلْتُ : رِدُّوا فَقَدْ طَابَ الْوُرُودُ

وقول أبي تمام [في «ديوانه» ٩/٢٠٠ من البسيط] :

يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قَتَلُوا

بل هو أكبر من ذلك وأجل ، ولقد استسقى ليلتيذ ، فاتاه بعض الهاشميين بماء فيه عسل ، فقال له : عسلك هذا طائفي ، فقال :

يا عم ، في مثل هذا الموقف الذي شخصت فيه الأبصار ، وذملت العقول ، وطاشت الأحلام ، وبلغت القلوب الحناجر ، تفرق بين العسل الطائفي ممزوجاً ، وبين غيره ؟ فقال له : يا ابن أخي ، لم يملأ صدر عمك هوناً قط ، فما كان أحقه بقول الأعرابي [من البسيط] :

لَا يَنَالُ الْهُؤُلُ صَدْرِي قَبْلَ مَوْعِهِ وَلَا أَضِيقُ بِهِ ذُرْعاً إِذَا وَقَعَا

وقول مهيار [من الكامل] :

جَبَلُ الْعَلَاءِ سَغِي الْهُمُومِ فَوَادُهُ وَتَنَاطُ مِنْهُ بِقَارِحِ مُتَعَوِّدِ

ونظيرها ما حكى : أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ لَمَّا وَرَدَ (العراق) . . تشوق إلى وطنه ، فقال من أثناء قصيدة [كما في «ديوانه» ٢٨٥ من الطويل] :

فَيَا بَرْقُ لَيْسَ الْكَرْخُ دَارِي وَإِنَّمَا رَمَانِي إِلَيْهِ الْدَّهْرُ مُنْذُ لِيَالِي فَهَلْ فِينِكَ مِنْ مَاءِ الْمَعْرَةِ قَطْرَةٌ تَبُلُّ بِهَا ظَمَانَ لَيْسَ بِسَالِي

فيقال : إِنَّ الْأَمِيرَ اسْتَدْعَى مَاءَ عَلِي خَيْلِ الْبَرِيدِ مِنْ مَعْرَةِ

تميزه بين العسل الطائفي وغيره في أحلك الظروف

معرفة أبي العلاء ماء وطنه وقد مزج بماء الفرات وهو بالعراق

التُّعْمَانِ ، وَقَدَّمَهُ لَهُ مَمزُوجاً بِمَاءِ الْفِرَاتِ ، فَقَالَ : هَذَا مَاؤُهَا ،
فَأَيْنَ هَوَاؤُهَا ؟ وَلَكِنْ هِيَاتَ هِيَاتَ ! فَهَذَا يَقُولُهَا فِي رِخَاءِ الْبَالِ ،
وَسَعَةِ الْحَالِ ، وَالْإِمَامُ يَقُولُهَا ، وَقَدْ تَقَلَّصَتِ الْخُصْيُ (١) ،
وَتَقَاصَرَتِ الْخُطَى ، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ ، وَبِصَدَقِ يَقُولُ : وَاللَّهِ
لَا بِنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِشَدِي أُمِّهِ .
وتفصيل هذا الكلام

وهذا أبلغ ممَّا يشبهه الناظم وغيره الموت بالعسل ، وأصدق من
وجوه :

أحدها : مطابقتُهُ للواقع وتظاهرُ البيِّناتِ به .

ثانيها : أَنَّ اللَّبْنَ أَفْضَلُ مِنَ الْعَسَلِ ، كَمَا صرَّحَ بِهِ فَفَهَاؤُنَا ،
ولهذا كَانَ ﷺ يَحْمَدُ اللَّهَ كُلَّمَا تَنَاوَلَ شَيْئاً ، وَيَسْأَلُهُ خَيْراً مِنْهُ إِلَّا
اللَّبْنَ ، فَإِنَّهُ يَحْمَدُ اللَّهَ عَلَيْهِ ، وَيَسْتَزِيدُهُ مِنْهُ (٢) .

ثالثها : أَنَّ التَّذَاذَ الطِّفْلِ بِاللَّبَنِ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ ، بَلْ لَا لَذَّةَ لَهُ
سِوَاهُ ، وَلَا صِلَاحَ لَهُ بِغَيْرِهِ .

رابعها : أَنَّ ثَدِي الْأُمِّ أَنَسُ لَطْفِهَا مِنْ سَائِرِ الثَّدْيِ وَالْأَلْبَانِ .

خامسها : الْإِشَارَةُ إِلَى مَا جَاءَ فِي « الصَّحِيحِ » : « مَنْ أَحَبَّ
لِقَاءَ اللَّهِ . . أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ » (٣) ؛ وَلِذَا قَالَ آخِرُهُ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ :

(١) تَقَلَّصَتِ الْخُصْيُ : تَشَعَّرَتْ إِلَى أَعْلَى مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ وَالْفَزَعِ .

(٢) كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ (٣٧٣٠) ،
وَالْتِّرْمِذِيِّ (٣٤٥٥) وَحَسَنَهُ وَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ
طَعَاماً . . فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْراً مِنْهُ ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى
لَبْناً . . فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يَجْزِيءُ مِنَ الطَّعَامِ
وَالشَّرَابِ غَيْرَ اللَّبَنِ » .

(٣) أَخْرَجَهُ عَنْ عِبَادَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْبُخَارِيُّ (٦٥٠٧) فِي الرَّقَاقِ ، وَفِيهِ قَوْلُ =

«الرَّفِيقَ الْأَعْلَى»^(١) ، ففي الكلامِ مِنَ الْبِدَائِعِ مَا لَا تَسْعُ لَهَا
المداركُ ، ولا تستقرُّ لها العقولُ .

ولا غرابةً في صدورِها عن بابِ مدينةِ علمٍ^(٢) مَنْ لَا يَنْطَلِقُ عَنِ
الهُوَى .

هذا واللهِ الكلامُ الذي تَزَلُّ الْعُضْمُ عَنْ صِفَاتِهِ ، وتختلجُ
الفصحاءُ عَنْ مِرْقَاتِهِ ، فلو أَنَّ قَلْبًا تَقَطَّعَ ، أو حَجْرًا تَصَدَّعَ لَعُدْوِيَّةُ
هذا الكلامِ وحلاوتهِ وجزالتهِ وطلاوتهِ . . لكانَ محقوقاً بذلكَ ، فيا
سبحانَ المانعِ ! .

ومما يتصلُ بما الكلامُ فيه مِنْ أَسْتَعْذَابِ الْمَوْتِ فِي طَلَبِ الْعِزِّ . .
قولُ عليِّ بنِ محمدِ الصُّليحيِّ الْقائمِ بـ (اليمينِ) [مِنَ الْكاملِ] :
استعذاب الموت في طلب العز عند الشعراء

وَأَلَدُ مِنْ قَرَعِ الْمَثَانِي عِنْدَهُ فِي الْحَرْبِ الْجِمِّ يَا غَلَامُ وَأَسْرِجِ

= عائشة ، ومسلم (٢٦٨٣) في الذكر والدعاء . وفي الباب :

عن عائشة عند مسلم (٢٦٨٤) ، والترمذي (١٠٦٧) ، والنسائي
(١٠/٤) وابن ماجه (٤٢٦٤) .

وكذا عن أبي موسى وأبي هريرة في صحيحيهما .

(١) أخرجه عن عائشة رضي الله عنها البخاري (٦٥٠٩) في الرقاق و(٣٦٦٩) ،
ومسلم (٢٤٤٤) في فضائل الصحابة .

(٢) كما جاء في حديث علي رضي الله عنه عند الترمذي (٣٧٢٥) قال : « أنا دار
الحكمة وعلي بابها » لكن قال الترمذي : حديث غريب منكر ، روى بعضهم
هذا الحديث عن شريك ولم يذكروا فيه عن الصنابحي ، ولا تعرف هذا الحديث
عن أحد من الثقات غير شريك . وفي الباب : عن ابن عباس رضي الله عنهما
كما في « نفع القوت » : « أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأتها
من بابي » قال في « الاستيعاب » ت (١٨٥٥) : روي ، وصححه الحاكم وهو
عند الطبراني .

خَيْلٌ بِأَقْصَى حَضْرَمَوْتَ مَعَارُهَا وَصَهَيْلُهَا بَيْنَ الْفَرَاتِ وَمَنْبِجِ
وقولُ العلويِّ صاحبِ الزنجِ [مِنَ الْكَامِلِ] :

وَإِذَا تَنَازَعْنِي أَقُولُ لَهَا قِرْنِي مَوْتُ الْمُلُوكِ عَلَى صُغُودِ الْمَنْبَرِ
مَا قَدْ قُضِيَ سَيَكُونُ فَاصْطَبِرْنِي لَهُ وَلَكِ الْأَمَانُ مِنَ الَّذِي لَمْ يُقَدِّرْ

وسئِلَ ابنُ أبي مُليكةَ عن عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ ، فقالَ : ما رأيتُ أثبتَ
مِنَ نَفْسِهِ ؛ مرَّ حجرُ المَنجنيقِ بينَ جنبِهِ وصدرِهِ ، وهو قائمٌ يصليُّ ، فما
أضطربَ لَهُ ، ولا خشعَ بصرُهُ ، ولا قطعَ قراءتَهُ ، ولا ركعَ دونَ الرُّكُوعِ ،
فكأنما عناهُ أبو تَمَّامٍ بقولِهِ [في «ديوانِهِ» ١٢٢/٢ مِّنَ الطَّوِيلِ] :

يَرَى الْعَلَقَمَ الْمَأْدُومَ بِالْعِزِّ أَرِيَةً يَمَانِيَةً وَالْأَزْيَ بِالذُّلِّ عَلَقَمًا (١)

وفي هذا البيتِ مضربُ المثلِ بالعسلِ اليمانيِّ ، ولا شكَّ أنَّ تشبيهَ الموتِ بالعسلِ
أفضلُهُ عسلُ (حضر موت) ، فلهُ أكبرُ شرفِ البيتِ ، وهو شبيهةٌ بما
سبقَ عن بعضِ الخوارجِ قبيلَ قولِ الناظمِ [في «المكبريِّ» ١٦٠/٣ مِّنَ
الطَّوِيلِ] :

وَخُضْرَةُ ثُوبِ الْعَيْشِ فِي الْخُضْرَةِ الَّتِي تُرِيكَ أَحْمَرَ الرَّائِيَةِ فِي مَدْرَجِ النَّمْلِ

ولا بنُ الزبيرِ أحقُّ مِنِ ابنِ أبي عيينةَ بقولِهِ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

وَإِنِّي مِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَهُمْ بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَاللِّدْمَا

الأحقُّ بهذه الأشعار هو
ابن الزبير

وقولِ أبي تَمَّامٍ أيضاً [في «ديوانِهِ» ٢٣٣/٢ مِّنَ البَسِيطِ] :

وَحَنَّ لِلْمَوْتِ حَتَّى ظَنَّ مُبْصِرُهُ بِأَنَّهُ حَنَّ مُشْتاقاً إِلَى وَطَنِ

لَوْ لَمْ يَمُتْ تَحْتَ أَسْيَافِ الْعِدَا كَرَمًا لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الْحَزَنِ

(١) الْأَزْيُ : الْعَسَلُ .

وقوله [في «ديوانه» ١٦٩/٢ من الكامل] :

لِحِيَاضِهَا مُتَوَرِّدٌ وَلِخَبِطِهَا مُتَعَوِّدٌ وَبِدَرِّهَا مَلْبُونٌ

ولله درُّ القائل [من الكامل] :

عُقْبَانُ رَوْعٍ وَالشُّرُوجُ وَكُوزُهَا وَلِيُوثُ حَرْبٍ وَالْقَنَا آجَامٌ^(١)

وَبُدُورٌ نِمْ ، وَالشَّوَاثِكُ فِي الْوَعَى هَالَاتُهَا وَالسَّابِرِيُّ غَمَامٌ^(٢)

جَادُوا بِمَمْنُوعِ التَّلَادِ وَجَوَّدُوا ضَرْبًا تُحَدُّ بِهِ الطَّلَا وَالنَّهَامٌ^(٣)

وَتَجَاوَرَتْ أَسْيَافُهُمْ وَجِيَادُهُمْ فَالْأَرْضُ تُمَطَّرُ وَالسَّمَاءُ تُغَامُ

وما زالت العربُ تسيرُ إلى الموتِ بالخطي الواسعةِ ، وتتلقَّاهُ

بالصدورِ الرَّحْبَةِ ، أو ما رأيتُ هُدْبَةَ بنَ الخشرمِ لَمَ ينزعجُ لَمَّا دُعِيَ

لِلْقَتْلِ ! ؟ ولكنه أستمهلَ السَّجَانَ رِيثَمَا يُتَمُّ لَعْبَتُهُ بِالشُّطْرَنِجِ ، فهو

واللهِ صادقٌ إنَّ أَرَادَ نَفْسَهُ فِي قَوْلِهِ [في «شعره» ١٠٩ من الطويل] :

أَخُو الْحَرْبِ مَنْ لَا يَجْتَرِبُهَا إِذَا اجْتَوَتْ وَلَا يُظْهِرُ الشُّكُوى وَإِنْ كَانَ مُوجِعًا

وسنستوفي حديثه في مجلسٍ آخر .

وصدقَ أيضاً أخو الشُّرَاةِ أبو نَعَامَةَ فِي قَوْلِهِ [من الطويل] :

وَلَوْ قَرَّبَ الْمَوْتَ الْقِرَاعُ لَقَدْ أَنَى لِمَوْتِي أَنْ يَدْنُو لِطَوْلِ قِرَاعِيَا

أَغَادِي قِتَالِ الْمُعْلَمِينَ كَأَنِّي عَلَى الْعَسَلِ الْمَازِي أُصْبِحُ غَادِيَا^(٤)

(١) الآجامُ : الشجرُ الكثيرُ الملتفُ ، وهو كنايةٌ عن كثرةِ الرماحِ .

(٢) السابري : الدرع .

(٣) الطلَا : الأعناق .

(٤) المازي : الأبيض الرقيق .

وأمر مصعبُ بنُ الزُّبَيْرِ رجلاً من بني أسدٍ بقتلِ مُرَّةَ بنِ مَحْكَانَ ، شجاعة ابن محكان
فتقدّم بجأشٍ رابطٍ ، وأنشأ يقول [من الطويل] :

يَنِيَّ أَسَدٍ إِنْ تَقْتُلُونِي تَحَارِبُوا تَمِيمًا إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ أَشْمَعَلَتْ (١)
وَلَسْتُ وَإِنْ كَانَتْ إِلَيَّ حَبِيبَةٌ بِبَاكِ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّتْ
ولو رَوَى في هذا الشعرِ صاحبُ دَعَةِ . . لَمَّا نَقَّحَهُ هَذَا التَّنْقِيحَ
وأبدعه .

ولمَّا أَسِرَ عَبْدُ بَنُ يَغُوثَ ، وشدّوا لسانه مخافةً ألْهَجَاءِ . . التمس عبد بن يغوث ينوح
منهم أَن يُطْلِقُوهُ ؛ لينوحَ على نَفْسِهِ ، وعاهدَهُم أَن لا يهجوَهُم ، على نفسه قبل قتله
بقصيدة شعرية رائعة
فأطلقوا لسانه (٢) ، فقال [من الطويل] :

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بَيَا فَمَا لَكُمْ فِي اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا
أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضَتْ فَبَلَّغْنَا نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
جَزَى اللهُ قَوْمِي بِالْكُلَابِ مَلَامَةً صَرِيحَهُمْ وَالْآخِرِينَ الْمَوَالِيَا
أَبَا كُرَبٍ وَالْأَيَّهَمِينَ كِلَاهُمَا وَقَيْسًا بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا
أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ أَمْعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا مِنْ لِسَانِيَا (٣)
فَإِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُونِي بِخَيْرِكُمْ وَإِنْ تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي بِمَالِيَا (٤)
وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عِبْشَمِيَّةٌ كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا (٥)

(١) العوانُ اشْمَعَلَتْ : الحرب اتسعت وتكررت معاركها .

(٢) انظر الآيات والقصة في «الأغاني» (١٦/٣٦١-٣٦٢) .

(٣) التُّسْعُ : جبلٌ مضمفورٌ يُجْعَلُ زماماً للبعيرِ وغيرِهِ .

(٤) تحْرُبُونِي : تسلبوني جميع ما أملك .

(٥) عبشميةٌ : أي من بني عبد شمس .

وَقَدْ عَلِمْتَ عِزِّي مُلَيْكَةً أَنْتَنِي أَنَا اللَّيْثُ مَعْدُودًا عَلَيْهِ وَعَادِيَا
وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ سَمَمَهَا الْقَنَا لَيْتَمَا بَتَغْرِنِفِ الْقَنَاةِ بِنَانِيَا
وَعَادِيَةَ سَوْمَ الْجِرَامِ وَزَعْتَهَا بِكُمِّي وَقَدْ أَنْحَوَا إِلَيَّ الْعَوَالِيَا^(١)
كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقْلُ لِخَيْلِي : كُرِّي مَرَّةً عَن رِجَالِيَا
وَلَمْ أَسْبِ الزُّقَّ الرَّوِّيَّ وَلَمْ أَقْلُ لِأَيْسَارِ صِدْقِي : أَعْظُمُوا ضَوْءَ نَارِيَا^(٢)
وعرضَ عليهم ألفَ ناقةٍ في فدائِهِ ، فلم يقبلوا ، وإنَّها لعِزَّةٌ باهرةٌ
وشهامةٌ ظاهرةٌ .

شجاعة طرفه بن العبد . . . أما طرفه بن العبد . . . فلم يتجَلَّج^(٣) عند القتلى ، غير أنه خضع
في بعض القول ؛ إذ أنشد حيثنذ [في « ديوانه » ١٧٢-١٧٣ من الطويل] :

أَبَا مُنْذِرٍ كَانَتْ غُرُورًا صَحِيفَتِي وَلَمْ أُعْطِكُمْ فِي الطُّوعِ مَالِي وَلَا عِزِّي
أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَأَسْتَبْتِي بَعْضَنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
وَأَمَّا عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ . . . فتلعثمت لسانه خوف القتلى ، ولما قال
له النعمان يوم بُؤسه : أنشدني . . . قال : حال الجريض دون القريض^(٤) .

عبيد بن الأبرص يخاف
الموت

- (١) العاديَّة : الخيلُ تعدو . السَّوْمُ : سرعة المَرِّ مع قصدِ الصوبِ ، وسَوْمُ الرياحِ : مُرُّها . الجِرْمُ : ألواحُ الجسدِ وجثمانه . وَزَعْتَهَا : فَرَقْتَهَا .
- (٢) سَبَّ الخمرِ : إذا حملها من بلدٍ إلى بلدٍ وأشترها ليشربها . الزُّقُّ : هو وعاءٌ من جلد تنقلُ فيه الخمرُ .
- (٣) الجَلِجُ : القلقُ والاضطرابُ .
- (٤) الجريضُ : الغصَّةُ بالريقِ مِنْ هَمٍّ أو نحوه . القريضُ : الشعرُ ، وهو مثلُ عريٍّ ، أصلُه : أنَّ رجلاً كانَ له ابنٌ نبيغٌ في الشعرِ ، فنهاه أبوه عن ذلك ، فجاش به صدره ومريضٌ حتى أشرفَ على الهلاكِ ، فأذنَ له أبوه في قولِ الشعرِ فقالَ هذا القولُ .

ومن خير ما في الموضوع : حديث تميم بن جميل^(١) ، فقد تميم بن جميل يتكلم
خطبة حال قتله يمجز
عنها من هو في الدعة
مثلها حوالاً.. لما بلغ أصغر آنيته ، وهذا ما بالذهن منها [من
الطويل] :

(١) كان تميم بن جميل السدوسي قد خرج بشاطيء الفرات وأجتمع إليه الكثير من
الأعراب فَعَطَمَ امرؤه ، وبعُدَ ذِكْرُهُ ، فكتبَ المعتصمُ إلى مالك بن طويق في النهوض
إليه ، فبددَ جمعةً وظفرَ به ، فحملة موثقاً إلى المعتصم ، قال أحمدُ ابنُ أبي
داوود : ما رأينا رجلاً عاين الموت فما هاله ، ولا أذهله عما كان يجبُ عليه أن
يفعله إلا تميم بن جميل ، فإنه أوفى به الرسولُ بابَ أميرِ المؤمنينِ المعتصمِ في يومِ
الموكبِ حينَ يجلسُ للعامةِ ، ودخلَ عليه ، فلما مثلَ بينَ يديه . . دَعَا بالنطعِ
والسيفِ فأحضرَا ، فجعلَ تميمُ بنُ جميلٍ ينظرُ إليهما ولا يقولُ شيئاً ، وجعلَ
المعتصمُ يُصعدُ النظرَ فيه ، ويصوتهُ ، وكانَ جسيماً وسيماً ، ورأى أن يستنطقه
لينظرَ أينَ جناتهُ ولسانهُ من منظره ، فقالَ : يا تميمُ ، إن كانَ لكَ عذرٌ . . فأتِ
به ، أو حجّةٌ . . فأذِلْ بها ، فقالَ : أمّا إذ قد أذنَ لي أميرُ المؤمنينِ : فإنِّي أقولُ :
الحمدُ لله الذي أحسنَ كلَّ شيءٍ خلقه ، وبدأ خلقَ الإنسانِ من طينٍ ، ثم جعلَ نسله
من سلالَةٍ من ماءٍ مهينٍ ، جبرَ بكَ صدعَ الأئمةِ ، ولمَ بكَ شعثَ المسلمينِ ،
وأوضحَ بكَ سُبُلَ الحقِّ ، وأحمدَ بكَ شهابَ الباطلِ ، يا أميرَ المؤمنينِ ، إنَّ
الذنوبَ تُخرِسُ الألسنةَ الفصيحةَ ، وتُعيي الأفتدةَ الصحيحةَ ، ولقد عظمتِ
الجريرةُ ، وأنقطعتِ الحجّةُ ، وكَبُرَ الذنبُ ، وساءَ الظنُّ ، ولم يبقَ إلا عفوكَ أو
انتقامك ، وأرجو أن يكونَ أقربُهما مِنِّي وأسرعُهما إليَّ أولاًهما بامتنانك ،
وأشبههُما بخلافتكِ ثم أنشأ يقولُ :

(أرَى المَوْتَ) الأبيات .

فتبسّمَ المعتصمُ ، وقالَ : كاذبٌ واللهِ - يا تميمُ - أن يسبقَ السيفُ العذلَ ،
أذهب فقد غفرتُ لك الصبوةَ ، وهيتك للصبيّةِ ، ثم أمرَ بفك قيوده ، وخلعَ
عليه ، وعقدَ له بشاطيء (الفرات) . « جمهرة خطب العرب » (٣ / ١٤٥) .

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالنُّطْعِ كَامِنًا
وَأَيُّ أَمْرِيءِ يُذَلِّي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ
يَعِزُّ عَلَى الْأَوْسِ بْنِ تَغْلِبٍ مَوْقِفٌ
وَمَا جَزَعَنِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي
وَلَكِنَّ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا خَافِضِينَ بِغِبْطَةٍ
وَكَمْ قَائِلٍ ؛ لَا يُبْعِدُ اللَّهُ دَارَهُ
بِلَا حِظْنِي مِنْ حَيْثُ مَا أَتَلَفْتُ (١)
وَسَيْفُ الْمَنَائِبِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُضَلَّتْ
يُسَلُّ عَلَيَّ السَّيْفُ فِيهِ فَأَسْكُتُ
لَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُوقِفٌ
وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَفْتَكُتُ
أَذُودُ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مُؤْتُونًا (٢)
وَأَخْرَجَ جَذْلَانُ يُسْرُ وَيَسْمَتُ

وقال علي بن الجهم ، وقد صلبوه وهو حي عريانا لفي «ديوانه»
[١٧٢-١٧١ من الكامل] :

علي بن الجهم يصلب
وهو حي عريانا

لَمْ يَنْصَبُوا بِالسَّادِيَاخِ عَشِيَّةَ الْ
إِثْنَيْنِ مَعْلُولًا وَلَا مَجْهُولًا (٣)
نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِلءَ عُيُونِهِمْ
حُسْنًا وَمِلءَ صُدُورِهِمْ تَبْجِيلًا
مَا ضَرَّهُ أَنْ بُزَّ عَنْهُ لِبَاسُهُ
فَالسَّيْفُ أَهْوَلُ مَا يُرَى مَسْلُولًا

ومن مفاخر العرب إجابة الصوت ، وإغائه الصريح ، والاستهانة
بالموت في سبيل ذلك ، حتى لقد قام أحد عظماء الأدب المصريين بمنى
عام حججنا ، فقال :

نجدة القرآن وشهامة

إِنِّي تَأَمَّلْتُ الْقُرْآنَ . . فوجدتُ في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَافْتُمَا نِجْمَانَ مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلْتُمَا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى
حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الحجرات : ٩] ، ما يشبه قانونَ جمعيةِ الأمم ،

- (١) النُّطْعُ : بساط من الجلد يقتل عليه المحكوم بالقتل .
(٢) خافضين : من الخفض ، وهو الدَّعَةُ .
(٣) السَّادِيَاخُ : صاحبة من ضواحي (نيسابور) .

فلَمَّا انتهى إلى القول . . . تعرَّضْتُ لمقاله ، مِنْ إعجابي بموضوعه ،
 وقلتُ : أمَّا نجدةُ القرآنِ وشهامتهُ ، وتمكينُهُ للسلامِ بالعدلِ ،
 والانتصافِ مِنْ وراءِ كلِّ قياسٍ . . لا يوزنُ بهِ اليومَ شيءٌ مِنْ أحوالِ
 الناسِ ، لكنْ بينَ أيدينا مثالٌ مِنْ أعمالِ أهلِ الجاهليَّةِ الجُهلاءِ ،
 يزيدُ على ما في قانونِ تلكَ الجمعيَّةِ ، مِنْ وجوهٍ ذلكَ ، المثالُ هو
 حلفُ الفضولِ ، الذي يقولُ عنه ﷺ : « لَقَدْ شَهِدْتُ حِلْفًا فِي دَارِ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ ، مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ ، وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ فِي
 الْإِسْلَامِ . . لِأَجَبْتُ » (١) .

وَأَمَّا وجوهُ فضلهِ :

وجوه فضله
 الفضول

فمنها : أنَّ قانونَ تلكَ الجمعيَّةِ لا يتعهَّدُ بنصرٍ مَنْ لم ينضمَّ
 إليها ، وإنَّما هو مقصودٌ على أهلها فقط - فيما إخالُ - بخلافِ حلفِ
 الفضولِ ، فقدِ أقطعَ على نفسهِ نصرَةَ المظلومِ ، أياً كانَ ، مِنْ غيرِ
 شرطٍ ولا قيدٍ .

ومنها : أنَّ نصرَ جمعيَّةِ الأممِ ضمائرُ (٢) ووعدهُ ، ونصرَ هذا
 خلاصٌ ونقدهُ ، وما بينَ المظلومِ وبينه إلاَّ أَنْ يناديَ يا آلَ حلفِ
 الفضولِ ، فتبادرهُ السيوفُ ، ثُمَّ لا تنحجزُ عنه حتَّى تستخرجَ له حقهُ
 ممَّنْ كانَ ، واللهِ درُّ بشامةِ بنِ حَزَنٍ إذْ يقولُ [في «الكاملِ» ١/١٤٦] مِنْ
 البسيطِ :

إِنَّا لَمِنْ مَعْشَرِ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ قِيلُ الْكِمَاةِ أَلَا أَيْنَ الْمُحَامُونَ

- (١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣٦٧/٦) عن طلحة بن عبيد الله ،
 ومحمد بن إسحاق الفاكهي في «أخبار مكة» (١٩١/٥) بنحوه .
 (٢) الضُّمَارُ : ما لا يُرجى مِنَ الدِّينِ والوَعْدِ ، وكلُّ ما لا تكونُ منه على نَقْيَةٍ .

لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ وَدَعَا: مَنْ فَارِسٌ؟ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْشُونَا
وَلَا تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مَعَ الْبُكَاءِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا

وقال طرفة [في «ديوانه» ٢٧ من الطويل]:

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتَى؟ خِلْتُ أَنِّي عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

وقال بعضُ العرب [من الطويل]:

إِذَا مَا دُعُوا لَمْ يَسْأَلُوا مَنْ دَعَاهُمْ لِأَيِّ حَرْبٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانٍ

وقال سلامة بنُ جندل [في «ديوانه» ١٢٥ من البسيط]:

إِنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِحٌ فَرِحُ كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرَعَ الظَّنَابِيْبِ^(١)

وقال الحطيئة [من الطويل]:

إِذَا مَا دُعُوا لَمْ يَسْأَلُوا مَنْ دَعَاهُمْ وَلَمْ يُنْسِكُوا فَوْقَ الْقُلُوبِ الْخَوَافِي
أَحَلُّوا حِيَاضَ الْمَوْتِ فَوْقَ جِبَاهِهِمْ مَكَانَ النَّوَاصِي مِنْ وُجُوهِ السَّوَابِي

وقال الكلبية [في «المفضليات» ١٤٤/١ من الطويل]:

وَقُلْتُ لِكَاسٍ: الْأَجْمِيهَا فَإِنَّمَا نَزَلْنَا الْكَثِيْبَ مِنْ زَرُودٍ لِنَفْرَعَا^(٢)

وقال الراعي [من الطويل]:

إِذَا مَا فَرَعْنَا أَوْ دُعِينَا لِنَجِدَةَ لَبِسْنَا عَلَيْهِنَّ الْحَدِيدَ الْمَسْرَدَا^(٣)

(١) الظنوب: حرفُ الساقِ اليابس، وعنى بذلك سرعةَ الإجابة، وجعل قرع السوط على ساق الخف، في زجر الفرس، قرعاً للظنوب.

(٢) كاس: اسمُ أبتيه. زرود: أسمُ مكان. الكثيب: الرملُ المجتمع. نفرع: نغيث.

(٣) السرد: أسمُ جامعٍ للدروع وغيرها من سائر الحلقى.

وقال قُرَيْطٌ [في «شرح الحماسة» ١٢/٣٥٨ من البسيط] :

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَيَّ مَا قَالَ بُرْهَانًا
قَوْمٌ إِذَا الْكُشْرُ أَبْدَى نَاجِدِيَهُ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا

وقال الحماسيُّ [سعد بن مالك بن نعلبة في «شرح الحماسة» ١/١٩٩ من

الطويل] :

دَعَوْتُ بَنِي قَيْسٍ إِلَيَّ فَشَمَّرْتُ خَنَازِيذُ مِنْ سَعْدٍ طِوَالِ السَّوَاعِدِ (١)
إِذَا مَا قُلُوبُ الْقَوْمِ طَارَتْ مَخَافَةً مِنَ الْمَوْتِ أَرْسَوْا بِالنُّفُوسِ النُّوَاجِدِ (٢)

ويعجبني قولُ أبي حوية ، وهو ابنُ عمِّ الأميرِ قرواشِ بنِ المقلِّدِ

- صاحبِ (الموصلِ) - [من الكامل] :

قَوْمٌ إِذَا الْتَحَمَ الْعَجَاجُ رَأَيْتَهُمْ أَسْدًا وَخِلَتْ وَجُوهَهُمْ أَقْمَارًا
لَا يَبْنَحُونَ بِرِفْدِهِمْ عَنْ سَائِلٍ عَدَلُ الزَّمَانِ عَلَيْهِمْ أَوْ جَارًا
وَإِذَا الصَّرِيحُ دَعَاهُمْ لِمِلْمَةٍ بَدَلُوا النُّفُوسَ وَأَرْخَصُوا الْأَعْمَارًا
وَإِذَا زِنَادُ الْحَرْبِ أُخِمِدَ نَارَهَا قَدَحُوا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ نَارًا

تلك هي شمائلُ العربِ ، التي كانَ بعضها يأكلُ الميتاتِ ، سرعة النبي ﷺ إلى

إجابة الصوت

ويدفنُ الكِناتِ على قيد الحياةِ ، ثُمَّ جاءَ الإسلامُ بإتمامِ مكارمِ
الأخلاقِ (٣) ، وكانَ صاحبُ شريعةِ الإسلامِ ﷺ أسرعَ النَّاسِ إلى
الصَّوْتِ ، حَتَّى لَقِدَ كَانَ فَرَعٌ بـ (المدينة) ، فركبَ على فرسٍ عُرِيٍّ

(١) الخِنْدِيدُ : هو الشجاعُ الذي لا يُهتدئُ لقتاله .

(٢) النواجِدُ : الشجعان .

(٣) لما ورد عن أبي هريرة عند أحمد والحاكم والبيهقي قوله ﷺ : « إنما بعثت
لأنتم مكارم الأخلاق » .

لأبي طلحة ، وسبقَ النَّاسَ إِلَى الصَّرِيحِ ، وَقَالَ : « إِنْ وَجَدْنَاهُ
- يعني : الفرس - لِبَحْرَاءَ » (١) .

السبب في شجاعة
الصحابية رضوان الله
عليهم أنها جبلت ودين
وملة

وَمَا بِالكَ بِقَوْمٍ عَلِمْتَ مِنْ أَنْفِهِمْ وَحَمِيَّتِهِمْ وَحِفَاظِهِمْ مَا عَلِمْتَ ،
وَأَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ ، حَتَّى خَالَطَ قُلُوبَهُمْ ، وَأَمْتَزَجَ بِلِحْوِمِهِمْ
وَدِمَائِهِمْ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَمْثَالَ قَوْلِهِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ
عَلَىٰ بَعْضِ شَيْعِكُمْ مِنَ عَدَاةِ آلِِمِ ﴿١١٠﴾ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ
وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١١﴾ يَقِفْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرَ مِنَ
اللَّهِ وَفَتْحَ قَرِيبٍ ﴿ [الصف : ١٠-١٣] ، وَقَوْلِهِ : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا
وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٤١] ، وَقَوْلِهِ : ﴿ إِنْ اللَّهُ أَشْرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَصَدَّاعِلِيهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ
بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِالَّذِي بَاعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

فإنهم بعد أن كانت حميتهم جبلت ديناً وملة ، فلا جرم
على قلة العدد ، وضعف العدد ، أنكفؤوا على عروش الملوك ،
وأبلوا ما يشهد به التاريخ في القادسية وأيرموك ، والله ذو القائل فيهم
[من الرمل] :

قَفَّ عَلَىٰ أَيْرْمُوكَ وَأَخْضَعَ جَائِئِيًا وَيَمَّمُ مِنْ صَعِيدِ الْقَادِسِيَّةِ

(١) أخرجه عن أنس رضي الله عنه البخاري (٢٦٢٧) في الهبة ، ومسلم (٢٣٠٧) في
الفضائل .

تُرْبَةُ طَيِّبَةٌ طَاهِرَةٌ وَقُبُورٌ مِنْ حَيَا الْتَفْعِ نَدِيَّةٌ
يَا قُبُورًا مُجِيثًا وَأَنْدَرَسَتْ أَنْتِ نَبْرَاسُ الْهُدَى وَالْوَطَنِيَّةُ
هَاهُنَا مَثْوَى الصَّنَادِيدِ الْأَلَى دَوَّخُوا الْكُفْرَ بَيْنِضِ الْمَشْرِفِيَّةِ
دَوَّخُوا الْكُرُومَ وَتَلَّوْا عَرْشَهَا وَطَوَّوْا حُمْرَ الْبُنُودِ الْفَارِسِيَّةِ

فحدّث ولا حرج عنهم ، فإنّ لهم في إرخاص الثُّموس ،
وأستعذاب البؤس ، وإغاثة الصّريخ ، ونصر المظلوم ، وكسب
المعدوم . . ما صغّر كلّ عظيم ، وحقّأ في وجه كلّ مُقْرِمٍ ^(١) ، وغبّر
في قبلة كلّ شجاع ، ولقد ألقى بعضهم تمراتٍ في يده أستعجالاً
للسّهادة ^(٢) .

وقال آخرُ : إنّي لأشمُّ رائحةَ الجنّةِ من جهةٍ أحدٍ ، في كثيرٍ من
تلك الأمثال .

فما أحقّهم بقول أبي تمام [في «ديوانه» ٧٨ من الكامل] :
مُتْرَسِلِينَ إِلَى الْخُتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْخُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ
الصحابه الكرام أحق
بجميع الأشعار المادحة
والثناء البالغ

- (١) الْمُقْرِمُ : السيّدُ العظيم ، المقدمُ في المعرفة وتجارِبِ الأمور .
(٢) وذلك في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٩٠١) في الإمارة ، عن أنسِ بنِ
مالكٍ رضيَ اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ يومَ بدرٍ : « قوموا إلى جنّةِ عرضها
السمواتُ والأرضُ ، قالَ : يقولُ عميرُ بنُ الحُمامِ الأنصاريُّ : يا رسولَ اللهِ ،
جنّةِ عرضها السمواتُ والأرضُ ؟ قالَ : نعم ، قالَ : يَخِ يَخِ ، قالَ رسولُ
اللهِ ﷺ : مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِ يَخِ يَخِ ؟ قالَ : لا واللهِ يا رسولَ اللهِ إِرْجَاءَةٌ أَنْ
أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا ، قالَ : فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا ، فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ
مِنْهُنَّ ، ثُمَّ قالَ : لئنِ حَيْثُ حَتَّى أَكَلْتُ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لِحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ ، قالَ فرمى
بما كانَ معه مِنْ التمرِ ، ثُمَّ قالَ حَتَّى قُتِلَ . »

وقول البُحترِّي [مِنَ الكَامِلِ] :

مُتْرَسِّلِينَ إِلَى الْخُتُوفِ كَأَنَّهَا وَفَرٌّ بِأَرْضِ عَدُوِّهِمْ يَتَنَهَّبُ^(١)

وقوله أيضاً [في «ديوانه» ١٧٨/١ مِن الطَّوِيلِ] :

تَسْرَعُ حَتَّى قَالَ مَنْ شَهِدَ الْوَعَى لِقَاءَ أَعَادٍ ، أَمْ لِقَاءَ حَبَائِبٍ ؟

وقول بعضهم [مِنَ الكَامِلِ] :

قَوْمٌ شَرَابٌ سِيُوفِهِمْ وَرِمَاحِهِمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ دَمُ الْأَشْرَافِ
يَتَحَنَّنُونَ إِلَى لِقَاءِ عَدُوِّهِمْ كَتَحَنَّنَ الْأَلْفُ لِلْأَلْفِ
وَيُبَاشِرُونَ طَبَا السُّيُوفِ بِأَنْفُسِ أَمْضَى وَأَقْطَعُ مِنْ طَبَا الْأَسْيَافِ

وقول النَّاطِمِ [في «المُكَبَّرِيِّ» ١٤٨/٢ مِن الطَّوِيلِ] :

وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْأَيْمِيِّ كَأَنَّ لِي سِوَى مُهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَتُرٌّ^(٢)

وقوله [في «المُكَبَّرِيِّ» ١٢١/١ مِن البَسِيطِ] :

بِكُلِّ أَشَعَتْ يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِمًا حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرِيَا

وقول أبي فراسٍ [في «ديوانه» ٣٩ مِن الطَّوِيلِ] :

صَبُورٌ وَلَوْ لَمْ تَبَقَ مِنِّي بِقِيَّةٌ قَوْزٌ وَلَوْ أَنَّ السُّيُوفَ جَوَابُ
وَقَوْزٌ وَأَحْدَاثُ اللَّيَالِي تَنْوِشُنِي وَلِلْمَوْتِ حَوْلِي جَيْتَةٌ وَذَهَابُ

ومن أجمع الآيات في النجدة والكوفة . قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ

أَسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾
[الأنفال : ٧٢] ، فلقد صحَّ أن أليمانَ وأبنةَ حذيفةَ لما قاما في الصَّفِّ

أجمع الآيات في
النجدة

(١) الوَفْرُ : الكثير الواسع من المال والمتاع .

(٢) الأَيْمِيُّ : السيل الذي لا يُرَدُّ . الوِتْرُ : النَّارُ .

يوم بدرٍ . . . قال لرسولِ الله ﷺ : إِنَّ بَعْضَهُمْ أَخَذَ عَلَيْنَا الْعَهْدَ بَعْدَمَا
مَنْ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَشْهَرَ السَّلَاحَ عَلَيْهِ ، فَعَسَى أَنْ لَا يَكُونَ فِي حَرْبِهِمْ
عَلَيْنَا حَرْجٌ ، فَأَخَذَ بِأَيْدِيهِمَا ، وَقَالَ لِهَمَا : « فُؤَا لِهْمُ . . . » (١) .

فَأَيُّ وِفَاءٍ بِرَبِّكَ يَشْبَهُ هَذَا الْوِفَاءَ مَعَ الْحَاجَةِ ؟ ! وَأَيُّ صَدَقٍ كَمِثْلِ
هَذَا الصَّدَقِ ؟ ! وَقَدْ أَرْتَفَعَتِ الْعَجَاجَةُ .

وقد كَانَ بَعْضُ هَذَا الْمَقَالِ أَوْلَى بِالْتَّأْخِيرِ إِلَى عِنْدِ مِثْلِ قَوْلِ
النَّاطِمِ [في « الْمَكْبَرِيِّ » ٤ / ١٧٣ مِنْ الرَّجْزِ] :

تمهيد المؤلف العذر
لنفسه في هذا
الاستطراد

إِنْ تَدْعُ يَا سَيْفُ لِتَسْتَعِينَهُ يُجِبْكَ قَبْلَ أَنْ تَتِمَّ سَيْنُهُ
أَوْ قَوْلِهِ [في « الْمَكْبَرِيِّ » ١ / ١٠٢ مِنْ الْمُتْقَابِ] :

سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ مَنَائِبُهُمْ وَمَنْفَعَةُ الْغَوِثِ قَبْلَ الْعَطْبِ
أَوْ قَوْلِهِ [في « الْمَكْبَرِيِّ » ٢ / ٢٩٩-٣٠٠ مِنْ الْوَاوِي] :

وَإِنْ نَقَعَ الصَّرِيخُ إِلَى مَكَانٍ نَصَبْنَا لَهُ مُؤَلَّلَةً دِقَاقًا (٢)
فَكَانَ الطَّغْنُ بَيْنَهُمَا جَوَابًا وَكَانَ اللَّبْتُ بَيْنَهُمَا فَوَاقًا (٣)

غَيْرَ أَنَّ الْحَدِيثَ شُجُونٌ ، وَالْإِسْطِرَادَ جُمُوحٌ ، وَالْفَائِدَةَ صَيْدٌ ،
وَالْحَزْمَ فِي أَسْتَعْجَالِ الْقَيْدِ ، وَإِذْ ذَكَرْنَا بَعْضَ مَا يَهْزُ الرُّؤُوسَ ،
وَيَحْمِي الْأَنْوَفَ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ فِي الْمَوْضُوعِ ، وَأَعْتَرَفْنَا بِالْعَجْزِ عَمَّا

(١) أَخْرَجَهُ عَنْ حَذِيفَةَ الطَّبْرَانِيِّ فِي « الْكَبِيرِ » (٣ / ١٦٥) ، وَالسِّيُوطِيُّ فِي
« الْجَامِعِ الصَّغِيرِ » وَتَمَامَهُ : « وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ » وَنَسَبَهُ لِأَحْمَدَ .

(٢) النَّقْعُ : رَفْعُ الصَّوْتِ وَيُعَدُّهُ . الصَّرِيخُ : الْمَسْتَعِثُ . الْمُوَلَّلَةُ : الْمَحْدَدَةُ .
الدَّقَاقُ : الرَّقَاقُ ، وَهِيَ صِفَةٌ لِلْأَذَانِ ، وَأَذَانُ الْخَيْلِ تَوْصَفُ بِالِدَقَّةِ .

(٣) الْفَوَاقُ : قَدْرٌ مَا بَيْنَ الْحَلْبَتَيْنِ ، وَيَضْرِبُ مِثْلًا لِلسَّرْعَةِ .

لِلصَّحَابَةِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَنْهُمْ فِيهِ ؛ لِأَنَّهُ أَلْفِضَاءُ أَلْوَاسِعُ ، الَّذِي لَا تَأْتِي
عَلَى أَطْرَافِهِ النَّسُورُ . . فَلتَتَبَرَّكَ بِذِكْرِ شَيْءٍ مِمَّا قَالَهُ السَّادَةُ الصُّوفِيَّةُ فِي
أَسْتَعْذَابِ التَّعْذِيبِ ، وَاخْتِيَارِ الْمَوْتِ فِي مَرْضَاتِ الْحَبِيبِ ، وَلِتَنْ
أَخْتَلَفِ أَلْوَانَ . . فَالْجَامِعُ قَوْلُ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ [مِنَ الْبَسِيطِ] :

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

قال أبو حامد الغزالي كما ذكره ابن السبكي في « طبقاته » [٢٢٢ / ٢] كل شيء من الحبيب حبيب
من المديد :

سَقَمِي فِي الْحُبِّ عَافِيَتِي وَوَجُودِي فِي الْهَوَى عَدَمِي
وَعَذَابٌ تَرْتَضُونَ بِهِ فِي فَمِي أَحْلَى مِنْ النَّعْمِ
مَا لِضُرِّ فِي مَحَبَّتِكُمْ عِنْدَنَا وَاللَّهُ مِنْ أَلَمِ

وقال ابن الفارض [في « ديوانه » ٢٦ من الكامل] :

إِنْ كَانَ فِي تَلْفِي رِضَاكَ صَبَابَةٌ وَلَكَ الْبَقَاءُ وَجَدْتُ فِيهِ لَدَاذَا

وقال [في « ديوانه » ١٥١ من الكامل] :

مَا لِي سِوَى رُوحِي وَبَادِلُ نَفْسِهِ فِي حُبِّ مَنْ يَهْوَاهُ لَيْسَ بِمُسْرِفِ
فَلْتَنْ رَضِيَتْ بِهَا فَقَدْ أَسْعَفْتَنِي يَا خَبِيَّةَ الْمَسْعَى إِذَا لَمْ تُسْعِفِ

وقال [في « ديوانه » ١٥٢ من الكامل] :

لَوْ أَنَّ رُوحِي فِي يَدِي وَوَهَبْتُهَا لِمُبَشِّرِي بِقُدُومِكُمْ لَمْ أَنْصِفِ

وقال [في « ديوانه » ١٥٦ من الخفيف] :

وَتَلَّافِي إِنْ كَانَ فِيهِ أَتِّلَّافِي بِكَ ، عَجَّلْ بِهِ جُعِلْتُ فِدَاكَ

وقال [في «ديوانه» ١٤٥ من البسيط] :

مَنْ لِي بِإِتْلَافِ رُوحِي فِي هَوَى رَشَا
حُلُو الشَّمَائِلِ بِالْأَزْوَاحِ مُمْتَرِجٌ^(١)

وقال [في «ديوانه» ١٤٤ من البسيط] :

مَا بَيْنَ مُعْتَرِكِ الْأَحْدَاقِ وَالْمُهْجِ
وَدَعْتُ قَبْلَ الْهُوَى رُوحِي لِمَا نَظَرْتُ
أَنَا الْقَتِيلُ بِلَا إِنْصِمٍ وَلَا حَرَجِ
عَيْنَايَ مِنْ حُسْنِ ذَلِكَ الْمَنْظَرِ الْبِهْجِ

وقال [في «ديوانه» ١٢٩ من البسيط] :

وَهَذِهِ سُنَّةُ الْعُشَاقِ مَا عَلِقُوا
بِشَادِنِ فَخْلًا عَضُوًّا مِنَ الْأَلَمِ

وقال [في «ديوانه» ١٣٤-١٣٧ من الطويل] :

وَلَكِنْ لَدَيْ الْمَوْتِ فِيهِ صَبَابَةٌ
فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَمُتْ بِهِ
حَيَاةً لِمَنْ أَهْوَى عَلَيَّ بِهَا الْفَضْلُ
فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي حُبِّهِ لَمْ يَعْشُ بِهِ
شَهِيدًا وَإِلَّا فَالْغَرَامُ لَهُ أَهْلُ
وَقُلْ لِقَتِيلِ الْحُبِّ : وَقَيْتَ حَقَّهُ
وَدُونَ اجْتِنَاءِ النَّخْلِ مَا جَنَّتِ النَّخْلُ^(٢)
وَلِلْمُدْعَى هَيْهَاتَ مَا الْكَحْلُ الْكُحْلُ^(٣)
وَلَوْ جَادَ بِالذُّنْيَا إِلَيْهِ أَنْتَهَى الْبُحْلُ^(٤)

وقال [في «ديوانه» ٥٠-٥١ من الطويل] :

وَمَا حَلَّ بِي مِنْ مِخْنَةٍ فَهِيَ مِنْحَةٌ
جَعَلْتُ لَهْ شُكْرِي مَكَانَ شَكِيَّتِي
وَقَدْ سَلِمْتُ مِنْ حَلِّ عَقْدِ عَزِيمَتِي

(١) الرَّشَا : ولد الغزال .

(٢) ماجت : أي ما ارتكبت من جنابة ، وهي لسعها لمن يجني عسلها .

(٣) الكحل : سواد طرف أجفان العين خلقة .

(٤) نَعَمٌ : اسمُ المحبوبة .

نَعَمْ وَتَبَارِيحُ الصَّبَابَةِ إِنْ عَدَتْ
وَمِنْكَ شَقَائِي بَلْ بِلَائِي مِثَّةٌ
فَحَلَيْتَ لِي الْبُلُوَى وَحَلَيْتَ بَيْنَهَا
عَلَيَّ مِنَ التَّعْمَاءِ فِي الْحُبِّ عُدَّتِي (١)

وقال [في «ديوانه» ٥٤-٥٧ من الطويل]:

فَقَالَتْ: هَوَى غَيْرِي فَصَدَتْ وَدُونَهُ أَفْ
وَنَهَجُ سَبِيلِي وَاصْحُ لِمَنْ أَهْتَدَى
حَلِيفُ غَرَامٍ أَنْتَ لَكِنْ بِنَفْسِهِ
فَلَمْ تَهْوِنِي مَا لَمْ تَكُنْ فِيَّ قَانِيَاً
فَدَعُ عَنْكَ دَعْوَى الْحُبِّ وَادْعُ لِغَيْرِهِ
وَجَانِبِ جَنَابِ الْوَصْلِ هَيْهَاتَ لَمْ يَكُنْ
فَقُلْتُ لَهَا: رُوحِي لَدَيْكَ وَقَبْضُهَا
وَمَا أَنَا بِالسَّانِي الْوَفَاءَ عَلَى الْهَوَى
وَمَاذَا عَسَى عَنِّي يُقَالُ سِوَى قَضَى
أَجَلَ أَجْلِي أَرْضَى أَنْقِضَاهُ صَبَابَةً
وَإِنْ لَمْ أَفْزُ حَقًّا إِلَيْكَ بِنِسْبَةٍ
وَدُونَ أَتْهَامِي إِنْ قَضَيْتُ أَسَى فَمَا

تَصَدَّتْ عَمِيًّا عَنِ سِوَاءِ مَحَجَّتِي (٢)
وَلَكِنَّهَا الْأَهْوَاءُ عَمَّتْ فَأَعْمَتِ
وَإِتْقَاكَ وَضَفَا مِنْكَ بَغْضُ أَدْلَتِي
وَلَمْ تَفْنَنْ مَا لَمْ تُجْتَلَى فِيكَ صُورَتِي
فُوَادَكَ وَادْفَعْ عَنْكَ غَيْكَ بِالنِّي (٣)
وَمَا أَنْتَ حَيٌّ إِنْ تَكُنْ صَادِقًا مُتِ
إِلَيْكَ وَمَنْ لِي أَنْ تَكُونَ بِقَبْضَتِي
وَشَأْنِي الْوَفَا تَأْبَى سِوَاهُ سَجِيَّتِي (٤)
فَلَأَنَّ هَوَى مَنْ لِي بَدَأَ وَهُوَ بُغْيَتِي
وَلَا وَضَلَ إِنْ صَحَّتْ لِحُبِّكَ نِسْبَتِي
لِعِزَّتِهَا حَسْبِي أَفْتِخَارًا بِتَهْمَتِي
أَسَاتُ بِنَفْسِي بِالشَّهَادَةِ قَرَّتِ (٥)

(١) التباريح: الشدة.

(٢) المحججة: الطريق المستقيمة التي لا عوج فيها.

(٣) في الكلام اكتفاء إذ المقصود ظاهر؛ أي: بالتي هي أحسن.

(٤) الشاني: المبغض. شأني: عادني.

(٥) أسى: حزناً.

وَلَيْ مِنْكَ كَافٍ إِنْ هَدَرْتِ دَمِي، وَلَمْ
 وَلَمْ تَسَوْ رُوحِي فِي وَصَالِكِ بَدَلْهَا
 فَأِنْ صَحَّ هَذَا أَلْقَاؤُكَ مِنْكَ رَفَعْتِي
 وَأَعْلَيْتِ مَقْدَارِي وَأَعْلَيْتِ قِيَمَتِي
 فَهَا أَنَا مُسْتَدْعٍ قَضَاكَ وَمَا بِهِ
 أَعَدَّ شَهِيداً ، عَلِمْتُ دَاعِي مَنِي
 لَدَيْ لَبُونٍ بَيْنَ صَوْنٍ وَبَذَلَةٍ (١)

وفي عكس ما سبق من إجابة الصوت يقول قريظ [في شرح] ذم وهجاء من يبطء
 الحماسة ١٥٧/١ من البسيط] :

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِلَيَّ
 لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ
 وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

دَعَا قَوْمَهُ حَوْلِي فَجَاؤُوا لِنَصْرِهِ
 وَرُبَّ بَيْعٍ لَوْ هَتَفْتُ بِخَوِّهِ
 وَنَادَيْتُ قَوْمِي بِالْمُسْتَأَةِ غَيْبًا (٣)
 أَنَانِي كَرِيمٌ يَنْفُضُ الرَّأْسَ مُغَضَّبًا (٤)

وقال أبو علي الضريير [من البسيط] :

كَأَنِّي يَوْمَ أَدْعُوهَا لِنَائِبَةٍ
 أَدْعُو لَهَا مِنْ بَطُونِ الْأَرْضِ أَمْوَاتًا

(١) تسو : من قولنا : هذا المتاع يسوي ديناراً مثلاً . البون : البعد . البذلة : من
 الابتذال والامتهان .

(٢) بنو مازن : حيٌّ من تميم ، وهو مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، وهم
 أشراف ولد عمرو بن تميم ، فلذلك تمنى الشاعر أن يكون منهم . وذهل بن
 شيان : حيٌّ من بكر بن وائل ، وكانت الحرب بين تميم وبكر . واللقيطه :
 المنبوذة الملقوطة ، وجعلها كذلك مبالغة في الهجو .

(٣) المُسْتَأَةُ : بلدة .

(٤) بخوّه : بفضائه .

وقد سبقَ أوَّلَ المجلسِ الرَّابِعِ قولُ الحماسيِّ [في «شرح الحماسية»
١٠٥٧/٢ مِنَ الطُّويلِ] :

وَكَايِرُ بَسْعِدٍ إِنْ سَعِدَا كَثِيرَةً وَلَا تَزُجُ مِنْ سَعِدٍ وَقَاءً وَلَا نَصْرًا^(١)
مع جملةٍ من أمثاله .

ولمَّا سئِلَ خالدُ بنُ صفوانَ عن حالِ أبنيه . . . أنشدَ [مِنَ الطُّويلِ] :
أَبُو مَالِكٍ جَارٌ لَهُمْ وَأَبْنُ مَرْثِدٍ فَيَا لَكَ جَارِي ذِلَّةٍ وَصَغَارِ
وقالَ إبراهيمُ بنُ العباسِ [مِنَ الطُّويلِ] :

وَإِنِّي إِذَا أَدْعُوكَ عِنْدَ مُلَمَّةٍ كَدَاعِيَةٍ بَيْنَ الْقُبُورِ نَصِيرُهَا^(٢)
وقالَ ريقانُ [مِنَ الطُّويلِ] :

فَمَا دَارُ عَمِّي لِي بِدَارِ خَفَارَةٍ وَلَا عَهْدُ عَمِّي لِي بِعَهْدِ جَوَارِ^(٣)
وقالَ الحُطَيْبَةُ [مِنَ البسيطِ] :

لَمَّا بَدَا لِي مِنْكُمْ ذَاتُ أَنْفُسِكُمْ وَلَمْ يَكُنْ لِجِرَاحِي فِينَكُمْ آسِي^(٤)
أَزْمَعْتُ يَأْسًا مُبِينًا عَن جَوَارِكُمْ وَلَنْ تَرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالْيَاسِ

- (١) المكائنةُ : المباهاةُ بالكثرة ، أي : عددهم كثيرٌ ، وغناهم قليلٌ ، وهم : سعدُ بنُ زيدِ مناةَ بنِ تميمٍ ، وهم أكثرُ تميمٍ وأعزُّها .
(٢) وذلك كقول الشاعر :

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي
(٣) الخفارةُ : الأمانُ .

(٤) الآسي : هو المداوي والمعالجُ . قال المتنبي يصف الأسد :
بطأ الثرى مترفقاً من تيههِ فكأنه آسٍ يجسُّ عليلًا

وقال الناظم [في «العكبري» ٢٣٦/٤ من البسيط] :

رَأَيْتُكُمْ لَا يَصُونُ الْعِرْضَ جَارُكُمْ وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرْعَاكُمْ اللَّبَنُ
جَزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمْ مَلَلٌ وَحَظُّ كُلِّ مُحِبِّ مِنْكُمْ ضَعْفٌ^(١)

ولمَّا طَعَنَ كَلِيبُ وَائِلُ نَاقَةَ الْجَرْمِيِّ الَّذِي كَانَ فِي جَوَارِ الْبَسُوسِ السبب في حرب
خَالَةَ جَسَّاسٍ . . قَالَتْ [مِنَ الطُّوَيْلِ] : البسوس

لَعَمْرِي لَوْ أَصْبَحْتُ فِي دَارٍ مُنْقِدٍ لَمَّا ضَيْمٍ سَعْدٌ وَهُوَ جَارٌ لِأَيَّتِي
وَلَكِنِّي أَصْبَحْتُ فِي دَارٍ غَرْبَةٍ مَتَى يَعْدُ فِيهَا الذُّيْبُ يَعْدُ عَلَيَّ شَانِي
فَيَا سَعْدُ لَا تُغْرِزْ بِنَفْسِكَ وَأَزْتَحِلْ فَإِنَّكَ فِي قَوْمٍ عَنِ الْجَارِ أَمْوَاتِ

فحمي عند ذلك أنفُ جَسَّاسٍ ، ولم يزل يترصدُ غُرةَ كَلِيبٍ . . ذم القرآن الكريم
حَتَّى قَتَلَهُ ، وَدَامَتِ الْحَرْبُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ مَبْعَثِ للمناقضين
النَّبِيِّ ﷺ بِسِتِّينَ سَنَةً ، وَاللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ يَقُولُ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ
لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ
يَأْتُونَكَ الْأَذْبَانُ لَا يُنصُرُونَ ﴾ [الحشر : ١١-١٢] .

وفي لونٍ آخرٍ مِنْ هَذَا الْبُرِّ^(٢) يَقُولُ أَبُو الرُّومِيِّ [في «ديوانه» أصعب السهام التي
تأتيك من أخيك وشد الألام التزيف الداخلي
: ١٩١١/٥ مِنْ الطُّوَيْلِ] :

تَخَذْتُمْ دِرْعًا حَصِينًا لِتَدْفَعُوا نِبَالَ الْعِدَا عَنِّي فَكُتِّمْنَا نِصَالَهَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو مِنْكُمْ خَيْرَ نَاصِرٍ عَلَيَّ حِينَ خِذْلَانِ الْيَمِينِ شِمَالَهَا

(١) الضَّعْفُ : الْحِقْدُ .

(٢) الْبُرُّ : السَّلْبُ .



فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَحْفَظُونَ مَوَدَّتِي ذِمَامًا فَكُونُوا لَا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا^(١)
 قَفُوا وَقَفَةَ الْمَعْدُورِ عَنِّي بِمَغْزِلٍ وَخَلُّوا نِبَالِي لِلْعِدَا وَنِبَالِهَا

وقال آخر [من الكامل] :

أَعَدَدْتُكُمْ لِدِفَاعِ كُلِّ مِلْمَةٍ عَوْنًا فَكُنْتُمْ عَوْنٌ كُلُّ مِلْمَةٍ
 وَتَخَذْتُكُمْ لِي جُنَّةً فَكَأَنَّمَا نَظَرَ الْعَدُوُّ مَقَاتِلِي مِنْ جُنَّتِي^(٢)
 فَلَأَنْفُضَنَّ يَدَيَّ يَأْسًا مِنْكُمْ نَفَضَ الْأَنَامِلَ مِنْ تَرَابِ الْمَيِّتِ

وقال ابن الرومي أيضاً [من الخفيف] :

خِلْتُكُمْ عُدَّةً لِيَصْرَفَ زَمَانِي فَإِذَا أَنْتُمْ صُرُوفُ زَمَانِي^(٣)

وقال آخر [من الرمل] :

رُبَّ مَنْ تَرَجُّوْا بِهِ دَفَعَ الْأَذَى سَوْفَ يَأْتِيكَ الْأَذَى مِنْ قِبَلِهِ

وقال غيره [من الخفيف] :

كُنْتُ مِنْ كُرْبَيْتِي أَفْرًا إِلَيْهِمْ فَهُمْ كُرْبَيْتِي فَأَيْنَ الْفِرَارُ

وقدمت (مكة) امرأةً وضيئةً ، فأستهم بها ابن أبي ربيعة ،
 وأخذ يتعرض لها ، ويؤذيها في المطاف ، فقالت لبعض رجالها :

الجدار القصير تقفز
 عليه الكلاب

(١) اللِّمَامُ : كلُّ حرمَةٍ تُلزِمُكَ إِذَا ضَيَّعْتَهَا الْمَذْمَةُ .

(٢) جُنَّةٌ : أَي سَاتِرٌ .

(٣) صُرُوفُ الزَّمَانِ : نَوَائِبُهُ . وَقَالَ أَحَدُهُمْ نَحْوَهُ :

وَإِخْوَانٍ حَسِبْتَهُمْ دُرُوعًا فَكَانُوا وَلَكِن لِّلْأَعَادِي
 وَخَلْتَهُمْ سَهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَانُوا وَلَكِن فِي فَوَادِي
 وَقَالُوا قَدْ صَفَّتْ مَنَا قُلُوبَ فَقُلْتُ نَعَمْ وَلَكِن مِّنْ وَدَادِي

طُفَّ مَعِي ، فَلَمَّا رَأَاهُ مَعَهَا . . أَنْزَجَرَ . فَقَالَتْ [مِنَ الْبَسِيطِ] :

تَعْدُو الذُّنَابُ عَلَيَّ مِنْ لَأِ كِلَابٍ لَهُ وَتَتَّقِي صَوْلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الْحَامِي

واحسرتا على من ليس
له أحد

وَللهِ دَرٌّ الْقَائِلِ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَغْضَبْ لَهُ حِينَ يَغْضَبُ فَوَارِسُ إِنْ قِيلَ : أَرْكَبُوا الْمَوْتَ يَرْكَبُوا

وَلَمْ يَخْبُهُ بِالنَّضْرِ قَوْمٌ أَعَزَّةٌ مَقَاحِيمٌ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَتَهَيَّبُ

تَهَضَّمَهُ أَدْنَى الْعَدُوِّ وَلَمْ يَزَلْ وَإِنْ كَانَ عَضْبًا بِالظَّلَامَةِ يُضْرَبُ^(١)

وقيل للجاحظ : لِمَ خَذَلْتَ ابْنَ الْزِيَاتِ ، وَهَرَبْتَ مِنْهُ لَمَّا أَصَابَتْهُ

الْمِحْنَةُ ؟ فَقَالَ : خَشِيتُ أَنْ يُقَالَ : ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي التَّنُّورِ ،

وَكَانَتْ عَقُوبَةُ ابْنِ الْزِيَاتِ أَنْ عُدْبَ فِي التَّنُّورِ الَّذِي كَانَ يُعَدَّبُ بِهِ مَنْ

شَاءَ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ ، وَلِحَدِيثِ أَمْرِيءِ الْقَيْسِ مَعَ جَارِهِ السَّابِقِ فِي غَيْرِ

هَذَا الْمَجْلِسِ اتِّصَالَ بِالْمَوْضُوعِ .

وَاللهُ أَعْلَمُ

* * *

(١) الْأَعْضَبُ مِنَ الرِّجَالِ : الَّذِي لَا نَاصِرَ لَهُ ، وَالْمَعْضَبُ : السِّيفُ الْقَاطِعُ .

المحتوى

المحتوى

أولاً - المقدمات :

٧	أضواء على الكتاب/ بقلم الدكتور الأهدل
١٧	مقدمة التحقيق
١٩	- تمهيد
٢٦	- الأدب - مفهومه وتاريخه
٣٦	- ترجمة أبي الطيب المتنبى
٤٣	- ترجمة السيد عبد الرحمن السقاف (مؤلف الكتاب)
٥٦	- وصف النسخة الخطية
٥٧	- منهج تحقيق الكتاب
٥٨	- خاتمة
٦١	كلمة شكر
٦٣	صورة المخطوطة المستعان بها
	ثانياً - الكتاب :
٦٩	- مقدمة المؤلف

المجلس الأول

بِأَبِي مَنْ وَدِدْتُهُ فَأَفْتَرَقْنَا وَقَضَى اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَجْتِمَاعَا
فَأَفْتَرَقْنَا حَوْلًا وَلَمَّا التَّقِينَا كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعَا

٧٣	حلاوة اللقاء كمر النسيم
٧٣	دفع العتاب عن المتنبى

٧٣	جواز التفدية
٧٤	رد دليل منع التفدية
٧٤	وقوع العتاب على المتنبي
٧٤	كراهة التكرار
٧٤	متى يكون العطف قبيحاً
٧٥	روعة التكرار في مكانه
٧٥	كثرة التفدية عند المتنبي
٧٨	التفدية عند البحري
٧٩	فداء كثير لعبد العزيز بن مروان
٧٩	فداء قس بن ساعدة لأخويه
٧٩	فداء متمم لأخيه
٨٠	التفدية عند الصوفية
٨٠	فداء آدم لداوود
٨٠	فداء زيد بن الدثنة للنبي ﷺ
٨١	نماذج من فداء الصحابة له
٨١	الأيام الحلوة تمر مسرعة عند المتنبي
٨٢	وكذلك عند الشعراء كل شيء يهون من أجل الحبيب
٨٣	سيدنا إبراهيم الخليل الإمام في ذلك
٨٣	أيهما الأسعد نظام الملك أم البستاني؟!
٨٣	ابن حجاج وسرعة عزله عن عمله
٨٣	تولية الرشيد لجعفر بن يحيى وعزله
٨٤	توليته ﷺ لسعد وعزله يوم الفتح
٨٤	ما القول الفصل في هذه المسألة
٨٥	معاني القصيرة والمقصورة
٨٥	١- قصر الخطو

- ٨٥ قصر الخطو مذموم في الرجال
- ٨٥ -٢ قصر النظر
- ٨٦ -٣ لزام الخدور
- ٨٦ أنشدونا بيتاً خفراً
- ٨٧ العتبي والنساء الأعرابيات
- ٨٧ نفي المحكوم عليه بانتفاء صفته
- ٨٧ مثاله من القرآن
- ٨٨ مثاله من السنة
- ٨٨ مثاله من الشعر
- ٨٨ قول ابن الأثير في هذه المسألة
- ٨٨ رد المؤلف عليه
- ٨٩ تشبيه ليلة القرب وليل الصد وكثرته عند الشعراء
- ٩٠ تمثل السيدة عائشة بشعر متمم بن نويرة
- ٩٢ كن صياد فرص
- ٩٣ تنوع المتأخرين في هذا الموضوع
- ٩٦ تفنن المتنبّي في هذا الموضوع وكثرته عنده
- ٩٧ المعتمد وإحدى حظاياه

أَبْلَى الْهَوَىٰ أَسْفَا يَوْمَ النَّوَىٰ بَدَنِي وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ

- ٩٨ الهوى المتلف
- ٩٨ حقيقة العشق
- ٩٩ العشق أوله لعب وآخره عطب
- ٩٩ كمون الحب في الحشا
- ٩٩ الهجر ينفي النوم من العيون
- ١٠٠ تكرار هذا المعنى عند المتنبّي

- ١٠٠ المحب لا يعرف الراحة
- ١٠١ انفذ بريشك

رُوحٌ تَرَدَّدُ فِي مِثْلِ الْخِلَالِ إِذَا أَطَارَتْ الرِّيحُ عَنْهُ الثُّوبَ لَمْ يَبِينِ
كَفَى بِجِسْمِي نُحُولاً أَنِّي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

- ١٠٢ في البيت سؤالان
- ١٠٢ الأول: ما هو المصدر المؤول؟
- ١٠٢ الثاني: الاسم الظاهر بمثابة الغائب فكيف الضمير
- ١٠٢ الشواهد عليه
- ١٠٣ قصة الصمة وريا
- ١٠٣ رد المؤلف على الشارح
- ١٠٤ أصل بيت المتنبي
- ١٠٥ ذوبان النفس في العشق ليس حكراً على أحد
- ١٠٦ ما هذه الخفة؟!
- ١٠٦ القذى الذي لا يؤذي
- ١٠٧ تأييد المؤلف للشارح في بعض ورده لبعض
- ١٠٧ أعذب الشعر أكذبه
- ١٠٧ السابق في المعنى أبو تمام
- ١٠٧ سلطان العاشقين وإبداعه في هذه المسألة
- ١٠٩ المقبول من الغلو هو الذي يصدره الصوفية
- ١٠٩ سماع الصوفية
- ١١٠ ومن العشق ما قتل
- ١١٠ حكم ابن الأثير على بيت
- ١١١ لماذا لم يصعق الصحابة من السماع؟

- ١١٢ بل صعق بعضهم عند سماع سورة الإنسان
- ١١٢ قو أنفسكم ناراً
- ١١٣ الأول يتلو والثاني يموت
- ١١٣ باح للنبي ﷺ ومات
- ١١٣ وأكثرهم راسخون كالجبال
- ١١٣ رفقاً بالقوارير
- ١١٣ الرجل أقوى
- ١١٤ همّام والإمام عليه السلام
- ١١٤ السبب في الموت عشقاً
- ١١٥ الأكوخ: والبادي أظلم
- ١١٥ موت ابن وهب
- ١١٥ موت النوري
- ١١٦ عبد الله بن طاهر والجارية الشاعرة
- ١١٦ الجاحظ وغريقي العشق
- ١١٧ لا خير في عشق بلا موت
- ١١٨ لا تستعجل ما هو لك
- ١١٩ كتاب سليمان بن عبد الملك إلى أخيه
- ١٢٠ إذ لا تشرب تظماً
- ١٢٠ صعقة أمير المؤمنين عمر لسماع القرآن
- ١٢١ المحسن بن علوي ورقة قلبه
- ١٢١ مواراة عبد الله بن عمر بن نمير
- ١٢١ عبيد الله بن محسن
- ١٢٢ الحداد وقوله: ولي الزمان
- ١٢٤ حديث الشوق في الآخرين
- ١٢٤ يا قرة العين

- أبرح الشوق ١٢٥
- الشيخ حسين زايد وصناعة القهوة ١٢٥
- ربما قتل الشيخ ابن زامل في هذا الطريق ١٢٧
- عاشقة ابن عمها كيف تموت ١٢٧
- يخرج روحه من نفسه ليعطيها لصديقه ١٢٨
- هل أنت تذبح ابنك لتشفي خراج الملك؟! ١٢٩
- أرى جسداً عليلاً وعينين صحيحتين ١٣٠
- المتنبي والرمادي ١٣٠

المجلس الثاني

أَهْلًا بِدَارِ سَبَّكَ أَغْيَدَهَا أَبْعَدَ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدَهَا

- عادة الشعراء البكاء على الأطلال ١٣٣
- اقتداء المتنبي بهم ١٣٣
- مخالفته لهم ١٣٤
- شرح المطلع ١٣٤
- صيانة المرأة عند العرب ١٣٥
- قريب المرأى بعيد المنال ١٣٥
- تكرار هذا المعنى عند الشعراء ١٣٦
- لقاءً وعتاب ١٣٧
- ما أصعب الفطام بعد الرضاع ١٣٩
- الباذلات المانعات ١٣٩
- الكائنات الباخلات ١٣٩
- عمر بن أبي ربيعة وعبد الملك بن مروان ١٤٠
- الكاسيات العاريات ١٤٠

- الكلام الحق ١٤١
- إذا كنت ريحاً فقد واجهت إعصاراً ١٤١
- أبو نواس يأكل الفتاة بعينيه ووقوعه في شر أعماله ١٤١
- قصة ذي الرمة ومي ١٤٣
- وائل بن قاسط ووادي السباع ١٤٤
- وجوب التحفُّظ والحِيطَة على النساء ١٤٥
- زوج الشهداء عاتكة بنت زيد ١٤٥
- كما تدين تدان ١٤٦
- العفة حتى في النوم ١٤٧
- الشعراء في هذا الموضوع ١٤٧
- الضيف الأعمى ١٤٨

ظَلَّتْ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَبِدٍ نَضِيجَةٍ فَوْقَ خَلْبِهَا يَدُهَا

- شرح المطلع ١٤٩
- رأي المؤلف ١٤٩
- اصطلام النار في الأكباد ١٤٩
- تكرار هذا المعنى عند المتنبي ١٥١
- بيت للمؤلف في الموضوع ١٥١
- اختلاف الإشارات في التعبير ١٥١
- الملك المتواضع ١٥١
- لا حياة في تعلم أمور الدين ١٥١
- النساء واختلاف التعبير عند الفرع ١٥٢

يَا حَادِيَنِي عَيْنِهَا وَأَحْسِنِي أَوْجَدُ مَيْتًا قُبَيْلَ أَفْقِدُهَا
قَفَا قَلِيلًا بِهَا عَلَيَّ فَمَا أَقَلَّ مِنْ نَظْرَةِ أَرْوُدُهَا

- شرح المطلع ١٥٣

- لِمَ العجلة؟ ١٥٣
- الشعراء والموت من الفراق ١٥٣
- استيقاف العيس عند الشعراء ١٥٤
- أول من قال لفظة (السلف) ١٥٤
- تفسير السلف ١٥٥
- طلبٌ وجيه ١٥٥
- نرجو من الله تعالى ١٥٦
- ما سبب التفات المسافر العربي؟ ١٥٦
- من بدائع الاتفاق ١٥٧
- أنت مسكين يا صمة ١٥٧
- الأم ساعة الوداع عند الشعراء ١٥٨
- توديع ابن اللبانة للمعتمد بن عباد ١٦٣
- ابن درّاج وزوجته ١٦٤
- لله درك يا ابن زريق ١٦٤
- قصيدة للمؤلف في الموضوع ١٦٥
- الخلاص في شأن التوديع ١٦٦
- ١- عصفور باليد أفضل من عشر على الشجر ١٦٦
- ٢- درء المفسد مقدم على جلب المصالح ١٦٦
- المحب شقي على كل الأحوال ١٦٦
- الاقتناع باليسير من المحبوب عند الشعراء ١٦٧
- وأجمله: عند سلطان العاشقين ١٦٩
- الروذباري والشاب الطريح ١٦٩
- امرأة في الطواف ١٧٠

بَانُوا بِخُرْعُوْبَةٍ لَهَا كَفَلٌ يَكَادُ عِنْدَ الْفِيَامِ يُقْعِدُهَا

- المرأة ممدوحة بكبر العجيزة ١٧٢
 تكرر المعنى عند المتنبى ١٧٢
 جزء من حديث أم زرع ١٧٢
 حلم معاوية رضي الله عنه ١٧٣
 الأحنف يقطع يد رجل بحلمه وذكائه ١٧٣
 السبب في كون كبر العجيزة ممدوحاً ١٧٤
 الثريا وانتفاج عجزها ١٧٤
 أخت الحجاج تنذر أن تعتمر ماشية ١٧٤
 ومنهن نائلة الكلبية ١٧٦
 الشعراء في هذا الموضوع ١٧٦
 مساجلة المؤلف مع رجل من (اليمن) ١٧٨
 سؤال عبد الملك بن مروان للأخطل عن تمنييه قول قصيدة لأحد الشعراء ... ١٧٩
 تعليق المؤلف على القصة ١٨١
 رواية أخرى للقصة ١٨٢
 رواية أخرى في القصيدة المتمناة ١٨٢

يَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعِ فِتْنَةً أَضَلَّهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا
 بِنَسِ الْبَلْبَالِي سَهَدَتْ مِنْ طَرْبٍ شَوْقاً إِلَى مَنْ يَبِيْتُ يَرْقُدُهَا

- نصيحة لمن يعذل العاشقين ١٨٤
 شرح البيت الأول من المطلع ١٨٤
 «من عشق فعف» ومدى الاحتجاج به ١٨٥
 شرح البيت الثاني من المطلع ١٨٧
 حذف المخصوص بالذم ١٨٧

- ١٨٧ حذف عائد الصلة
- ١٨٨ الرد على الشارح
- ١٨٨ البلوى المحببة
- ١٨٨ الكلام عن ديوان ابن الفارض
- ١٩٠ التناقض عند المتنبي
- ١٩١ امرؤ القيس كان مفركا
- ١٩٢ التناقض العجيب
- ١٩٢ عمر بن أبي ربيعة وعائشة بنت طلحة
- ١٩٢ حال العاشق والمعشوق عند الشعراء
- ١٩٣ رد على بشار بن برد
- ١٩٤ أعينوني على الليل
- ١٩٤ الأصل اجتماع الهموم على العشاق بالليل ومذاهب الشعراء في ذلك
- ١٩٦ أبلغ من قال في طول الليل

لَا نَاقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْهَدَهَا

- ١٩٨ شرح المطلع
- ١٩٨ خصائص النعال وأصل معنى بيت المتنبي
- ١٩٩ ابن المطرز والشريف الرضي والجواب المفحم
- ١٩٩ كاد المتعل أن يكون راكباً
- ١٩٩ وفود أبي الشمقمق على يزيد بن المزيدي
- ٢٠١ من أي الظهر ركوبك
- ٢٠١ وجهة نظر المؤلف في بعض أبيات النبهاني
- ٢٠٢ أمره ﷺ بمخالفة اليهود بالصلاة بالنعال
- ٢٠٢ استحباب قلع النعل لدخول (مكة)
- ٢٠٢ تلؤن المتنبي وتغيره في أشعاره

- ٢٠٥ لا مجد إلا بمال
- ٢٠٥ تعريض الحمداني بالمتنبي ثم نفي المؤلف الذم عنه
- ٢٠٦ عودة على تناقض المتنبي
- ٢٠٧ امرؤ القيس وخالد السدوسي والإبل المسروقة
- ٢٠٧ نفي العذر عن المتنبي في تناقضه
- ٢٠٩ اختلاف الأحوال والواردات على العارفين
- ٢١١ دفع الإشكال بما ظاهره التناقض في القرآن الكريم
- ٢١١ المتنبي جزوع ممنوع
- ٢١٢ كرم نفس أبي فراس الحمداني
- ٢١٢ عند الامتحان يكرم المرء أو يهان
- ٢١٣ إلحاحه ﷺ على ربه يوم العرش
- ٢١٣ ثباته جأشه في الغار
- ٢١٣ والله يا عم لو وضعوا الشمس
- ٢١٣ تواضعه ﷺ عند فتح (مكة)
- ٢١٤ سؤال عن عفوه وعن شدته
- ٢١٥ اعتراض المؤلف على ابن المعتز
- ٢١٥ الصفح عند الشعراء
- ٢١٦ عود على بدء
- ٢١٦ الأصمعي وبراذين الخلفاء
- ٢١٦ الضرورات تبيح المحظورات
- ٢١٦ ابن الرومي يطلب حاجة لا يتوقع قضاءها
- ٢١٦ ابتسام الأيام بعد عبوسها
- ٢١٧ رجل خفيف الحمل
- ٢١٧ اللهم مثلنا أو مثلهم
- ٢١٧ لم يذهب إلا الفضول

- ٢١٧ فخر الدولة ابن المعتمد يتعلم الصياغة
- ٢١٨ تغير أحوال أم جعفر البرمكي
- ٢١٨ قصة عجيبة على تغير الأحوال
- ٢١٩ النعمان بن بشير يخطب الرقة ابنة النعمان بن المنذر
- ٢٢٠ موسى بن نصير وتغير حاله
- ٢٢٠ زوجة ملك تطلب الصدقة
- ٢٢٠ القصر الخرب
- ٢٢١ الصاحب ودار ابن العميد
- ٢٢١ اعجب لصرف الدهر
- ٢٢٢ قصر ابن سبكتكين
- ٢٢٢ أمير (كابل)
- ٢٢٣ محمد علي باشا وأمان الله
- ٢٢٤ ركب النميري
- ٢٢٤ الجيش الكبير
- ٢٢٤ ابن الحجام
- ٢٢٤ ابن الفوال
- ٢٢٥ القبران المتشاثمان
- ٢٢٥ الكلام على النعل
- ٢٢٥ من الممادح رقة النعال
- ٢٢٦ ومنها لبس السبتية
- ٢٢٦ رقة النعل كناية عن سلامتها

المجلس الثالث

لَهُ أَيَادٍ عَلَيَّ سَابِقَةٌ أَعَدُّ مِنْهَا وَلَا أَعَدُّهَا

- ٢٢٧ شرح المطلع

- ٢٢٧ الروايات في المطلع
- ٢٢٧ تلاعب المتنبي في معنى الجود
- ٢٢٨ أن تكون واحدة من حسنات ومدوحك عند الشعراء
- ٢٢٨ مصعب بن الزبير وجوده على بعض من حاربه
- ٢٢٩ إجارة معن بن زائدة على الخليفة المهدي
- ٢٢٩ إبراهيم بن سليمان يستجير عند رجل قد قتل أباه
- ٢٣٠ وفاء الحارث بن عباد للمهلهل بعد قدرته عليه
- ٢٣١ المهلب يعفو عن من يريد قتله
- ٢٣١ لا أبرح حتى أعرّف حديثك مع المأمون
- ٢٣٢ النعمان بن المنذر ويوم يؤسه
- ٢٣٤ يعود إلى السجن بعد ما خرج منه وفاءً لمن هربه
- ٢٣٤ عودٌ على شرح المطلع

يُعْطِي فَلَا مَطْلُهُ يُكَدِّرُهَا بِهَا وَلَا مَتُّهُ يُنْكَدُّهَا

- ٢٣٦ شرح المطلع
- ٢٣٦ نفي الشيء بنفي صفته والشواهد عليه
- ٢٤٠ السبب في تكثير الأمثلة على هذه المسألة
- ٢٤٠ الخلاف في الوعد
- ٢٤٠ ١- صنف أحبه قبل العطية
- ٢٤٠ من أصحاب هذا المذهب يحيى بن خالد
- ٢٤٠ ومنهم أبو مسلم الخولاني
- ٢٤٠ ومنهم المهدي
- ٢٤١ شاهده من القرآن الكريم
- ٢٤١ ومنهم الحارثي
- ٢٤١ وكذلك ابن رشيق

- ٢٤١ ٢- الصنف الثاني عكسهم واستدلّاهم على ذلك
- ٢٤٢ أصحاب هذا المذهب كثير
- ٢٤٢ تكرار هذا المعنى بكثرة عند المتنبّي
- ٢٤٤ الشعراء وهذا المعنى
- ٢٤٤ كلمة رشيقه للخابز أرزي
- ٢٤٥ ملاحظة المؤلف عليها من حيث المعنى
- ٢٤٥ ملاحظته عليها من حيث اللفظ
- ٢٤٥ وجوب الوفاء بالوعد
- ٢٤٦ وفاء سيدنا أبي بكر عداته رضي الله عنه
- ٢٤٦ وفاء عدات سعيد بن العاص
- ٢٤٦ قصيدة شاعرة لبعض شعراء الحماسة
- ٢٤٧ ابن الزبير يمدح بني عبد مناف
- ٢٤٧ الحطيئة يمدح آل شماس
- ٢٤٨ الشعراء والجدود
- ٢٤٩ أبو العتاهية وعمر بن العلاء
- ٢٥١ دعبل وبعض الأمراء
- ٢٥١ الضيف يخبر أهله
- ٢٥١ من روائع البحري في الاستهزاء والهزاء
- ٢٥٢ من روائع ابن الرومي في الموضوع
- ٢٥٣ الشعراء في هذا الميدان
- ٢٥٤ العبد الموفّق هو الذي يعمل ما يرضي سيده
- ٢٥٤ فتوى في الحب
- ٢٥٥ شر الآفات البخل
- ٢٥٥ لا شيء أفضل من الصراحة
- ٢٥٥ وصف لبخيل

- ٢٥٥ أول من أخلف المواعيد
- ٢٥٥ دواء ينفع مع اللثيم الحريص
- ٢٥٦ الوعد في الحب
- ٢٥٦ الكمؤون والمواعيد
- ٢٥٧ التنكيد والمن في العطاء في أصدق الكلام
- ٢٥٧ التنكيد والمن في العطاء عند الشعراء
- ٢٥٨ لا تنس حاجتي أيها الأمير
- ٢٥٨ تكرار هذا المعنى عند المتنبي
- ٢٥٩ أم جعفر البرمكي تصف أولادها
- ٢٦٠ أصبحت بيوتنا كالأسواق
- ٢٦٠ مديح البرامكة
- ٢٦١ قصائد للمؤلف في مدح العلويين
- ٢٦١ أبلغ ما روي في تعاضم السائل وسماحة المسؤول
- ٢٦٢ مديح المتنبي لطاهر بن الحسين وجلوس الممدوح بين يدي الشاعر
- ٢٦٣ العفة في السؤال وحفظ ماء الوجه
- ٢٦٣ جابر عثرات الكرام
- ٢٦٤ الخلف أقبح من البخل
- ٢٦٥ كيف كانت البطيخة؟؟
- ٢٦٥ أبو الهذيل والدجاجة المهداة

أَصْبَحَ حُسَّادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُخْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُضْعِدُهَا

- ٢٦٧ صفات الخائف
- ٢٦٧ ماذا يعمل الخوف
- ٢٦٧ صور من شجاعة الإمام علي عليه السلام
- ٢٦٩ خوف المحارب من الاسم عند الفرزدق

- ٢٦٩ تكرر هذا المعنى عند المتنبى
- ٢٧١ جبن الأخطل وقصته مع الجحاف
- ٢٧٢ إلى أين أبا ليلي؟
- ٢٧٤ الجبن حتى في النوم
- ٢٧٤ المتنبى وهذا المعنى
- ٢٧٥ المعري في الموضوع
- ٢٧٥ أبو الهيثام وراثه لأخيه
- ٢٧٥ عبد الله بن أبي ربيعة وراثه لعثمان بن عفان رضي الله عنه
- ٢٧٦ عبد الملك بن مروان ينهى ولده عن البكاء
- ٢٧٦ هيبه سيدنا ابن عباس من سيدنا عمر رضي الله عنهم
- ٢٧٦ من هيبه سيدنا عمر رضي الله عنه تضع المرأة حملها
- ٢٧٦ نهيه النساء عن رفع الصوت
- ٢٧٧ الاستهزاء بالجبان عندما يهدد
- ٢٧٧ شجاعة بني عبد المطلب
- ٢٧٨ قصة امرئ القيس مع قتلة أبيه
- ٢٨٠ تعليق المؤلف على القصة
- ٢٨٠ تعليق المؤلف على العكبري في شرح المطلع

قَدْ أَجْمَعَتْ هَذِهِ الْخَلِيقَةُ لِي أَنْكَ يَا أَبْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدَهَا
وَأَنَّكَ بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُخْتَلِمًا شَيْخَ مَعْدٍ وَأَنْتَ أَمْرُدَهَا

- ٢٨١ ادعاء التفرد للمدوح عند المتنبى
- ٢٨٣ شدة انتقاد المؤلف على المتنبى: إسرافه في المدح
- ٢٨٣ ثناء سيدنا عمر رضي الله عنه على ابن أبي سلمى
- ٢٨٤ إن من البيان لسحراً
- ٢٨٤ سبب الكذب في المديح

٢٨٥ المؤلف وهذا الزمان
٢٨٥ إعجابه بأشراف النفوس
٢٨٥ شرف الفرزدق
٢٨٥ تلون المتنبي
٢٨٥ أبو تمام يمدح ابن الزيات فيرد مديحه عليه
٢٨٨ مديح الشماخ لعبد الله بن جعفر
٢٨٨ المبالغة في المديح ترفع الممدوح وتضع المادح
٢٨٨ صغر نفس المتنبي
٢٨٩ التفرد بالكمال مقرون بالحرمان
٢٨٩ ترقب زوال الشيء إذا ما قيل : تم
٢٨٩ أول من أتى من داء الكمال في الإسلام سيدنا علي وصور من ذلك
٢٩١ صور من امتحان النبي ﷺ بالمنافقين
٢٩٣ الشعراء والتمام
٢٩٤ الكمال مقرون بعلو الهمة ولكن الأيام لا تساعد
٢٩٥ صفات بني حمدان
٢٩٦ أوحى بني حمدان
٢٩٦ بدء الشعر بملك وختم بملك
٢٩٦ عود على شرح البيت من المطلع
٢٩٧ اقتباس البيت
٢٩٧ سيادة الصغير العمر عند المتنبي
٢٩٨ بلوغ الغلمان عند يحيى بن زيد
٢٩٨ تربية الأسياد أولادهم
٢٩٩ أصحاب مشورة سيدنا عمر رضي الله عنه
٢٩٩ تقديم الأسن عند الاستواء في الفضل
٣٠٠ سرعة بديهة يحيى بن أكثم

- المرء بأصغريه ٣٠٠
- سيادة أبي جهل ٣٠٠
- سيادة عمرو بن كلثوم ٣٠١
- سيادة أخ الخنساء ٣٠١
- سيادة طرفة بن العبد ٣٠١
- محمد بن القاسم يبيد الأكراد وعمره سبع عشرة سنة ٣٠١
- الشعراء والسيادة في الصغر ٣٠١
- إمام المتنبي بقول المحترى ٣٠٤
- تألم المؤلف على ما آل إليه حال العلويين ونصحه لهم ٣٠٤
- متى يبلغ البيان التمام؟! ٣٠٦
- قصيدة للمؤلف في العلويين ٣٠٧
- هل صحيح أن الإنسان الذي يبلغ التمام في أمر يُنفذ هذا الأمر من ذريته؟ ٣٠٧
- الكمال بين الناقصين ذنب ٣٠٨
- قصيدة أخرى للمؤلف في نعي أسلافه وحث إخوانه ٣٠٨

المجلس الرابع

مُجِبِّي قِيَامِي مَا لِدَالِكُمُ النَّصْلِ بَرِيًّا مِنَ الْجَرْحَى سَلِيمًا مِنَ الْقَتْلِ

- نكوص أصحاب المتنبي عنه وتكليفهم إياه شيئاً ليس من شيمته ٣١١
- تألم الإمام من نكوص الأصحاب ٣١١
- البطء عن الضيف والسرعة إلى الطعام تستوجب الهجاء ٣١٢
- كثرة كغناء السيل ٣١٣
- البرق الخلبى ٣١٣
- أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن بن زائدة ٣١٣
- عبد الله يأمر غلماناً بارتكاب الفاحشة من أبي العتاهية ٣١٤

- ٣١٤ السيف الممدوحة
- ٣١٤ هل عيب السيف الفلول؟
- ٣١٤ معرفة عروة بن الزبير سيف أخيه
- ٣١٤ لا ينبغي لنبي لبس لامة أن ينزعها حتى يقَاتِل
- ٣١٥ الشعراء وتلبية المنادي
- ٣١٥ يزيد بن المهلب والإمارة
- ٣١٦ مكان الأمور الجسيمة
- ٣١٦ لا بد دون الشهيد من إِبْر النحل
- ٣١٦ طعم الموت لا يتغير
- ٣١٧ شجاعة زيد بن علي
- ٣١٧ شجاعة داوود بن علي وابنه موسى
- ٣١٧ عبد الله بن الزبير وأمه
- ٣١٩ المفضل الضبي وإبراهيم بن عبد الله بن الحسن
- ٣٢١ أبو تمام والشجاعة
- ٣٢٣ تسهيل الصعب بم يكون؟
- ٣٢٣ المتنبى والشجاعة
- ٣٢٤ ابن المقرب والشجاعة
- ٣٢٤ سرقة الشعراء من بعضهم
- ٣٢٥ أجمل ما قيل في التحريض على الإباء

وَحُضْرَةٌ نَوْبِ الْعَيْشِ فِي الْحُضْرَةِ الَّتِي تَرِيكَ أَحْمِرَارَ الْمَوْتِ فِي مَدْرَجِ النَّمْلِ

- ٣٢٦ تشبيه المتنبى السيف
- ٣٢٦ أفضل المكاسب المغانم
- ٣٢٦ تمادح الشعراء بصفورة اليد إلا من عدة القتال
- ٣٢٨ الحجر الذي لا يعجبك يشجك

- الغلام القيسي ٣٢٩
- رثاء هدبة اليشكري ٣٢٩
- القطامي والبدواة ٣٢٩
- رثاء الوليد بن طريف ٣٢٩
- المعري والمال المكتسب في الحروب ٣٣٠
- فقراء بني النطّاح ٣٣٠
- صورة رائعة من شجاعة بكر بن النطّاح ٣٣٠
- رواية أخرى للقصة ٣٣٠
- مديح بشار ٣٣١
- اقتداء ابن المعتز به ٣٣١
- إجادة المديح عند المعري ٣٣١
- الرثاء والمديح عند الشعراء ٣٣١
- الاعتداد بالسلاح ووصفه عند الشعراء ٣٣٢
- الاعتداد بالسلاح عند المتنبي معنى متكرر ٣٣٦
- تشبيه جوهر السيف بمدرج النمل عند الشعراء ٣٣٧
- تسمية السيف بالهندي أو المشرفي ٣٣٨

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأَنَّهُ فَمَا أَحَدٌ فَوْقِي وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي

- الفخر والاعتداد بالنفس عند المتنبي ٣٣٩
- تعاضم أبي جهل ٣٣٩
- مقالة كتبها المؤلف يوم تأمير شوقي ٣٣٩
- الفخر متكرر عند المتنبي ٣٤٠
- الفخر عند الشعراء ٣٤٢
- تكذيب المؤلف لهذه الأشعار ٣٤٢
- تفسير: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ عند الجاحظ ٣٤٢

- تفسير: ﴿ليس كمثل شيء﴾ ٣٤٣
تفسير الغزالي ل: إن الله خلق آدم على صورته ٣٤٤

وَذَرْنِي وَإِيَّاهُ وَطَرْفِي وَذَابِلِي نَكُنْ وَاحِدًا نَلَقَ الْوَرَى وَأَنْظُرَنَّ فِعْلِي

- ٣٤٨ ادعاء المتنبى الشجاعة
٣٤٨ من أين أخذ المتنبى بيته
٣٤٨ شجاعة الإمام
٣٤٩ تعليق المؤلف على المتنبى
٣٤٩ الفارس والفرس والسلاح قطعة واحدة عند الشعراء
٣٥٠ أول من جعل الحصان قيلاً للأوابد
٣٥٠ الشعراء وجعلهم الحصان قيلاً للوحوش
٣٥١ وصف البحري للخيل
٣٥٣ وصف أبي تمام للخيل
٣٥٣ وصف ابن المعتز للخيل
٣٥٣ وصف المتنبى للخيل
٣٥٤ قضاء زوجة امرئ القيس لعلقة
٣٥٤ وصف المعري للخيل
٣٥٤ الشعراء والخيل
٣٥٥ المحمود من الخيل
٣٥٧ توجيه قول البحري
٣٥٧ هل معقول أن سرعة الخيل الأعوجية تعادل سرعة القطا؟!
٣٥٨ أول من ركب الخيل

المجلس الخامس

غُضُنْ عَلَيَّ نَقَوَا فَلَاةَ نَابِثٍ شَمْسُ النَّهَارِ تُقِلُّ لَيْلًا مُظْلِمًا

- ٣٥٩ وصف المتنبي لحبيته
- ٣٥٩ تشبيه المآكم بكثبان الرمل عند الشعراء
- ٣٦٠ كثرة استعمال التشبيه تبليه إلا إن خرج عن بابه مع نظريف
- ٣٦٢ الرشيد وعلي بن الخليل
- ٣٦٣ المتنبي وإغرابه في التشبيه
- ٣٦٤ وصف السيدة فاطمة الزهراء
- ٣٦٤ وصف سيد الأنام ﷺ
- ٣٦٥ تشطير المؤلف لقصيدة كعب بن زهير
- ٣٦٦ التوغل والاستغراق في المديح عند المتنبي
- ٣٦٦ التوغل والاستغراق في المديح عند الشعراء
- ٣٦٧ المؤلف ومفاضلته بين بيتٍ للبوصيري وبيت لابن الفارض في أحد المجالس
- ٣٦٧ إتمامه ﷺ بيتاً لابن الفارض في المنام
- ٣٦٨ المعاني موجودة حتى عند العامة ولكن الفضل في نظمها
- ٣٦٨ اعتراض بعض الحاضرين على المؤلف ورد المؤلف عليه

لَمْ تَجْمَعِ الْأَضْدَادَ فِي مُشَابِهِ إِلَّا لِتَجْعَلَنِي لِعَزْمِي مَغْنَمًا

- ٣٧٠ تشبيه المتنبي ما يلزم من العشق بالذنين
- ٣٧٠ شرح البيت
- ٣٧٠ معنى التشابه
- ٣٧١ تناسب الأعضاء إلى بعضها هو معيار الحسن
- ٣٧١ ذكّرني فوها حماري أهلي
- ٣٧١ سعة الفم ومدوحة في الرجال لا النساء
- ٣٧٢ الجمال يكون بسواد أربعة
- ٣٧٢ وبياض أربعة
- ٣٧٢ وحمرة أربعة

٣٧٢	وكبر أربعة
٣٧٢	وصغر أربعة
٣٧٢	وسعة أربعة
٣٧٢	وضيق أربعة
٣٧٢	المراد من حمرة الشفة
٣٧٣	الملاحة والخلاف فيها
٣٧٣	الفرق بين المليح والجميل والخلاف فيه
٣٧٤	مواضع الحُسن
٣٧٤	الجمال عند العرب
٣٧٤	الحُسن عند علي بن عبيد
٣٧٤	الحسن عند المتنبّي
٣٧٥	أروع وصف لامرأة هو ما تصف به عصام امرأة من كندة للحارث بن عمرو
٣٧٧	عزّة الميلاء تخطب وتصف
٣٧٩	تشكك المؤلف في القصة

كَصِفَاتِ مَوْلَانَا أَبِي الْفَضْلِ الَّتِي بَهَّرَتْ فَأَنْطَقَ وَاصِفِيهِ وَأَفْحَمًا

٣٨١	جمع الأضداد في الصفات يستهوي المتنبّي
٣٨٢	الشعراء وجمع الأضداد
٣٨٣	أبو تمام يتكلف تأليف بيت من الشعر
٣٨٤	استهزاء المؤلف به
٣٨٤	عودة إلى جمع الأضداد عند الشعراء
٣٨٥	وصف الشريف الرضي للإمام
٣٨٥	إعجاب المؤلف به
٣٨٥	مديح أب لابنه
٣٨٥	هجاء أب لابنه

- ٣٨٦ أنت ومالك لأبيك
- ٣٨٧ بطلان قصة الحديث
- ٣٨٧ هل يجوز قول الرجل لغيره: يا مولاي؟
- ٣٨٧ القول في التسييد
- ٣٨٨ شهامة شاعر
- ٣٨٩ خضوع البعض للممدوحيه
- ٣٨٩ الممدوح التي توجد في الممدوح هي التي تنظم نفسها شعراً عند المتنبّي
- ٣٩٠ وكذلك عند الشعراء
- ٣٩٣ تعجز لغة الكلام عن التعبير في كثير من الأحيان
- ٣٩٤ إفحام أبي نواس للشعراء والخطباء
- ٣٩٤ شدة القرب حجاب
- ٣٩٤ ارتفاع بعض الممدوحين فوق مرتبة المديح

كَبُرَ الْعِيَانُ عَلَيَّ حَتَّىٰ إِنَّهُ صَارَ الْعِيَانُ مِنَ الْيَقِينِ تَوْهُمًا

- ٣٩٦ عندما يرى الإنسان شيئاً يكذب عينيه والمتنبّي أول من أوضح هذا المعنى
- ٣٩٧ قول الشعراء في هذا المعنى
- ٣٩٨ الحديث عن كتاب الشكوك
- ٣٩٩ ما يجده المؤمن من الوسوسة في صدره ليس من هذا القبيل

المجلس السادس

إِلَىٰ أَيِّ حِينٍ أَنْتَ فِي زِيٍّ مُّحْرَمٍ؟ وَحَتَّىٰ مَتَىٰ فِي شِقْوَةٍ وَإِلَىٰ كَمْ؟

- ٤٠١ متى يبتسم الدهر؟
- ٤٠١ الكفر قرين الفقر
- ٤٠٢ استعاذته ﷺ من الدّين والفقر

٤٠٢	أصول النعم
٤٠٢	في أيدينا لا في قلوبنا
٤٠٢	ارحموا ثلاثة
٤٠٣	جهد البلاء
٤٠٣	الفقر مجمع العيوب
٤٠٣	الصفة الواحدة للغني مدح وللفقير ذم
٤٠٣	كم لك من الأصدقاء؟
٤٠٣	الناس مع صاحب الدنيا
٤٠٤	ما أكثر الإخوان حين تعدهم
٤٠٤	هيبة ذي المال
٤٠٤	خسة العالم الذي يتواضع لغني
٤٠٥	الإمام يحب المساكين
٤٠٥	إكرام العلماء عند أهل (اليمن)
٤٠٥	الكلام في الغنى والفقر
٤٠٦	وصف الإمام للنبي ﷺ
٤٠٦	تواضعه ﷺ
٤٠٦	تفضيل أهل الحديث الغنى على الفقر
٤٠٧	من خصائص النبي ﷺ
٤٠٧	أفضل الأحوال الكفاف
٤٠٧	استشكال حديث: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»
٤٠٨	خير الغنى
٤٠٨	الشعراء والغنى والفقر
٤٠٩	القناعة هي الحياة الطيبة
٤١٠	كيف تصبح ملكاً؟
٤١٠	القليل الكافي خير من الكثير الملهي

- ٤١٠ الغنى غنى القلب
- ٤١٠ عودة إلى الشعراء
- ٤١١ وجهة نظر الخليل الفراهيدي إلى الغنى والفقير
- ٤١١ خير الرزق ما كان مياومة
- ٤١٢ الطمع هو الفقر والقناعة هي الغنى
- ٤١٣ علم ابن ميادة أن عنده ناقة حلوباً فاستغنى عن الملوك
- ٤١٤ البخيل يبخل بالمال فابخل بماء وجهك
- ٤١٤ الإخلاص في التوكل
- ٤١٤ صدق رسول الله ﷺ إن من الشعر لحكمة

وَالْأَتَمُّ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكْرَمًا تَمَّتْ وَتُقَاسِي الدُّلَّ غَيْرَ مُكْرَمٍ

- ٤١٦ حث المتنبي على الإقدام
- ٤١٦ الشعراء تشجع الجبان وتحث على الإقدام
- ٤١٧ لي عندك يد يا أمير المؤمنين
- ٤١٨ ثلاثة من الفرسان جزعوا ثم صبروا
- ٤١٩ وثلاثة لم يجزعوا أصلاً
- ٤١٩ الرجال لا تفر من القتال
- ٤٢٠ مكتوب على ذي الفقار
- ٤٢٠ قصة الحصين بن الحمام وبنو جوشن
- ٤٢١ الموت آت على كل حال
- ٤٢١ المدح بالقتل
- ٤٢١ لا يموت السيد في فراشه
- ٤٢١ نعي المصعب بن الزبير إلى أخيه عبد الله
- ٤٢٣ آل الزبير أعرق الناس في القتل
- ٤٢٤ قول ماوية لزيد الخيل عندما أراد خطبتها

- ٤٢٤ قصيدة للطرمح يتمنى فيها أن يموت أفضل ميتة
- ٤٢٥ لم يتحقق حلمه ومات على عكس ما أراد
- ٤٢٥ الشعراء والشجاعة
- ٤٢٧ الشهداء أحياء
- ٤٢٨ أمنية الشهيد
- ٤٢٨ شجاعة الإمام
- ٤٢٨ تقديم النبي ﷺ آل بيته في القتال عند إحجام الشجعان
- ٤٢٨ بكاء زين العابدين
- ٤٢٩ ربما يكون البكاء دواء عند الشعراء
- ٤٣١ الأنفة والإباء عند المتنبى
- ٤٣١ لا عز في طريق النار ولا ذل في طريق الجنة

فَتَبَّ وَإِنَّمَا بِاللَّهِ وَثِقَةٌ مَّاجِدٍ يَرَى الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَا جَنَى النَّخْلِ فِي الْقَمِّ

- ٤٣٣ تحريض المتنبى على القتال
- ٤٣٣ شجاعة الإمام عليه السلام
- ٤٣٤ تمييزه بين العسل الطائفي وغيره في أحلك الظروف
- ٤٣٤ معرفة أبي العلاء ماء وطنه وقد مزج بماء الفرات وهو بالعراق
- ٤٣٥ الإمام أنس بالموت من الطفل بثدي أمه وتفصيل هذا الكلام
- ٤٣٦ استعذاب الموت في طلب العز عند الشعراء
- ٤٣٧ شدة ثبات جأش عبد الله بن الزبير
- ٤٣٧ تشبيه الموت بالعسل اليماني
- ٤٣٧ الأحق بهذه الأشعار هو ابن الزبير
- ٤٣٨ الجمال لا ينافي الشجاعة
- ٤٣٨ يستمهل السجان كي يتم لعبة الشطرنج
- ٤٣٨ شجاعة أبي نعامة

- ٤٣٩ شجاعة ابن محكان
- ٤٣٩ عبد بن يغوث ينوح على نفسه قبل قتله بقصيدة شعرية رائعة
- ٤٤٠ شجاعة طرفة بن العبد
- ٤٤٠ عبيد بن الأبرص يخاف الموت
- ٤٤١ تميم بن جميل يتكلم خطبة حال قتله يعجز عنها من هو في الدَّعة
- ٤٤٢ علي بن الجهم يصلب وهو حي عرياناً
- ٤٤٣ نجدة القرآن وشهامته
- ٤٤٣ وجوه فضل حلف الفضول
- ٤٤٣ السرعة في إجابة المنادي دون أي سؤال
- ٤٤٥ سرعة النبي ﷺ إلى إجابة الصوت
- ٤٤٦ السبب في شجاعة الصحابة رضوان الله عليهم أنها جبلَّة ودين ومِلَّة
- ٤٤٧ الصحابة الكرام أحق بجميع الأشعار المادحة والثناء البالغ
- ٤٤٨ أجمع الآيات في النجدة
- ٤٤٩ تمهيد المؤلف العذر لنفسه في هذا الاستطراد
- ٤٥٠ كل شيء من الحبيب حبيب
- ٤٥٠ سلطان العاشقين يستعذب العذاب
- ٤٥٣ ذم وهجاء من يبطن في إجابة الصوت
- ٤٥٥ السبب في حرب البسوس
- ٤٥٥ ذم القرآن الكريم للمنافقين
- ٤٥٥ أصعب السهام التي تأتيك من أخيك وأشد الآلام التزيف الداخلي
- ٤٥٦ الجدار القصير تقفز عليه الكلاب
- ٤٥٧ واحسرتا على من ليس له أحد
- ٤٥٧ ثاني اثنين في التنور
- ٤٥٩ المحتوى

* * *